

مقدمة

يعد البحث في تاريخ المجتمع المغربي المعاصر وذهنيته، من المواضيع التي لا زالت تثير الكثير من الأسئلة والاستفهامات، وتحتاج إلى دراسات مستفيضة وعميقة، لرصد التحولات الكبرى التي طرأت على المجتمع المغربي خلال الفترة المعاصرة.

فاحتكاك المغرب بشكل مباشر مع الآخر "الغرب" خلال القرن التاسع عشر، لم يكن حدثا عاديا، بل أحدث رجة قوية في ذهنية المجتمع المغربي، وأكد على الهيمنة الاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية لأوروبا، وعجز المخزن أمامها، وهو ما ولد للمغاربة شعورا بالانحطاط والتخلف والضعف أمام علم أوروبا وآلتها العصرية.

وإذا كان هذا الشعور خالج فقط النخبة المخزنية والتجارية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فإنه بعد توقيع معاهدة الحماية واحتلال المغرب واجتياحه عسكريا

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتقنيا، أصبح شعورا عاما يكتنف جميع
المغاربة، بعدما صاروا وجها لوجه مع
حادثة أوروبا، وتحت رحمتها، مما
أثار رغبة قوية - وخاصة لدى الفئة
المثقفة - في تحديث المجتمع المغربي
والسعي لنهضته.

وبالرغم من أهمية هذا التطور الذي
عرفته الذهنية المغربية في تفسير
مختلف التحولات الاجتماعية والاقتصادية
والثقافية والسياسية التي شهدتها
المغرب خلال القرن العشرين، فإن
الاهتمام به لازال محتشما، ذلك أن
الأبحاث التي أنجزت في الموضوع قليلة
جدا، وتعد على رؤوس الأصابع، كما أن
المشتغلين عليها في الغالب مختصون
في الفلسفة وعلم الاجتماع، مما جعل
أعمالهم تحليلية وذات طابع شمولي،
أكثر منها توثيقية تؤرخ لمرحلة
مفصلية في تاريخ المجتمع المغربي
وذهنيته.

ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة
الموسومة بـ "تصور النخبة المثقفة
بمنطقة الحماية الإسبانية لمشروع
النهضة الوطنية (1913-1936)"، لإبراز
ملامح التحول والتطور في بنية
المجتمع المغربي وعقليته، وأهمية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

صدمة الاستعمار في بروز النخبة
المثقفة بشمال المغرب، ودور هذه
النخبة في وضع اللبنة الأساس لمشروع
النهضة الوطنية، والسعي لتنمية
الوعي الوطني للمغاربة، عن طريق
محاربة الجهل والبدع والشعوذة
والطرقية، والتوعية بنشر التعليم
العصري، والرهان على تكوين جيل جديد
من الشباب الوطني، واعٍ بماضيه
وحاضره، ومحافظ على هويته، ومتطلع
لبناء مغرب عصري حر، ومستقل سياسيا
واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، تسيره
أطر وكفاءات وطنية.

وجاء اختيارنا لهذا الموضوع
لاعتبارات عدة، من أبرزها اهتمامنا
بتاريخ شمال المغرب المعاصر، ومنطقة
جباله وتراثها المادي واللامادي بشكل
عام، وكذا اشتغالنا في بحث جامعي
سابق لنيل شهادة الماستر على موضوع
:"أجوبة وطنية حول الحماية الإسبانية
(1913-1944)"، مما ساعدنا على الاطلاع
على الكثير من القضايا المرتبطة
بالتاريخ المجتمعي والذهني لشمال
المغرب في عهد الحماية الإسبانية،
وحصولنا على رصيد وثائقي
وبيبليوغرافي مهم، بقي استغلاله

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

محدودا جدا، وهو ما شجعنا أكثر لخوض
تجربة البحث حول الفكر النهضوي
للنخبة المثقفة بشمال المغرب،
ودورها الرائد في إصلاح المجتمع
المغربي.

أما الإطار الزمني للأطروحة (1913-
1936)، فقد فرض علينا نفسه بشكل
تلقائي، للتمكن من رصد التطور
الذهني للمجتمع المغربي في مرحلة
زمنية محدودة، لا تتعدى العقدين.
فسنة 1913 تؤرخ لدخول الجيش الإسباني
بشكل رسمي لمدينة تطوان، التي أصبحت
منذ هذا الحدث عاصمة للحماية
الإسبانية، وبداية احتكاك المغاربة
مع حداثة أوروبا، والإذعان لقوتها،
مما أدى بشكل مباشر لبداية الوعي
بالذات، وتشكل النخبة المثقفة التي
تبنت مشروع الإصلاح، وكانت لها اليد
الطولى في تنشئة وتكوين الرعيل الأول
للحركة الوطنية.

بينما تؤرخ سنة 1936، للإعلان
الرسمي عن تأسيس أول حزب وطني،
وهو "حزب الإصلاح الوطني"، الذي شكل
أعلى مرحلة من النضج السياسي
والتنظيمي للرعيل الأول للحركة
الوطنية بشمال المغرب، والذي برز في

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الساحة الوطنية منذ سنة 1930، كقوى
شبابية متعطشة للحرية، دشنت عملها
الوطني بالأنشطة الثقافية والفكرية
والاجتماعية، التي ستمخض عنها حركة
وطنية سياسية منظمة، أصبحت منذ سنة
1936 جاهزة للمطالبة بالوحدة
والاستقلال.

وقد استلهمنا التصور النظري لهذه
الأطروحة من دراسات سابقة حول أصول
التحديث واليقظة بالمجتمع المغربي.
فمن أبرزها كتاب "مظاهر يقظة المغرب
الحديث" للمؤرخ محمد المنوني، وكتاب
"الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية
المغربية" للمؤرخ والمفكر المغربي
عبد الله العروي، وكتاب "المغرب في
مواجهة الحداثة"، للمفكر المغربي
محمد سبيلا، وكتاب "النخبة المغربية
وإشكالية التحديث" للأستاذ عبد السلام
الحيمر، وكتابي "الاجتهاد والتحديث:
دراسة في أصول الفكر السلفي في
المغرب"، و"أروبا في مرآة الرحلة،
صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية
المعاصرة"، للأستاذ سعيد بنسعيد
العلوي، وكتاب "في سوسيولوجيا الفكر
المغربي الحديث"، للأستاذ عثمان
أشقرا، وكتاب "نظرية الاستعداد في

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المواجهة الحضارية للاستعمار: المغرب نموذجاً"، للأستاذ أحمد العماري.

وإذا كان اعتمادنا على هذه الدراسات محدوداً جداً، نظراً لاهتمام أغلبها بالمرحلة السابقة لعهد الحماية، وتركيز بعضها فقط على نماذج من نخبة المنطقة الخاضعة للحماية الفرنسية، فإنها بالمقابل شكلت لنا نقطة الانطلاق في وضع التصور النظري لهذه الأطروحة، حيث مكنتنا من اكتشاف البيئة الفكرية والثقافية التي ترعرعت وسطها النخبة المغربية المثقفة، وأصول مرجعيتها السلفية، وتصورها للإصلاح والنهضة.

وانطلقنا في هذه الأطروحة من إشكالية رئيسة، تتمحور حول البحث عن الأسباب والظروف التي ساهمت في نشأة وتكوين الجيل الأول للحركة الوطنية المغربية، الذي استطاع في وقت وجيز قيادة حركة ثقافية واجتماعية وسياسية وطنية، وذات أبعاد كونية، بالرغم من التخلف الحضري والجهل الذي كان يعيشه المجتمع المغربي، والسياج الذي ضربته عليه الحماية لحصر كل حركة وطنية مناوئة لمصالح الاستعمار والمستعمر بالمغرب.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ولإحاطة بجوانب هذه الإشكالية ، تم
تفكيكها إلى مجموعة من الأسئلة
الفرعية التالية : كيف ساهمت صدمة
الاستعمار في تشكل الوعي بالذات
وبروز النخبة المثقفة بمنطقة
الحماية الإسبانية؟ وما هي المرجعية
الفكرية التي تأثرت بها هذه النخبة؟
وما هو التصور الذي طرحته النخبة
المثقفة لإصلاح المجتمع المغربي؟ وما
هو المشروع النهضوي الذي تبنته؟
وكيف ساهمت النخبة المثقفة في تكوين
جيل جديد من الشباب الوطني الواعي
بمسؤوليته؟ وما أبرز المبادرات
والمشاريع التي أنجزتها النخبة
المثقفة لتحقيق ذلك؟ وما أهم
النتائج التي حققتها النخبة المثقفة
في مشروعاتها النهضوية على المستويات
الفكرية والثقافية والاجتماعية
والاقتصادية والسياسية؟ وأخيرا ، ما
هي القيمة المضافة لدراسة تصور
النخبة المثقفة لمشروع النهضة
الوطنية في زمننا الحاضر؟

ولمعالجة هذه الإشكالية ، وتقديم
إجابات علمية ودقيقة لأسئلتها ،
اعتمدنا على مادة بيبليوغرافية
غنية ، تنوعت بين الوثائق والمخطوطات

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والمصادر والمراجع والمقالات
المنشورة بالمجلات والصحف المختلفة،
سواء كتبها الفاعلون في صناعة أحداث
هذه الأطروحة، أو الباحثون المغاربة
والأجانب المختصون في مجال البحث
التاريخي بالمرحلة المدروسة.

وشكلت وثائق آل بنونة، التي عرضها
أبو بكر بنونة على مكتبته
الإلكترونية، والوثائق التي تم نشرها
في دراسات مختلفة للمؤرخ محمد عزوز
حكيم والمؤرخة حسناء داود والطيب
بنونة، المادة المصدرية الرئيسية
لهذه الأطروحة، نظرا لما شملته من
تفاصيل وجزئيات دقيقة، مكنتنا من
حصر إشكالية الأطروحة، وتتبع مسار
التطور الذي طرأ على ذهنية المجتمع
المغربي في عقدين من الزمن، وما
بذلته النخبة المثقفة من مشاق، وما
قامت به من مبادرات لتكوين جيل من
الشباب المسلح بالعلم والمعرفة
والمتشبع بالروح الوطنية.

كما اعتمدنا أيضا على المقالات
الصحفية التي نشرتها عناصر النخبة
المثقفة، كمحمد داود، ومحمد العربي
الخطيب، عبد السلام بنونة وامحمد
بنونة ومحمد بن عبد الكريم الخطابي،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

على صفحات جرائد ومجلات مشرقية
(الشورى والبلاغ والشهاب والفتح
...)، وأخرى كانت تصدر في المغرب
(تلغراف الريف الإصلاح والشمال
الإفريقي والاتحاد...)، وهو ما ساعدنا
على استنباط وتحليل خطاب النخبة
المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
حيال الإصلاح والنهضة والحماية.

وإلى جانب ما سبق، اعتمدنا أيضا
على مخطوطات ومؤلفات ومذكرات
متعددة، كتبها عناصر النخبة
المثقفة، كمحمد داود، والتهامي
الوزاني، وأحد الرهوني، ومحمد
المرير التطواني، والعربي اللوه،
وكذا على الكتب والمذكرات التي
ألفها الرعيل الأول للحركة الوطنية
بشمال المغرب كعبد الخالق الطريس،
والطيب بنونة، ومحمد الخطيب، وامحمد
بن عبود والمهدي بنونة وعلال الفاسي،
بالإضافة إلى كتابات بعض الإسبان
الذين عاشوا المرحلة المدروسة
كفرناندو فلاديميرا مرتينيز Fernando
Vladerrama Martinez وميغل مرتين
Miguel Martin، وهو ما ساعدنا على
التحكم في الخيط الرابط بين الأحداث

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

والوقائع التي تشكل المادة الأساس في
بناء هذه الأطروحة .

هذا علاوة على اعتمادنا على مختلف
الكتابات والأبحاث، التي اهتمت
بالتأريخ للحركة الوطنية بشمال
المغرب وأصولها، سواء باللغة
العربية أم الفرنسية أم الإسبانية أم
المترجمة، والتي استفدنا منها كثيرا
في فهم العديد من التصورات، وفك
رموز مجموعة التناقضات التي وردت في
الكتابات الوطنية، والتعريف ببعض
الشخصيات، وتفسير عدة اختلافات في
المواقف الوطنية. ومن أبرزها كتابات
محمد بن عزوز حكيم، وحسن داود،
ومحمد العربي المساري وإسماعيل
الخطيب، وعبد المجيد بن جلون، وعبد
العزیز خلوک التمساماني، وعبد
الكريم غلاب، وماريا روسا دي
ماداريغا Maria Rosa De Madriaga،
وجون ولف Jean Wolf، وروبير
روزيطة Robert Reztte، وشارل أندري
جوليان CharlesAndré Julien .

ولاستغلال هذا التنوع البيبليوغرافي
بشكل جيد في بناء الأطروحة، وتحليل
مضامينها بانسجام مع إشكالياتها
الرئيسية، اعتمدنا على مناهج متعددة،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

حيث وظفنا عند تحليلنا لخطاب النخبة
المثقفة وتصورها للإصلاح والنهضة
المنهج التحليلي والمنهج المقارن،
لإبراز مواقف وتصورات النخبة
المثقفة، وتحليلها وفق القضايا وليس
الأحداث. بينما اعتمدنا على المنهجين
التاريخي والتحليلي عند تعرضنا
للمشاريع والمبادرات الوطنية التي
قامت بها النخبة المثقفة بشمال
المغرب في إطار مشروعها النهضوي، أو
خلال رصدنا لأهم تجلياته ونتائجه التي
تم تحقيقها على المستويات الفكرية
والثقافية والاجتماعية والسياسية،
حيث قمنا بتتبع ودراسة أهم الأحداث
التاريخية للمرحلة المدروسة،
وتحليلها في سياقها التاريخي، مع
تركيبها والتعليق عليها. هذا إلى
جانب استعانتنا بالمنهج الوصفي عند
تطرقنا لبعض المؤسسات الوطنية، أو
المواجهات والاحتكاكات التي جرت بين
الرعييل الأول للحركة الوطنية بشمال
المغرب وإدارة الحماية الإسبانية.
واستطعنا بفضل هذه المناهج التحكم
في صلب الموضوع والإجابة عن أسئلته
المركزية.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وحفاظا على الإطار المنهجي
للأطروحة ، فإن التساؤلات والاستفهامات
التي تم طرحها في الإشكالية ، سيتم
الإجابة عنها من خلال مدخل عام وثلاثة
أبواب. حيث خصصنا المدخل لوضع
إشكالية هذه الأطروحة في سياقها
التاريخي العام ، أما الباب الأول
الموسوم ب: " النخبة المثقفة بمنطقة
الحماية الإسبانية وتصورها للنهضة
الوطنية " ، فرصدنا من خلاله أثر صدمة
الاستعمار على الوعي المغربي ،
والشعور بالهزيمة والتخلف أمام قوة
أوروبا وعلمها ، وانبعث الوعي
بالذات المنهزمة ، والتطلع للنهوض
واليقظة بالنسبة للعناصر المثقفة
التي لم يعدمها المغرب ، والتأصيل
للظروف التي نشأت فيها هذه النخبة
بمنطقة الحماية الإسبانية ، والعوامل
التي تحكمتم في تكوينها الفكري ،
وقنوات اتصالها بالسلفية ، وتأثيرها
بالحركة النهضة المشرقية ، وموقفها
من الحداثة الأوروبية ، وتصورها
لتوليف مدنية الغرب.

كما قمنا في هذا الباب بدراسة
تحليلية مقارنة لخطاب النخبة
المثقفة بشمال المغرب حول النهضة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الوطنية، ودعوتها للتحرر من قيود
الجهل، ومحاربة البدع والشعوذة
والطرقية، التي شكلت بالنسبة لها
أصل الداء والعطب الذي أصاب المجتمع
المغربي وعطل ذهنيته، كما آمنت هذه
النخبة بأنه لا سبيل للإصلاح إلا بنشر
التعليم العصري، والتوعية بأهميته
بين الآباء والعلماء وعامة الناس،
وتنبيههم للمسؤوليات الملقة على
عاتقهم اتجاه أبنائهم وأسره
وأمتهم. ونظرا لرهان النخبة المثقفة
على تكوين جيل جديد واع ومثقف، نجد
خطابها التوعوي ينصب بالخصوص على
فئة الشباب، الذي شكل بالنسبة لها
الركيزة الأساسية في مشروعها
النهضوي.

أما الباب الثاني من هذه الأطروحة
فيحمل عنوان: "مجهودات النخبة
المثقفة بشمال المغرب لتحقيق
مشروعها النهضوي: بين تماطل
المستعمر ومحدودية الإمكانيات
الذاتية"، والذي خصصناه لتتبع
الموقف الواقعي للنخبة المثقفة من
نظام الحماية الإسبانية، الذي كان
يمثل بالنسبة لها مجرد فرع من الأصل
المتمثل في الحماية الفرنسية، ولذلك

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تجنبت المطالبة بإسقاط الحماية
الاسبانية ، حتى يتم إلغاء عقد
الحماية الفرنسية ، وتحقيق وحدة
المغرب واستقلاله . هذا علاوة على
وعیها بضعف إمكانيات المغرب لمواجهة
الآلة الحربية والتقنية الإسبانية ،
الشيء الذي جعلها تتبنى موقف
التعايش والتعاون مع الحماية
الاسبانية رغبة منها في محاولة
التأثير على رجالها لتحقيق مطالبها
الإصلاحية .

ورصدنا كذلك في هذا الباب أهم
المبادرات والمشاريع الاجتماعية
والثقافية والاقتصادية الوطنية ، التي
قامت بها النخبة المثقفة ، بناء على
مجهودات ذاتية بهدف الاستقلال عن
إدارة الحماية الإسبانية ، حيث أقدمت
النخبة المثقفة على تأسيس المدرسة
الأهلية ، التي شكلت مهد النهضة
الوطنية ، وعملت على إرسال العديد من
الطلبة للدراسة بالشرق لتكوين
الأطر ، وبادرت لتأسيس مطبعة المهدية ،
التي لعبت دورا مهما في نشر الوعي
والمعرفة ، حيث كانت تطبع فيها معظم
الصحف والمجلات الوطنية ، والكتب التي

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ألفها عناصر النخبة المثقفة، وأعضاء
الحركة الوطنية المغربية.

كما قامت النخبة المثقفة بتأسيس
الأندية الرياضية والجمعيات الخيرية،
بمختلف مدن المنطقة، هذا علاوة على
تأسيس مجموعة من الشركات التعاونية
الوطنية، والمعامل الصناعية، من
أبرزها معمل الكهرباء ومعمل الثياب
الوطنية، التي كان الهدف من
تأسيسها، تحقيق الاستقلال عن الاقتصاد
الاستعماري. وعلى امتداد هذا الباب
سنجد أن مختلف هذه المشاريع كانت من
إبداع وتمويل رائد النهضة الوطنية
ومبدع خططها، الحاج عبد السلام
بنونة، ولذلك لم يخطأ أمير البيان
شكيب أرسلان عندما قال عنه في حفل
تأبينه: "والحق الذي لا محيد عنه أنه
لا يمكن أن يكتب تاريخ النهضة
المغربية على الوجه الصحيح ما لم
يصرح المؤرخ بأن الحاج عبد السلام
بنونة هو المجلى في الحلبة والمتقدم
في الرتبة".

وفي الباب الثالث والأخير من هذه
الأطروحة الموسوم ب: "نتائج النهضة
الوطنية وتجلياتها على المستويات
الفكرية والثقافية والاجتماعية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والسياسية"، خلصنا لأهم النتائج التي
حققتها النخبة المثقفة في مشروعها
النهضوي، وتجلياته على المستوى
الفكري والثقافي والاجتماعي
والسياسي، حيث تتبعنا خطوات الشباب
الوطني الذي سهرت النخبة المثقفة
على تكوينه، وحمله لمشعل الإصلاح
ومتابعته لتثبيت مشروع النهضة
الوطنية منذ سنة 1930، مع الوقوف
على أبرز أنشطة الرعيل الأول للحركة
الوطنية بإقدامه على تأسيس عدة صروح
ثقافية كان من أبرزها جمعية الطالب
المغربية، وكذلك خوضه غمار الإصلاح
الاجتماعي بالتركيز على التعليم
وتأسيس المعهد الحر، هذا علاوة على
اهتمامه بكل فئات المجتمع من طلبة
وعمال وفلاحين، والسعي لتوعيتهم
بحقوقهم.

كما تتبعنا أيضا في هذا الباب أهم
تجليات النهضة الوطنية على المستوى
السياسي، والمراحل التي مرت منها
الحركة الوطنية منذ أن كانت عملا
سريا، إلى أن أصبحت علنية منظمة في
هيئات تطورت مع الزمن، بتزايد
أعضائها واتساع أهدافها، لتصل هذه
الحركة منذ سنة 1936 إلى أعلى مستوى

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----
من النضج والتنظيم ، بتأسيس حزب
الإصلاح الوطني، الذي كانت أول أهدافه
هو تحقيق الوحدة والاستقلال.

مدخل عام

أصبح المغرب منذ احتلال فرنسا
للجزائر سنة 1830، محط أطماع الدول
الأوربية الاستعمارية، التي ازدادت
قوة المنافسة بينها أكثر حول المغرب
بعد انهزامه أمام فرنسا في معركة
اسلي سنة 1844، حيث ستعتمد إسبانيا
إلى توسيع "ممتلكاتها التاريخية"

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

التي كانت تدعيها بمدينة سبتة
ومليلا¹، واحتلال الجزر الجعفرية سنة
1848²، كما مارست انجلترا من جانبها
العديد من الضغوطات الدبلوماسية على
المغرب لتنتزع منه سنة 1856 معاهدة
سلم وصداقة غنية بالامتيازات
التجارية لنفسها كدولة ولرعاياها
المقيمين بالمغرب أو الراغبين في
الإقامة به³.

وفي إطار هذه المنافسة، استغلت
إسبانيا حدث هجوم أهالي قبيلة أنجرة
على بيوت الحراسة التي شيدها الجنود
الإسبان بالمنطقة وتهديمها سنة
1859⁴، لإعلان الحرب على المغرب من
قبل البرلمان الإسباني، وبموافقة كل
الأحزاب السياسية الإسبانية⁵.

ورغم أن إسبانيا أعطت لهذه
الحملة العسكرية على المغرب، طابع

¹الوزاني، التهامي، تاريخ المغرب، مطبعة الريف، تطوان،
1942، ج. 3، ص. 139.

²مرتين، ميكيل، الاستعمار الإسباني في المغرب 1860 -
1956، ترجمة عزيز الودي، الدار البيضاء، منشورات
التل، 1988، ص. 12.

³ابن منصور، عبد الوهاب، مشكلة الحماية القنصلية
بالمغرب من نشأتها إلى المؤتمر مدريد 1880، المطبعة
الملكية، الرباط، ط. 2، صص. 14-15.

⁴غلاب، عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب
العربي، دار الغرب الإسلامي، 2005، ج. 3، ص. 43.

⁵مرتين، ميكيل، م. س، صص. 13-14.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحرب الصليبية المقدسة "لغسل شرفها
من العار الذي ألحق بها"¹، إلا أن
الحقيقة كانت غير ذلك، لكون إسبانيا
بعدما فقدت مستعمراتها بأمريكا
اللاتينية، أرادت استرجاع مجدها
الاستعماري على حساب الضفة الأخرى
للبحر الأبيض المتوسط، وتفرغ
أزماتها الداخلية، وهو ما عبر عنه
هينري دي لا مارتينيز الوزير فوق
العادة المكلف بالشؤون الفرنسية
بطنجة، الذي كتب: "في سنة 1859،
كانت الحالة سيئة في جميع شبه
الجزيرة الأيبيرية، وأصبح الجيش
يتدخل في شؤون السياسة... وعندما
نقرأ وثائق هذه الفترة، نشعر أن
حملة تطوان كانت مرجوة، ومبحثاً
عنها"².

وهكذا انطلقت الحملة العسكرية
الإسبانية على المغرب، من مدينة
سبتة، بقيادة المارشال ليوبولدو
أودونيل³. وبالرغم من البلاء الحسن
الذي أبلاه المجاهدين المغاربة في
الدفاع عن وطنهم، فإن ميزان القوة

¹ - نفسه.

² - وولف، جان، ملحمة عبد الخالق الطريس حقيقة الحماية
الفرنسية الإسبانية بالمغرب، ترجمة، محمد الشريف، مطبعة
الطوبريس، طنجة، 2003، ص. 51.

³ - نفسه.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العسكرية والتقنية كان لصالح
الإسبان¹، فاحتلوا مدينة تطوان في
فبراير 1860، الشيء الذي أرغم
المغرب على المطالبة بالسلم، وتوقيع
اتفاقية صلح بشروط قاسية، سمحت
لإسبانيا بتوسيع مساحة سبتة ومليلية،
وضبط حراسة المناطق المتاخمة لسبتة،
كما تخلي المغرب عن إيفني، والتزم
بدفع تعويض مالي قدره عشرون مليون ريال
وظلت مدينة تطوان محتلة كضمانة لأداء
التعويض².

فتلقى المغرب على إثر ذلك، أكبر
هزيمة مالية إلى جانب الهزائم
العسكرية، حيث كان مقدار الغرامة
يتجاوز إمكانيات البلاد، فوجد المخزن
نفسه مضطرا للاقتراض من إنجلترا³،
بفوائد ضخمة، ظل المغرب يؤديها نحو
ربع قرن⁴، كما أرغمت إسبانيا المغرب
على توقيع اتفاقية تجارية سنة 1861،
حصلت من خلالها على العديد من
الامتيازات وتنازلات مذلة للمغرب

¹ - غلاب، عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب،
م. م. س، ج. 3، ص. 44.

² - مرتين، ميكيل، م. م. س، صص. 14 - 15.

³ - وولف، جان، م. م. س، ص. 51.

⁴ - غلاب، عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب،
م. م. س، ج. 3، ص. 44.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ومجھے بحقوقيه¹، مما أوقع السيادة
المغربية سياسيا وماليا تحت نفوذ
الإسبان والإنجليز². وهو ما جعل فرنسا
تضغط كذلك على المغرب، لتوقيع
اتفاقية جديدة سنة 1863 للحصول على
امتيازات مشابهة³.

وهكذا كانت مصالح الدول الأوروبية
في المغرب معقدة، حيث ظلت إسبانيا
تدعي لنفسها حق الاحتفاظ بالمغرب،
وهو ما عارضته فرنسا التي كانت هي
الأخرى تريد أن يكون المغرب من
نصيبها، بينما ظلت كل من إنجلترا
وألمانيا، تعارضان تسليم المغرب
مضغة واحدة لفرنسا أو لإسبانيا،
لحفاظ على مصالحهما به⁴.

وأمام هذه المصالح المعقدة،
تمكنت فرنسا من عقد اتفاقيات ثنائية
مع الدول الأوروبية التي كانت تعاكس
أهدافها التوسعية بالمغرب بدعوى

¹ - ابن منصور، عبد الوهاب، مشكلة الحماية القنصلية
بالمغرب....، م. س، صص. 16-17.

² - غلاب، عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب....،
م. س، ج. 3، ص. 44.

³ - ابن منصور، عبد الوهاب، مشكلة الحماية القنصلية
بالمغرب....، م. س، ص. 26.

⁴ - الفاسي، علال، حماية إسبانيا في مراكش من الوجهتين
التاريخية والثقافية، منشورات مؤسسة علال الفاسي، ط. 2،
ص. 13.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

"المحافظة على سيادة السلطان"،
فأبرمت مع إسبانيا بتاريخ 27 يونيو
1900 أول معاهدة سرية حول اقتسام
المغرب بينهما¹، كما أنهت خلافها مع
إيطاليا سنة 1902 باتفاق ضمنت فيه
حيادها²، مقابل اعتراف فرنسا بمصالح
إيطاليا وحقوقها في ليبيا³.

وفي سنة 1904 سوت فرنسا خلافاتها
الاستعمارية مع بريطانيا، بالتوصل
إلى اتفاق ودي، حصلت بموجبه على
حرية التصرف في المغرب مقابل تخليها
عن مصر لبريطانيا⁴، فقبلت هذه
الأخيرة العرض بعدما تأكدت بأن
استعمار فرنسا للمغرب لن يهدده
وجودها بجبل طارق، بعدما تعهدت
فرنسا بأن يكون شمال المغرب من نصيب
إسبانيا⁵، كما وقعت فرنسا على اثر
هذا الاتفاق الودي، معاهدة أخرى مع

¹- ابن عزوز حكيم، محمد، الشريف الريسوني والمقاومة
المسلحة في شمال المغرب، ج.1، مطبعة الساحل، الرباط،
1981، ص. 15.

²- غلاب، عبد الكريم، قصة المواجهة بين المغرب والغرب،
.....، ص. 136.

³- مرتين، ميكيل، م. س، ص. 20.

⁴- مجموعة من المؤلفين، تاريخ المغرب تحيين وتركيب،
إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المهد الملكي للبحث
في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط، 2011،
صص. 504-505.

⁵- غلاب، عبد الكريم، قصة المواجهة بين المغرب والغرب،
دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص. 136.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إسبانيا في أكتوبر 1904، حددت
بمقتضاه منطقة النفوذ الإسباني في
إقليم يمتد من ملوية شرقا إلى
العرائش غربا واستثنيت منه مدينة
طنجة¹.

غير أن هذا التقسيم الاستعماري
الذي صدر عن الاتفاق الودي، لم يرض
ألمانيا التي أضحت تبدي اهتماما
متزايدا بالمغرب منذ مؤتمر مدريد
سنة 1880²، فحاول المخزن استغلال هذه
الورقة لصالحه وتدويل القضية
المغربية، فتم عقد مؤتمر دولي بشبه
الجزيرة الخضراء سنة 1906، شارك فيه
إلى جانب المغرب كل من فرنسا
وإسبانيا وإنجلترا وألمانيا والنمسا
وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية
وروسيا، وبالرغم من أن ألمانيا
والنمسا حاولتا مساندة المغرب في
الدفاع ضد مطامع ومطالب "الإصلاحات"
التي ترغب فرنسا إنجازها بالمغرب،
فإن بقية الدول المشاركة كانت تسير
الأطروحة الفرنسية³، فأنتهى المؤتمر

¹ - السعود، عبد العزيز، "مساهمة حول تأسيس الحماية
الإسبانية في شمال المغرب 1912-1936"، ضمن ندوة: تطوان
على عهد الحماية 1912-1956، مطابع عكاظ، الرباط، 1992،
ص. 97.

² - نفسه.

³ - غلاب، عبد الكريم، قصة المواجهة...، م. س، ص. 136.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إلى قرارات أغلبها في صالح الأجانب
وخاصة فرنسا¹، التي تمكنت من خلال
هذا المؤتمر الحصول على اعتراف دولي
بحقها في القيام بمشاريعها
"الإصلاحية" في المغرب بمساعدة
إسبانيا².

ورغم أن وفاق الجزيرة الخضراء
أقر الحفاظ على سيادة السلطان وسلامة
أراضيه³، فإن فرنسا وإسبانيا ظلتا
تتربسان بالمغرب، لإسقاطه تحت
سيطرتهما بعدما اقتسمتا أراضيه،
فاستغلت فرنسا بعض المبررات الواهية
لاحتلال وجدة والدار البيضاء سنة
1907، كما قامت إسبانيا باحتلال مركز
جزيرة بوعرك، ورأس سيدي البشير،
نواحي مدينة الناظور، سنة 1908،
الأمر الذي أدى إلى اندلاع الحرب
الريفية الأولى بقيادة الشريف محمد
أمزيان⁴.

وتزامنت هذه الأحداث مع الانقلاب
السياسي الذي عرفه المغرب بعدما ثار

¹ - غلاب، عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب
م . س، ج.3، ص. 148.

² - غلاب، عبد الكريم، قصة المواجهة، م . س، ص. 136.

³ - غلاب، عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب
م . س، ج.3، ص. 148.

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، الشريف الريسوني، م . س،
صص. 15-16.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

عبد الحفيظ على أخيه السلطان عبد
العزیز، وإعلان أهل الحل والعقد
بمدينة فاس خلع هذا الأخير ومبايعة
عبد الحفيظ سلطان للمغرب يوم 4
يناير 1908، مما فتح المجال لقيام
العديد من الثورات بمناطق مختلفة من
المغرب، جعلت السلطان الجديد يلجأ
لطلب النجدة من قوات الاحتلال
الفرنسية، التي استجابت لطلبه،
وبعثت جيوشها لمدينة فاس وفك حصار
القبائل عنها، واحتلالها عسكرياً في
ماي 1911¹، وقامت إسبانيا في السنة
نفسها باحتلال مدينتي العرائش والقصر
الكبير².

ولما شعرت ألمانيا أن مخطط تقسيم
المغرب بين فرنسا وإسبانيا بدأ
تنفيذه، قررت هي الأخرى التدخل في
المغرب، حيث أرسلت سفينة حربية إلى
أكادير، في فاتح يوليوز 1911، وسلمت
مذكرة للحكومة الفرنسية تبرر فيها
هذا التدخل بنفس الاعتبارات التي
كانت فرنسا قد بررت بها احتلال الدار
البيضاء، واحتلال إسبانيا للعرائش³.

¹ - نفسه، صص. 16-17.

² - نفسه ص. 21.

³ - مرتين، ميكيل، م. س، ص. 19.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

غير أن فرنسا سرعان ما احتوت هذه
الأزمة، حيث عقدت مع الحكومة
الألمانية اتفاقية في نونبر من السنة
نفسها، تقضي بأن توافق ألمانيا على
حقوق فرنسا في المغرب، مقابل تخلي
هذه الأخيرة عن حقوقها في حوض
الكونغو والطوغو، وبهذه الاتفاقية
كانت فرنسا قد هدأت الأجواء الدولية،
ومهدت الطريق بشكل نهائي لاحتلال
المغرب¹. حيث لم يمض على ذلك إلا
خمسة أشهر، لتفرض فرنسا على المغرب
معاهدة الحماية يوم 30 مارس 1912،
مما أعطاهما الشرعية للتدخل في
المغرب بذريعة حماية السلطان وإدخال
الإصلاحات الضرورية "بتعاون" مع
إسبانيا، حيث نصت الفقرة الثالثة من
فصلها الأول أن "'حكومة الجمهورية
(الفرنسية) تتفاوض مع الدولة
الإسبانية، في شأن المصالح
الناشئة لهذه الدولة من حالتها
الجغرافية ومستعمراتها الترابية
الكائنة بالساحل المغربي"².

¹ - غلاب، عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب ...،
م. س، ج. 3، ص. 177.

² - بن منصور، عبد الوهاب، المعاهدة المغربية الفرنسية
1330هـ - 1912م، الرباط، المطبعة الملكية، 1982، ص. 7.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وتطبيقا لهذا البند وقعت فرنسا
مع اسبانيا معاهدة في 27 نونبر
1912، لتعطي للطرف الثاني صلاحية
الإشراف في منطقة نفوذها، ومساعدة
الحكومة المغربية على إدخال
"الإصلاحات" الإدارية والاقتصادية
والمالية والقضائية التي تحتاجها،
وبموجب هذه الاتفاقية أضفت اسبانيا
الصبغة الشرعية على عملها الاستعماري
تحت اسم الحماية¹، ويتألف هذا
الوفاق الفرنسي الاسباني من ثلاثين
فصلا وملحقا مع بروتوكول حول سكة
حديد طنجة-فاس².

كما تحدد هذه الاتفاقية حقوق
والتزامات اسبانيا بمنطقة حمايتها
في المغرب، حيث نصت على أن تبقى هذه
المنطقة تحت السلطة الدينية
والمدنية للسلطان، الذي ينوب عنه
خليفة مفوض، يعين من طرف إسبانيا،
والذي يمكنه أن ينفذ جميع السلطات
الإدارية³، حيث كان يمارس نفس

¹ - مرتين، ميكيل، م. س، ص. 20.
² - السعود، عبد العزيز، "مساهمة حول..."، م. س، ص. 98.
³ - الفاسي، علل، حماية إسبانيا في مراكش...، م. س، ص.
.33

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الوظائف التي كان يتمتع بها السلطان
بمنطقة الحماية الفرنسية¹.

ونص هذا الاتفاق كذلك على أن
قرارات المخزن في منطقة النفوذ
الإسباني تخضع لمراقبة المفوض
السامي/ المقيم العام الإسباني، الذي
يمثل أعلى سلطة بالمنطقة، ويكون هو
الوسيط الوحيد في العلاقات التي
يقيمها الخليفة مع المعتمدين
الرسميين الأجانب بصفته المفوض من
السلطة الخليفة في المنطقة
الإسبانية².

ووقعت هذا الاتفاقية رسميا مع
السلطان مولاي يوسف بمراكش في ماي
1913³، وذلك عن طريق ظهير سلطاني
مؤرخ في 6 جمادى الثانية عام 1331
موافق 14 ماي 1913⁴. فأصبحت إسبانيا
بموجب هذه الاتفاق ملزمة بوضع نظام
إداري جديد داخل منطقة نفوذها،
فأقدمت على تنظيم إدارة أهلية
(حكومة خليفية) تساعد الخليفة
السلطاني في مهمة الإدارة داخل
المنطقة، وكذلك عملت على إقامة

¹ - مرتين، ميكيل، م. س، ص. 39.
² - السعود، عبد العزيز، "مساهمة حول..."، م. س، ص. 98.
³ - مرتين، ميكيل، م. س، ص. 39.
⁴ - السعود، عبد العزيز، "مساهمة حول..."، م. س، ص. 98.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إدارة اسبانية مكلفة بمراقبة قرارات
السلطات المغربية، والمساهمة في حفظ
على النظام والأمن، وإقامة العدالة
بالنسبة إلى الرعايا الإسبان والأجانب
المحميين والأهليين¹.

وعموماً فإن المنطقة الخاضعة
للفوز الإسباني تألفت من خمس وحدات
إدارية، يحكمها الباشوات والقواد في
المدن والنواحي، وإلى جانبهم
مراقبون من القناصل والضباط الإسبان،
يمثلون عن المندوب السامي ويقومون
بمراقبة المنطقة الخاضعة لفوزهم،
وإبلاغ المندوب السامي عن كل ما
يحدث في الحالة السياسية، إلى جانب
الإشراف على الحالة الاقتصادية وتنمية
الثروة في مناطق نفوذهم، وكانت
قرارات الباشوات والقواد لا تتم إلا
بموافقة هؤلاء المراقبين².

هذا التغيير الذي طرأ على نظام
الحكم بالمغرب، وتحول السلطة إلى يد
الأجانب، بعد توقيع معاهدة الحماية،
أدى إلى حدوث عدة ردود فعل مختلفة
ومواقف متباينة داخل المجتمع
المغربي، فحمل معظم ساكنة القبائل

¹ - مرتين، ميكيل، م. س، ص. 40.
² - داهش، محمد، علي، م. س، ص. 47.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

السلاح وإعلانهم للجهاد، واندلعت عدة معارك ضارية ضد الجيش الغازي بالريف بزعامة محمد أمزيان في المرحلة الأولى، وبعده قاد الجهاد الوطني بالريف، محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي كبد الجيش الإسباني العديد من الخسائر. أما بناحية جباله فسطع اسم الريسوني الذي تمكن من تأخير دخول جيش الاسباني للمنطقة، باللجوء إلى الحرب تارة، والسلم تارة أخرى، لوعيه بصعوبة التصدي للغزاة بمقاومة عسكرية محضة، وإيمانه بضرورة الجمع بين الضغط السياسي والضغط العسكري¹.

أما ساكنة المدن المنزوعة السلاح فظهرت بها كذلك مواقف مختلفة ضد النظام الجديد، فاختر البعض العزلة والانكفاء على الذات، وفضل البعض الآخر الهجرة بغية عدم مخالطة (الكفار). وإلى جانب كل هؤلاء تحصنت بالمدن وخاصة بتطوان فئة مثقفة، قليلة العدد، ذات مرجعية سلفية، انتهجت المساءلة النقدية لرصد الأسباب الداخلية التي أدت إلى انحطاط الأمة المغربية، وتنبهت منذ

¹ - مرتين، ميكيل، م. س، ص. 44.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

البداية إلى عقم مواجهة الاستعمار
مواجهة عسكرية مفتوحة لاختلال موازين
القوى، هذا إلى جانب إيمانها بأن
العدو الذي يواجه المغرب يتمثل
بالأساس في انحطاط المجتمع وعجزه
التام على رفع تحديات الحداثة.

وبناء على هذا التقييم الواقعي،
خلصت هذه النخبة المثقفة في وقت
مبكر إلى أن الكفاح يستوجب أن يأخذ
السبل الأكثر صعوبة، وتتجلى في
التأسيس لنهضة وطنية، وخلق جيل جديد
متشبع بالروح الوطنية ومتسلح بالعلم
والمعرفة، متشبث بمرتكزات الأصالة
المغربية، وقادر على المساهمة في
الرفع من المستوى الفكري والثقافي
للمجتمع المغربي والتعامل إيجابيا
مع المستجدات الاقتصادية والحضارية
العصرية.

إذن، فما هي الأسباب التي أسست
لنشأة النخبة المثقفة؟ وما هي
الظروف التي نشأت فيها؟ وما هي
المرجعيات التي تأثرت بها؟ وكيف
واجهت الحداثة ومدنية الغرب؟ وما
تصورها للنهضة الوطنية؟ وما أبرز
المبادرات والمشاريع الوطنية التي

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

أقدمت على تأسيسها؟ وما هي أبرز
تجليات ونتائج مشروعها النهضوي؟

الباب الأول: النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية

وتصورها للنهضة الوطنية

الفصل الأول: النخبة
المثقفة بشمال المغرب: بين
صدمة الاستعمار ومحاولة
إثبات الذات

المبحث الأول: صدمة الاستعمار
وبروز النخبة المثقفة بمنطقة
الحماية الإسبانية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

1. احتلال مدينة تطوان والوعي بالذات

احتلال تطوان والشعور بالهزيمة

شكل حدث دخول الجيش الإسباني لمدينة تطوان واحتلالها سلميا يوم 19 فبراير 1913¹، بقيادة الجنرال ألفاو Felipe Alfauy Mendoza²، صدمة عنيفة لجميع ساكنة المنطقة الشمالية، الذين انتابهم الخوف والفرع والذهول والحيرة. واعتبر البعض هذا الغزو

¹ - Dolores Lopez Enamorado, « El tetuan del Protectorado : medio siglo de imogene historicas », in tétouane a l'époque de protectorat 1912-1956, rabat, 1992 in tétouane a l'époque de protectorat 1912-1956, rabat, 1992, p. 299.

² - ألفاو إي مندوثا (فيلبي) ولد سنة 1853، وبعد أن تخرج من الأكاديمية العسكرية العامة اشتغل الجيش، ولم يلتحق بحامية مليلية إلا بعد حصوله على رتبة جنرال، وفي سنة 1909 عين حاكما عسكريا عاما بمدينة سبتة. وبعد توقيع معاهدة الحماية، عين ألفو أول مقيم عام لإسبانيا بالمغرب يوم 3 أبريل 1913، وما أن استقر ألفو بتطوان حتى بدأ يفكر في توسيع رقعة احتلال الجيش الإسباني للتراب المغربي غير أن قوته أصبحت محاصرة ولم يستطيع فك الحصار عنها إلا بعد خوض معارك كبيرة خسر خلالها الإسبان 201 رجلا ما بين قتل وجريح من ضباط وجنود. ولم يكن الشعب الإسباني مهيا لقبول هذه التضحية الكبيرة في سبيل مركز يوجد على أبواب تطوان، حيث شنت الصحافة حملة شعواء على الجنرال ألفوا الذي اضطر إلى تقديم استقالته يوم 11 غشت من نفس السنة. أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، 'ألفاو إي مندوثا'، معلمة المغرب، ج2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989 صص. 647 - 648.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

حرباً صليبية أعلنتها المسيحية على
الإسلام في عقر داره، وأنها عقاب من
الله للمسلمين لزيغهم عن الصراط
المستقيم، وانغماسهم في ملذات
الحياة. وتباينت قوة هذه الصدمة من
فئة إلى أخرى، **"فدهش من دهش وجزع من
جزع، وفزع من فزع"**¹. ولم يكن هذا
الشعور وطنياً بل كان دينياً بالأساس،
ذلك أن سكان تطوان عرّتهم خشية، وهم
يرون جيوش المسيحيين وهي تدخل
مدينتهم، أن يكون نظام الحياة
الجديد، الذي يحمله الإسبان سيحول
بينهم وبين ممارسة شعائرهم
الدينية².

عندما دخل الإسبانيون مدينة تطوان
سنة 1913م، **"هاج الناس وماجوا
وأصيبوا بالذهول"**³. وتقوى شبح الخوف
بتجدد ذكريات حرب تطوان سنة 1860⁴،
خاصة وأنه كان بالمدينة عدد كبير من

¹ - داود، محمد، **تاريخ تطوان**، ج11، تخريج ومراجعة، داود،
حسناء، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2009، ص. 158.

² - الخطيب، إبراهيم، **"تحولات التهامي الوزاني"**، ضمن
أعمال ندوة: **شخصية التهامي الوزاني ومساهمته الفكرية**،
مطبعة طوب بريس، الرباط، ص. 19.

³ - الوزاني، التهامي، **الزاوية**، مراجعة وتقديم عبد
العزیز السعود، منشورات تطوان أسمير، مطبعة الخليج
العربي تطوان، 2008، ص. 24.

⁴ - السعود، عبد العزيز، **"مساهمة حول تأسيس..."**، م. س،
ص. 19.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الشيوخ الذين عايشوا هذه النكبة،
يتذكرون عهد ذلك الاحتلال والاضطراب
الهائل الذي حصل¹ وما وقع في البلاد
من مصائب وأهوال وما حل بالناس من
خسائر في الأرواح والأبدان والأموال².

لقد نتجت عن هذا الاحتلال أزمة
نفسية حادة أصابت المغاربة في
صميمهم، ذلك ما عبر عنه المؤرخ محمد
داود بقوله: "لقد كان اليوم عيداً³
وفرحاً ومرحاً فانقلب مأتماً وهما
وترحاً... وبكى من بكى وانهمر من
المآقي ما انهمر، وتثبت من العقلاء
من ثبت وصبر، وفكر في الهجرة عدد من
الناس"⁴، خوفاً على دينهم ودنياهم⁵،
وكانت وجهتهم إما داخلية نحو
البوادي ومدينة طنجة التي كانت تحت
النظام الدولي، أو خارجية نحو مكة
المكرمة والمدينة المنورة⁶.

1- الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 23.

2- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج 11، ص. 158.

3- احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان يوم عيد المولد
النبوي الشريف الذي يوافق تاريخ يوم الأربعاء 12 ربيع
الأول 1331هـ.

4- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج 11، ص. 158.

5- خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية بتطوان من
الحماية إلى الاستقلال 1912-1956، منشورات وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية، الرباط، ج. 1، ص. 250.

6- الدفالي، محمد معروف، "من مظاهر المقاومة السلبية في
عهد السلطان مولا يوسف"، ضمن أعمال الدورة الثانية عشرة
لجامعة مولا علي الشريف: الحماية والمقاومة في عهد

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وزادت هذه الأزمة حدة بموافقة
حكومة المخزن المغربي على هذا
الاحتلال **"ورضيت به، ومهدت له
تمهيدا"**¹، وخروج الأعيان ورجال
المخزن والطوائف الصوفية بمدينة
تطوان لاستقبال الجنرال ألفاوا قائد
جيوش الاحتلال الإسباني استقبالا
رسميا²، يوم عيد المولد النبوي،
وقابلوهم بكل **"ترحيب وتبجيل"** وقدموا
لهم **"الحليب والتمر"**³. وهكذا فبمجرد
دخول قوات الاحتلال، إلى مدينة تطوان،
تسلم الإسبان زمام الأمور، وأصبحت
مقاليد الحكم بأيديهم، والولاية
والباشاوات وغيرهم تحت أمرهم
ونهيهم، وتشكلت بمنطقة الحماية
الإسبانية حكومة خليفية، تحت إشراف
الخليفة المهدي بن اسماعيل⁴، وأصبحت
مدينة تطوان عاصمة للمنطقة الشمالية

السلطان مولاي يوسف، 19- 20 أبريل 2004، مركز الدراسات
والبحوث العلوية، 2005، ص. 250.

¹ - داود، محمد، **تاريخ تطوان**، م. س، ج 11، ص. 158.

² - داود، محمد، **مختصر تاريخ تطوان**، ج. 2، مطبعة المهدية،
تطوان، 1955، ص. 232.

³ - الوزاني، التهامي، **الزاوية**، م. س، صص. 71-72.

⁴ - عين المهدي بن إسماعيل خليفة سلطانيا على المنطقة
الشمالية بموجب ظهير سلطاني مؤرخ ب 14 ماي 1913، ووصل
إلى مدينة تطوان يوم 27 أبريل 1913، أنظر: داود، محمد،
تاريخ تطوان، م. س، ج 11، ص. 58.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

التي صارت تحت رحمة الحماية
الإسبانية¹.

وعلى الرغم من إعلان ساكنة الجبال
والريف الجهاد المقدس ضد الجيش
الغازي، فإن ذلك لم يخفف من هول
الصدمة بالنسبة لساكنة المدن، التي
وجدت نفسها مقيدة ومرغمة على الخضوع
والإذعان، وتسليم ما بيدهم من السلاح،
الذي كان مكتوبا عليه **"بنية الجهاد
في سبيل الله"**²، الأمر الذي حز في نفس
الكثيرين، نظرا لما أحاط بالمسلمين
من ذل وهوان، فلم يجدوا سبيلا غير
تخطيم سيوفهم القديمة، حتى لا يسجل
عليهم التاريخ أنهم سلموا أسلحتهم
للأعداء³.

ولم يمض على هذه الأحداث إلا شهور
معدودة حتى اندلعت الحرب العالمية
الأولى، فتعززت الأزمة وانضافت أحزان
وآلام جديدة، وعجز الكثيرون عن
تحملها⁴، فعم الحزن والكدر، وتفرقت

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. م. س، ج 11، ص. 159.

² - الوزاني، التهامي، الزاوية، م. م. س، ص. 71.

³ - الدفالي، محمد معروف، "من مظاهر المقاومة السلبية في
عهد السلطان مولا يوسف"، ضمن أعمال الدورة الثانية عشرة
لجامعة مولا علي الشريف: الحماية والمقاومة في عهد
السلطان مولا يوسف، 19- 20 أبريل 2004، مركز الدراسات
والبحوث العلوية، 2005، ص. 255.

⁴ - نفسه، ص. 255.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مجامع اللهو والانشراح، واستسلم
الناس لليأس والقنوط¹، وأصيبوا
بالتشاؤم، وتخلوا عن آلاتهم
الموسيقية وانكفؤوا على أنفسهم².

ومع توالي هذه الحوادث الكونية
الكبرى، واختلال موازين القوى بين
الشرق والغرب، راج الحديث عن اقتراب
قيام الساعة وانقراض الدنيا³، خاصة
بعد الحرب العالمية الأولى التي لم
يعرف التاريخ لها مثيلاً، "فكانت
الحرب في السماء وفي أعماق البحر
زيادة على البر، وظهرت فيها
المخترعات الغريبة الشأن، في حين أن
العقلية المغربية لم تكن قد تدرجت
في التطور، حتى تعرف أن هذه خطوات
في سبيل الرقي وال عمران والحضارة،
ذلك أن العقلية المغربية فوجئت بهذه
العجائب فلم يكن بد من القول
بانتهاى الدنيا خاصة وأن فناءها فيه
راحة للنفس من هذا الاستعباد الذي

¹- الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 88.

²- الهراس، المختار، "المجتمع التطواني من خلال سيرة
سيدي التهامي الوزاني الذاتية"، ضمن ندوة: التهامي
الوزاني - الكتابة - التصوف - التاريخ، مطبعة المعارف
الجديدة، الرباط، 1989، ص. 110.

³- المرير، محمد، النعيم المقيم في ذكر مدارس العلم
ومجالس التعليم، ج. 2، تخریج، ذ. أحمد بن محمد المرير،
مراجعة د. جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون
أسمير، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2003، ص. 268.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وقعوا فيه، فكانت الساعة وقيامها
خير ما يرتاح إليه المغاربة لأنها
ستنهى العالم وفي نهايته نهاية
لاسترقاقهم وذلهم واستعبادهم¹.

الشعور بالدهشة أمام حادثة أوربا

إن الاحتلال الإسباني للمنطقة
الشمالية للمغرب، جعل المغاربة
ينظرون إليه بعين الريبة والحذر،
خاصة وأن هذا الاحتلال لم يكن فقط
احتلالاً عسكرياً، وإنما هو واقع
الأمر تفوق حضاري واقتصادي وسياسي.
ولذلك فلا غرابة أن يصاب العديد من
ساكنة الشمال بالدهشة عند لقائهم
الأول بالآخر أو الغرب، واحتكاكهم
المباشر معه. ففي الوقت الذي كان
فيه مجموعة من المغاربة يؤمنون
بالخرافات والأساطير مثل: "المذبة"²
و"خاتم الحكمة"³، و"رأس الفأس"¹،

¹- الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 57.

²- يقول التهامي الوزاني عن المذبة "أن من خرج للجهاد
وفي يده المذبة أو تلك الحكمة ثم أشار بها إلى جهة
العدو فإن سحاباً ينشأ يعمي أبصار الكافرين ويكون نورا
للمؤمنين ومنها أن من أشار بها وكان حاملاً لها لا يراه
الأعداء، فيتمكن بذلك من أن يصل إلى رئيس الجيش فيقتله
أو يسوقه أسيراً، منها أنها تدفع كرب الحرارة، وشدة
البرد، فيصبح الناس في أمن من الحر والقر"، أنظر:

الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، صص. 70 - 71.

³- يقول التهامي الوزاني عن ما كان يسمعه من العجائز
عن الخاتم الحكمة أنه إذا "أدارها الرجل في خنصره وقفت
بين يديه العفاريت تقول له: إذا أردت الشرق يأتيك وإذا

أردت الغرب يأتيك، وإن أردت رأس العدو يوضع بين يديك، فيملي صاحب الخاتم إرادته على العفاريت بما يمكن وما لا يمكن فيصبح كل شيء كما يريد. وأن الخاتم إنما توجد في الكنوز المرصودة فلا يعثر عليها إلا السعداء، وحتى الذين يعثرون عليها فإنهم لا يعرفون كيفية استخدامها، وإذا أخطأ محركها أدنى خطأ في استعمالها لم يشعر إلا وقد بري رأسه كما يبرى القلم"، أنظر: الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 66.

¹ - وهي من بين الخرافات التي كانت رائجة بين ساكنة تطوان الذين كانوا يعتقدون بأن الحاصل على هذه الحكمة بإمكانه أن يقضي على الأعداء، حيث يحكي التهامي الوزاني عن رأس الفأس ما يلي: "إن رأس الفأس من الأسرار المكتومة التي لا يعرفها إلا الأولياء وبعض ... الطلبة، وكيفية الوصول إليها يكون بالطريقة الآتية: إذا مات رجل أو امرأة فعلى الراغب في الحصول على هذه الحكمة أن يقوم ويتوضأ ويصلي ثم يخرج مع الحفارين الذين يقومون بحفر القبر، فإذا شرعوا في العمل تقدم قبل الجميع ويضرب الضربة الأولى بالفأس فما اقتطع من الأرض بهذه الضربة الواحدة عليه أن يأخذه دون أن يزيد أو ينقص منه شيئاً، ثم يضعه في خزانة ظاهرة ويجعلها في زعبولته ثم يتم عمل الحفر مع الناس، وبعد ذلك يلزم دار الهالك حتى يصلي عليه ويعزي مع المعزين، فإذا تم ذلك أخذ تلك الكتلة الترابية ووضعها على قبر الميت ومن الأفضل والأيسر أن تكون حجرة أو أجرة أو شيء آخر كي يسهل عليه القيام بالعمل، هذا لا يصح إلا في المقابر الموجودة خارج البلد ودون أن يعلم أحد بهذه الإجراءات، فإذا فرع الناس من شؤون الميت ذهب صاحب الحاجة وأخرج ما هو مخبوء لديه ووضعه فوق القبر في مكان معين بحيث لا يختلف عليه وسط الليل الدامس والظالم الحال، ثم عليه أن يستمر إلى ما بعد منتصف الليل بشرط أن تكون الليلة من ليالي المحاق القاتمة السوداء، فإذا انتصف الليل خرج من المدينة وحده دون علم أي بشر من الناس، حتى إذا وصل إلى المقبرة وضع العصا على عينه وأدلى فوقه قبه ثم غمض عينه كثيراً مع ذلك، ثم يأخذ الطريق وهو يسير قدما ثم يقف قليلاً ثم يسير قدما أخرى ويقف حتى يصل إلى القبر يتحسس حتى يضع يده على الحكمة، فإذا هم بحملها يسمع صياحا من بعيد لا يلبث أن يقترب منه فعليه أن يكون رابط الجأش ثابتاً راسخاً، فإذا حمل الأمانة وجعلها في زعبولته وهو على حاله تلك من تعصب العينين، وكان عليه أن يرجع من حيث أتى ليحذر من أن يخاف أو يلتفت وراءه أو يغير في خطواته رغم أنه يحس بأصوات تأمره بأن يضع الأمانة، ويسمع تهديدات كالرعود الصاعقة، وربما شعر بأن المسالك قد ضاقت أمامه من أشخاص

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ويعتقدون بأنها كفيلة بتخليصهم من
الاستعمار والأعداء¹. دخلت عليهم
الجيوش الإسبانية، وهي مجهزة بأحدث
التقنيات إذ ذاك، من طائرات وبوارج
حربية ووسائل لوجيستكية متطورة، لم
يعتدها المغاربة من قبل. وبحكم
تحولها إلى عاصمة للمنطقة الخليفية
أصبحت مدينة تطوان تعرف تطورا
واتساعا عمرانيا وتمدينيا، فأنشئت
بها العديد من المصالح الإدارية
والعسكرية. وتم ربطها مع مدينة سبتة
بالسكة الحديدية²، وأضيئت شوارعها

سيقبضون عليه أو يؤذونه، وهذا كله في وسط الليل البهيم
ووسط القبور وهو معصوب العينين، وليعلم أن تلك الأصوات
إنما هي من خدام الأمانة الذين يعملون جهدهم كي يبقوا
غير مصفدين ومرصودين عليها، على أن حاملها في مأمن من
الشر لأن خدامها لا يمكن أن يقتربوا منها أو يؤذون
حاملها، ولا زال صاحب الحاجة سائرا إلى أن يصل إلى باب
المقابر فعليه أن يستند على الباب ولا يدق ولا يأتي بحركة
حتى تفتح فتحا عاديا بعد شروق النهار، فإذا سمع صوت
المزلاج يحرك من الداخل جاز له إذ ذاك أن يفتح عينيه
ويزل عنها العصائب، فإذا نجح في هذا كله فإنه قد أحرز
على الحكمة التي يفعل بها كثيرا مما يريد" أنظر:
الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س.، صص. 66-67.

¹ - يقول التهامي الوزاني في هذا الصدد: "أن صاحب خاتم
الحكمة أو قضيبي الحكمة أو ما شاكلهما مثل رأس الفأس،
يستطيع أن يفعل الأعاجيب في لحظة واحدة، فكم من مدينة لم
يصبح الصباح إلا وقد تعللت أنقاضها إلى ما وراء جبل قاف،
وكم من عساكر وجنود لم يحتج في إعدادها إلا دك قليل على
الخاتم"، أنظر: الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س.، ص.
71-72.

² - تم فتح خط القطار الرابط بين تطوان وسبتة، في وجه
عموم المستفيدين بتاريخ 8 ماي 1918، أنظر، وثائق أبو
بكر بنونة، ملف المجتمع التطواني، ملف إلكتروني مضغوط،
ص. 348.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
----- عاهد ازحيمي

بالتيار الكهربائي¹، وتم مد أسلاك
الهاتف بعموم المدينة²، وتأسيس
العديد من الشركات والغرف المهنية
والأبنك به³، وربط المنطقة
الشمالية بعدة محاور طرقية⁴.

وفي أول الأمر بدت دهشة العديد من
المغاربة من الحداثة، التي وفدت على
المغرب عن طريق الاستعمار، والتي
شملت جميع مناحي الحياة، من عمارة
ومواصلات وزراعة واقتصاد وتجارة
وثقافة، فكان من الصعب على الإنسان
المغربي أن يستوعب الأمر بسهولة،
وكانت نظرتهم للحضارة الأوروبية
والأوروبيين نظرة الدهشة والانبهار،
لأن كل ما شاهدته كان أكبر مما يمكن
له أن يتخيله أو يتصوره⁵. الشيء
الذي أثار العديد من التساؤلات

¹- تأسست شركة "إلكتراس مروكيس" لإنتاج الكهرباء سنة
1914، بعدما حاز مؤسسها التاجر الإسباني أوريويل على
ظهير خليف يأذن له بذلك، أنظر: داود، محمد، تاريخ
تطوان، م. م. س، ج. 11، ص. 274.

²- زين العبدین العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى
عهد الحسن الثاني، المغرب في عهد السلطان مولا يوسف،
مطبعة IDG1، الرباط، 2009، ج. 1، ص. 129.

³- برادة، عبد الرحيم، إسبانيا والمنطقة الشمالية 1931-
1956، إفريقيا الشرق، 2007، ج. 1، ص. 61.

⁴- بولربح، علي، السياسة الترابية للسلطات الاستعمارية
الإسبانية بشمال المغرب 1912-1956، مطبعة الهداية،
تطوان، 2015، ص. 123.

⁵- الصابي، إدريس، الإصلاح الثقافي في الفكر العربي الوسط
والمعاصر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص. 104.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والاستفهامات، حول مدى مشروعيتها،
وصحة معاملاتها¹، حيث اعتبر البعض
بأن مخترعات ذلك العصر وصلت إلى ما
"تتعداه العقول والطباع"²، وما يظهر
في "الأرض من العجائب، ويبدو على يد
البشر من الغرائب، التي ربما تحير
بعض العقلاء وتكاد تؤثر في عقيدة بعض
الفضلاء"³.

فنتج عن هذه الدهشة ظهور بعض
المواقف المتشدة من تلك المستحدثات
الأجنبية، على اعتبار أنها تمس
أذواقهم وقد تلحق أضرارا بعاداتهم
وتقاليدهم⁴. وعبروا عن رفضهم
للانفتاح على الأوروبيين، للاستفادة

¹ - الهيروز، بديعة، موقف النخبة المثقفة المغربية من
بعض المستحدثات الوقتية: نموذج للمستجدات الاقتصادية
1912-1927"، ضمن أعمال: الدورة الخامسة عشرة لجامعة
مولاي علي الشريف: الثقافة والفكر في عهد السلطان مولاي
يوسف: - الجزء الأول- 12 - 11 يناير 2008، مركز الدراسات
والبحوث العلوية- الريصاني، ص. 72.

² - المرير، محمد، النعيم المقيم.....، م. س، ج. 2، ص.
249.

³ - المرير، محمد، النعيم المقيم، م. س، ج. 5،
تخريج، ذ. أحمد بن محمد المرير، مراجعة د. جعفر ابن
الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2007، ص. 423.

⁴ - الكندوز، لطيفة، موقف المغاربة من التقنيات الحديثة
التلغراف نموذجا، ضمن أعمال: الدورة الرابعة عشرة
لجامعة مولاي علي الشريف: التحولات الاقتصادية والاجتماعية
في عهد السلطان مولاي يوسف، 10-11 نونبر 2006، مركز
الدراسات والبحوث العلوية- الريصاني، مطبعة دار
المناهل، 2007، ص. 257.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

منهم عن طريق التفاهم والتفاوض مع
إدارة الحماية، لأن ذلك بالنسبة لهم
ما هو إلا "لهو وتضييع للوقت وضحك
على أذقان الرجال"¹. وبالتالي فإما
القبول "بالصفع أو إعلان الجهاد"².
وتبنى هذا الموقف بالخصوص الفقهاء
والعلماء المحافظون والتقليديون
وبعض زعماء القبائل.

ومرت السنوات الأولى بعد الاحتلال
"كأيام المآثم"³. وبعدها بدأ أهالي
المدن يألفون هذا الواقع الجديد،
وإن كانوا في حالة نفسية لا يحسدون
عليها، حيث عاد "أصحاب الحرف
والصنائع إلى أعمالهم، والكل في
وجوم وذهول، ولا تكاد تسمع من الناس

¹- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة، ج. 1، صص. 17-18.

²- "الصفع أو الجهاد...!!"، وهي قصيدة نظمها
الحاج عبد السلام بنونة بناء على موقف أحد الأعيان الذي
رفض مبدأ التفاهم مع الإسبانيين، وجاء فيها:

بالأمس كنا رجلا ونهدي الوري للمعالي
واليوم صرنا عبدا وتحت حكم الموالي

فكن أخي نبيلاً لفكنا من عقال

فكن أخي نبيلاً واختر شريف مقال

اصبر لصفع نعال أو قم لصف قتال

إذ لا توسيط يرجى فلا تثق بخيال

وهل عدوك يرضى لك الخلاص بحال؟. أنظر: وثائق أبو بكر
بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، م. م. س،
ج. 1، صص. 17-18.

³- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. م. س، ج. 11، ص. 159.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إلا (لا حول ولا قوة إلا بالله)¹، حيث لم
يكن من السهل على المغاربة مشاهدة
مصرع حضارتهم التي ينتمون إليها،
ويروا بدلها حضارة أخرى، كل ما فيها
غريب عنهم، لم تبناها أفكارهم، وإنما
هم فيها غرباء ويعدون متخلفين².

كما لم يكن يسيرا على المغاربة
المحافظين التخلي عن عاداتهم
المتوارثة، وأفكارهم الراسخة، وإن
كان معظمها خاطئا وقائما على الخيال
والوهم. لكن مع مرور الأيام أصبحوا
مرغمين على التنازل عن كبريائهم،
والتسليم للأمر الواقع، والاندماج في
الوضع الجديد والتعايش معه. فكان
لهذا الاحتكاك فرصة للانفتاح على
ثقافة غير ثقافتهم، والاطلاع على أحدث
المستجدات العالمية، ومشاهدتها بأم
أعينهم واستعمالها من أجل قضاء
حوائلهم، بعد أن "كان بين المغرب
والعالم حجاب كثيف فزحزحته الحوادث
العنيفة"³.

¹ - نفسه، ص. 159.

² - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية: ذكريات
عن الصديق محمد بن مصطفى أفيلال، مخطوط بالخزانة العامة
بتطوان، مخطوط بدون رقم، ويحمل رمز ع/41/6 بالمكتبة
العامة والمحفوظات، بتطوان، ص. 32.

³ - الوزاني، التهامي، تاريخ المغرب، م. س، ج. 3، ص.
200.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وإن كان جل المغاربة رافضين
للاستعمار والاستعباد الذي حل بهم،
فإن العديد من قناعتهم الراسخة قد
تزعزعت، وأصبحوا يميلون إلى التفكير
الواقعي أكثر منه إلى الخيال¹.
واقتنع البعض منهم بأنه من الصعب
على الإنسان المغربي "وهو أعزل
وجاهل"² مواجهة الاستعمار مواجهة
مفتوحة³، و"الوقوف أمام الحضارة
الأوروبية وهي مسلحة وعالمة"⁴.

خاصة وأن ما شاهدوه بأعينهم جعلهم
يفقدون صوابهم من هول الدهشة
والانبهار من التطور العلمي الذين
كان المغاربة عنه في غفلة. وذلك ما
عبر عنه الفقيه أحمد الرهوني عند
ركوبه الطائرة حيث قال: "هنا أقف
وقفه الحائر وأنتهز فرصة التأمل إذ
علمت أننا ما ركبنا الطائرة وإنما

¹- يذكر التهامي الوزاني، أنه بعد دخول الجيش الإسباني
إلى شمال المغرب، كان بعض المغاربة يعتقدون بأن الأتراك
العثمانيين لن يتساهلوا في أمر تسليم المغرب إلى أيدي
الأوربية، كما كانوا يستغربون من كون الأوروبيين استطاعوا
أن يستعمروا مملكة إسلامية عظيمة دون أن يأخذوا رأي
الباب العالي. أنظر: الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س،
ص. 71.

²- الوزاني، التهامي، تاريخ المغرب، م. س، ج. 3، ص.
200.

³- جون، ولف، م. س، ص. 134.

⁴- الوزاني، التهامي، تاريخ المغرب، م. س، ج. 3، ص.
200.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مركبنا العلم إذ العلم هو الذي صنع
الطيارة وسيرها في الهواء، وتكاد
تخترق الطابق السابع، العلم هو الذي
صنع تلك المحركات العجيبة التي
سيرتها، العلم هو الذي صنع ذلك
الهيكل على نسبة مقدرة ترتفع في
الهواء وتحمل الأثقال، العلم هو الذي
بحث عن تلك المعادن واستخرجها من
التراب وصفها حتى صارت تطير في
الهواء ... عجا لك يا ابن آدم...
لم تقنع بصنع العربات، ولا بغيرها،
بل صرت تزاحم حتى الطيور في الهواء
والحيتان في البحر، عجا لك يا ابن
آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع"¹.

استحسان المدنية الغربية وبداية الوعي بالذات

بناء على هذه الأفكار التي راجت
بين أعيان مدن المنطقة الخليفية
ونخبته المتنورة، بدأت تسري في
البلاد حياة جديدة بعد أن كان الناس
لا يعقدون آمالهم إلا على الحرب
والمقاومة². فكانت كل تلك الحوادث
السابقة، خير منه للمغاربة، الذين

¹ - الرهوني، أحمد، الرحلة المكية، نشر معهد فرانكو
لأبحاث العربية الإسبانية، تطوان، 1941، صص. 26-27

² - الوزاني، التهامي، تاريخ المغرب، م. س، ج. 3، ص.
200.

"كانوا في غفلة لا يعرفون عن الدنيا
إلا أنهم يعيشون على ظهرها، فجاءت
هذه الحوادث متعاقبة يتلو بعضها
بعضاً كمنبه قوي للمغاربة النيام.
وقد أدخلت الحماية معها أساليب
الحضارة العصرية، فنظمت البلاد على
شكل جديد يضمن الراحة والهدوء.
والأوروبيين لا يعرفون كيف يعيشون بدون
أن تكون في البلاد التي يحيون على
ظهرها طرق معبدة وأنوار كهربائية
ومواصلات محكمة. وخافوا أن تنالهم
الأمراض، فطفقوا يكافحونها. واحتاجوا
إلى موظفين مغاربة، ففتحوا مدارس
متعددة، فاستفاد المغاربة من هذه
المنشآت، واستخدموا البريد، وركبوا
القطار والسيارة، وشاهدوا طراز
الحياة الأوروبية، فأخذوا يعملون
بالمجاورة والاحتكاك"¹. فظهرت بعض
علامات الاستحسان والقبول بين
المغاربة لهذه الحضارة الواردة
عليهم. وبدأ التفكير في إمكانية
الاعتماد عليها من أجل تحديث المغرب،
ومسايرة الركب الحضاري، والاقتناع
بأن أوروبا وصلت إلى ذلك عن طريق

¹ - نفسه، ص. 200.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

العلم و"الجد والعمل"، وليس
"بالتقاعد والكسل"¹.

وكان أول من اقتنع بهذا الرأي، هم
النخبة المخزنية المغربية والأعيان
والتجار، الذين سبق لهم زيارة
المشرق وأوروبا واطلعوا على
حضارتها، وما وصلت إليه من تقدم
ونظام وازدهار. وبالتالي لم يكن
لديهم أي مانع من الانفتاح على النظم
الأوروبية، كأساس لتحديث المجتمع
المغربي، والاستعانة بالأوروبيين
(النصارى) والتعلم منهم والدراسة في
مدارسهم وولاياتهم ومعاهدهم².

إن احتكاك المغاربة مع الحضارة
الغربية بشكل مباشر، وكذلك انهزام
المقاومة المسلحة في الشمال والجنوب
أمام الجيوش الاستعمارية المتفوقة في
عددها وعدتها وتنظيمها ومواردها
المالية، وَلَدَ لدى الشعب المغربي
بصفة عامة، والنخبة "المفكرة" بصفة
خاصة، الإحساس بمدى الفارق الحضاري

¹ - الخطيب، محمد العربي، العمل والتعاون، جريدة الإصلاح،
العدد 4، نقلًا عن: الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب
رائد الصحافة بالمغرب، منشورات جمعية "البعث الإسلامي" -
تطوان - المغرب، 1994. ص. 190.

² - الحيمر، عبد السلام، النخبة المغربية وإشكالية
التحديث، مطبعة النجاح الدار البيضاء، 2001، ص. 146.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بين ما وصلت إليه الدول الأوروبية من تقدم في العلم والصناعة والاقتصاد وتنظيم الدولة، وبين ما كان عليه المغرب من تخلف في هذه الميادين¹. الأمر الذي نتج عنه ظهور حس نقدي يسائل الذات، وينطلق من مبدأ المقارنة، للبحث عن مكامن الخلل وأسباب التخلف، التي أودت بالبلاد إلى السقوط في قبضة الاستعمار.

كان لهذا الوعي بالذات الذي ساد بين المغاربة، أهمية كبيرة، من أجل إعادة التأمل في واقع المجتمع المغربي، بناء على ما شاهدوا عليه حال أوروبا ونهضتها²، المتمثل بالخصوص في النموذج الإسباني. فزاد هذا الوعي من تكريس الاقتناع بأن "سبب سيطرة الأجانب على البلاد... هو ما... فيه من انحطاط وتأخر"³ وكذلك ما عرفه المغرب من "تدهور

¹ - عزيमान، محمد، "الأستاذ محمد داود في ميدان التربية والتعليم"، ضمن أعمال ندوة: محمد داود الحركة الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية، اتحاد كتاب العرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1990، ص. 37.

² - الصابي، إدريس، الإصلاح الثقافي في الفكر العربي...، م. س، ص. 104.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية الحاج عبد السلام بنونة حياته ونضاله، ج. 1، مطبعة الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، 1987، ص. 116.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
----- عاهد ازحيمي

اقتصادي وعلمي وثقافي¹، وضعف عسكري
وفساد إداري، لأن مشكلة كل شعب، هي
في جوهرها مشكلة حضارت²، وأن
الاستعمار ما هو إلا نتيجة حتمية
لانهطاط تلك الحضارة وتأخرها³.

بناء على هذا الفهم للواقع
المغربي، الذي راج بالخصوص بين بعض
عناصر النخبة المغربية المثقفة منذ
العقد الأول من القرن العشرين، بدأ
يتولد الإحساس بالتخلف الحضاري لدى
المغاربة، واعترافهم الصريح بأن
الأمة المغربية "لا زالت متأخرة ولم
تصل بعد حتى لطور التكوين"⁴، وأنها
هي أقل "الأمم حظا من المعارف
والنهوض، وأبعد الشعوب الإسلامية أخذا
بوسائل الحضارة العصرية النافعة،
والتمدن الحديث"⁵، عكس شعوب أوروبا

¹ - بنونة، المهدي، المغرب ... السنوات الحارجة، كتاب
الشرق الأوسط، الشرطة السعودية للطباعة والنشر، 1989، ص.
10.

² - بن نبي، مالك، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل
المسقاوي، دار الفكر دمشق، 2013، ط. 11، ص. 21.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ..، م. س،
ج. 1، ص. 116.

⁴ - رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطيب بنونة بتاريخ
19 شوال 1948 موافق 20 مارس 1930، أنظر: وثائق أبو بكر
بنونة، ملف من أعلام تطوان، الحاج امحمد بنونة، ج. 1، ص
62.

⁵ - فتى المغرب (محمد داود)، "نحن والعالم الإسلامي
(اعملوا لنشر العلم أيها المغاربة)"، جريدة الإصلاح،
عدد 209، 17 يناير 1927. ص. 10.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وأمرىكا التي حازت قصب السبق في هذا
المضمار¹ ، و"تمكنت فيها النظمات
الكونية ، والنواميس الطبيعية ،
وتحققت أن ذلك ضروري ل عمران الأرض ،
والانتفاع بخيراتها"² . فحصلت بذلك
على التقدم والرقى في الحضارة
والتمدن³ . وبلغت الغاية القصوى من
الرفعة والجلال ، وأصبحت موارد العالم
بين أيديها ، وكل ما أمرت به يتم
تنفيذه⁴ .

كما ساهم الاحتكاك المباشر مع
الغرب في ظهور النقد الذاتي لدى
المغاربة ، حيث نجد الفقيه أحمد
الرهوني وهو أحد أبرز العلماء الذين
ذاع صيتهم بمدينة تطوان خلال النصف
الأول من القرن العشرين ، (نجده) يطرح
على نفسه سؤال: "ما هو العلم؟" ، ثم
يجيب باستغراب: "هل هو الفقه والنحو
أو الحديث؟ لا ، لا ، هو الهندسة
والكمياء لا غير"⁵ . ثم يضيف بنفس

¹ - نفسه ، ص. 10.

² - الخطيب، محمد العربي، "العمل والتعاون"، م. م. س، نقلا
عن: الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب رائد الصحافة
...، م. م. س، ص. 191.

³ - نفسه، ص. 189.

⁴ - داود، محمد، "سبيل النهوض الأدبي"، ضمن كتاب بدايات
الفكر الوطني بالمغرب، كتاب شارع، العدد 73، يوليو
2000، صص. 15-16.

⁵ - الرهوني، أحمد، الرحلة المكية، م. م. س، ص. 27.

الحرقة: "هذا العلم قد عم الآن جل
العالم ... ولم يبق منه خلق إلا نحن
المغاربة فلم نتعلم كتعلم غيرنا
ونصنع مثل ما صنعوه، أنظن أن ذلك
محال، لا، أنظن أن ديننا ينهانا عنه،
لا، وإنما هو الجمود والخمول من
برودة القرائح وحب الإخلاق إلى أرض
الراحة وما هي بالراحة، فلنتعلم كما
تعلموا ولنصنع كما صنعوا"¹.

كما تساءل محمد داود عن سبب تأخر
المغرب مقارنة مع أوروبا بالرغم من
قربه منها؟ فكان جوابه: "المغرب جهل
وغيره علم، المغرب نام وغيره
استيقظ، المغرب استبد عن غير هدى
وغيره استشار أو استبد عن معرفة ...
هؤلاء فكروا ونحن جمدنا، هؤلاء عرفوا
قدر أنفسهم فأكرموها، ... ونحن لم
نتحرك فنعلم. ولم نعمل فنكرم. هؤلاء
عملوا للدنيا فأحاطوا بها. ونحن
خالفنا ما يأمرنا به ديننا من العمل
للدنيا والآخرة فخسرنا، ولن تفلح أمة
نبذت أوامر دينها، ولن ينجح قوم
نبذوا الحقيقة وتمسكوا بالأضاليل"².

¹ - المرجع نفسه، ص. 27.

² - داود، محمد، "سبيل النهوض ..."، م. س، صص. 15-16.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

هذه المقارنة بين الذات (المغرب)
والآخر (أوروبا)، سينتج عنها الرغبة
في الخروج من هذا الركود والتطلع
لمسايرة الركب الحضاري، وذلك ما تمت
ترجمته في العديد من المقالات
الصحفية والرسائل والخطب والقصائد
التي تم نظمها خلال هذه المرحلة. وهو
ما تلخصه قصيدة "مجد المغرب ونهوضه"
لمحمد داود¹ التي جاء فيها:

زاحموا الغربي في همته
لقومي لا تعيشوا بآئسين
شاركوا الغربي في أعماله
أتقنوها إنها الكنز الدفين
علموا الأبناء ما ينفعهم
ويرقي شأنهم دنيا ودين
ألفتوا أنظارهم نحو الآلى
عشقوا المجد فكانوا السابقين
شاركوا الحيتان في أبحرها
سابقوا الطير فكانوا الطائرين
صيروا الجامد طوعا لهم
فاستفادوا وأفادوا العالمين
إنما العلم شادوا مجدهم
ومزاياهم فكانوا السائدين

¹ - شارك محمد داود بهذه القصيدة سنة 1928 في الأسواق
الأدبية التي كان يتم تنظيمها بمدينة سبتة، وفاز
بالجائزة الأولى. أنظر: "الحفلة الافتتاحية للأسواق
الأدبية"، جريدة الإصلاح، عدد 276، 9 غشت 1928.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

إن يقولوا يذعن الناس وإن
يأمرؤا لم تلق غير الطائعين¹

هكذا أصبحت أوروبا في نظر العديد
من المغاربة "مهد الحضارة والتمدن"²،
ولا يوجد خير منها لإدخال الإصلاحات
الضرورية التي يحتاج إليها المغرب³،
غير أن الوازع الديني كان يلزم
ضرورة الاستفادة من هذه الحضارة
باحتراز، عن طريق الأخذ من أوروبا
"لباب نهضتها" وترك القشور،
وتقليدها في ما يعود على المغرب
بالخير والمنفعة، و"مجاراتها في
العلم والعمل والجد والمثابرة
والإقدام مما يعد من أصول نهضتها
وأسباب سيادتها"⁴.

إن انتشار هذه الأفكار بين
المغاربة وخاصة الطبقة المتعلمة
منها، ساهم بشكل كبير في بداية
تبلور حركة نهضوية إصلاحية بشمال

¹ - داود، محمد، قصيدة "مجد المغرب ونهضته"، جريدة
الإصلاح، عدد 276، 9 غشت 1928.

² - داود، محمد، "المرأة نصف المجتمع"، ضمن كتاب: بدايات
الفكر الوطني بالمغرب، كتاب شارع، العدد 73، يوليو
200، ص. 30.

³ - الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب رائد
الصحافة....، م. س، ص. 170.

⁴ - داود، محمد، "مبدؤنا وغايتنا"، ضمن كتاب: بدايات
الفكر....، م. س، ص. 45.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

المغرب وخاصة بمدينة تطوان، التي
تحصنت بها فئة مثقفة ذات ماضٍ مجيد،
ستعمل على وضع مشروع نهضوي إصلاحي،
إذن فما هي الظروف التي نشأت فيها
هذه النخبة؟ وكيف ساهمت صدمة
الاستعمار واللقاء مع الغرب في بروز
حركة إصلاحية مبكرة؟ وما هي أهم
المشاريع التي طرحتها هذه النخبة؟

2. ظروف وعوامل نشأة النخبة المثقفة بشمال المغرب عامل الانتماء للنخبة المتنورة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إن صدمة الاستعمار التي أصابت
المغاربة، واحتكاكهم المباشر مع
الحدثة الغربية بعد فرض الحماية
على المغرب، وما نتج عن ذلك من وعي
بالذات، وشعور بالهزيمة والتخلف
والضعف، بالمقارنة مع الآخر "الغرب"
المتفوق والمتحضر، كان لا بد وأن
تساهم كل هذه العوامل في إفراز منذ
وقت مبكر الإحساس بالمسؤولية بين
المغاربة، وخاصة بالنسبة للنخبة
المثقفة، التي لم يعدمها المغرب في
تلك المرحلة. ذلك أن "طور الحماية
المفروضة على المغرب قارنه وجود
رجال جعلوا من هذه الحياة خدمة
القضية المغربية، ونشر الفكرة
الوطنية والاعتزاز بالمقومات
الإنسانية الأخرى حتى ولو فقدت حريتها
واستقلالها"¹.

وقد تميزت النخبة المثقفة بشمال
المغرب، السلفية النزعة، والإصلاحية
المقصد، التي برزت إلى ميدان العمل
بعد فرض الحماية على المغرب، بكونها
ترعرعت في كنف النخبة المخزنية
والتجارية، أو ما يمكن تسميتها

¹ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية...، م. س، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

"بالنخبة المتنورة"، التي واكبت كل
الهزائم العسكرية والدبلوماسية
للمغرب منذ احتلال فرنسا للجزائر سنة
1830، فكانت شاهدة على مراحل
الهيمنة الأوروبية على المغرب،
وانتقالها من طور الاجتياح الاقتصادي
والدبلوماسي إلى طور الاستئساد
العسكري والسياسي¹. فتولد لديها
الاقتناع بضعف وانحطاط المجتمع
المغربي مقارنة مع الحضارة الأوروبية
وقوتها العسكرية والسياسية. ولا أدلّ
على ذلك الغبن وتلك الدهشة من قول
الفقيه محمد بن عبد الله الصفار
التطواني في رحلته إلى فرنسا: "مضوا
وتركوا قلوبنا تشتعل نارا، لما
رأينا من قوتهم وضبطهم وحزمهم وحسن
تربيتهم، ووضعهم كل شيء في محله، مع
ضعف الإسلام وانحلال قوته واختلال أمر
أهله. فما أحزمهم وما أشد
استعدادهم، وما أتقن أمورهم وأضبط
قوانينهم. وما أقدرهم على الحروب
وما أقواهم على عدوهم، لا بقلوب ولا
بشجاعة ولا بغيرة دين، وإنما ذلك
بنظامهم العجيب وضبطهم الغريب،
واتباعهم قوانينهم التي هي عندهم لا

¹ - ازحيمي، عاهد، "عبد السلام بنونة أب الوطنية
المغربية"، مجلة زمان، عدد 19، ماي 2015، ص. 65.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تنخرم... ولو رأيت سيرتهم وقوانينهم
لتعجبت منها غاية العجب، مع كفرهم
وانمحاء نور الإيمان من قلوبهم وما
راء كمن سمع"¹.

وكان لانفتاح هذه النخبة المتنورة
على الآخر دور كبير في تشكل وعي مبكر
بين أفرادها، واقتناعهم بأنه لا خير
للمغرب والمغاربة الدخول في صراعات
ومواجهات مع الدول الأوروبية،
والاكتفاء بسياسة الحوار والتفاوض،
وتفادي المواجهة العسكرية، نظرا
للتفوق المادي والتقني والعسكري
لهذه الدول²، ولعل ذلك ما يفسر جنوح
باشا مدينة طنجة النائب السلطاني
امحمد الخطيب إلى السلم مع
الإسبانيين، حين نشب النزاع بين
السلطات الاستعمارية الإسبانية بمدينة
سبتة المحتلة وأهالي قبيلة أنجرة،
ونصح بعدم الدخول مع إسبانيا سنة
1859 في مواجهة مباشرة، وتسوية
الخلاف بشكل دبلوماسي، فشاع عنه أنه

¹- الصفار، محمد بن عبد الله، رحلة الصفار إلى فرنسا 1845
- 1846، تحقيق سوزان ميلر، تعريب خالد بن الصغير،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007، ص. 233.
²- الشابي، مصطفى، "الخطيب امحمد"، معلمة المغرب، من
إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع
سلا، 2000، ج. 11، ص. 3779.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

"يحب النصارى ويرضى بالذل" ¹ . لكن صواب رأيه لم يظهر إلا بعد هزيمة حرب تطوان سنة 1860² ، التي دبرها حسب الفقيه محمد المير "من كان يجهل معنوية الحرب ولا يحسب حسابها لعدم اطلاعه على حال الدول الأوروبية وقوتها" ³ .

وعلى إثر هذه الهزيمة ، التي أزالته "حجاب الهيبة عن بلاد المغرب" ⁴ ، ازداد الاقتناع لدى النخبة المتنورة بأن انحطاط المجتمع المغربي نتج بالخصوص عن "التعصب الديني" ⁵ وجهل وتخلف المغاربة بدوهم وحضرهم "لا فرق في ذلك بين رجال الدولة وسواد الأمة" ⁶ . فتنبهت منذئذ إلى ضرورة

¹ - الرهوني، أحمد، عمدة الراوين، ج.3، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2001، صص. 135-136.

² - نفسه، صص. 135-136.

³ - المير، محمد، اللسان المعرب عن تاريخ وساسة ملوك المغرب، مخطوط. أورده: الشرف، محمد، "قراءة في كتاب: اللسان المعرب عن تاريخ وساسة ملوك المغرب"، ضمن ندوة: تطوان على عهد الحماية 1912-1956، مطبعة عكاظ، الرباط، 1992، ص. 232.

⁴ - الناصري، خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق محمد عثمان، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2007، ج. 3، 344.

⁵ - عدلية، مصطفى، "السلوي في الكتابات الإسبانية"، ضمن أعمال ندوة: تطوان قبل الحماية 1960-1912، التي نظمتها مجموعة البحث في التاريخ المغربي والأندلسي، مطبعة المهديّة، تطوان، 1994، ص. 168.

⁶ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 1، ص. 24.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تحديث البنيات العسكرية والاقتصادية
والسياسية والاجتماعية ، وأبدت
إعجابها ورغبتها في الاستفادة من
المستحدثات التقنية الأوروبية¹ ، حيث
يقول العلامة محمد الميرر التطواني
إن حرب تطوان: "نبهت الغافل وعلمت
الجاهل بأعداد المعدات الحربية
ومجارات الدول العصرية"².

وعلى نفس النهج سار علي السلاوي
وهو أحد وجهاء مدينة تطوان³ ، ذا
الاطلاع الواسع على خبايا وأسرار
السياسة المخزنية⁴ ، ومخالطاً للأجانب⁵.
إذ كان يرى بأنه لا سبيل للخروج من
الأزمة إلا عن طريق مسامرة تطور
"الأجناس المسيطرة" والتعامل معها،
وفك العزلة التي كان يعيش فيها
المغرب والقضاء على الجمود، حجته في
ذلك أن القرآن لا يعارض التطور

¹ - سبيلا، محمد، المغرب في مواجهة الحداثة، منشورات
الزمن، الكتاب الرابع، الطبعة الثانية، 2005، صص. 29-
30.

² - الميرر، محمد، اللسان المعرب...، م. س، أورده:
الشرف، محمد، "قراءة في كتاب: اللسان المعرب..."، م. س،
ص. 232.

³ - العلوي، زين العبدین، المغرب من عهد الحسن الاول...،
م. س، ج1، ص. 129.

⁴ - عدلية، مصطفى، "السلاوي..."، م. س، ص. 168.

⁵ - العلوي، زين العبدین، المغرب من عهد الحسن الاول...،
م. س، ج1، ص. 129.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المعقول، وأن تاريخ المغرب مليء
بالعطاءات الحضارية الكبيرة¹. وهو
موقف كان يخالج العديد من ساكنة
المنطقة الشمالية حيث يقول محمد
داود: "سمعت من بعض شيوخ تطوان
والدي ج أحمد داود، والسيد علي
الخطيب، والسيد أحمد الغنيمية، رحمهم
الله أن بعض أهالي تطوان كانوا
يستحسنون تلك الإصلاحات المادية
الحقيقية النافعة ويودون لو أن
قومنا حافظوا عليها ونسجوا على
منوالها"².

كما تبنى هذا الطرح النائب
السلطاني الحاج محمد العربي الطريس،
الذي يعتبر كذلك من أبرز عناصر
النخبة المتنورة بشمال المغرب، لما
كان يتميز به من اطلاع على المجريات
والتطورات العالمية، ووعيه بتخلف
المغرب عن الركب الحضاري، حيث دافع
طيلة المدة التي ترأس فيها دار
النيابة (1886 - 1908)³ عن استقلال
المغرب وسيادته ووحدته الترابية، عن

¹ - عدلية، مصطفى، "السلامي..."، م. م. س، ص. 168

² - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج. 5، منشورات وزارة
الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، مطبعة
المهدية، 1970، ص. 15.

³ - البزاز، محمد الأمين، "دار النيابة"، معلمة المغرب،
م. م. س، ج. 12، ص. 3938.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

طريق الوسائل الدبلوماسية
والسياسية، محاولا تجنيب المغرب أي
مواجهة عسكرية¹. لكنه بعد انعقاد
مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906،
اعتبر القرارات التي اتخذتها الدول
الأوروبية تدخلا سافرا في الشؤون
الداخلية للمغرب. فامتنع عن توقيع
العقد النهائي الصادر عن المؤتمر².
واقتنع كما هو الشأن بالنسبة لأغلب
عناصر النخبة المتنورة بأن المغرب
لم يعد بإمكانه البقاء في عزلته،
وأن أمر سقوطه تحت الاستعمار صار
وشيكاً وأنه سيرضخ لا محالة، إن طوعا
أو كرها أمام علم أوروبا وقوتها³.

غير أن ما استحسنته هذه النخبة
بعد المؤتمر المذكور هو فك طوق
الحصار الذي أرادت فرنسا أن تضربه
على المغرب للانفراد به⁴، وإطلاق يد

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، "الطريس محمد بن العربي"،
معلمة المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف
والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2003، م. س، ج. 17. ص.
5737.

² - نفسه، ص. 5737.

³ - عياش، جرمان، أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين
البزاز؛ عبد العزيز التمساني خلو، الشركة المغربية
المتحدة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992،
ص. 165.

⁴ - الخديمي، علال، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب
1894-1910 حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، منشورات
إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 1994، ص. 73.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إسبانيا في مناطقه الشمالية،
"لتقديم الدعم الاقتصادي والتقني"¹.
وهو القرار الذي لقي ترحيبا من طرف
العديد من عناصر النخبة المتنورة
بشمال المغرب التي كانت ترى في
إسبانيا دولة متواضعة²، وتفتقر إلى
القوة والموارد الضرورية من أجل
المغامرة في حملات استعمارية جديدة.
لكن بالرغم من ذلك فإنها تتوفر
باعتبارها بلدا أوروبيا، على
إمكانية المساهمة في تغيير وتحديث
البنى التحتية للمغرب³، عن طريق
الوسائل السياسية بدل القوة
والعنف⁴.

ومن أبرز المغاربة الذين عبروا عن
هذا الموقف في تلك المرحلة، وأبدوا
استعدادهم للتعاون مع إسبانيا،
لإدخال الإصلاحات الضرورية للمغرب، نجد
القاضي عبد الكريم الخطابي، الذي
كان "مقتنعا ومدركا -حسب ابنه الأصغر
امحمد- بأن المغرب غير قادر على

¹- ماريا روسا، ذي ماداريكا، محمد بن عبد الكريم
الخطابي والكفاح من أجل الاستقلال، ترجمة، محمد أونيا؛
عبد المجيد عزوزي؛ عبد الحميد الرايس؛ منشورات تيفراز،
مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، 2013، صص. 65-66.

²- عياش، جرمان، أصول حرب... م. م. س، ص. 166.

³- ماريا روسا، ذي ماداريكا، محمد بن عبد الكريم
الخطابي... م. م. س، صص. 65-66.

⁴- عياش، جرمان، أصول حرب... م. م. س، ص. 166.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المحافظة على استقلاله نظرا لتدني
مستواه الثقافي. بيد أن موقعه
الجغرافي وعلاقته بالجزء الأكبر من
إسبانيا، وأوجه التشابه الكثيرة في
التقاليد، كل هذا (قاده) إلى
الاعتقاد أن الدولة التي يحتاج إليها
المغرب، وبالأخص أقاليمه الشمالية،
لتكون حليفة له، أو بعبارة أوضح
حامية له، هي إسبانيا لا غيرها. لذلك
انهمك ... مباشرة بعد التوقيع على
معاهدة الجزيرة الخضراء في العمل
بكل ما أوتي من قوة وذكاء وبكل
إمكاناته لصالح العمل الحضاري
لإسبانيا ولنفوذها السياسي
والتجاري'¹.

والموقف نفسه تبناه علي السلاوي
الذي أعرب عن رغبته في "أن تعمل
إسبانيا على مساعدة المغرب للخروج
من الأمية التي كان يعيش فيها"²،
لكون هذه الأخيرة كانت بالنسبة له هي
الدولة الأوروبية التي لها ارتباط
تاريخي بالمغرب. ولذلك نجده هو الآخر
لا يتردد في تقديم الدعم والمساعدة -

¹ - رسالة من امحمد الخطابي إلى مدير دار الطالب
بإسبانيا ألبيرو خمينيث، بتاريخ 27 فبراير 1919 أنظر:
ماريا روسا، ذي ماداريكا، محمد بن عبد الكريم الخطابي
.... م. س، صص. 65 - 66.

² - عدلية، مصطفى، "السلاوي..."، م. س، ص. 169.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الاستشارية على الأقل- لتطوير نفوذ
إسبانيا بالمنطقة الشمالية، ومدها
بالعديد من المعطيات والأخبار حول
المغرب، كما نصح بترغيب "الشركات
الإسبانية في الاستثمارات التجارية
واستغلال الثروات الطبيعية
بالمنطقة" ¹ ، فكانت لنصائحه تلك
أهمية بالغة "ومحط عناية خاصة من
طرف سلطات الاحتلال" ².

غير أن هذا الاستحسان للحدثة
الغربية الذي عبرت عنه هذه النخبة
المتنورة، ودعوتها للانفتاح على
الدول العصرية ومجاراتها، جر عليها
العديد من الانتقادات والاتهامات.
وصاروا "أنصاف الكفار في نظر بعض
الناس الذين كان منهم ... من ينتسب
للعلم" ³ ، حيث أبدى العديد من
الفقهاء والعلماء التقليديين رفضهم
لانفتاح على أوروبا واستلهام
حداثها لتحديث المغرب وتجديد
كيانه ⁴ ، ونتج عن ذلك نقاش فقهي حول

¹ - نفسه، ص. 169

² - نفسه، ص. 171.

³ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 5، ص. 15.

⁴ - حيمر، عبد السلام، المغرب، الإسلام والحدثة، منشورات
الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، 2004، ص. 92.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

شرعية استعمال هذه المستحدثات¹، هذا
علاوة على الموقف السلبي للعامة من
هذه "المستجدات الوقتية"، وإقدامها
على تخريبها².

ونتيجة لهذا الموقف المعارض، بقي
تأثير الحداثة الأوروبية على المغرب
محدودا وضعيفا، لأن المغاربة بصفة
عامة وسكان المنطقة الشمالية بصفة
خاصة بعد حرب تطوان، وما صدر عن
الإسبانيين من إهانة للمقدسات
الإسلامية³، قاطعوا كل ما له صلة
بالغرب، وأعرضوا عن حضارتهم
وإصلاحاتهم في ذلك الوقت⁴. وهو موقف
سلبي لم يستفيقوا منه إلا بعد صدمة
فرض الحماية على المغرب⁵، وما

¹- سبيلا، محمد، المغرب في مواجهة ...، م. س، صص. 13-14.

²- حيمر، عبد السلام، المغرب، م. س، صص. 117-118.

³- تجلى ذلك السلوك الصليبي المتطرف في إهانة المقدسات الإسلامية والعبث بالمساجد والزوايا حيث إنهم قاموا بتحويل المسجد الأعظم إلى كنيسة كاثوليكية، كما حولوا زاوية الشيخ عبد الله الحاج البقالي إلى كنيسة أخرى وبقيت على ذلك الحال حتى تم الجلاء عن مدينة تطوان، أنظر: الشاوش، محمد العربي، "إشارات حول الإشعاع الفكري والحضاري لمدينة تطوان-3"، مجلة دعوة الحق، ع. 247، أبريل 1985، ص. 69.

⁴- الشاوش، محمد العربي، "إشارات حول الإشعاع الفكري ..."، م. س، ص. 69.

⁵- الناصر، سعاد، "الحركة القافية بتطوان الحركة الثقافية في تطوان «سيدي مصطفى أفيلال نموذجاً»"، ضمن أعمال ندوة: تطوان قبل الحماية (1860-1912)، التي

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

صاحبها من مستحدثات عصرية دون
استئذان أو أخذ موقف الفقهاء
والعلماء بعين الاعتبار، بل فرضت
عليهم كما فرض عليهم الاستعمار¹.

وفي ظل هذه الظروف، كان من الصعب
على هذه النخبة المتنورة أن تجد
لأفكارها التجديدية منفذا إلى أرض
الواقع. فظلت مواقفها ودعواتها
للتحديث والإصلاح مجرد آراء فردية،
دون أن تتحول إلى تيار فكري وسياسي
عارم يخترق الذهنية المغربية في تلك
المرحلة، ويبعث فيها روح التجديد².
لكن رغم ذلك فإن ثراءها الفكري
وتنورها المتوارث، وفر لأبنائها
وأحفادها الجدد في العهد الأول
للمحمية أن يغترفوا من العلم
والمعرفة الإصلاحية³. كما ساهم في
تحرير عقولها من الخرافات والأوهام،
التي كانت متفشية في المجتمع

نظمتها مجموعة البحث في التاريخ المغربي والأندلسي،
مطبعة المهدية، تطوان، 1994، ص. 201.

¹ - سبيلا، محمد، المغرب في مواجهة...، م. س، صص. ص.
27.

² - أشقرى، عثمان، في سوسيولوجيا الفكر المغربي الحديث،
مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990، ص. 67.

³ - عثمان، مشبال، 'التهامي الوزاني والشعور الوطني في
شمال المغرب'، ضمن ندوة: 'التهامي الوزاني: الكتابة-
التصوف-لتاريخ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1989،
صص. 23-24.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المغربي. ولذلك فلا غرابة أن نجد
أغلب عناصر النخبة المثقفة بشمال
المغرب تنحدر من عائلات الأعيان
وأبناء التجار والموظفين
المخزنيين¹، خاصة وأن العوز المادي
والفكري للمجتمع المغربي كان لا يسمح
إلا لأبناء الخاصة بمتابعة تعليمهم².

عامل التكوين الثقافي

شكلت إذن، البيوتات الكبرى بشمال
المغرب وعائلات العينية، مصدرا
اجتماعيا فريدا للنخبة المثقفة
ومنبعاً للأفكار التجديدية والإصلاحية³،
التي اكتسبوها خلال رحلاتهم إلى
المشرق لطلب العلم أو لأداء مناسك
الحج، وتعرفهم على مظاهر اليقظة
العربية. وكذلك بحكم مشاهدتهم
للحضارة الغربية أثناء زيارتهم لبعض
المدن الأوروبية لممارسة أنشطتهم
التجارية أو كمبعوثين دبلوماسيين عن
المخزن المغربي، ثم احتكاكهم
بالأجانب ومجاورتهم لهم بحكم وظائفهم

¹ - نفسه، صص. 23 - 24.

² - نفسه، ص. 23.

³ - نفسه، صص. 23 - 24.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المخزنية في المدن الساحلية
المغربية وخاصة مدينة طنجة¹.

كل ذلك ساهم في تنور عقولهم
وتحررها مما كان يسيطر على المجتمع
المغربي من فكر خرافي حيث تميز أغلب
عناصر النخبة المتنورة بكونهم كانوا
من "أبعد الناس عن الخوف والأوهام
والخرافات والعوائد التقليدية"² ،
كما كانوا من غير "المكترئين من
التردد على الأولياء للزيارة
والاستمداد"³ ، ولا كانوا من الذين
"يكثرون من ذكر الكرامات وخوارق
بعيدة عن الحقيقة والواقع"⁴ . هذا
علاوة على اقتناعهم بأن أكبر معضلة
كان يعاني منها المغرب في تلك
المرحلة هي الجهل والأمية⁵ ، وانتشار
الخرافات التي كانت مسيطرة على
النفوس بشكل مهول، وهيمنة الصوفية
والطرقية التي أثرت على العقلية
المغربية⁶ ، نتيجة تهميش العلوم
العقلية والتجريبية وإغلاق باب

¹ - سبيلا، محمد، المغرب في مواجهة...، م. س، ص. 27.

² - داود، محمد، على رأس الأربعين، تقديم وتعليق حسناء
داود، مطبعة الشويخ، 2001، ص. 144.

³ - نفسه، ص. 144.

⁴ - نفسه، ص. 145.

⁵ - حيمر، عبد السلام، المغرب،...، م. س، ص. 106.

⁶ - الناصر، سعاد، "الحركة القافية بتطوان سيدي..."، م. س،
ص. 199.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الاجتها د¹ ، فتنبهت هذه النخبة إلى
أهمية تعليم أبنائها².

إن اقتناع هذه النخبة المتنورة
بأهمية التعليم العصري³، جعلها تسهر
على تعليم أبنائها وتشجيعهم على
متابعة دراستهم بالقرويين والمشرق،
بل الأكثر من ذلك فإن بعض عناصر هذه
النخبة المتنورة ألحقت أبنائها
بمدارس الرابطة الإسرائيلية، ومدارس
أبناء الجاليات الأجنبية. وعلى سبيل
الذكر لا الحصر، قام القاضي عبد
الكريم الخطابي الذي كان ينتمي
للمجتمع الريفي المحافظ بإرسال ابنه
البكر محمد منذ سنة 1902 إلى مدينة
فاس لمتابعة دراسته بالقرويين
واستكمال تكوينه على يد كبار شيوخ
المدينة⁴، بينما قام بإرسال ولده
الأصغر محمد سنة 1906 إلى مليلية
لتعلم اللغة الإسبانية حيث ألحقه
بالمدرسة الابتدائية التي كانت
الإدارة الإسبانية قد أسستها لتعليم

¹- حيمر، عبد السلام، المغرب،، م. س، ص. 106.

²- عثمان، مشبال، "التهامي الوزاني..."، م. س، ص. 23.

³- ماريّا روسا، ذي ماداريّاكا، محمد بن عبد الكريم
الخطابي، م. س، ص. 66.

⁴- عمراني، محمد، جامعة القرويين والحماية 1912-1934،
منشورات الرباط نت، 2016، ص. 125.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأهالي وتهذيبهم¹. وعندما صودرت
أملكه من طرف أهل الريف وهاجر إلى
مدينة تطوان لم يجد عبد الكريم
الخطابي حرجا في التحاق ابنه امحمد
بمدرسة الاتحاد الإسرائيلي بتطوان²
لتعلم اللغة الفرنسية³، قبل أن
يهاجر إلى إسبانيا لمتابعة دراسته
التقنية⁴ بمدرسة المعادن بمديرد⁵.

ومن جانبه شجع علي الخطيب، الذي
كان على اتصال بزعماء السلفية
بالمشرق⁶، محمد العربي الخطيب على
السفر إلى مصر للدراسة، وقام بدور
كبير في ربط الصلة بينه وبين السلفي
المصلح رشيد رضا، الذي استقبله
وأشار إليه بالانتساب للأزهر، ثم

¹- بناني، عثمان، "الخطابي محمد"، معلمة المغرب، ج.11،
من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،
مطابع سلا، 2000، ص. 3767.

²- نفسه، ص. 3767.

³- عياش، جرمان، أصول حرب...، م. س، ص. 187.

⁴- ماريا روسا، ذي ماداريكا، محمد بن عبد الكريم
الخطابي...، م. س، ص. 66.

⁵- بناني، عثمان، "الخطابي محمد"، م. س، ج. 11، ص. 3767.

⁶ - Benjelloun, Abdelmajid, « Les confréries religieuses et le mouvement national dans l'ancien Maroc Khalifien », dans : Société tétouanaise et Développement urbain et architectural, Publication de la faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Tétouan, imprimerie Al Khalij Al Arabi, Tétouan, 2009, p. 29.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

التحق بعد ذلك لدار الدعوة والإرشاد¹
2.

كما أظهر الحاج العربي بنونة رغبة
قوية في تعليم أبنائه العلوم
الحديثة، وكان صارماً في منع ولده
امحمد من ارتياد الزاوية الحراقية
وإتباع طريق القوم³، حتى يتسنى له
التفرغ لدراسته. وذلك ما عبر عنه
الحاج العربي بنونة بقوله "إن ولدي
محمد أريد منه أن يقرأ"⁴. وهو نفس
السلوك الذي اتبعه الحاج أحمد داود
من أجل تعليم أبنائه، حيث يذكر محمد
داود بأن والده وجهه "إلى الناحية
العلمية فوهب (له) جميع كتبه ... في
النحو والفقه والتفسير والحديث
والسيرة النبوية والتصوف ثم اشترى
(له) جميع ما احتاج إليه من الكتب
الدراسية، وأخذ يطالع (معه) بنفسه،
ويطلب من بعض العلماء والمدرسين أن
يدرسوا (معه) الكتب التي (يراه) في
حاجة إلى دراستها"، وعندما رحل سنة

¹ - أسسها رشيد رضا بمدينة القاهرة بتاريخ ربيع الأول
1330 الموافق 1912، أنظر: الخطيب، إسماعيل، محمد العربي
الخطيب رائد الصحافة ...، م.س، ص. 33.

² - الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب رائد الصحافة
...، م.س، صص. 30-33.

³ - الوزاني، التهامي، الزاوية، م.س، ص. 102.

⁴ - نفسه، ص. 102.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

1920 إلى مدينة فاس للدراسة بجامع
القرويين كان يبعث له كل شهر ما
يكفيه من المال "للمعيشة ولشراء
الكتب وللنزهة وحتى إلى الصدقة"¹ ،
وبقي أحمد داود على هذه الحال إلى
أن تمكن نجله من إتمام دراسته².

وقد نتج عن هذا الاهتمام الذي
أولته النخبة المتنورة لتعليم
أبنائها حركة أدبية مزدهرة، تجلت في
إقبال العديد من التلاميذ والشباب
على دروس الفقهاء والعلماء الذين
كانوا يدرسون بالمساجد والزوايا،
ذلك ما عبر عنه التهامي الوزاني
الذي كان واحدا من تلاميذ تلك
المرحلة بقوله: "وكنا في زمن
الدراسة شديدي الرغبة في تحصيل
العلم فكنا نود ... لو استغرقنا كل
أوقاتنا متنقلين من درس إلى درس،
وبودنا لو لم تكن عطلة أصلا فإنها
تضيع علينا لذة لا تعادلها لذة
عندنا، فلم نكن ونحن ندرس نشعر بأي
ثقل ولا كلفة، ولم يخطر ببالنا أننا
نؤدي واجبا ثقيلًا إذ لم يكن أحد
يدفعنا إلى تأدية ولا إلى القيام

¹ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 141.

² - نفسه، ص. 141.

بأعبائه. بل كنا نشتغل بكل نشاط
وسرور، ولا أشعر مطلقا -على شدة
احترامي للأساتذة- بأي نفور منهم أو
تضجر من معاشرتهم"¹.

وأشار أيضا محمد داود إلى هذه
الحركة الأدبية والتعليمية التي
شهدتها مدينة تطوان في مطلع القرن
العشرين بقوله: "وإن الذي نذكره عن
ذلك العهد، أن تطوان كانت فيها
بواكير نهضة علمية وأدبية، كنا نحن
ومن في طبقتنا من تلاميذها الأولين،
إذ وقع من جماعة من شباب تطوان
إقبال على الدروس العلمية الوحيدة
بتطوان في ذلك التاريخ، وهي دروس
الجامع الكبير وما حكمه من المساجد
والزوايا بهذه المدينة، ودروس
جامعنا الكبير لمن لا يعرفها، نسخة
طبق الأصل من درس جامع القرويين
بفاس، في علومه وبرامجه وطريقته
وشيوخه وتلاميذه، لأن مدرسي تطوان
وعلماءها كلهم أو جلهم درسوا
بالقرويين"².

وإلى جانب هذا الإقبال الكبير الذي
أبداه التلاميذ على الدروس التي كان

¹- الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 59.

²- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج11، ص. 301.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يلقيها العلماء بشكل مكثف بالمساجد
والزوايا، عرفت المدينة حركة
تنويرية مهمة نتيجة الإقبال الكبير
للنخبة المتنورة على تتبع القضايا
والمستجدات والأخبار العالمية، وخاصة
حركة النهضة الحديثة بالشرق
الإسلامي، التي بدأت أخبارها تصل إلى
المغرب بانتظام في أوائل القرن
العشرين، بواسطة الصحافة والكتب
المشرقية، وعن طريق بعض الجرائد
التونسية، وحكايات الحجاج والتجار¹،
وبفضل مجموعة من المهاجرين واللاجئين
العرب والأتراك، الذين استقروا
بالمغرب واتخذوا منه فضاء للدعوة
إلى النهضة والإصلاح². علاوة على
الصحافة المحلية التي بدأت تصدر
آنذاك بمدينة طنجة، حيث كانت كل هذه
العوامل أثر على تزايد الشعور بواقع
البلاد وحاجتها إلى التطور في
تفكيرها وسياستها³.

¹ - المنوني، محمد، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، الجمعية
المغربية للتأليف والترجمة والنشر، شركة النشر والتوزيع
المدارس، مطبعة المتوسط بيروت لبنان، 1985، ج. 2، صص.
307-308.

² - أشقرى، عثمان، **في سوسيولوجيا م. م. س. ص. 67.**

³ - المنوني، محمد، **مظاهر يقظة المغرب م. م. س. صص.**
307-308.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ومن وجهاء تطوان ونخبته الذين
كانت تصلهم الجرائد المشرقية قبل
استعمار المغرب، نجد السلفي المتنور
علي الخطيب، حيث كانت ترد عليه
باستمرار الصحف والمؤلفات المشرقية
كـ "الهلال" و "المقتطف" و "المنار"¹.
وكذا علي السلاوي ذو الثقافة
الواسعة²، والمتتبع لأخبار الدول
العظمى وتطورها العلمي، عن طريق
مواظبته على قراءة الصحف العالمية³.

وزاد من انتشار هذه الأفكار
الجديدة التي كانت تنقلها الجرائد،
وتسربها إلى العديد من الأسر بشمال
المغرب، انتشار العديد من المجمع
والمجالس بحواري تطوان، وخاصة
بالوسعة ودرب شرفاء وزان وبزنقة
المقدم، حيث كان يجتمع فيها معظم
أعيان المدينة وعلية القوم للتداول
في مستجدات الأخبار، والأحداث
العالمية الكبرى، من ثورات وحروب
واستعمار وتحرر، إضافة إلى ما كان
ينقله التجار وموظفو المخزن عن

¹ - بوخبزة، محمد، "علي أو علال الخطيب"، معلمة المغرب،
ج. 11، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة
والنشر، مطابع سلا، 2000، صص. 3776-3777.

² - العلوي، زين العبدین، المغرب من عهد الحسن الاول،
م. س، ج. 1، ص. 129.

³ - نفسه، ص. 129.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

سياسات الأجانب وصناعاتهم وأعمالهم
المتنوعة التي صارت تغزو العالم.
فكان النقاش في تلك الجلسات يتمحور
حول قضايا العالم التي كانت تشغل
بال الرأي العام آنذاك، وكانت
أخبارها تنشر بمختلف الصحف المشرقية
التي تصل للمغرب¹.

وكانت بعض هذه المجامع بمثابة
أندية أدبية، خاصة دكان الحاج أحمد
داود الذي اتخذ جانبا منه كنادي
أدبي يجتمع به "طلبة العلم ويطالعون
دروسهم ويتذاكرون في العلم والأدب
والتاريخ وينظمون الحفلات والرحلات
والاجتماعات"²، ومن بين الذين كانوا
يشاركون في ذلك المجمع علي بن محمد
الخطيب والفقيه أحمد الغنيمة
والعلامة أحمد الرهوني والفقيه الحاج
حسن أفيلال وسيدي علال أفيلال وغيرهم
من نجباء وفقهاء ذلك العصر³. كما
كان "هناك مجمع آخر للمثقفين
التطاونيين يجتمع عند الطيب حماد
القيقلان، إذ هناك كان يجتمع أفيلال،
والفقيه السيد محمد الدليرو، وشقيقه

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2011. ص. 109.

² - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 139.

³ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 139.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الفقيه سيدي عبد الكريم ، وشقيقهما
السيد أحمد ، والقائد مولاي مصطفى بن
عمر الريسوني ، والأستاذ محمد بن علي
الخطيب ، وقوم آخرون ، ... وهذا المجلس
في الواقع كان سبب نداء الأعمال
الوطنية ، بل كان يعتبر مجلسا
للأعيان"¹.

يضاف إلى ذلك مجمع آخر بـدكان
القسنطيني² الذي كان "يجتمع فيه
كثير من الناس من بينهم وجهاء
وأعيان بقصد أن يسمعوا ما يحدثهم به
القسنطيني من عجائب الشرق والغرب
التي رآها في سياحته المتعددة ومن
بين من كان يجالسه ... سيدي عبد
السلام غلان"³ ، هذا علاوة على مجلس

¹ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي م . س ، ص .
9.

² - وهو من أصول قسنطينية بمدينة جزائرية، ينتمي إلى أسرة
شريفة، ولما كبر، عاش حياة الشباب المغامر، وكان على
شيء كبير من الجاه والمال والجمال، ونظرا لبعض
سلوكياته، أصبح متابعته من طرف السلطة، مما جعله يسافر
إلى خارج الجزائر فقصده إسطنبول، وانخرط في سلك الجندية،
ولم تمضي إلى أيام حتى أخذ نجمه يتألق، فطفق يترقى في
المناصب حتى استطاع أن يكون ضابطا على رأس ثلة من الجند
التركي، وبعد مرور الأيام حن إلى مسقط رأسه، وعاد إلى
الجزائر، فوجد الأمر قد تغير كثيرا، بعد سقوطها تحت
الاستعمار، ثم أخذ يتقلب من منطقة إلى أخرى إلى أن وصل
إلى المغرب، فاستقر بمدينة تطوان واحترف حرفة قزدرية
الأواني النحاسية وصنعها، وتوفي في أوساط ثلاثينيات القرن
الرابع عشر هجري. الوزاني. أنظر: التهامي، الزاوية،
م. س، صص. 75 - 76 - 77.

³ - الوزاني، التهامي، الزاوية، م . س ، ص . 64-65.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

دكان محمد العربي الخطيب الذي كان
يجتمع فيه كذلك "ثلة من المثقفين
حيث كان يطلعهم على ما يرد عليه من
المشرق من مطبوعات. وخاصة جريدة
المنار"¹.

وفي السياق نفسه، ذكر التهامي
الوزاني مجالس أخرى كان يجتمع بها
أعيان مدينة تطوان ومن أبرزها:
"حانوت تربة الواسعة، التي (كان)
يهيمن عليها الحاج محمد الصفار،
وحانوت المرابط، التي كان اكترها
سيدي مصطفى بن ريسون؛ وحانوت
الصياغين، التي كان يسيطر عليها
السيد عبد الغفور اللبادي ... كما
كان من منابع التفكير خزين الدليرو،
الذي كان يستعمله إداريا في وظيفة
أبي المواريث"²³.

وعموما فقد ساهمت هذه المجالس في
تنامي الوعي بشكل كبير لدى العديد

¹ - الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، ص. 43.

² - أبو الموارث: الموظف المكلف بقبض ما يبوب بيت المال
في ما يتركه الهالك الذي لا عاصب له سوى بيت المال، كما
كان المكلف بتهيئ ودفن الفقراء والغرباء الذين لا مال له
وكان تعيينه يتم بقرار من القاضي. وعين بهذا المنصب
العربي الدليرو الذي اشتغل به إلى حدود 26 شتنبر 1914.
أنظر: داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج 11، ص. 102.

³ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي ...، م. س، ص. 9.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

من ساكنة مدينة تطوان، التي أصبحت
تتبع كل المواضيع والأخبار التي
تنشرها الصحف، وخاصة تطورات
ومستجدات النهضة الشرقية التي لقيت
تعاطفا كبيرا من لدن العديد من
المغاربة. كما كانت هذه المجالس
بمثابة مدرسة بالنسبة للشباب
والطلبة الذين كانوا يرتادونها، حيث
تفتحت أذهانهم باطلاعهم على مجموعة
من الأفكار والأحداث الجديدة، التي لم
تكن في متناولهم من قبل. الأمر الذي
كان له الأثر الكبير في تكوينهم
واختياراتهم وكذلك توجهاتهم العلمية
والأدبية، التي كانوا قد بدؤوا يشقون
طريقهم نحوها على إثر إقبالهم
الكبير على دروس العلماء
ومحاضراتهم¹، مما أهلهم ليكونوا بعد
فرض الحماية على المغرب الرعيل الأول
للنخبة المغربية المثقفة التي وضعت
العديد من المشاريع والخطط العملية
لتحقيق نهضة وطنية.

فرض الحماية وبروز النخبة المثقفة بشمال المغرب

¹ - محمد داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، صص. 108-109.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

بعد احتلال مدينة تطوان سنة 1913،
وانطلاق إسبانيا في بسط حمايتها على
باقي مدن وقبائل المنطقة الشمالية،
وما كان لذلك في بداية الأمر من أثر
سلبي على ساكنة المنطقة، برزت إلى
الوجود نخبة مثقفة ضئيلة العدد من
المتعلمين الذين ورثوا الأفكار
المتنورة عن أسلافهم من رجالات النواة
الإصلاحية الرسمية الأولى¹، وكذلك عن
طريق تكوينهم العلمي أو بحكم
الوظائف التي اشتغلوا بها قبل عهد
الحماية، حيث يقول محمد عزي مان:
"وأثناء العقد الأول من الحماية
وأوائل العقد الثاني منها ... كانت
في تطوان نخبة مستنيرة رغم قلة عدد
أفرادها، كانت تتابع الأحوال وتفكر
في مصير البلاد، وكانت تدرك أن الجهل
والتأخر من أعظم الأسباب في وقوع
البلاد تحت الحكم الأجنبي، ... وكان
من أبرز أعضاء هذه النخبة المرحوم
الحاج عبد السلام بنونة هذه الشخصية
التي سبقت عصرها حقاً، وكان من الوعي
والاستنارة ووضوح الرؤيا على درجة
جعلت منه رائداً من رواد النهضة لا في
تطوان وحدها بل في المغرب كله. وكان
من أعضاء هذه النخبة الفقيه الرهوني

¹ - عثمان، مشبال، "التهامي الوزاني ..."، م. س، ص. 22.

رحمه الله فقد كان بعلمه الواسع وتفتح ذهنه وبعمله مدة طويلة مع النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس على اطلاع على أحوال السياسة المغربية، عارفا بأسباب التأخر والضعف اللذين تعاني منهما البلاد، مدركا سبل الإصلاح الواجب سلوكها. وكان من أعضاء هذه النخبة أيضا المرحوم السيد علال الخطيب فقد كان متصلا بحركة الإصلاح الديني التي كان يقودها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا وكان على اتصال بصحف الشرق العربي وعلى اطلاع على بأحوال السياسية. (وكان كذلك) المرحوم السيد الزبير السكيرج وهو من أعضاء البعثة الحسنية التي وجهها السلطان مولاي الحسن الأول إلى إنجلترا حيث درس الهندسة وعاش في إنجلترا مدة استطاع أن يقارن بين حالة التقدم في الميادين العلمية والسياسية والاجتماعية والعسكرية هناك وبين حالة الضعف والتأخر في بلادنا. و(هناك) الفقيه السيد الحاج محمد العربي الخطيب الذي تتلمذ على الشيخ رشيد رضا بمصر واتصل بحركة الإصلاح الديني وعاد إلى بلاده داعيا

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إلى السلفية وإلى إصلاح أحوال المجتمع¹.

وإلى جانب هؤلاء وجدت عناصر أخرى من هذه النخبة المثقفة خارج مدينة تطوان من أبرزهم محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي كان يشتغل عند فرض الحماية على المغرب مدرسا بالأكاديمية العربية بمليلية، ثم كاتباً للإدارة للوطنية بنفس المدينة، وأصبح في غشت 1913 القاضي الأول ورئيساً لمجلس الاستئناف لأحكام القضاء بالمنطقة المحتلة، كما كان إلى جانب وظائفه تلك، محرراً بجريدة "تلغراف الريف"، التي كتب فيها العديد من المقالات ذات النزعة الإصلاحية والمؤيدة لفكرة الحضرية التي كانت تنادي بها إسبانيا².

وقد تميزت هذه النخبة المثقفة بتألفها من الوطنيين المخضرمين الذين عاشوا العهد الذي سبق الحماية الأجنبية على المغرب، ثم شاهدوا

¹ - عزيमान، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية ودور الأستاذ الطريس فيها"، منشورات مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، 1979، صص. 33-34-35.

² - بناني، عثمان، "الخطابي محمد"، م. س، ج. 11، صص. 3759-3766.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بلدهم وهو يخضع للاستعمار¹. فكانت
تتابع الأحوال وتفكر في مصير البلاد،
مدركة أن الجهل والتأخر من أعظم
الأسباب في وقوع البلاد تحت الحكم
الأجنبي². فأخذت هذه النخبة تفكر
فيما يجب عمله لإنقاذ البلاد من
النكبة التي حلت بها، لاسترجاع مجدها
الضائع³، وتنبهت منذ الوهلة الأولى
أن الأمر يتطلب منهم العمل على إعداد
جيل واع بماضيهِ وتراثهِ، مسلح بسلاح
العلم الحديث، قادر على تحمل العبء
الوطني، ويستطيع أن ينهض بالبلاد
ويأخذ بيدها من عثراتها لتسترد
استقلالها وتسترجع مكانتها⁴. ومن هنا
احتلت مسألة التوعية والتعليم
والقضاء على الجهل مركزاً محورياً في
فكر النخبة المثقفة بشمال المغرب،
حيث ستبادر منذ السنوات الأولى
للمحمية إلى إرسال بعثة علمية مكونة

¹ - السعود، عبد العزيز، "مسألة التربية والتعليم عند
الحركة الوطنية في الشمال"، ضمن ندوة: محمد داود الحركة
الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية، اتحاد كتاب
العرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1990، ص. 30.
² - عزيমান، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية
..."، م. س، ص. 34.
³ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية...، خ. 1،
م. س، ص. 250.
⁴ - عزيমান، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية
..."، م. س، ص. 34.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

من اثني عشر شاب¹ من التلاميذ
النجباء إلى مدينة فاس للدراسة على
يد علمائها².

وكان جامع القرويين في تلك
المرحلة، يعرف انتشارا كبيرا للأفكار
السلفية التي دعا لها العديد من
العلماء، وفي طليعتهم محمد بن
العربي العلوي، الذي كان له "من
الجرأة والإقدام والثبات ما جعله
يلاقي في دعوته نجاحا كبيرا وإقبالا
عظيما"³، من لدن طلبته، الذين
تأثروا بأفكاره التجديدية، فحملوا
رسالته بكل حماس وإخلاص، خاصة وأن
هؤلاء الشبان كانوا قد وجدوا فيما
كانت تنشره الصحف المشرقية حول
انتصار الوهابية في شبه الجزيرة
العربية آنذاك والحركة الوطنية
المصرية بقيادة سعد زغلول، والثورة

¹ - وهم: محمد بن النبخوت؛ محمد؛ طنانة؛ امحمد بنونة؛
عبد الرحمن اليعقوبي؛ عبد الكريم الدليرو؛ محمد
القاسمي؛ أحمد بن ادريس؛ علي الذهبي؛ أحمد الفرطاخ؛
محمد الكحاك؛ مصطفى بن المفتي، أنظر: داود، محمد، **على
رأس الأربعين**، م. س، ص. 180

² - داود، محمد، **على رأس الأربعين**، م. س، ص. 180.

³ - الفاسي، علال، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**،
منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش
التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط. 7،
2010، ص. 139

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

التونسية¹، مادة خصبة لتنمية الفكر
السلفي لديهم، لكون هذه الأحداث كانت
تعكس الآراء السلفية لجمال الدين
الأفغاني ومحمد عبده وعبد الحميد بن
باديس². وذلك ما عبر عنه محمد داود
الذي كان آنذاك طالبا بالقرويين:
"وكانت الثورتان المصرية والتونسية
تمدان أمثالي بغذاء لا ينفد، وكنت
أجد في مواقف زعيم مصر سعد زغلول
وزعيم تونس عبد العزيز الثعلبي ما
يزيدني إيمانا بأن للعرب والمسلمين
مستقبلا عظيما رغم أنف الاستعمار
الإفرنجي. وكنت أقرأ في خطب الزعيمين
وتصريحاتهما ما لا أجد مثله في
الكتب، ولا أسمع من الرجال الذين
أعرفهم، ولا يتحدث به أحد من أساتذتي
ورفقائي"³.

لقد أثرت الدروس التي تلقاها طلبة
بعثة تطوان بجامع القرويين في
توجههم الفكري، وجعلتهم أكثر حماسا،
حيث نقل لنا التهامي الوزاني صورة
هذا التأثير والتغير الجذري في
تفكير بعض أعضاء هذه البعثة حيث

¹ - السعود، عبد العزيز، "مسألة التربية..."، م. س، ص. 29.

² - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية...، م. س، ج. 1، ص. 335.

³ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 188.

قال: "وكان بنونة الصغير¹ عضوا في هذه البعثة، وقبل أن يفارق تطوان عانق جدران الزاوية وبكى وشكا ما يلاقيه من البعد، فأوصاه الشيخ بأن يحتفظ في قلبه مودة الفقراء، ثم ذهب بنونة إلى فاس فوجد جوا علميا اتصل فيه بشباب المغرب. وكانت كلية القرويين في هذه الأيام تعج عجا بالطلبة وتضطخب اضطخابا من أثر التطور والانقلاب، فقد صادف الحال في الحجاز والجزيرة العربية تغلب الملك عبد العزيز آل سعود على الملك حسين... واشتهرت هذه الحركة بالحركة الوهابية... وفي الوقت أيضا كانت الحركة الوطنية المصرية بقيادة سعد زغلول قد بلغت أعلى دراجاتها فكانت الصحف والمؤلفات والأخبار ترد على المغرب بهاتين الحركيتين المصطخبتين في المشرق وكانت كلية القرويين موطن الصدى لهذه الحوادث الجديدة فكثير الحديث في شأن الوطنية المصرية من جهة والحركة السلفية من جهة أخرى، وشارك في هذين الميدانين بفاس القدماء والمحدثون على السواء. فالقدماء يفتنون ويزيفون والمحدثون يحبذون وينتصرون. وقام في القرويين

¹ - يقصد امحمد بنونة

رجال اعتنقوا السلفية مرة واحدة،
وهاجموا هذه الطرق والمنتمين إليها
مهاجمة عنيفة، ... ففي هذا الجو دخل
بنونة الصغير كلية القرويين وخاض
قهرًا فيما يخوض فيه الناس وسمع من
أدلة السلفيين ما فيه الحجة
القاطعة، فأخذ في باطنه يعدل من
خطته ويتساءل. وكلما أعاد الحوار
بينه وبين نفسه نقص نزر يسير من
رأيه ... وبعد أن كان بنونة يفخر
بطريقته أصبح يخفيها وهو مطمئن
القلب بها. إلا أن ذلك الاندفاع
استحال إلى هدوء، فقلت الرسائل التي
ترد من جهة. وكان كلما توغل في
دراسة السلفية قل ميله إلى الطريقة
إلى أن لم يبق من ذلك كله إلا كما
يبقى الوشم في ظاهر اليد. ثم بعد أن
قضى بفاس ما قدر له أن يقضيه من
الأيام عاد إلى تطوان بعد أن تطوف في
عواصم المغرب واتصل بالشبيبة
الناهضة به. فرجع بنونة، شخصًا آخر
يدافع عن السلفية"¹.

وبعد عودة أعضاء هذه البعثة إلى
مدينة تطوان، اشتغل أغلبهم بالتدريس

¹ - الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، صص. 105 - 106 -
107.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وبدأوا ينظمون أنشطة ثقافية وعلمية¹، وخاصة امحمد بنونة ومحمد داود اللذين كانا من أكثر أولئك الطلبة حماسا وغيره وطنية، حيث ساهما منذ وقت مبكر في "بث الوعي وغرس الروح الدينية والوطنية الصحيحة"² بين المغاربة، والدعوة إلى التعليم عن طريق الكتابة الصحفية بالجرائد المشرقية والجزائرية وجريدة "الإصلاح" التي كانت تصدر بتطوان، فكانا بذلك "من الشخصيات التي كان لها أثرها الواضح في وضع أسس النهضة الثقافية وبث روح الوطنية"³.

وقد ساهم هؤلاء الشباب بشكل كبير في تعزيز صفوف النخبة المثقفة، التي كانت تحتاج إلى مساندة وأطر قادرة على التوعية والتعبئة الجماعية والتسيير المنظم⁴، حتى تتمكن من

¹- الوزاني، التهامي، وصف زيارة الشيخ أبي شعيب الدكالي لمدينة تطوان، ضمن كتاب: رياض، محمد، شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح الوطنية مع ذكر ثلة من تلاميذه وآثاره، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، 2005، ص. 283.

²- عزيमान، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية...، م. س، ص. 35.

³- نفسه، ص. 35.

⁴- السعود، عبد العزيز، "مسألة التربية...، م. س، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تنفيذ برامجها الإصلاحية والنهضوية
التي أضحت تتجلى لها في الأفق، حيث
ستتنبه هذه النخبة للواجب الديني
والوطني، وأبان كل عناصرها عن
استعدادهم للعمل¹، من أجل خدمة
القضية المغربية، والبحث عن خطة
جديدة لمقاومة الاحتلال تكون موازية
لخطة الدفاع المسلح الذي كان يضطلع
به المجاهدون في الجبال والريف.
وانبثق ذلك الفكر عن تصور خطة
للمطالبة بالإصلاحات الاقتصادية
والاجتماعية والعلمية ترفع من مستوى
المواطن، وتمكنه من ممارسة حقوقه
الوطنية وتؤهله للمستقبل². وقد أفصح
الحاج عبد السلام بنونة رائد هذه
النهضة عن تلك الخطة بقوله:
"الاستقلال والحرية شيء يؤخذ ولا يعطى،
وأخذه بقوة السلاح مع الجهل لا يدوم
ونتيجته الثورة المتتابة القاضية
على البلاد وأهلها، والوصول إلى
الاستقلال التام بقوة القلم وكثرة
المعارف يكاد يكون من قبيل المحال
اللهم إذا ساعدت الظروف بأسباب
خارجية. ومحصل هذا كله أن الأمة

¹- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج11، صص. 301 - 302.
²- خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية...، م. س،
ج. 1، ص. 250.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

المغربية تتوقف على رجال ذوي مقدرة
في المعارف بأنواعها ليكونوا قادة
للشعب يسرونه حسب إرادتهم لمصلحة
الدين والوطن، ويجب إيجاد هؤلاء
الرجال عاجلا ما دام بالقبائل
الداخلية رمق من الحياة الحربية"¹.

وازدادت هذه النخبة اقتناعا
بإستحالة مواجهة المحتلين مواجهة
مفتوحة، أو التفكير في صدام مباشر
مع الإسبان في أي ميدان من
الميادين²، بعدما تبين لها عدم جدوى
المقاومة المسلحة وفشلها أمام جيوش
الاستعمار³، فأمنت بأن الكفاح الذي
ينبغي أن يخوضه المغاربة لمواجهة
الغزاة، يلزم أن يتخذ طابعا سلميا
وسياسيا خاصة وأنه يدور داخل
المدينة وليس البادية⁴. هذه السياسة
التي اتبعتها النخبة المثقفة في
تعاملها مع المستعمر الإسباني سيعبر
عنها الحاج عبد السلام بنونة بأنها

¹- رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
22 شتنبر 1930، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية المغربية ...، م. س، ج1، ص.99

²- ولف، جان، م. س، ص.136.

³- السعود، عبد العزيز، "مسألة التربية ..."، م. س، ص.

29.

⁴- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج1، صص. 90 - 91

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مبنية "على الإقناع بالحجة مع
الصرامة بطلب الحقوق الواجبة وتعريف
الأهالي ما لهم وما عليهم وأرى
محاولة الثورة الآن بالمغرب يكون
سببا للقضاء على الأفراد القلائل
الذين يبنون روح النهضة في
أبنائه"¹.

وبناء على ذلك سيتجند عناصر هذه
النخبة إلى توعية الشعب المغربي
ليكون في مستوى الكفاح بفعالية ضد
مغتصبيه، وليتمكن من التمتع بالتطور
الروحي الذي يستحقه²، ذلك ما عبر
عنه الحاج عبد السلام بنونة في رسالة
لابنه الطيب إذ قال له: "الضالة
الكبرى يا عزيزي هي خدمة الوطن
والإسلام حتى يوجد عندنا بالمغرب عدد
وافر من أمثالكم الذين لا يهابون
المنون، وعندما يكثر عددكم بحول الله
وقوته ويوجد بأرضنا عدد المحامين
والمهندسين والأطباء والاقتصاديين،
و... و... و... حينئذ يحق لكم أن
تجهروا بالحق وإن كان مرا وتدافعوا
عنه بالنفس والنفيس ويشركم على ذلك

¹ - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
31 مارس 1933، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية المغربية ...، م. س، ج1، ص. 91 الهامش 113.

² - ولف، جان، م. س، ص. 136.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الناس والدين وتكونون قد قمتم بالواجب نحو الدين والوطن"¹.

ونظرا لتشبع النخبة المثقفة بشمال
المغرب بالفكر السلفي، نجدها تؤكد
في خطابها على التشبث بالعقيدة
الإسلامية الصحيحة، والحفاظ على
الهوية المغربية الأصلية، على مستوى
العادات القومية واللباس، ولذلك
انتقد امحمد بنونة المتشبهين
بالأوروبيون، وتمسكهم مظاهر حضارتهم
دون مضامينها، حيث اعتبرهم "طائفة
فاسدة المشرب. ضعيفة قوة فكر. مريضة
النظر. تفرنجت. وهي تظن أنها تنفع
أمتها بتفرنجهما فضررتها من حيث لا
تشعر. هي عضو مريض في جسم الأمة"².

ورغم تأثر النخبة المثقفة
بالحضارة الغربية، ودعوتها للاستفادة
من حداثتها وتقدمها، فإنها حاولت في
نفس الوقت أن تبني نهضتها على القيم
الإسلامية، والبحث عن ذاتها في نماذج
إسلامية، عن طريق استرجاع أمجاد

¹ - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
2 أبريل 1930، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية المغربية ...، م. س، ج1، ص. 99

² - رسالة من امحمد بنونة، لولد أخيه الطيب بتاريخ 15
نونبر 1928، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج امحمد بنونة، ج. 1، ص. 51.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

آبائها وأجدادها واقتفاء أثر النهضة
المشرقية في إصلاح المجتمع المغربي.
إذن فكيف واجهت هذه النخبة صدمة
الاستعمار؟ وما هي أهم الخطط التي
اتبعتها للحفاظ على الهوية
المغربية؟ وكيف استطاعت أن تقنع
العامّة والعلماء التقليديين بأهمية
المكتسبات العلمية الغربية؟

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المبحث الثاني: النخبة المثقفة بشمال المغرب: بين المرجعية السلفية والاقتداء بالنهضة المشرقية.

1. سلفية النخبة المثقفة بشمال المغرب وتطلعها لإحياء أمجاد الأمة المغربية.

تعرضت النخبة المتنورة ووريثتها
النخبة المثقفة عند اتصالهما
بالحضارة الغربية، لعملية انجذاب
مذهل، تأرجحت فيه بين الانبهار
المثير بحدثة أوروبا وبين الارتباط
بمرجعيتها الإسلامية المؤسسة
لشخصيتها¹، مما ولد لديها الوعي
بالذات والشعور بالهزيمة، أمام
الآخر² المتفوق في الآليات والتقنيات
والاختراعات والترتيب والنظام³.

¹- أفاية، نور الدين، أسئلة النهضة في المغرب، منشورات
الزمن، الكتاب 15، يونيو 2000، ص. 62.

²- بنسعيد العلوي، سعيد، أوروبا في مرآة الرحلة صورة
الأخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، منشورات كلية
الآداب الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء
1995، ص. 49.

³- أفاية، نور الدين، أسئلة النهضة...، م. س، صص. 60-61-
62.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وقد جعل هذا الإحساس الذي تنوع بين
الحزن والدهشة وبين الإعجاب والرغبة
في الفهم¹، النخبة المغربية تعترف
ضمنيا باليون الشاسع وعمق الهوية
التي أصبحت تفصل بين العالم الأوروبي
المتقدم والعالم الإسلامي المتخلف.
فتاقت للاستفادة من المدنية الغربية،
إلا أن ارتباط هذه الأخيرة بالنسبة
للمغاربة بـ "الكفر" و "الفسق"
و "الرديلة"²، جعلها أمام إشكالية
مؤرقة، تجلت في طريقة تكييف مدنية
الغرب والواقع العالمي الجديد مع
الموروث الديني والتاريخي³.

وفي الوقت الذي كانت فيه النخبة
المغربية تنتقد واقعها، وتحاول
البحث عن ذاتها المقيمة بالمرجعية
الإسلامية، كان المشرق يشهد حركة
سلفية تجديدية مناوئة للاستعمار
ترتكز على النقد الذاتي، وتفسر
أزمات المجتمع وتعرضه للاحتلال الأجنبي
بانحراف الأمة وتخليها عن القيم
الدينية، والابتعاد عن العلم وإهمال
العلماء، وكانت ترمي إلى تحرير

¹ - نفسه، ص. 62.

² - نفسه، ص. 59.

³ - الصابي، إدريس، الإصلاح الثقافي...، م. س، 2014، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العقيدة الدينية للمسلمين¹ و"الرجوع
إلى المصادر الأولى للشريعة الإسلامية
ونبذ التدخلات المستحدثة ومقاومة
البدع التي لا توافق أصول العقيدة
... والافتداء بنهج السلف الصالح
الذي ساد المجتمع الإسلامي أي العهد
النبوي وعهود الخلفاء الراشدين"².

لقد تميزت الحركة السلفية التي
قادها جمال الدين الأفغاني وبعده
محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، بكونها
كانت حركة تنويرية عقلانية، وليست
انكفائية فقط على التراث الإسلامي،
ومنفتحة أيضا على الحاضر الأوروبي
ومنجزاته وأصوله الثقافية، لتحقيق
مجتمع قادر على استيعاب القيم
العلمية المعاصرة³. خاصة وأن خطاب
أولئك العلماء السلفيين بالمشرق كان
ينطبق أيضا على الواقع المغربي، وهو
ما وجدت فيه النخبة المثقفة
المغربية أجوبة حول الكثير من
النوازل والأسئلة التي صارت تؤرقهم

¹ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية...، م. س،
ج. 1، ص. 331.

² - بوطالب، عبد الهادي، "السلفية استشراف مستقبلي"،
ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مركز الحسن
الثاني للملتقيات الدولية، 24-26 مارس 1989، صص. 17 -
18.

³ - الصابي، إدريس، الإصلاح الثقافي...، م. س، ص. 100.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية
القرن العشرين، فتشبعوا بالفكر
السلفي التجديدي، وقادوا حركة
إصلاحية تصحيحية¹.

وتجدر الإشارة إلى أن التيار
السلفي دخل إلى شمال المغرب عبر
طريقين: إما عن طريق الاتصال المباشر
بالمشرق حيث قام العديد من العلماء
والمثقفين الشماليين برحلات علمية أو
حجية، فاحتكوا بالحركة الفكرية
المشرقية ودرسوا علي يد بعض زعماء
السلفية هناك. ومن أبرز هؤلاء الذين
حجوا للمشرق للدراسة الشيخ علي
الخطيب الذي رحل إلى مصر في نهاية
القرن التاسع عشر، وتلقى هناك عدة
علوم ودخل في اتصال مباشر مع زعماء
السلفية²، حيث صادف أثناء رحلته
نشاط أحد دعاة السلفية في المشرق هو
محمد عبده، فتأثر بدعوته³، وصار من
المناصرين لفكرة الإصلاحية التي كان

¹ - الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، ص. 2.
² - Benjelloun, Abdelmajid, « **Les confréries religieuses et le mouvement national ...** », Op. Cit, p. 29.

³ - معروف الدفالي، محمد، "السلفية الجديدة والوطنية"، ندوة: شيخ الإسلام محمد العربي العلوي السلفية المستنيرة، منشورات مركز محمد بن سعيد آيت إيدر للأبحاث والدراسات، مطبعة أوميكا كرافيك، الدار البيضاء، 2015، ص. 160.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يتزعمها¹. وعند رجوعه إلى مدينة
تطوان لم يخف أفكاره السلفية التي
صار يتشبع بها². وأعلن عن اتجاهه في
رصانة وهدوء³ مع حسن معاملة لشيخه
وأقرانه المخالفين في الرأي، فكان
محل تقدير الجميع⁴.

كما رحل محمد العربي الخطيب إلى
مصر لنفس الغاية. فالتحق في أول
الأمر بجامع الأزهر ودرس على يد
علمائها، وبعدما فتح رشيد رضا "دار
الدعوة والإرشاد" سنة 1912، التحق
بها محمد العربي الخطيب، وواظب على
حضور دروسه العامة والخاصة لمدة
سنتين، تشبع خلالها بالفكر السلفي،
وتأثر بشيخه إلى درجة اعتبره ولي
نعمته الذي بفضلله أخرجه "الله من ظلمة
التخبط إلى نور الحق واليقين"⁵.

¹ - داود، محمد، العائلات التطوانية، مخطوط. نقلا عن:
إسماعيل الخطيب، محمد العربي الخطيب ...، م. س، صص. 30-
31.

² - Benjelloun, Abdelmajid, « **Les confréries religieuses et le mouvement national ...** », Op. Cit, p. 29.

³ - داود، محمد، العائلات التطوانية، مخطوط. نقلا عن:
إسماعيل الخطيب، محمد العربي الخطيب رائد ...، م. س،
صص. 30-31.

⁴ - بوخبزة، محمد، "علي أو علال الخطيب"، معلمة المغرب، م.
س، ج. 11، صص. 3776-3777.

⁵ - الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، صص.
29-30 -33 -34 -35 -40.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وعند عودته إلى المغرب وهو آنذاك
بلاد مستعمرة ورأى البون شاسعا بين
ما تلقاه في دار الدعوة من فكر سلفي
تجديدي، وبين الواقع الفكري المتردي
عند مختلف طبقات المجتمع¹، فجهر
برأيه وأعلن دعوته السلفية، مستعملا
مختلف الوسائل المتاحة، من كتابة
صحفية ودروس وعظية وغيرها. ولم يكن
حديثه في مجالسه الخاصة إلا عن
التوحيد، وتصحيح العقيدة والبدع
والخرافات، ومحاربة الفكر الخرافي،
ونشر التعليم².

ومن بين الذين تأثروا كذلك بالفكر
السلفي بشمال المغرب الحاج عبد
السلام بنونة الذي هاجر إلى المشرق
لأداء فريضة الحج سنة 1912، فمكث مدة
بالقاهرة اتصل فيها بالعديد من
العلماء والمصلحين وتشبع بدعواتهم
وإرشاداتهم، ولازم الدراسة على يد
بعضهم، ومن أبرزهم العلامة الشيخ
الطاهر الجزائري. ومباشرة بعد رجوعه
إلى تطوان احتلت الجيوش الإسبانية
المدينة، فأدرك الخطر الداهم الذي
لن يتم تجاوزه إلا عن طريق السلفية

¹ - نفسه، صص. 83-84.

² - نفسه، صص. 83-84.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

والرجوع إلى الإسلام الصحيح الذي هو
أساس المجتمع المغربي¹.

كما تفاعلت النخبة المغربية
المثقفة مع الأفكار المشرقية بشكل
مباشر عبر الكتب والمجلات التي كانت
تفد إلى مدينة تطوان²، وخاصة مجلة
"العروة الوثقى"، وبعدها مجلة
"المناار"، مما جعل أفكار الأفغاني
ومحمد عبده ورشيد رضا تصل إلى
المغرب³.

أما الطريق غير المباشر لاتصال
شمال المغرب بالسلفية، فقد تم برحاب
جامعة القرويين حيث درس العديد من
الطلبة الشماليين بها، وتشبعوا
بالفكر السلفي الإصلاحي. ومن بين
الطلبة الذين تأثروا بالفكر السلفي
هناك محمد بن عبد الكريم الخطابي،
الذي درس بالقرويين لمدة سنتين
(1902-1904)⁴، فتأثر بالفكر الإصلاح
الذي كان رائجا آنذاك في مدينة

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج1، ص. 92.

² - عثمان، مشبال، "التهامي الوزاني...."، م. س، ص. 23.

³ - الخطيب إسماعيل، محمد العربي الخطيب، م. س، ص.
83.

⁴ - عياش، جرمان، أصول حرب الريف، م. س، ص. 169.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

فاس¹. وتمعن في أسباب البون الحضاري
الشاسع الذي جعل المغرب تحت رحمة
الدول الأوروبية. واقتنع بأن بلده
كان غارقا في الجهالة والظلمات
والبؤس والاستبداد².

كما درس أيضا بجامع القرويين خلال
العقد الثاني من القرن العشرين
مجموعة من الطلبة التطوانيين الذين
تشبعوا بالأفكار السلفية، التي كان
يبثها علماء القرويين وخاصة محمد بن
العربي العلوي وأبي شعيب الدكالي³،
من أبرز هؤلاء الطلبة امحمد بنونة
ومحمد داود⁴.

¹ - بناني، عثمان ''الخطابي محمد''، م. س، ج. 11، صص.
3759-3766.

² - عياش، جرمان، أصول حرب الريف...، م. س، صص. 168-
169.

³ - صادف تواجد بعثة الطلبة التطوانيين زيارة أبي شعيب
الدكالي لمدينة فاس رفقة وفد السلطان المولى يوسف. وعن
ذلك يقول محمد داود: "وفي عهد قراءتي بفاس كان رحمه الله
(أبو شعيب الدكالي) متوليا لوزارة العدلية بالرباط،
ولكن كان من أحسن الحظ أن السلطان المرحوم المولولة
يوسف قام برحلة من الرباط إلى مكناس... وكان الشيخ أبو
شعيب في صحبة السلطان، فقضى تلك المدة بفاس، وكان يلقي
درسه الحديثي بجامع القرويين يوميا بين العشاءين، فلازمت
دروسه طوال تلك المدة، ولم أتخلف عن أي درس منها، وكان
مجلسي بالقرب منه... فكنا نكتب ما يمليه الشيخ من
الفوائد المستنبطة من الأحاديث النبوية، وكنا نجد في ذلك
العجب العجيب، مما لا نجد له ذكرا في أي كتاب". أنظر:
داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 227.

⁴ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية...، م. س،
ج. 1، ص. 331.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وباعتبار أن غالبية ساكنة مدينة
تطوان وشمال المغرب كانوا منضوين
تحت لواء الطرق الصوفية، فإن شروط
الدعوة السلفية كانت محفوفة بواقع
غير مساعد على نشرها، ولذلك احترز
علي الخطيب في الجهر بقناعته
واقترنت محاولاته على أقلية من
مقربيه¹. أما محمد العربي الخطيب
الذي اقتنع بضرورة نشر فكر السلفية
وتطبيق مبادئ الإصلاح الديني
واللغوي²، فلم يجن من ذلك غير
المواجهة مع العناصر المختلفة معه
فكريا³. فبقيت الدعوة السلفية بشمال
المغرب محاصرة دون أن تتغلغل بين
مختلف الأوساط، وظل الفكر الطرقي
مسيطرًا على القلوب والأفكار. وكان
معتنقو هذا الفكر الطرقي يحاربون
الدعوة السلفية ووصف كل داعية لها
بأنه معتزلي أو وهابي⁴.

وهكذا لم تعرف الدعوة السلفية
انتشارًا ملموسًا بشمال المغرب إلا بعد

¹ - معروف الدفالي، محمد، "السلفية الجديدة..."، م. م. س،
ص. 160.

² - محمد محمد الخطيب، مقدمة كتاب: محمد العربي الخطيب
...، م. م. س، ص. 5.

³ - معروف الدفالي، محمد، "السلفية الجديدة..."، م. م. س،
ص. 160.

⁴ - الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. م. س، ص.
83.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الهجمة الاستعمارية، وسير معظم الطرق
الصوفية في الركب الاستعماري¹، وبرز
النخبة المثقفة التي واكبت الحركة
المناوئة للاستعمار، وجعلت من
السلفية حركة إصلاحية مهمتها صقل
الذهنية والعقيدة إلى جانب مساهمة
روح العصر ومتطلبات التطور المادي²،
لتخليص الأمة المغربية من تخلفها
المفرط، عن طريق محاربة الطرقية
التي كانت في نظرهم هي سبب
الانحرافات الدينية والمساهمة في نشر
الظلامية التي كان يتخبط فيها
المجتمع المغربي³.

لقد خلقت الوضعية الاستعمارية
والتفوق الحضاري لدى النخبة المثقفة
نوعاً من الإحساس بالدونية، والحرمان
من الهوية والمواطنة، الأمر الذي نتج
عنه ردود فعل مختلفة، تتدرج بين
النقد الذاتي والرغبة في الاقتباس،
دون الانسلاخ الكلي عن التراث، وذلك
لتحقيق توازن نفسي، والرغبة في
استرجاع عدد من مقومات الذات، مع

¹ - نفسه، ص. 83.

² - معروف الدفالي، محمد، "السلفية الجديدة..."، م. م. س،
ص. 160.

³ - بنجلون، عبد المجيد، "الوطنيون المغاربة في المنطقة
الخليفية وأعمالهم الإصلاحية"، ترجمة لطفي بوشنتوف،
المناهل، عدد 70/69، 2004، ص. 135.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الحفاظ على الخصوصية المغربية
الإسلامية ، لتكون مقدمة لبناء الفكرة
الوطنية ، والانتقال بها إلى حركة
تسعى إلى التحرر والانعقاد¹.

ومن هنا فالإصلاح الذي دعت إليه
النخبة المثقفة كان ينطلق أساساً من
وعي بعطب ذاتي أصاب المجتمع
المغربي ، وبالتالي يجب أن يأخذ هذا
الإصلاح بعين الاعتبار المرجعية
الإسلامية ، التي كانت المكون الرئيسي
للشخصية المغربية².

وحتى تتمكن النخبة المثقفة من
تجاوز حالة فقدان الهوية والمرجعية ،
وخاصة بالنسبة للأجيال الصاعدة نتيجة
احتكاكها المباشر بالحضارة
الأوروبية ، فقد حاولت في خطابها أن
تربط الأمة المغربية بجذورها
التاريخية وتبين أهم المراحل التي
مرت منها ، لتثبت أن المغرب الذي سقط
في يد الاستعمار كان له في السابق
مجد وحضارة عريقة ، وذلك ما أكدته
محمد داود بقوله : "وَجَدَّ الْإِسْبَانِيُّونَ
جدا في تطویر الأحوال. ولكن على أساس

¹ - معروف الدفالي، محمد، "السلفية الجديدة..."، م. س،
ص. 160.

² - نفسه، ص. 160.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المنهاج الذي وضعوه لإلحاق هذه
الناحية بإسبانيا، باللغة والثقافة
أولا، ثم بالعوائد والأخلاق ثم بالدين
والاندماج السياسي، وتنبه المفكرون
وتقدموا لميدان العمل لمقاومة
البرنامج الاستعماري، ولكن لا بالكلام
الفارغ بل بالأعمال النافعة، وبث
الروح الدينية والقومية لتبقى الأمة
متمنعة بحصانتها الروحية التي
بحفظها يبقى الكيان وبزعزعتها تضحل
الشعوب من الوجود"¹.

ولذلك فليس من باب الصدفة أن نجد
إقبال العديد من المثقفين بشمال
المغرب على تأليف مجموعة من الكتب
حول تاريخ المغرب والعالم الإسلامي.
وتركيزهم في كتاباتهم الصحفية
وخطبهم على استحضار الماضي،
ومقارنته بالحاضر، هذا علاوة على
تركيزهم على تدريس التاريخ والحضارة
الإسلامية والمغربية، لاقتناعهم بأهمية
الوعي التاريخي في الحفاظ على
الهوية الوطنية، كما أن النخبة
المثقفة لم تتعامل مع ماضي المغربي
بشكل سردي، بل شحنته بمعان ومشاعر

¹ - محمد داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 109.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مختلفة في حركة جدلية بين الماضي
والحاضر في أفق استشراف المستقبل¹.

ولم تكن هذه النخبة تعني بالرجوع
إلى الماضي استحضار جميع عهوده ،
وإنما كانت تركز فقط إلى بعض
المراحل الإسلامية التاريخية المشرقة ،
لتتحصن بها في حاضرها ، تجنباً للوقوع
في متاهات الضلال ، ولتجنب زل
الانجراف في التيارات الفكرية
المتعارضة مع الأصول الإسلامية . كما أن
هذه الدعوة السلفية لم تكن تستهدف
التوقف عند الماضي لذاته ، وإنما
كانت تشدد في العودة إليه باعتباره
يحتضن الرصيد التراثي القادر على
مواجهة مقتضيات التطور وتحديات
العصر ، ولتثبت انسجام تعاليمه مع
مقتضيات التطور ، وكذلك لتبين أن
تردي العالم الإسلامي في الانحطاط
والتأخر والتبعية لا يرجع إلى الإسلام ،
بل المسؤول عنه هم المسلمون الذين لا
يطبقون النهج الإسلامي كما كان يطبق
في العهود الزاهرة².

¹ - الشريف، محمد، "قراءة في كتاب اللسان المغرب"،
م. س، ص. 231.

² - بوطالب، عبد الهادي، ذكريات شهادات ووجوه، الشركة
الوطنية للطباعة والنشر، الرباط، 1992، ج.1، صص. 61-62.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وهكذا حاولت النخبة المثقفة في كتاباتها التأكيد على أن المغرب، ظل محافظا على كيانه واستقلاله لقرون، وأنه آخر بلد سقط في يد الاستعمار، إذ يقول محمد داود: "لقد قضى وطننا المغربي العزيز حياته منذ وصول الإسلام والعروبة إليه إلى قرننا هذا الذي نعيش فيه (القرن العشرين)، وطننا حرا عزيزا في نفسه، مستقلا في إدارة شؤونه وسياسته، وحينما امتدت سيطرة الأتراك على العالم العربي ومنه الشمال الإفريقي، كانت الحدود الشرقية للمغرب هي الحجرة التي وقفت عندها تلك السيطرة الأجنبية... وفي الوقت الذي كانت بلاد شرقية كثيرة ترزح تحت أثقال الاستعمار الأجنبي، كان يتمتع بكامل حرية واستقلاله محفوظ الكرامة مهيب الجانب في الشرق والغرب إلا أن دوام الحال من المحال فالعظمة ما دامت لدولة ولن تدوم والتأخر والانحطاط ما دام أيضا ولن يدم"¹.

ولتخفف من قوة الصدمة الناتجة عن سقوط المغرب تحت الاستعمار، حاولت

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج.1، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1959، ص. 24.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

هذه النخبة في المقابل أن تبرز في كتاباتها أن الدول الغربية المسيطرة، كانت خلال العصور الوسطى تعيش في ظلامية وتأخر وانحطاط، وتسود بها "أخلاق شرسة، ونظامات فاسدة، وظلمات بعضها فوق بعض، ... (و) مظالم كانت الإنسانية تئن من هولها و... امتيازات للطبقات الارستقراطية يصبح معها العموم سوى آلات مسخرة لمصالح عظمائه ومن حروب تجري الدماء فيها أنهارا ولا موجب لها إلا جرة قلم، قد يوقعها الحاكم بأمره وهو غير صاح¹. في الوقت الذي كانت الدول الإسلامية في مرحلة القوة والازدهار الفكري والعلمي.

كانت النخبة المثقفة تبرز في كتاباتها حول تاريخ المغرب العديد من منجزات الدول المغربية المتعاقبة، لتحفيز المعاصرين لاقتداء أثرها. كما كانت تحاول أن تؤكد أن تاريخ المغرب مليء بالعطاءات والمنجزات التي ترقى إلى مستوى بعض منجزات الدول العصرية²، من مثل ذلك ما ذكره محمد الميرر التطواني أن

¹ - داود، محمد، "سبيل النهوض..."، م. س، ص. 12.
² - الشريف، محمد، "قراءة في كتاب اللسان المغرب...."، م. س، ص. 232.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

دولة الموحدين كان يوجد بها مصالح
للصحة والاعتناء بأمر المرضى "يباهي
مستشفيات أوروبا في العصر الحاضر"¹،
كما يقول أيضا بأن "الحكومة
المغربية كانت تعتني بأمر العمارة
وتتولى ذلك بنفسها كما هو شأن
الحكومات الراقية فتأمله"².

ولم ينحصر هذا الاهتمام فقط بتاريخ
المغرب المشرق، ومقارنته بتاريخ
أوروبا المظلم، بل امتد كذلك إلى
التاريخ الإسلامي عامة، حيث كانت
النخبة المثقفة تتناول في خطابها
أيضا الازدهار الفكري والحضاري للأمة
الإسلامية، وما قامت به من مجهودات في
ميدان التعليم، إذ يقول محمد داود
بأن المساييد كانت "في أيام العزة
الإسلامية وفي عهد الحكومات العربية
الناهضة، عبارة عن مدارس ابتدائية
يحفظ فيها القرآن ويدرس فيها الخط
والرسم ومبادئ الدين وقواعد اللغة
وأصول الأدب ونصوصه وذلك حينما كان
القائمون بشؤونها أساتذة يحفظون
القرآن ويفهمونه ولهم مشاركة في

¹ - المير الطواني، محمد، اللسان المعرب...، نقلا عن:
الشريف، محمد، "قراءة في كتاب اللسان المغرب...."، م.
س، ص. 232.

² - نفسه، ص. 232.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مختلف العلوم وعلى الأقل الضرورية
منها، فكانوا رجالا يحق لهم أن
يعلموا الناس وأن توكل إليهم تربية
النشء الجديد الذي ستكون بيده
مقاليد أمور الأمة في الدين
والدنيا"¹.

وفي نفس الشأن ذكر محمد بن
التهامي أفيلال بأن المسلمين الأوائل
اهتموا كثيرا بتشديد مجموعة من
"المدارس بعواصم الإسلام الكبرى
كبغداد والبصرة والكوفة ودمشق من
قارة آسيا، والإسكندرية والقاهرة
والقيروان وفاس من قارة إفريقيا،
واشبيلية وقرطبة وغرناطة بأوروبا،
وكان بالقاهرة عشرون مدرسة، وفي
قرطبة ثمانون، وقد أنفق وزير واحد
مائتي ألف دينار على مدرسة بغداد،
وحبس عليها خمسة عشر ألف دينار
سنويا تصرف في شؤونها، وكان عدد
تلاميذها ستة آلاف، بها ابن الأعظم
العظماء في المملكة، وابن أفقر
الصناع"².

¹ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 32.
² - أفيلال، محمد بن التهامي، "خطاب صاحب المعالي وزير
العدلية رئيس المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي العلامة السيد
محمد بن التهامي أفيلال"، جريدة الحياة، ع. 57، 11 أبريل
1935، ص. 2.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

هذا علاوة على ما كان يبيده
المسلمون الأوائل من اعتناء كبير
بالكتب والمكتبات، حيث قال محمد بن
التهامي أفيال إنه: "كان في القاهرة
أول القرن الرابع مائة ألف مجلد،
منها ستة آلاف في خصوص الطب والفلك،
وكان بمكتبة الخلفاء وحدها سبعون
مكتبة في كل مكتبة، موضع خاص
للمطالعة والنسخ والترجمة"¹. وذكر
أحد كتاب جريدة الإصلاح (المغربي)،
بأن المغرب في العهود السابقة كانت
تتواجد به العديد من المكتبات،
و"كان الاعتناء بها شديدا والإقبال
عليها عظيما أيام أزهر العلم وأثمر
في عهد أولئك المسلمين المتقدمين"².

وخلصت النخبة المثقفة أن هذا
الاهتمام الكبير لسلف الأمة بالعلم
والتعليم نتج عنه نهضة علمية وأدبية
مهمة، حيث ستسطع أسماء العديد من
العلماء المسلمين، الذين وجهوا "كل
عنايتهم إلى... العلوم، فاشتغلوا
زيادة على العلوم الإسلامية من أصول
وفروع وتدوين تفسير الكتاب والسنة،
واستنباط علوم البلاغة وغيرها،

¹ - نفسه، ص. 2.

² - المغربي، فوائد المكاتب ومنافعها، جريدة الإصلاح، عدد
71، 25 غشت 1920.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بترجمة العلوم الرياضية والطبيعية،
من طب وهندسة وهياة وتاريخ وفلك،
وما مضى من الزمان إلا يسيره، حتى
أصبحت اليد الطولى فيها للمعلمين،
وبرزوا فيها عمن نقلت عنهم، وصاروا
قادرين على استخدام تلك العلوم في
منافع لهم، فاستنجدوا الأرصاد
والأزياج الفلكية، والكسوف والخسوف،
ورصدوا الاعتدالين، واخترعوا الساعة
الزمنية والبوصلة البحرية، واعتنوا
بإدارة الصيدليات، وبرعوا في
الجراحات، وفضلهم في الطب لا ينكر،
ولا يزال أثر ما ذكر في الوجود
خالداً، وبطول باع سلفنا في تلك
العلوم شاهداً¹.

لقد حاولت النخبة المثقفة من خلال
استحضارها لأمجاد الأسلاف في خطابها،
إبراز الهوية المغربية الممتدة في
عمق التاريخ، كسلاح لمواجهة الغزو
الفكري والثقافي، الذي كان يهدف
إليه المستعمر من خلال مدارسه التي
كانت مفتوحة في وجه أبناء المغاربة،
والتي يبثون فيها من المعلومات ما
يسلخ هؤلاء الأطفال عن قوميتهم

¹ - أفيال، محمد بن التهامي، "خطاب صاحب المعالي وزير
العدلية..."، م. س، ص. 2.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ولغتهم ، وبعدهم عن دينهم وتاريخهم ،
وذلك ما عبر عنه محمد داود بقوله :
"ولاحظت أن الإسبانين في شمال
المغرب- كالفرنسيين في جنوبه-
يفتحون المدارس في وجوه أبناء
المغاربة ، ولكنهم يضعون لها برامج
مليئة بلغتهم الأجنبية ، يلقنون بها
تاريخهم وأدبهم ويبحثون في أذهان
طلابنا ما يملأ قلوبهم تعظيماً وإجلالاً
لعظمة الدولة الحامية ، وإهمالاً
واختصاراً لتاريخ المغرب وماضيه
المجيد ، ولم يكن لدينا ولغتنا في
مناهج تلك المدارس إلا النزر اليسير ،
بل لم يكن فيها إلا ما هو ذر للرماد
في العيون"¹.

وبناء على ما سبق ستعتمد النخبة
المثقفة إلى توجيه أنظار المغاربة
وخاصة الأجيال الصاعدة إلى تاريخها
وحاضرها ، لإعادة مجد الأمة الغابر. بل
الأكثر من ذلك أن الحاج عبد السلام
بنونة انتقد الإهمال الذي طال تاريخ
الأجداد بقوله : "ما لنا عجزنا حتى
على تذكّار تواريخهم وتأخرنا عن

¹- داود ، حسناء ، "الأستاذ محمد داود في ميدان التعليم" ،
ضمن ندوة : محمد داود الحركة الوطنية في الشمال والمسألة
الثقافية ، اتحاد كتاب العرب ، مطبعة المعارف الجديدة ،
الرباط ، 1990 ، ص. 54.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

قراءة ما سطره فكأننا نيام¹ ،
داعيا لانكباب على استخراج ما في
كتب الأسلاف "المقدسین" واتخاذها
منطلقا لصنع الحاضر، مخاطبا الأمة
بقوله: "قوموا إلى إحياء مجد السلف
واسترجعوا بالعلم والمعارف ذلك
الشرف وكونوا لآبائكم خير خلف"².

كما دعا محمد التهامي أفيلال للعمل
من أجل استرجاع أمجاد الآباء وإحياء
معارفهم وعلومهم بقوله: "يا أيها
السادة أولئك أجدادنا ونحن خلفهم،
أفلا نكون أحق الناس باقتفاء آثارهم،
وتخليد مفاخرهم؟ أفلا يجب علينا أن
نبادر إلى إحياء ما اندثر من تلك
المعارف، حتى تصير أسواق العلوم في
زماننا نافعة كما كانت في زمنهم،
وتكون بضاعة الواحد، منا مضاهية
لبضاعة الواحد منهم"³.

¹- بنونة، عبد السلام، "ما هذا الكسل؟"، جريدة الإصلاح، ع. 21، 1917، نقلًا عن: عينية، عبد المجيد، "موقف المغاربة من قضايا التربية والتعليم في العقود الأولى من عقد الحماية الفرنسية / الإسبانية"، مجلة فضاءات تربوية، عدد 2، مارس 1996، ص. 170.

²- بنونة، عبد السلام، "ما هذا الكسل؟"، م. س، نقلًا عن: عينية، عبد المجيد، "موقف المغاربة..."، م. س، ص. 170.

³- أفيلال، محمد بن التهامي، "خطاب صاحب المعالي وزير العدلية..."، م. س، ص. 2.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ولتحفيز الأمة المغربية من أجل
إحياء مجد الأجداد واسترجاع المكانة
التي كانت تحظى بها، لم تتردد
النخبة المثقفة في الدعوة إلى
الاقتداء بالأمم الأوروبية، التي
تجاوزت مرحلة الانحطاط عن طريق العمل
والتضحية والاجتهاد. وفي هذا الصدد
يقول محمد داود: "قام أحرار
الأوروبيين فاقتبسوا من أنوار
المعارف الدنيوية ما أنقذهم من
برائن الهلاك. وتقدم منهم الأفراد
القلائل الذين امتازوا بمواهب خصوا
بها لقيادة أممهم إلى المراكز
اللائقة بهم، فكان أولا تنبيه الأفكار،
ثم معارضة الجامدين، ثم ظهور
الحقيقة، ثم انتصارها حيث أظهر
القائمون لها حسن اختيارهم لأفضل طرق
النجاح مع السلامة، ثم اتحاد مشارب
طبقات الشعب، ثم اجتماع الهواة في
نقطة واحدة هي الاحتياج للإصلاح، ثم
البحث الاجتماعي عن مسالك النور
والهدى، والاهتداء إليها وسلوكها،
... وإنما الحياة السعيدة للعاملين
المجدين، وها هي الأمم الأوروبية
اليوم، قد بلغت الغاية القصوى من

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الرفعة والجلال ومن السؤدد والفخار"¹.

واعتبر أعضاء النخبة المثقفة أن
إمكانية استرجاع المغاربة لأمجاد
آبائهم ليس بالأمر الصعب أو المستحيل
لأن الإنسان المغربي في نظرها ما كان
في "جل أطوار حياته إلا مقداما واسع
الحيلة في سبيل الوصول إلى مختلف
مصالحه"²، خاصة وأنها كانت ترى بأنه
يوجد "بمختلف أنحاء المغرب أحرارا
في أفكارهم، متمسكون بديانتهم
مخلصون في وطنيتهم، يودون لو تسمح
لهم الظروف ببذل ما بوسعهم مما عز
وهان في سبيل إسعاد بلادهم، وترقية
أبناء ملتهم"³.

لقد شكل هاجس استرجاع أمجاد الأمة
المغربية حافزا للنخبة المثقفة من
أجل الانفتاح على المكتسبات العلمية
للحضارة الأوروبية والاستفادة منها،
وتبني تلك المكتسبات الإيجابية تبنيًا
إسلاميًا، خاصة وأنها كانت مقتنعة أن
الدين الإسلامي لا يرفض آليات الحضرة
أو التمدن أيا كان مصدرها، ما دام

¹- داود، محمد، "سبيل النهوض..." م. س، صص. 14-15.

²- داود، محمد، المغرب ونهوضه الأدبي، مجلة الاتحاد، عدد

7، السنة الأولى، ربيع الأول 1346، صفحة بدون رقم.

³- نفسه.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أن ذلك لن يؤثر على مقومات الشخصية
المغربية الإسلامية¹. وفي هذا السياق
يقول محمد داود: "لنقلد هؤلاء الذين
لا نقدر على إنكار تفوقهم علينا في
كل منحى من حياتنا، ولكن في ماذا
نقلدهم؟ هنا مواقع الزلل وهي التي
يخشى كبارنا من الوقوع فيها. ولكننا
نرى أن الابتعاد عنها متيسر إذا أخلص
منا المفكرون، وأقدم المتأخرون
وخلعوا عنهم ثياب الجبن الذي نود لو
كانت لنا قوة فنبيده إبادة ونسحقه
سحقا. وذلك ما لا نجد في طريقه
أشواكا ما دام مقصودنا السلمي هو
تعاون طبقات الأمة وتعاضدها على ما
فيه مصلحة الجميع. وهذه لعمري طريقة
مثلى لا يزيغ عنها عديم التفويق"².

وحتى تعطي النخبة المثقفة طابع
الشرعية، لانفتاحها على الحضارة
الغربية، قامت بالترويج لفكرة، أن
الأوروبيين هم فقط "تلاميذ آبائهم"
المسلمين الأوائل. وبالتالي
فالاستفادة من علومهم ونظامهم هو
استرجاع للدين ليس إلا. ولإقناع

¹ - عبد الوافي الفكيكي، عبد الرحمان، مسرحية: انتصار
الحق بالباطل للأستاذ عبد الخالق الطريس دراسة تحليلية،
منشورات جمعية تطوان أسمير، مطبعة الخليج العربي،
تطوان، 2006، صص. 28-29.

² - داود، محمد، "سبيل النهوض..."، م. س، ص. 17.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

محيطها المجتمع الذي كان يرفض
الانفتاح على الغرب والاستفادة من
مكتسباته العلمية والتقنية، قامت
بالترويج للمشاريع النهضة
المشرقية التي أخذت بتلابيب الحضارة
الغربية دون أن تتخلى عن دينها أو
تفقد هويتها.

2. النخبة المثقفة بشمال المغرب والدعوة بالنهضة المشرقية

شكل المشرق في خطاب النخبة المغربية المثقفة نموذجا حيا للنهضة، الذي يجب السير على دربه من أجل الخروج بالمغرب من حالة الجمود والركود التي كان يعيش فيها. خاصة وأن أغلب عناصر هذه النخبة سبق لهم أن قاموا بزيارة المشرق إما للدراسة أو لأداء فريضة الحج، فقارنوا بين ما كان يسود في المغرب من جهل وتخلف، وما شاهدوه في المشرق من حركية فكرية وثقافية وسياسية تحريرية، كان لها بالغ الأثر في نفوسهم ووجدانهم، وهو ما قاموا بترجمته في مذكراتهم ورسائلهم ومقالاتهم الصحفية.

ويعتبر ما كتبه محمد العربي الخطيب في وصف القاهرة خير دليل على ذلك، حيث قال عنها: "القاهرة وما أدراك ما القاهرة، مهبط الثروة والمعارف وموطن الذكاء¹ والفتنة والثبات والكد والجد والاجتهاد والمنافسة في أسباب الرقي، ومعدن

¹ - في الأصل كتبت: الذكاء.

التقلبات مع الدهر ... حتى يبلغ ذو
المنى مناه، وجمعت من أصناف البشر
ما يندر وجوده في غيرها، كما جمعت
من أصناف الأفكار والمذاهب والنحل
والأذواق مما يجعل ذا الفكر القصير
في حيرة دهش، غير أن الذكي الفطن
يجد هناك مناه ومشتهاه من التمتع
بتلك المذاهب والأذواق المختلفة،
فيصقل فكره ويرقى إلى منصب راق في
الفكر إن كان ذا فطنة معتدلة وثبات
فكري كامل، فيستخلص الصفاء¹ من ذاك
الخلط، وينتحل مذهباً معتدلاً لا إفراط
ولا تفريط ومع هذا فلا بد من قائد
ومرشد صدوق نصوح جلاب وإختبر وشارك
في العلوم مشاركة ذوق، ينهج له
الطريق ويكفيه مشقة أخذ الصفاء من
الخلط فيطعمه الصفاء سهلاً، والزبد
خالصاً مع إيقافه له على طرق استخلاص
ذلك الزبد حتى يكون انتحاله لذلك
المذهب المستخرج من بين فرث ودم
انتحال ذوق واجتهاد لا تقليد واتباع
كاتباع الأعمى للبصير، فإن كان ذاك
فلا يتأثر الشخص باختلاط، بل لا يزيده
إلا ثباتاً ورسوخاً، وهناك من المهامه
قبل وصول لهذا المطلب الأسنى مهامه
تجار فيها الفطن ويضل ذو الفطنة

¹ - في الأصل كتبت: الصفاء.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والذكاء ضللا لا رجوع عنه وهلاك لا
نجاح بعده، فالحذر الحذر، والثبات¹.

كما اعتبر امحمد بنونة بأن
القاهرة ملكت منه الفؤاد وتحسر على
فراقها، لكونها شكلت بالنسبة له أرض
الحياة والحرية ومهد النهضة
والازدهار الفكري والفني، وقبلة لكل
متعطش لتلقي دروس في العلم والمعرفة
النافعة²، ولذلك عندما زار ابن أخيه
الطبيب مصر أثناء رحلته للدراسة
بالمشرق عبر له عن سروره بذلك
بقوله: "سرت بزيارتكم لها
(القاهرة) لا من حيث رؤية الشوارع
الهائلة ولا من حيث التنزه بالمراسح
والمنتزهات ولا من حيث سماع أصوات
المغنيات. كلا وربك بل لتشموا ريح
الحرية وتبصروا النهضة الحققة
السارية في المصريين سريان الماء في
الأغصان أو الكهرباء في الأسلاك، بل
كالروح في الأجسام. ولتعيشوا فينة من
حياتكم تحت سماء الحرية... في أرض

¹ - الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، صص. 36-37.

² - رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطبيب بتاريخ يوم
الأربعاء 9 جمادى الأولى عام 1347هـ، موافق 23 أكتوبر
1928، وثيقة رقم 915، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف
من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، ج.1، صص. 36-37.

إسلامية عربية إفريقية بين وسط أرقى.
إني أعلم أن حرية مصر عرجاء، ولكني
أعتقد أنها حرية حقيقية بالنسبة
لأقلية مصر وبالنسبة إلى المغرب
المغصوب. إني أيها العزيز لا أسألك
ولن أسألك أبدا عن نظرك في مصر من
حيث النظام الحكومي أو السياسي أو
الاجتماعي. لأنني أعلم أنك لم تذهب
موفدا من حزب سياسي أو جمعية وطنية.
نعم أسألك عن حياة مصر العلمية
والدراسية والأخلاقية والأدبية كذلك
لأنك ذهبت لمجرد تلقي العلم الصحيح
ودروس المعارف النافعة"¹.

كما أعرب له في رسالة أخرى عن
أسباب إعجابه بمصر وحبها لها لما
كانت تمتاز به عن باقي البلدان
العربية الإسلامية الأخرى بتاريخها
وعلمائها وزعمائها ونهضتها ووطنية
شعبها، إذ قال له: "لقد رأيت مصر.
ورأيت نهضة مصر. ورأيت حياة مصر.
وزرت زعماء مصر. وصافحت علماء مصر.
وشاهدت أثرات مصر. فما رأيك الآن في
غرامي بمصر؟ أليست مصر أرض الحياة؟

¹ - رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطيب بتاريخ يوم
الأربعاء 9 جمادى الأولى عام 1347هـ، موافق 23 أكتوبر
1928، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الحاج امحمد بنونة، ج.1، ص. 34.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أليست مصر مهد الوطنية؛ أليست مصر
أرقى عواصم أرض العربية؟ بلى: إن
مصر حقيقة بكل حب وإجلال. ونفس واحد
يستنشقه الشخص تحت سماء مصر كاف
لتبريد حر قلبه المتوفى حزنا على
أرض العربية"¹.

كانت هذه النخبة المثقفة ترى بأن
زيارة المشرق لابد وأن يستفيد منها
المرء، بفضل الاحتكاك بالعلماء
والتعلم على يدهم. ولذلك قال الحاج
عبد السلام بنونة لولده الطيب: "لا
ريب أنك استفدت كثيرا من زيارة
القاهرة خصوصا حيث أخبرتني بمقابلتك
لمن ذكرت من أفاضل علمائها كالشيخ
العدوي والشيخ أبي² زيد والشيخ عبد
الجليل والشيخ الخطير حسين وغيرهم
وقد أحسنت في زيارتك العلامة السيد
فريد وجدي جزى³ الله سيادة الأخ السيد
إبراهيم المراكشي عنا خيرا وبارك
فيه وأريد منك أن تفصح لي بكل حرية
هل بقي فريد مسرور من مقابلتك
وأحسنت في جوابه أو كان ليسألك عن

¹ - رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطيب، بتاريخ فاتح
جمادى الثانية سنة 1347 الموافق 15 نونبر 1928، أنظر
وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة، ج. 1، ص. 36.

² - في الأصل كتبت: أبو.

³ - في الأصل كتبت: جزا

أُمُور تجهلها وبقيت قصرا في الجواب"¹.

وعبر الطيب بنونة كذلك عن إعجابه
بمصر بنفس النبرة، حيث قال في إحدى
رسائله المؤرخة ب 2 دجنبر 1928
لأستاذه محمد داود : "إن الجلوس في
مصر في الغالب، يستفيد منه الإنسان،
ولو لم يقصد الاستفادة، فإن فيها
يستنشق ذلك الهواء النقي الطلق،
هواء الحرية - وإن كانت حرية عرجاء،
فعلى كل تدعى حرية - وفيها يجد ما
يغذي روحه تغذية صحيحة تعرفه ما له
وما عليه، فيطالب بحقوقه ويؤدي
واجباته، وفيها يشاهد روح الترقى
وتيار النهوض القوي، وهذا ما يجعل
جل زائريها يشكرونها ويمدحونها عن
سائر البلاد، وإنني خرجت منها ولم
أخرج مسرورا، بل متأسفا على فراقها،
وأرجو من المولى أن لا يحرمني من
زيارتها ثانيا، وما ذلك إلا نتيجة ما
شاهدته فيها من نبوغ ونهوض وتيقظ،
... إنني كنت أسمع كل ذلك عن مصر

¹ - رسالة من بنونة لولده الطيب بتاريخ 29 أكتوبر 1928،
أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج
عبد السلام بنونة، ج.1، ص. 115.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**وأعرفه ولكن ضرورة أن الإنسان يتأثر
من رؤية الشيء أكثر من سماعه"¹.**

إن ما كانت تشهده مصر من ازدهار
فكري وثقافي وإقبال المصريين على
الصحف والمجلات وتداولهم في قضايا
وطنهم جعلت النخبة المثقفة تزداد
إعجاباً بمصر والمصريين، فصاروا
يتناقلون ويتداولون فيما بينهم
أخبار وأحداث النهضة المصرية، إذ
يقول محمد بنونة في إحدى رسائله لأبن
أخيه الطيب: "متى كنت أيها الأخ تسمع
زعيم الأمة يخطب الحكومة" 'بمرأى
ومسمع الحكومة' 'ويقول لها الأمة فوق
الحكومة. والحق فوق القوة. والضمير
الحي يجب أن يهتف بحياته وو إلخ
متى كنت ترى جمعا مؤلفا من الرجال
والشبان والنساء والصبيان مجتمعين
على قلب رجل واحد؟ متى كنت ترى ذلك
بالمغرب لولا زيارتك لمصر؟"².

كما عبر امحمد بنونة، في رسالة
أخرى³ عن هذا الانبهار من النهضة
المصرية لمحمد داود أخبره فيها بأن:

¹ - داود، حسناء، مراسلات وطنية وأخوية، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2016، ص. 57.
² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة، ج. 1، م. س، ص. 36.
³ - الرسالة مؤرخة 10 فبراير 1924.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

"المصريين مهتمون بالجرائد اليومية
وكل واحد يثابر في إخراج جريدته قبل
الثاني، ولذلك ترى الجرائد الأسبوعية
كلها فكاهية انتقادية على أحوال
البلاد وأخلاق بعض الناس، وهناك أيضا
مجلات أدبية انتقادية"¹، وذكر الطيب
بنونة هو الآخر في إحدى رسائله²
لأستاذه داود أنه بمجرد أن: "تركب
عربة أو سيارة مثلا، فتجد السواق
يباحثك في حالة البلاد واضطراباتهما،
وتجلس لمسح الحذاء، فتسمع ذلك الولد
المنحط الوسط، الحديث السن، يذاكر
أخاه في سياسة اليوم وأخبار الصحف،
وتمر على أدنى طبقات الشعب مرتبة،
فتراه يطالع كتابا أو جريدة أو غير
ذلك، فكيف بعد مشاهدة هذا يخرج
الإنسان من هذه البلاد وهو مسرور من
فراقها؟"³.

فهذا الانطباع الإيجابي الذي شكلته
النخبة المغربية المثقفة حول المشرق
بصفة عامة ومصر بالخصوص، سيجعلها
تعتبر زيارة المشرق فرصة للفرد
للتحرر والانعتاق من الجهل والجمود
الذي كان يخيم على المغرب

1- داود، حسناء، مراسلات وطنية، م. س، ص. 113.

2- الرسالة مؤرخة ب 2 دجنبر 1928.

3- داود، حسناء، مراسلات وطنية، م. س، ص. 57.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والمغاربة، وهذا الشعور عبر عنه
محمد العربي الخطيب عند سفره للمشرق
لأداء مناسك الحج سنة 1932، حيث دون
في مذكراته "كنت غريقا في بحر
الهموم والأوهام مكتوف اليدين مثقل
الرجلين بالسلاسل والأغلال، تشعر الروح
بظلمة حلت، فقطعت شعاعها وخنقتها،
وضيقت عليها مناجزها ولم تجد لدفع
ذلك سبيلا، ولا لطرده قوة ولا حيلة
فصارت تحارب العدو الهاجم، ولكن
محاربة المقهور مع القاهر، والضعيف
مع القوي، دام الحال كذلك والتقلبات
تتنوع والنوازل تتفرع، غير أن القصد
صادق والإخلاص ثابت، إلى أن وقع
انفجار مفاجئ كان مآله¹ التوجه إلى
بيت الله الحرام. فنعم المآل² والله
الحمد"³.

بل الأكثر من ذلك اعتبر امحمد
بنونة الرحلة للمشرق حاجة ضرورية
للفرد ليكمل تكوينه العلمي ويعزز
حسه الوطني. وأكد رأييه ذلك بإعطاء
نموذج محمد داود الذي قال عنه في
الرسالة السابقة الذكر إنه لا "يوجد

¹ - في الأصل كتبت هكذا: مثاله.

² - في الأصل كتبت هكذا: مثال.

³ - الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب م . س،
صص. 53-54.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

شاب مثله (أي محمد داود) بتطوان ...
في وطنيته الصادقة وإخلاصه الحقيقي
ومبدئه المستقيم وإطلاعه الواسع
واعتكافه على نفع الوطن ببث روح
الوطنية في تلاميذة المدرسة وغيرهم،
ولكنه في الوقت ذاته لا يزال يفتقر
إلى تلقي دروس في الوطنية وغيرها
بالمشاهدة وإني أعتقد اعتقاد الجزم
أنه إذا تلقى هذه الدروس العالية
يكون المثال الأعلى لنبوغ المغربي و
حد الإعجاز في الوطنية بسبب الصفات
التي ميزه الله بها. وإني أدعو الله له أن
يسر له سفرة لمصر والأقطار ليشاهد
زيادة على ما عنده من المعلومات
ليصل إلى المنتهى ويستحق زعامة
المغرب حقيقة"¹.

ولم يفت هذه النخبة المثقفة
مقارنة نهضة مصر بالجمود الذي كان
عليه المغرب إذ ذاك، حيث اعتبر
امحمد بنونة بأن "ساعة واحدة أمام
زعيم من الزعماء يستنهض الهمم آونة
ويحرض أخرى ويرتل آيات الوطنية لحظة
أخرى، كفيلة بتخفيف تخمة الاستعمار عن

¹ - رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطيب، بتاريخ فاتح
جمادى الثانية سنة 1347 الموافق 15 نونبر 1928، أنظر:
وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة، ج. 1، م. س، ص. 37.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الفؤاد المجروح، ورخيصة. ساعة واحدة
أمام هؤلاء الأحياء من بني الإنسان
تشتري بعشرات أعوام في الجلوس مع
هياكل فارغة من علمائنا (?) أو
زعمائنا (?) أو أوصائنا (?) أو ...
لا أدري بما أسميهم"¹.

هذا التعلق والارتباط القوي للنخبة
المثقفة بشمال المغرب بالنهضة التي
كانت قد بدت تسري في البلاد
المشرقية، سيولد لها كذلك الشعور
بالحسرة والغبن نظرا لما كان عليه
المغرب والمغاربة من تخلف فكري
وحضاري وتجدر الجهل والخرافة داخل
المجتمع المغربي بشكل مهول، هذا
علاوة على ما كان عليه العلماء
والفقهاء من جمود، واعتراضهم على كل
محاولة تجديد دون أن يكون لهم عليها
أدنى علم أو معرفة، وذلك ما عبر عنه
امحمد بنونة بقوله: "سيقول قائل
إنني أغالي في حب مصر وأحط من قدر
المغرب ... المغرب وطني ومحبوب لدي
وأود أن أسقي شجرة الحرية بدمعي
وأدافع عن استقلاله ورقيه بكل قواي.
و(أفدي) حريته بحياتي ولكن يا أخي
مع من؟ أمع الجهلاء؟ مع أصحاب

¹ - نفسه، ص 37.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

((الأقباب))؟ أم مع هياكل الجمود؟
... فلماذا لا أحبذ الحياة بمصر التي
هي مزرعة الشعور والوطنية ووطن
الإسلام والوطنية العربية؟¹.

لكن بالرغم من هذه الحسرة التي
كانت تشعر بها النخبة المثقفة، نظرا
لما كانت عليه أوضاع المغرب مقارنة
بالمشرق، فإنها في الوقت نفسه وجدت
في تلك النهضة المشرقية عاملا مهما
لتحفيز المغاربة، وإيقاظهم من
سباتهم الذي كانوا غارقين فيه، حيث
ستركز هذه النخبة في خطابها على
إبراز مقومات ومميزات الصحة
المشرقية، وما أصبح ينعم به هذه
الأخير من حرية ويقظة فكرية وعلمية
وفنية وأدبية. ولذلك كانت لا تتوانى
في استحضار النهضة المشرقية في كل
خطبها ومقالاتها الصحفية ورسائلها
المتبادلة، وتقديمها كنموذج إيجابي
يستوجب على المغاربة الاقتداء به.
ولذلك يقول محمد داود: "لو ألقينا
بنظرة عامة على العالم الإسلامي
عموما، لما انقلب البصر إلينا
خاصا، ولا بتهجنا كثيرا بالروح

¹ - نفسه، ص 37.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الجديدة التي عمت ... جل الأقطار الإسلامية إن لم نقل كلها"¹.

وجاء تركيز النخبة المثقفة بشمال
المغرب على إبراز مظاهر النهضة
بالمشرق، نتيجة وعيها بكون غالبية
المغاربة، عامتهم وخاصتهم، كانت
ترفض كل انفتاح على الحضارة الغربية
وما صاحبها من تطور تقني وعلمي.
وتعتبر أن أي إقبال عليها هو إتباع
"**لملة النصاري**"، وبالتالي كانت
الصحوة المشرقية فرصة لهذه النخبة
لتثبت للمغاربة بأن الدين الإسلامي لا
يعارض أو يخالف العلم الحديث وإنما
يحث عليه.

هذا علاوة على أن هذه النخبة
المثقفة، بالرغم من كونها كانت
مقتنعة بضرورة الانفتاح على العالم
الغربي وحضارته، فإنها في الوقت
نفسه كانت تتوجس من مغريات الحياة
الغربية، وخاصة بالنسبة للأطفال
والشباب المندفع، لأنها كانت ترى بأن
"**الطفل الصغير السن سهل الانقياد**"

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، "نحن والعالم الإسلامي..."،
م. س، ص. 10

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

سريع القلب¹. الأمر الذي قد يؤثر
سلبا على عقيدة الشباب المغربي
وانغماسهم في ملذات الحياة وانسلاخهم
عن هويتهم ولغتهم وثقافتهم بدل
الاهتمام بقضايا وطنهم التي رحلوا من
أجلها. ولعل ذلك ما دفع عبد السلام
بنونة إلى رفض طلب المقيم العام
خوردنا، الذي دعا لإرسال الطلبة
المغاربة لمتابعة دراستهم بإسبانيا،
وبرر بنونة رفضه ذلك بجوابه: "إننا
نود ذلك من صميم الفؤاد ويحول دون
مرغوبنا ما نراه من سلطة الكنيسة
على المدارس والكليات بإسبانيا، ولو
كانت هناك مدارس (لايكة) أي خالية من
السلطة الدينية لوجهنا بعثة مصحوبة
بفقيه مسلم للمراقبة على التلاميذ
ودرس العربية معهم حتى لا ينسوا
لغتها وأدبها الجميل"². كما دعا
محمد العربي الخطيب إلى أنه "لا
ينبغي للإنسان أن يضع (الطفل) إلا حيث

¹ - العربي الخطيب، محمد، "التربية البدلية"، جريدة
الإصلاح، عدد، 5. نقلا عن إسماعيل الخطيب، محمد العربي
الخطيب م. س، ص. 169.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
.... م. س، ج1، ص. 370.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

تثق نفسه بصلاحية حال من سيوضع عنده" ¹.

لكن هذا لا يعني أن هذه النخبة
المثقفة كانت متشدة في إرسال
الطلبة المغاربة للدراسة على أيدي
الأوروبيين والاطلاع على خبراتهم
ومعارفهم وتقديمهم الحضاري. وإنما
كانت فقط تحتاط من انزلاقهم وراء
مذاهب تبيح ملذات الحياة وتعارض
تعاليم الدين الإسلامي، بينما كانت
متساهلة مع الشباب المثقف والامتز
الفكر والثابت على عقيدته وهويته،
ولعل ذلك ما يؤكد الطيب بنونة في
إحدى رسائله ² لأستاذه محمد داود
يخبره فيها بالتحاقه بالجامعة
الأمريكية بالقاهرة المعروفة
بالتبشير إذ يقول له: "لا شك أنكم
... تعرفون ما هي الظروف القاهرة
التي جعلتني أنتسب إلى الجامعة
الأمريكية في القاهرة، رغم ما تلوثت
به من التبشير، وإنني ما كان يهمني
أمر التبشير فيها فإنني مستعد أن
أسمع زبورهم، وأعمل بقول المثل "على
من كتقرا زابورك يا داود" وإنما

¹ - العربي الخطيب، محمد، "التربية..."، م. س، نقلا عن
إسماعيل الخطيب، محمد العربي الخطيب....، م. س، ص. 169.

² - الرسالة مؤرخة ب 16 أكتوبر 1932.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يهمني أن لا أدخل إلى مدرسة كهذه
كرهها جميع المسلمين من جراء
عدوانها عليهم ولكن للضرورة أحكام،
وأنا مضطر للانتساب إليها ولو سنة
والاهتمام بدروسي العلمية التي هي
ضالتي المنشودة"¹.

وعموما فإن اقتناع النخبة
المغربية المثقفة بضرورة الحفاظ على
الهوية الثقافية المغربية الأصيلة،
واللغة العربية الفصحى، وكسب تعاطف
غالبية المغاربة الذين كانوا
متشددين في الانفتاح على أوروبا، كل
ذلك دفعها للبحث عن ذاتها في نماذج
نهضوية مشرقية ذات مرجعية إسلامية
قريبة من الواقع المغربي، لأن الإصلاح
الذي كان يحتاج إليه المغرب كما ذكر
محمد العربي الخطيب ينقسم "إلى
قسمين: إلى صلاحية دينية، وصلاحية
دنيوية، لأن الدين يأمر بإصلاحهما
معاً"²، ففي ما يتعلق بالإصلاح الدنيوي
يرى الخطيب أنه لا "يوجد خير من
أروبا غير أن الدين لا يسمح ... بذلك
وخصوصا في حق الأطفال الذين لم تتوفر
فيهم قوة عقلية يدفعون بها ويقبلون،

¹- داود، حسناء، مراسلات وطنية، م. س، ص. 83

²- العربي الخطيب، محمد، "التربية"، م. س، نقلا عن:
إسماعيل الخطيب، محمد العربي الخطيب.....، م. س، ص. 169.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

فالبداية إذن معها وخصوصا في حق الأطفال ممنوعة قطعاً¹.

وبناء على ما سبق نجد أن النخبة
المثقفة بشمال المغرب كانت تعمل بكل
ما أوتيت من دهاء وفطنة من أن أجل
توجيه أنظار المغاربة نحو النهضة
التي صارت تعم أغلب البلاد الشرقية.
وفي هذا الصدد نجد محمد داود يخاطب
المغاربة بقوله: "ألق بنظرك نحو
تركيا تلك الدولة الإسلامية العظيمة،
تجد أنها بمجرد ما تمثل أمامها شبح
الاحتلال اليوناني وغيره، فاغرا فاه
لابتلاعها والقضاء على حريتها
واستقلالها، قام أبناؤها الأشاوس
الأمجاد باسم الدين والوطن، وعلى
رأسهم الرجل العظيم مصطفى كمال
باشا، فغسلوا بدمائهم الطاهرة تلك
البقع النجسة التي كانت تشوه جبين
أراضيهم المقدسة. وبسعة معارفهم،
 وإقدامهم، تمكن نوابهم من الوقوف
بمؤتمر لوزان مرفوعي الرؤوس وموفوري
الكرامة، يخاطبون نواب أعظم دول
العالم مخاطبة الند للند،² مما أثبت
لمؤتمر الحلفاء إذ ذاك أنه لا يزال

¹ - نفسه، ص. 170.

² - فتى المغرب (داود محمد)، "نحن والعالم الإسلامي..."،

م. س، ص. 10

بالعالم شيء يقال له شعب إسلامي
يستطيع أن يملئ إرادته يتقبلها
الغير وهو من الصاغرين ... ثم وسع
نظرك قليلا أيها القارئ الكريم نحو
ما وراء ذلك تجد هناك أمتين
إسلاميتين نجيبتين: إحداهما هي الأمة
الأفغانية وعلى رأسها الملك العادل
الناهض أمان الله خان الذي نهض بأمته
نحو الرقي فأدرك ما أراد، وأسس من
المعاهد الأدبية والمادية ما ينتعم
بثمراته هنيئاً مريئاً. وإن لديه الآن
لجملة معامل لمختلف المنتوجات
السلمية والحربية حتى الطائرات !
ونحن ! .. والثانية هي الأمة
الإيرانية لتي يرأسها البطل المقدم
الشاه رضا خان. وهو اليوم سلك بها
مسلك المصلحين تحت رعاية العلماء
الناهضين المخلصين .. وبذلك النواحي
أيضا أمم إسلامية أخرى كبخارى وقوقاز
وتركستان وغيرها. وهي إن كانت متفقة
مع الاتحاد السوفياتي، لكنها متمتعة
بحريتها الدينية والسياسية. وتلك
جزيرة العرب وبها اليوم مملكتا
الحجاز واليمن تحت إدارة عاهليهما
العظيمين: السلطان عبد العزيز ابن
سعود، والإمام يحيى حميد الدين.
وكلاهما مستقل في شؤونه الداخلية

تمام الاستقلال .. وهناك وهناك .. ثم
إذا وليت وجهك نحونا تجد الأمة
المصرية النجيلة قد أخذت من المعارف
ما أصبحت تضاهي به اليوم أرقى دول
الغرب وأنجبت بسبب ذلك من الرجال
السياسيين والإداريين ما استغنت به
عن غيرها. وها هي الأمة التونسية قد
بدأت تخب نحو الرقي أيضا بما يناسب
ثروتها المادية وإن فيها لنهضة لا
بأس بها، وسوف يجني المخلصون من
ثمار مساعيهم ما تطمئن به نفوسهم،
ثم هؤلاء إخواننا الجزائريون قد
أخذوا يتحفزون لنفض غبار الخمول
عنهم أيضا فأسسوا المدارس والصحف
الحرية وغير ذلك مما يدل على أن روح
لحياة أخذت تدب فيهم أيضا"¹.

وهكذا كانت تترد في المغرب أصداء
النهضة المشرقية منذ مطلع العقد
الثاني من القرن العشرين²، وكانت
النخبة المثقفة تحاول أن تبرز في
خطابها أن تلك الصحوة جاءت كنتيجة
حتمية لنهوض الأمم الشرقية "من
سباتها العميق ونبذت ظهريا تلك

¹ - نفسه، ص. 10.

² - المساري، محمد العربي، المغرب خارج سياج الحماية
العلاقات الخارجية للحركة الوطنية، منشورات عكاظ،
الرباط، 2012، ص. 25

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأحمال الثقيلة التي كانت تنهك ما
بقي من قواها. وما هي إلا دورة من
دورات الفلك حتى أفلت من عداد
المنحطين. وانخرطت في سلك الناهضين
تلك هي الأمم التي لا زال دم الحياة
يسري في عروقه¹.

ولتؤكد هذه النخبة المثقفة
للمتلقي المغربي بأن تحرر الأمم
المشرقية من الجمود وسيرها نحو
النهضة والتجديد والتحديث لم يكن
على حساب الدين أو عن طريق العنف،
وإنما جاء نتيجة الاجتهاد، إذ يقول
داود: "تقدم جل تلك الأمم نحو الترقى
وما من وسائل عنيفة تمسكوا بها
لتقدمهم وما من ديانة فرطوا فيها
لإصلاح أمور دينهم فالعنف لا يصلح في
جميع الأحوال والدين لله والوطن
لأبنائه، والحياة للعاملين المجدين.
والوبال للمتكاسلين الخاملين"².

كما كانت هذه النخبة تحاول في
خطابها أن تبين بأن المشرق كان إلى
عهد قريب في نفس ظروف المغرب،
ويعاني من نفس مشاكله، إذ يقول محمد

¹- فتى المغرب (محمد داود)، "نحن والعالم الإسلامي..."،

م. س. ص. 10

²- نفسه، ص. 10

داود "نعم قد كان مثلنا عدد كثير من
إخواننا الشرقيين يقابلون كل سعي
نحو الإصلاح بفتور وجمود وينظرون إلى
أي تقدم اجتماعي نظر حذر وريبة.
ولكن سنة الله تعالى في خلقه قد قضت
بأن التردد لا يعمر طويلا. وأن
الحقيقة لا تلبث أن تظهر لمبتغاياها
وضاحة الجبين. وها هي أكثرية الأمم
الشرقية تمشيا مع ظروف الزمان قد
نهضت"¹.

ولتحفيز المغاربة وإيقاظ همهم
كانت النخبة المثقفة تلجأ في خطابها
إلى إبراز مظاهر النهضة الشرقية،
والطرق التي ساعدت على تحقيقها حيث
ذكر محمد العربي الخطيب أن "من يرى
سكك (ترامواي) القاهرة فإنه
يستعظمها، ويحسب أنها عمل حكومة
قوية ذات مال باهظ، وما ذلك إلا عمل
شركة جمعت رأس مالها بالتقسيت، حتى
قنعت من الشخص بإعطاء قروش خمسة
ليكون عضوا في ذلك الأمر العظيم.
فلما تم أمره وانتظم، وصارت تجني
ثمار ما غرست جاءت مؤسسات تشتري ذلك
الحظ الزهيد الأصل بمئات² من

¹ - نفسه، ص. 10

² - في الأصل كتب: بمآت.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الريالات، هذه إخواني وبني وطني
العزيز، بعض فوائد العمل والتعاون
والتعاقد والائتلاف"¹.

كما اعتبر أحمد الرهوني أن
الانخراط في صفوف الدول المتمدنة
واكتساب معارفهم وخبراتهم العلمية
والتقنية ليست مستحيلة إذا توافقت
الإرادة والرغبة والتضحية، إذ يقول:
"يا معشر الشبان متى أرى منكم فرقة
عظيمة تركب متن الكهرباء وتزاحم
الأوروبيين الذين يظنون أن لهم عقولا
فوق عقولنا؟ متى نرى لنا مطارا
تديره فرقة منكم، من أول من استخراج
معادنه إلى أن يصير بساط سيدنا
سليمان عليه السلام؟ لا تتوهم أن ذلك
محال، وأنه يحتاج إلى زمن بعيد.
فهؤلاء إخوانكم الأتراك والعراقيون
والحجازيون وغيرهم من المسلمين قد
صارت لهم مطارات واسعة في أقطار
شاسعة في برهة قريبة. فما عليكم إلا
أن توحدوا همتمكم وتوجهوها إلى الله عز
وجل ليعطيكم على قدرها. ثم تتأهبوا
وتنخرطوا في مطار تطوان إشبيلية
وغيرها من مطارات العالم. فدسوا

¹ - الخطيب، محمد العربي، "العمل والتعاون"، م. س، نقل
عن: الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب، م. س، ص.
189.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أنفسكم فيها بينهم ما بين خادم
ومتعلم فإني أضمن لكم ، وأنا
أستاذكم وأبوكم أن لا تمضي مدة قليلة
جدا حتى تتكون منكم فرقة تقوم
بالواجب القرآني والله على كل شيء
قدير، أُملي بكم وطيد والله على كل شيء
شهيد"¹.

¹ - الرهوني، أحمد، الرحلة المكية، م. س، صص 28 - 29.

الفصل الثاني: النخبة المثقفة بشمال المغرب: بين الدعوة لمحاربة الجهل والجمود والتوعية بأهمية التعليم

المبحث الأول: محاربة الجهل
والجمود قبل محاربة الاستعمار
في تصور النخبة المثقفة

1. الجهل آفة المغرب وسبب
خرابه.

تعليم تقليدي غير منظم وانتشار
الجهل والامية

شكل الجهل في خطاب النخبة
المثقفة بشمال المغرب أحد أعظم
الأسباب الذاتية التي قادت البلاد
للوقوع تحت الحكم الأجنبي وفقدانه
لاستقلاله¹ ، وكذلك أكبر آفة أصابت
المجتمع المغربي وتسببت في انحطاطه
وتأخره ، نظرا لما أصاب العقلية

¹ - عزيमान، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية
..."، م. س، ص. 33.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المغربية من رجعية وتخلف، وابتعادها
عن كل إبداع وتطور، فانحصر الاهتمام
على الموروث وتقديسه والاتكال عليه
دون بذل أي مجهود في عطاء جديد¹.

وكان من الطبيعي أن يصاب المغرب
بهذه الآفة إذا ما علمنا أن شمال
المغرب مثلاً إلى حدود عهد الحماية لم
يكن توجد به أية مدرسة عصرية لا
حكومية ولا وطنية²، باستثناء مدارس
الرابطة الإسرائيلية لليهود، التي
تأسست سنة 1862 بمدينة تطوان،
وبالعرائش سنة 1902، والقصر الكبير
سنة 1911 والمدرسة الكاثوليكية
للرهبان والفرنسيين بتطوان،
والمدرسة الأنجليكانية التي أسستها
البعثة البروتستانتية، إضافة إلى
مدرستين ستقوم بتأسيسهما الرابطة
الفرنسية بكل من العرائش سنة 1904،
وتطوان سنة 1905، ومدرسة أخرى قام
بتأسيسها أحد المغامرين الإسبان
بمدينة القصر الكبير بمبادرة شخصية
منه سنة 1908، وكذلك المدرسة
الإسبانية العربية بتطوان التي تأسست
سنة 1908، من قبل القنصلية

¹- الناصر، سعاد، "الحركة الثقافية..."، م. س، ص. 199.

²- داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 29.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الإسبانية. غير أن المغاربة كانوا
يقاطعون هذا النوع من التعليم¹.
وكان من النادر أن يلتحق أبناء
المسلمين بهذه المدارس².

في حين كانت الكتائب القرآنية هي
النوع الوحيد من المدارس التي يدرس
بها الأطفال المغاربة والتي يلتحقون
بها في نحو سن الخامسة³، حيث كانت
العادة أنه حين يصبح الصبي "قادرا
على النطق بالكلمات العامة، يرسله
أهله إلى المكتب القرآني (الجامع)
أو (المسيد)"⁴، الذي كان في الغالب
عبارة عن مكان ضيق⁵ "شبه حانوت أو
بيت واحد مربع أو مستطيل مفروش إما
بالتراب أو الآجر وفوق الأرض حصير
رقيقة قد يمضي عليها العام والعامان
دون أن تجدد وللبيت باب واحد يظل
مسدودا طوال اليوم في الغالب. وبوسط
حائطه كوة (نافذة) صغيرة منها يدخل

¹ - بوجداد، أحمد، السياسة التعليمية للحماية الإسبانية
بالمنطقة الخليفية سابقا، أطروحة لنيل دكتوراة الدولة في
القانون العام، جامعة محمد الخامس كلية العلوم
القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، ص.11.

² - عزيما، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية
..."، م. س، ص.31.

³ - نفسه، ص.31.

⁴ - فتى المغرب (محمد داود)، "حول التعليم الابتدائي"،
جريدة الإصلاح، عدد 203، 4 دجنبر 192، صفحة بدون رقم.

⁵ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص.29.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

شعاع ضعيف من النور الشمسي في بعض
الأحيان وذلك كل ما يصل إلى أولئك
الصغار من الوسائل الطبيعية اللازمة
لحفظ الصحة العامة"¹.

وفي هذه البيوت التي لا تشبه
المدرسة في شيء، يجمع الأستاذ
(الفقيه) تلاميذه (المحاضرية)، دون
أن يراعي عددهم، حتى وإن كانت مساحة
البيت لا تتسع لاستيعابهم جميعاً، حيث
"يبقى الأستاذ ... يقبل كل من يرد
عليه ولو أدى الحال لجلوس المتأخرين
على نعال المتقدمين"²، في غياب تام
للمنافذ الكافية لتجديد الهواء. كما
كانت هذه الكتاتيب لا تتوفر على
السبورات والأقلام والأوراق والطاولات
والكراسي³. وإنما كان الأطفال
يفترشون الأرض⁴، ويكتبون الحروف
والآيات والسور القرآنية على لوح من
خشب بأقلام القصب والحبر (الصمغ)⁵.

وبداخل هذه الكتاتيب التي تنقصها
الكثير من عوامل الاهتمام بالطرق

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، حول التعليم "..."، م. س،
صفحة بدون رقم.

² - نفسه.

³ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 34.

⁴ - فتى المغرب (محمد داود)، حول التعليم "..."، م. س،
صفحة بدون رقم.

⁵ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 34.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

التربوية الصحيحة ، وكذا عوامل الصحة
والنشاط والحيوية الضرورية¹ ، كان
يقضي التلميذ عدة سنوات من عمره في
تعلم القراءة والكتابة وحفظ
القرآن²، بطرق تقليدية عتيقة³، تعتمد
على مناهج "روتينية"، ليتخرج منها
دون الحصول على المعرفة الأولية
اللازمة⁴. كما افتقدت هذه الكتابات
لأدنى شروط التنظيم، إذ كان الطفل
الصغير عندما يدخل إلى المسجد يجد
نفسه بين كثير "من أقرانه وآخرين
أكبر منهم سنا بأضعاف مضاعفة فينخرط
هذا الوارد الجديد في سلك سابقه
وقد يكون الفرق بين عمر الطبقتين
عشرين سنة أو أكثر. وغالبا توجد وسط
ذلك الخليط طبقة من لا يزالون عاجزين
عن النطق بالكلمات لصغر سنهم"⁵ ،
فيتساووا في درجة واحدة مع الذين
يحفظون القرآن ومن يقربون من حفظه⁶،

¹ - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، ص. 53.

² - عزيما، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."، م. س، ص. 31.

³ - العلوي، زين العبدین، المغرب...، م. س، ج. 3، ص. 388.

⁴ - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural de España en Marruecos (1912-1956)**, Editora Marroquí, Tetuán, p. 77.

⁵ - فتي المغرب (محمد داود)، حول التعليم...، م. س، صفحة بدون رقم.

⁶ - الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 26.

"لا فاصل بينهم ولا مميز لذي الثلاث
سنوات عن ذي العشرين"¹.

هذه الكتاتيب التي كان بعضها
يتجاوز عدد تلاميذه المائة، كانت
عبارة عن قسم واحد "لا طبقات فيه ولا
امتياز. والبرنامج العام متحد.
والمدة التي يقضيها به التلميذ كلها
على وتيرة واحدة هي أن يدخل الولد
إلى ذلك الجامع صباحاً فيقبض لوحته
الخشبية ويقرأ فيها ما شاء الله ثم
يمحو ما فيها ويستبدله بغيره حتى
إذا ما وصل وقت الفطور أو الغداء
غاب نحو الساعة ... ثم يرجع ويقضي
بقية يومه قابضاً على لوحته مجتهداً
في حفظ ما بها عن ظهر قلب وتكرار ما
يحفظه ولا عمل له غير هذا ... من
طلوع الشمس إلى غروبها وقد يزيد
بعضهم ما بعد المغرب ويبتدئ عمله في
الصبح"².

وفي ظل هذه الظروف كان التلاميذ
يجدون صعوبة كبيرة في التعلم والفهم
والإدراك، وكان من أكبر العقبات التي
يواجهها التلاميذ هي "عقبة التمرن

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، حول التعليم ..."، م. س،
صفحة بدون رقم.
² - نفسه.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

على القراءة والكتابة"¹، لأن أسلوب
وطريقة تعلمها في المسيد كان يعد من
"أشق الأعمال"² وأصعبها، لاعتماد
التلميذ على نفسه بنسبة كبيرة، دون
أن يجد من "يرشده ولا من يفهمه ولا من
يأخذه بيده"³، بل إنه كان يلقي
عقابا شديدا عند كل خطأ يقع فيه
أثناء عملية التخطيط على اللوح
(التحناش)، إذ يبدأ المعلم -عند كل
خطأ- "يعرك الأذن ويقرص الأفخاذ ويلطم
الخدود، فلا يخرج الطفل من تتبع
التخطيط إلا وقد تعب تعباً مضنياً
وقاسى من العذاب ما لا يتصور"⁴.

أما في حالة إذا صدر عن التلميذ
أي إهمال أو عبث، فإن الفقيه يصب
عليه جام غضبه بمقدار ما تكون بلغت
إليه نفسه "من العنف والثورة، ثم
ينهاه ضرباً والصغير يستغيث ولا يغاث
جزاء أنه لعب في لوحه بقصد يرفه عن
نفسه من جراء الملل القاتل والسجن
المهلك الذي هو فيه بهذا المسيد...
وليس الفقيه وحده جبار المسيد بل
هناك جبابرة صغار هم كبار التلاميذ

1- الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 25.

2- نفسه، ص. 25.

3- نفسه، ص. 26.

4- نفسه، ص. 27.

وقد يبلغ الخوف منهم في بعض الأحيان
أكثر من الخوف من الفقيه فيضطر
الولد للرضوخ لسائر رغبات من هو
أكبر منه لأنه قادر على الانتقام
منه"¹.

وكان هذا العقاب المفرط يدفع
بالعديد من الأطفال إلى ترك المسيد
دون تعلمهم الكتابة والقراءة ، فمنهم
من يلتحق بإحدى الصنائع التقليدية
بينما كان أغلبهم يبقى يتسكع في
الأزقة لا شغل له ، حيث يقضي "نهاره في
البطالة ما بين جلوس مع من يضحك ،
ووقوف مع من يمازح ويأتيه بالهزليات
والخرافات"².

هذا علاوة على أن نسبة الأطفال
الملتحقين بالكتاتيب القرآنية كانت
جد هزيلة مقارنة بمجموع الأطفال
الذين كانوا في سن التعلم³ ، لكون
التعليم بالمغرب قبل عهد الحماية
كان اختياريا بالنسبة للذكور ، أما

¹ - نفسه ، ص. 27.

² - الخطيب إسماعيل ، محمد العربي الخطيب... ، م . س ، ص. 157.

³ - عزيमान ، محمد ، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..." ،
م . س ، ص. 31.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) ----- عاهد ازحيمي

بالنسبة للإناث فكان لازل في تلك المرحلة مثار خلاف بين مؤيد ومعارض¹.

فحسب تقرير نشر بالجريدة الرسمية الإسبانية بتاريخ 25 أبريل 1913، قدر عدد التلاميذ الذين يدرسون بالمسايد في مدينة تطوان بحوالي 627 تلميذا كانوا متفرقين على 29 مكتبا قرآنيًا²، في حين كان مجموع الأطفال الذين هم في سن التمدرس بالمدينة المذكورة يصل إلى حوالي ستة آلاف (6000) طفل. وبالتالي فنسبة الأطفال الذين كانوا يدرسون بالكتاتيب القرآنية لا تتجاوز 10% من مجموع الأطفال³، والشيء نفسه بالنسبة لباقي مدن المنطقة الشمالية التي كانت خاضعة للحماية الإسبانية⁴.

عدد	عدد	المدينة

¹ - أخريف، مصطفى، "السياسة التعليمية في الشمال إبان الحماية وأوائل الاستقلال"، ضمن كتاب: شمال المغرب إبان فترة الحماية وبداية عهد الاستقلال، منشورات المعهد الملكي للبحث العلمي في تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديد، الرباط، 2014، ص. 221.

² - Luciano Lopez Ferrer, « **Notas para El estudio de la instrucción publica en Marruecos y especialmente en Tetuán** », Boletin Oficial, N. 2, 4 Abril 1913, p. 126.

³ - عزيان، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."، م. س، ص. 31.

⁴ - أخريف، مصطفى، "السياسة التعليمية..."، ص. 221.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
 لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
 عاهد ازحيمي -----

التلاميذ	الكتاتيب	
627	29	تطوان
272	8	العرائش
416	18	القصر الكبير
130	4	أصيلا
190	6	الشاون
1635	65	المجموع

فمن خلال معطيات هذا الجدول أعلاه، يتبين أن نسبة الأطفال الذين كانوا يلتحقون بالمسايد بشمال المغرب كانت جد ضعيفة . وفي نفس الوقت كانت تتلقى تعليما غير نظاميا تقليديا يرتكز بالأساس على الحفظ¹. ولذلك وصف أحد التقرير الإسبانية التعليم المغربي بكونه "كارثة: اكتظاظ في حجرات ضيقة وفوضى ولا نظافة ولا إضاءة ولا تهوية ولا ماء جاريا ولا مراحيض ولا تجانس في السن ولا مراقبة صحية ولا أثاثا مدرسيا، وفوق كل ذلك العقاب البدني"². فكانت النتيجة أن يبقى التلميذ على هذه الكيفية لمدة

¹ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 34.

² - أخريف، مصطفى، "السياسة التعليمية ..."، م. س ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تتراوح ما بين العشر والعشرين سنة¹،
قد يتمكن من خلالها بعضهم من حفظ
القرآن الكريم ومنهم من ينسحب دون
أن يتمه².

فنتج عن هذا الوضع تفشي الأمية
والجهل بشكل كبير، داخل أوساط
المجتمع المغربي بصفة عامة وشمال
المغرب بصفة خاصة³، وذلك ما أكدته
التهامي الوزاني بقوله: "ومن المخجل
في أمة عريقة في المجد كالمغرب يبلغ
أبنائها عددا عديدا من الملايين أن لا
يوجد بينها من يجدون الكتابة بها إلا
عدد ضئيل جدا"⁴.

الثقافة السائدة بالمجتمع المغربي

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، "حول التعليم..."، م. س،
صفحة بدون رقم.

² - عزيما، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،
م. س، ص. 31.

³ - الناصر، سعاد، "الحركة الثقافية بتطوان..."، م. س،
ص. 199.

⁴ - ابن يسف، سناء، المقامات الإبداعية عند التهامي
الوزاني (شخصيته وإنتاجه)، منشورات مكتبة سلمة
الثقافية، مكتبة الخليج العربي، تطوان، 2014، صص. 203-
204.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ساهم نظام التعليم غير الإجباري
الذي كان سائدا بشمال المغرب في
تفشي الأمية والجهل، وسيطرة العقلية
الخرافية على النفوس بشكل مهول ولافت
للنظر بين المغاربة¹. بل وحتى الذين
كانوا يدرسون بالمسيد كانت ثقافتهم
جد محدودة، لا تزيد عن حفظ القرآن
مجردا من أي فهم، لأن أغلبهم كان
"كالآلة تحاكي ما سمعت دون فهم ولا
إدراك"². فالتلميذ قد يقضي في
المسيد مدة تتراوح ما بين العشر
والعشرين سنة³، ويتخرج منه "وقد حفظ
القرآن كله أو بعضه. ولكنه لا يعرف
شيئا من واجباته الدينية ولا
الاجتماعية، ولا يعرف قواعد اللغة، ولا
أي شيء يفيد في حياته ومعاشه، فهو
لا يحسن حتى وضع الأرقام الحسابية،
فضلا عن كتابة رسالة أو تنظيم دفتر
أو إدارة أي عمل من الأعمال. بل قد
يبلغ العشرين من عمره وهو لا يحسن
قراءة الحروف المطبعية، لأنه لم يرها
في حياته بالمسيد، فإذا حاول قراءة
العلم، فإنه يضطر لتعلم قراءة الكتب

¹ - الناصر، سعاد، "الحركة الثقافية بتطوان..."، م. م. س،
ص. 199.

² - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. م. س، ص. 32.

³ - فتى المغرب (محمد داود)، "حول التعليم..."، م. م. س،
صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والأرقام ، وفي ذلك ضياع الوقت وبذل الجهد"¹.

كما أن الثقافة السائدة في ذلك
العهد بشمال المغرب بين الفئة
المتعلمة كانت تنحصر حول الفقه
والمسائل الفقهية² ، لأن التكوين
العلمي الذي كان يتلقاه الطلبة بعد
مرحلة الكتاب، لا يزيد عن بعض العلوم
التقليدية كالنحو واللغة والفقه
والحديث والتفسير والسيرة والتصوف³ ،
التي كان يدرّسها الفقهاء والشيوخ
والعلماء ، بالمساجد والزوايا ، بطرق
تقليدية تعتمد على الحفظ والإدمان
على قراءة وشرح بعض المتون
العلمية⁴ ، مثل "الأجرومية" و "الألفية"
و "التحفة" و "مختصر الشيخ خليل"
و "بردة البوصيري" وصححي البخاري
ومسلم و "موطأ" مالك⁵ ، دون أي تجديد
في طرق ووسائل التعليم ، ولا في
أهدافه ومواده⁶ . حيث كان "المشتغلون

¹ - داود، محمد، علي رأس الأربعين، م . س، ص. 34.

² - عزيما، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،

م . س، ص. 31.

³ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية ...، م . س،

ج. 1، ص. 246.

⁴ - نفسه، ص. 246.

⁵ - العلوي، زين العبدین، المغرب ...، م . س، ص. 388.

⁶ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية ...، م . س،

ج. 1، ص. 246.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالعلوم ... مكتفون بما في بطن
الكتب المبتذلة الغريبة من
المتناولين، في غير حاجة إلى بذل
الجهد في البحث والتنقيب، والعكوف
على مسألة واحدة بخصوصها ليصل إلى
التصفية أو ما يقرب منها"¹

في حين كان الاهتمام بمواد الثقافة
العامّة كالتاريخ والجغرافيا والآداب
والحساب وغيرها اهتماما ضعيفا أو
شبه منعد م² ، ومرتبطا بالميل
الشخصية للفرد³ . وفي هذا السياق
يذكر محمد داود بأن علم "مبادئ
الهندسة والمساحة" ، لم يكن يدرس
بالمساجد لكون أغلب العلماء كانوا لا
يعرفونه⁴ ، والشيء نفسه بالنسبة
للجغرافيا إذ يقول داود: "وهذا
العلم أيضا كان جل شيوخنا يجهلونه،
وكان بعضهم يعرفه معرفة سطحية لا

¹ - ابن يسف، سناء، المقامات الإبداعية ...، م. س، ص. 200

² - عزيما، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،
م. س، ص. 31 ؛ المجذوبي حسن، "التربية والتعليم من خلال
الوثائق الإسبانية على عهد الحماية"، ندوة: تطوان في
الوثائق الإسبانية على عهد الحماية، مطبعة المهدية،
تطوان، 1998، ص. 99.

³ - عزيما، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،
م. س، ص. 31.

⁴ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 60.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تسمح له بالتبسيط فيه وتدرسه تدریس المحققين"¹.

وحتى الطلبة الذين كانت تظهر
نجابتهم ويبدون استعدادهم لمتابعة
طلب العلم ويتوجهون إلى مدينة فاس
لدراسة في القرويين²، كانوا يتلقون
فقط العلوم الدينية، المرتبطة
بالحديث والفقه وأصوله. أما العلوم
العقلية كعلم الكلام والفلسفة والطب
والفلك والتاريخ والجغرافية
والكيمياء، فلم يكن لها مكان في
الثقافة المتداولة رسمياً في
القرويين³. مم أثر بشكل كبير على
التوجه العام للثقافة التي كانت
سائدة بالمغرب في تلك المرحلة، حيث
كان أغلب خريجي القرويين يتعاطون
للعدالة والتدریس في المساجد. وكانت
أعلى مرتبة يصل إليها البعض منهم هي
درجة الإفتاء والقضاء⁴، نظراً لانحصار
وظيفة القرويين في إعداد النشء
الصاعد للاندماج وسط النخبة المخزنية
والفقهية التي كانت سائدة بالمغرب

¹ - نفس، ص. 60.

² - المجدوبي، حسن، "التربية والتعليم..."، م. م. س، ص. 99.

³ - الحيمر، عبد السلام، النخبة المغربية....، م. م. س، ص. 152.

⁴ - عزيما، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."، م. م. س، ص. 31.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

آنذا ك¹ . وبالتالي كانت الصبغة
الدينية والفقهية والصوفية هي
الغالبة على ثقافة ذلك العهد².

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن
النظام التعليمي بالمغرب قبل عهد
الحماية لم يكن مستوفيا لمختلف
حاجيات البلاد ومتطلباتها الاقتصادية
والاجتماعية والسياسية، لانعدام وجود
مدارس تعنى بتخريج أفواج من
المتعلمين والمثقفين في فروع
المعرفة المختلفة، طبقا لما كان
يستوجبه وضع المغرب في أواخر القرن
التاسع عشر ومطلع القرن العشرين³ .
الأمر الذي نتج عنه جمود البنية
الثقافية المغربية وانغلاقها⁴ ،
فانخفض المستوى الثقافي العام
بالبلاد وكان الاطلاع على ما يجري في
العالم جد ضعيف. أما الوعي السياسي
فكان شبه مفقود ومنعدم، باستثناء
فئة قليلة سيكون لها دورها في نشر

¹ - الحيمر، عبد السلام، النخبة المغربية م . س، ص. 152.

² - عزيان، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."، م . س، ص. 31.

³ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية م . س، ج. 1، ص. 246.

⁴ - بوجداد، أحمد، السياسة التعليمية م . س، ص. 6.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوعي ووضع اللبئات الأولى للحركة
التعليمية والثقافية بالمنطقة¹.

دعوة النخبة المثقفة لمحاربة الجهل والأمية

شكل انتشار الجهل وتفشي الأمية
بشكل كبير داخل المجتمع المغربي،
وجمود البنية الفكرية والثقافية،
وكذلك الهجمة الاستعمارية التي تعرض
لها المغرب في مطلع القرن العشرين،
حافزا للنخبة المثقفة بشمال المغرب
لتلقت إلى الواقع المغربي لتدرسه
وتتعرف على ما كان يسود فيه من
أشكال التخلف والانحطاط². وذلك ما
عبر عنه محمد داود بقوله: "وإني ما
كنت لاستعمل قلمي بهذه الصفة لولا
تألّمي الشديد من حالتنا المتأخرة،
ومشاهدتي لكل من عدانا من الشعوب
يسعى نحو الرقي بخطوات ثابتة، ومنهم
من تقدم بعيداً، وأدرك من ثمراتهما
قسطاً وافراً، ومنهم من كاد، في حين

¹ - عزيमान، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،
م. س، ص. 32.

² - عينية، عبد المجيد، "مواقف المغاربة..."، م. س، ص.
167.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إننا على قصورنا جامدون، وعن مصلحتنا الحقيقية غافلون"¹.

وارتكاز خطاب النخبة المثقفة
بشمال المغرب بالأساس على مبدأ النقد
الذاتي، بربطها للأزمات الداخلية
والخارجية التي أصابت البلاد، بتفشي
الأمية والركود والجمود الفكري، الذي
كان عليه المغرب، وعدم انفتاحه على
المستجدات العالمية سواء العلمية
والصناعية أو السياسية، حتى صار
"قابلا للاستعمار"²، وفاقدا لسمعته
الدولية، إذ يقول الحاج عبد السلام
بنونة لولده الطيب في رسالة بتاريخ
27 مارس من سنة 1929: "اعلم يا
عزيزي أن بلادنا المغربية انحطت في
العلم والمعارف وضرب الجهل بها
أطنابه فكادت تكون همجية حقيقية فلا
لوم على الذين يخلقون عنها الأباطيل
إذا كان أهلها كما تعلم"³.

ومن هنا شكل الجهل في خطاب
النخبة المثقفة بشمال المغرب السبب
الرئيسي في كل الأزمات والأمراض

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، "حول التعليم..."، م. م. س،
صفحة بدون رقم.

² - بن نبي، مالك، شروط النهضة، م. م. س، ص. 156.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. م. س، ج1، ص. 99.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المجتمعية¹، التي كان يعاني منها
المغرب، واعتبرته "رأس الفضائح،
ومعدن القبائح ولا مصيبة أعظم منه"²،
ووصفه كذلك محمد العربي الخطيب
بكونه "من المصائب التي تقضي على
الإنسانية قضاء نافذا وتحكم عليها
بالإعدام"، لما للجهل من تأثيرات
سلبية وأضرار كبيرة على الفرد
والمجتمع لكونه "يطمس الحقائق،
ويميت النفوس ويوهم العزائم ويرث
الخمول ويفضي إلى الخراب والدمار"³،
نتيجة ضلال العامة والخاصة وانغلاقهم
وتعصبهم لكل قديم وتشبثهم به،
وتقديسهم لكل موروث حتى لو كان
وثنيا، مع رفضهم المطلق لأي اجتهاد
يساير مستلزمات الحياة العامة التي
تتغير مع مرور الزمن⁴.

كما اعتبرت النخبة المغربية
المثقفة أن الجهل من أقوى عوائق
العلم والمعرفة، وأشد موانع التقدم
والازدهار، ومن أكبر أسباب النكوص

¹ - "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح، عدد 205، 20 دجنبر
1926، صفحة بدون رقم.

² - عينية، عبد المجيد، "مواقف المغاربة..."، م. س، ص.
168.

³ - نفس المرجع والصفحة.

⁴ - معروف الدفالي، محمد، أصول الحركة الوطنية بين
السلفية المجددة والسلفية الجديدة، منشورات مجلة أمل،
الرباط، 2014، ص. 128.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحضاري، لكونه إذا تسلط على أمة،
إلا "وسلبها ما هي فيه من عز ومجد
وشرف وسيادة"¹، وأفقدها هيبتها
ومكاناتها ونزل بها إلى أدنى
مستويات الانحطاط والتخلف، على
اعتبار أن الجهل كما قال محمد داود:
"ما أثمر في أمة من الأمم إلا
الخرافات"². ولذلك وصف محمد المرير
التطواني الجهل "بالداء العضال في
هذه الأمة إذ ليس له دواء والجاهلون
للعلم ولأهله أعداء"³.

ومما زاد من خطورة الجهل بالمغرب
كونه صار مركبا وبنيويا، متجذرا في
الثقافة المجتمعية السائدة، ومسيطر
على العقليات. فأصبح الجاهل يعتقد
أنه على حق، ورأيه هو الصواب، فيفتي
في الناس بغير علم، ويرفض كل الحجج
العقلية والعلمية التي تخالف ما
يؤمن به، حيث "يسول الجهل والتقليد
للإنسان مسالك يسلكها وسبلا يتبعها

¹ - عينية، عبد المجيد، "مواقف المغاربة..."، م. س، ص. 168.

² - داود، محمد، "المرأة نصف..."، م. س، ضمن كتيب: بدايات
الفكر الوطني...، م. س، صص. 32-33.

³ - المرير التطواني، محمد، النعيم المقيم في ذكرى مدارس
العلم ومجالس التعليم، ج. 7، تخريج أحمد بن محمد
المرير، مراجعة جعفر بن الحاج السلمي، منشورات جمعية
تطوان أسمير، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2009 م. س،
ج. 7، ص. 187.

ظاناً أنه على نهج قويم، وطريق
مستقيم. معتمداً في ذلك على براهين
وهمية وحجج خيالية تقويه على ضلاله
وتحميه من الخذلان عن اتباع أوهامه.
فيظل مأسوراً تلعب به الأهواء وتتهافت
به الأدوية. تارة تسول له نفسه أو
يخلق أنه رأى مناما أو يقظة،
برهانا وينشر ذلك بين أمثاله من
الجهال ويذيعه في طبقته إذاعة تجلب
ضعفاء الأحلام فيعضل الداء وتعاظم
المصيبة وخصوصاً في مواطن يتفاقم
فيها داء الجهل ويقل دواء العلم¹،
فتنتشر الخرافات والأوهام بين الناس
ويصدقونها وتصبح بالنسبة لهم من
اليقينيات التي لا تقبل النقاش، فلا
يبقى بعد ذلك "للنهي والموعظة مجال،
بل يعد ذلك الناهي أو الواعظ من
الجهال أو الجاحدين أو الكافرين
بقدر تمكن تلك الأوهام من صاحبها"²،
وسيطرتها عليه.

إن وعي النخبة المثقفة بشمال
المغرب بخطورة الجهل ومدى سيطرته
على العقول، جعلها تقرنه في

¹ - الخطيب، محمد العربي، الحمادشة (1)، شمال إفريقية،
ع. 180، 6 دجنبر 1918. نقلاً عن: الخطيب إسماعيل، محمد
العربي الخطيب...، م. س، ص. 138.

² - نفسه، ص. 138.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كتاباتها بالشقاوة والغربة والفقر
والانحطاط والدمار والخراب والموت،
لإيمانها القوي بأنه "لا غرابة أقبح
من الجهل ... ولا شقاوة أقبح من
شقاوة الجهل .. ولا فقر أقبح من فقر
الجهل"¹، وأن "الجهل أسوء ما مات
الشقي به"².

وإلى جانب هذا الخطاب الترهيبى من
خطورة الجهل وعواقبه، كانت النخبة
المغربية تعتمد في كتاباتها أيضا
على التحفيز وإيقاظ الضمائر وتحريك
العواطف، إذ كتب داود في جريدة
الإصلاح، "كفى يا قوم كفى. فلقد تندت
جباهنا عرقا من كثرة ما طرق آذاننا
من التقرير على جمودنا المعيب،
وركوننا إلى الخمول المشين، ولقد والله
كلت مسامعنا من احتمال مختلف
الإهانات التي تلهج بها في شأن
أمثالنا السنة الأمم الشرقية
والغربية. ولقد والله مللنا من القيام
بهذا الوظيف الثقيل على قلوبنا،
الضاغط على أنفسنا، وظيف تعمير بيت

¹ - عينية، عبد المجيد، "مواقف المغاربة ..."، م. س، ص. 168.

² - نفسه، ص. 168.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الجهل والانحطاط¹. وتلك محاولة منها
لإيقاظ الهمم والضمائر من سباتها.

وعلى هذا الأساس اتخذت النخبة
المثقفة من محاربة الجهل والتوعية
بخطورته، اللبنة الأولى في مشروعها
للنهضة، قبل تفكيرها في محاربة
الاستعمار، لاقتناعها بأنه لا يمكن
تحقيق أي إصلاح إلا عن طريق إصلاح
الإنسان نفسه وتوعيته، والخروج به من
حالة الجمود والرجعية، ولا أدل على
هذا الموقف من كلام الحاج عبد السلام
بنونة الذي يعتبر رائد النهضة
الوطنية بشمال المغرب وباعثها، الذي
قال لولده الطيب: "الاستقلال والحرية
شيء يؤخذ ولا يعطى وأخذه بقوة السلاح
مع الجهل لا يدوم... ومحصل هذا كله
أن الأمة المغربية تتوقف على رجال
ذوي مقدرة في المعرفة بأنواعها
ليكونوا قادة للشعب يسيرونه حسب
إرادتهم لمصلحة الدين والوطن، ويجب
إيجاد هؤلاء الرجال عاجلاً"².

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، "حول المعارف العمومية"،
جريدة الإصلاح، عدد 201، 20 نونبر 1926، صفحة بدون رقم.

² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
22 شتنبر 1930، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية المغربية...، م. س، ج1، ص. 99

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كان لهذا الاقتناع حافز كاف للنخبة
المثقفة بشمال المغرب، لتطلق العنان
لأفكارها الإصلاحية والتجديدية،
والتعبير عن رغبتها الأكيدة للتعاون
بغية الخروج من حالة الجمود والركود
التي كان عليها المغرب ومسايرة
الشعوب الناهضة¹. وهو خطاب كان
يتكرر في أغلب كتابات هذه النخبة،
وخاصة عند محمد داود الذي عبر عن
تلك الرغبة بقوله: "فلنتق الله -نحن
المغربيين- في أنفسنا، ولنعمل
لتخفيف الجهل بما في إمكاننا.
فمآلنا وأئم الحق وخيم- فيما لو
بقينا جامدين- فهيا بنا لنعمل فلا
حياة إلا بالعمل، وكفى توانيا وقد
جدت الشعوب. وكفى جمودا وقد نهضت
الأمم... كفى اتكالا على غيرنا فما
حيي من حيي إلا بالاعتماد على نفسه،
وما هلك من هلك إلا بالركون إلى ما لا
يجدي من توافه الأمور"².

وفي السياق نفسه كان محمد داود لا
يتردد في دعوته للعلماء والنبهاء
لبذل مجهودهم من أجل إصلاح "أحوال
الأمة" وإنقاذها من مخاطر الجهل، عن

¹ - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، ص. 54.

² - داود، محمد، "المرأة نصف..."، م. س، صص. 32-33.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

طريق تهيهء الجو المناسب للنشء وشحد
أذهانهم وفتح آفاقهم¹ ، إذ يقول:
"أنت أيها العاقل المفكر، يا ذا
الغيرة على دينه وأمته ووطنه، يا
أيها العالم المطالب بالعمل بما
يعلم، يا أيها الطبيب الماهر يا
أيها السياسي الحكيم، يا ذا الدهاء
والمقدرة يا ذا ... ويا ذا... فهيا
أشفق من حال هذا الوطن الضعيف....
هو يستنجدك للنهوض به إلى المقام
اللائق بمثله بين الشعوب الحية، وها
هم إخوانك ... هاهي نكبة الجهل
والخمول قد دهمتهم فاعمل بربك
لتخفيف وطأتها"².

ونظرا للمرجعية السلفية للنخبة
المثقفة بشمال المغرب، نجدها تعزي
ما أصاب المجتمع المغربي من جهل
وتخلف، إلى التفريط في العلم
والعلماء والزيغ عن أصول الدين
الإسلامي، الذي يحث على العلم والعمل
والاجتهاد، وينبذ الكسل والخمول³.

وبالتالي كانت هذه النخبة ترى أنه
لا يمكن تحقيق أي إصلاح دون الرجوع

¹ - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود ..."، م. س، ص. 54.

² - داود، محمد، "سبيل النهوض ..."، م. س، ص. 19.

³ - عينية، عبد المجيد، "مواقف المغاربة ..."، م. س، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إلى الأصل واتباع السلف والابتعاد عن
البدع المحدثّة في الدين الإسلامي، حيث
يقول محمد بن محمد الزواقي بأنه:
"يمكننا أن نكون في مأمن وفي حرز
إذا كانت أفكارنا حرة سالمة. أما
إذا بقيت أفكارنا مقيدة ومصابة
ببهاته الأمراض الفاتكة... فهيهات أن
ننجا من الخطر ونتقدم ومنا على
التقدم وعلى ديننا ألف سلام... لأننا
ما دمنا متبعين أهواء قوم قد ضلوا
من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء
السبيل فلا فلاح لنا (في ديننا) ولا
نجاح في أعمالنا (تقدمنا)... قوم
جعلوا لله شركاء الجن، ونسبوا لهم ولا
نفسهم ما انفرد ما به الخالق وادعوا
الحول والقوة. ونبذوا القدرة
والإدارة وإن كثيرا من الناس
لفاسقون"¹.

هذه الآفة التي كان عليها المغرب
والمغاربة، زادت من حدة الوضع،
وساهمت في انتشار العديد من البدع
والأعراف والتقاليد، إذ يقول أحد
كتاب جريدة الإصلاح: "أن مرور أزمنة
الجهالة على بعض البشر وتقلبات

¹ - بن محمد الزواقي، محمد، "المنجمون والدجالون أو
علماء الغيب"، جريدة الإصلاح، عدد 311، 30 أبريل 1929.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**الظروف والأحوال فيما بينهم قد أحدثت
فيهم كثيرا من العوائد¹، التي قيدت
العقلية المغربية وأسرتها، وانزلت
بها نحو الخمول والاتكال والخوف
والشر، وما تولد عن ذلك من أوهام
وخرافات، التي إذا "تسلطت على عقول
شعب إلا وألحقت إنسانه بالحيوانات"²،
وأفقدته حريته في التفكير والاختيار
مما يدفعه لتسليم نفسه لغيره فيتحكم
في إرادته الشيء الذي أدى حسب تعبير
محمد بن محمد الوزاقي إلى "انقياد
البعض للبعض واتكال الواحد على الآخر
ليستمد منه القوة والإعانة. ويستشير
في الأمور المجهولة والأسرار المستورة
خلف... الغيب بواسطة ميمون.
وريحان. وعنق وقابوس وشمروش والأبيض
والأحمر وبرقان وشاغول وفاغول
وغيرهم"³.**

إذن، فما هو موقف النخبة المغربية
المثقفة من البدع والتقاليد التي
كان سائدة بشمال المغرب؟ وما هي أهم
الخطوات التي قامت بها هذه النخبة

¹ - "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح، عدد 207، 3 يناير 1927.

² - داود، محمد، "المرأة..."، م. س، صص. 32-33.

³ - بن محمد الزواقي، محمد، "المنجمون..."، م. س، صفحة بدون رقم .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----
للقضاء على الفكر الخرافي الرجعي
بالمنطقة؟

2. لا سبيل لإصلاح الفرد والمجتمع إلا بمحاربة البدع والتقاليد البالية

الجهل والوثنية أصل البدع
والخرافات.

كان لتفشي الجهل والامية في المجتمع المغربي، وانحصر الثقافة السائدة فيما هو ديني وفقهي، دور كبير في انتشار مجموعة من الخرافات والأساطير، وشيوع عادات وتقاليد وبدع بالية بين المغاربة وإيمانهم المطلق بها، رغم مخالفتها للعقل، وبعدها عن تعاليم الإسلام. لكن الجهل المركب الذي كان يسيطر على العقل والتفكير المغربي جعل منها حقيقة وواقعا يستوجب الإيمان بها واتباعها، حيث كان المغاربة يفسرون كل الظواهر الطبيعية والأزمات الاجتماعية التي تصيبهم تفسيرات غيبية خرافية، لا

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

تستند على منطق أو حجة عقلية، ولا
تمت إلى تعاليم الدين الإسلامي بصلة.

وتعزو النخبة المغربية المثقفة
هذا "الزيغ"، إلى أن المغاربة
بالرغم من اعتناقهم للديانة
الإسلامية، فإنهم لم يتخلوا بشكل قطعي
عن مجموعة من المعتقدات الوثنية
التي كانت سائدة بالمغرب قبل العهد
الإسلامي¹. وأن العديد من المغاربة
ظلوا متمسكين بمبادئها، فكانوا
يزيدون على الواجبات الدينية الكثير
من الطقوس، "التي كانت تنتهج في
الجاهلية من تقديس الأشخاص،
والحيوانات والأشجار والصخور،
والعيون والكهوف وغير ذلك... حتى
صاروا يعظمونها ويتبركون بها بل
ويعبدونها"².

وساهم الجهل بدوره في تعاظم
وانتشار هذه الآفة بين المغاربة،
فصار البعض يعتقد أنها من تعاليم
الدين الإسلامي ومرتبطة به، فزادوا
مغالة في تقديسها. ولذلك كانوا
يفزعون إلى الأضرحة ليستمدون منها

¹- اللوه، العربي، المنهال في كفاح أبطال الشمال، مطابع
الشويخ، تطوان، 1982، ص. 14-15.

²- نفسه، ص. 14-15.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

البركة والقوة، لتدفع عنهم البلايا
والنحس، وتشفيهم من الأمراض
ويستعينون بها لقضاء أغراضهم
وحوائجهم¹.

وبهذا الاعتقاد الذي كان يسيطر على
نفوس المغاربة تعددت أوجه "الضلال
والانحراف"، وتمادوا في تعظيم الأشخاص
إلى درجة تقديس الأماكن التي كان
يجلسون بها، والأشجار التي يصلون
تحتها والكهوف حيث كانوا يتعبدون
بها، والعيون التي يشربون ويتوضؤون
من مائها². أما القبور التي كانوا
يدفنون بها فكانت تبني عليها
الأضرحة، "وزخرفوها بما يجاوز حد
السرف بمراتب، واصطلحوا فيها على
بناء النواويس واتخاذ الدرابيز
والكسا المذهبة وتعليق الستور
والأثاث النفيسة وتزويق الحيطان
وتنميقها، وإيقاد السرج فوق تلك
القبور ككنائس النصرى، وسوق
الذبائح إليها، وإراقة الدماء على
جدرانها، والتمسح بها، وحمل ترابها
تبركا والسجود لها وتقبيلا، واستلام

¹- باحو، مصطفى، علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف
والقبورية والمواسم، منشورات جريدة السبيل، ط.2، 2007،
ص. 106.

²- اللوه، العربي، المنهال... م. س، ، ص. 14-15.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أركانها، والطواف حولها، والنذر
لأهلها وتعليق الآمال بهم والتوسل
إليهم بالله ليقتضوا لسائلهم
الحوائج"¹.

وعن بعض هذه المظاهر التي كانت
منتشرة بشمال المغرب بشكل كبير في
نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن
العشرين، يذكر العربي اللوه بقوله:
"لا زلنا نسمع ونرى ما يرتكب من
الكفریات في زيارة ضريح الوالي
الصالح مولاي عبد السلام بن مشيش دفين
جبل العلم من قبيلة بني عروس
الجبلیة فهذه القبيلة وجميع القبائل
التي تحيط بها ... یقیم أهلها هناك
مواسم وعلى الخصوص في نصف شعبان من
كل سنة ويدعون يوم النسخة، إذ
يهرعون إليه من مسافات بعيدة رجالا
وركبانا، للحضور إلى الضريح في ذلك
الموسم، الذي يختلط فيه الحابل
بالنابل مع اعتقادهم بكل عناد
وإصرار أن زيارة ضريح مولاي عبد
السلام بن مشيش ... سبع سنوات متصلة
أو منفصلة تعتبر أداء فريضة الحج،
ويسمونها حج المسكين، لذا يقوم

¹ - الناصري، المكي، إظهار الحقيقة، وعلاج الخليقة، (ص.
19-20) عن : باحو، مصطفى، علماء المغرب ومقاومتهم للبدع
....، م. س، صص. 105-106.

الكثير من الجهال والأغمار عند
حضورهم إلى الضريح في ذلك اليوم
المشهود بالطواف حول الضريح كما
يطوف الحجاج حول الكعبة المشرفة،
وهم يتضرعون إلى صاحب الضريح أن
يقبل دعاءهم، وأن يجيب مطالبهم.
وأيضاً فإن كثيراً من الناس يوصون قبل
موتهم بأن يدفنوا بجوار ذلك الضريح،
فتراهم يحملون الجناز من مسافات
بعيدة إلى جبل العلم ليدفنوا هناك
قرب الضريح"¹.

إن هذا التقديس المطبق للأضرحة
والسادات والاعتقاد في بركتهم
وسخطهم، جعل العديد من "العوام
وضعاف العقول"² يقدسون كل ما كان
يرتبط بأولئك السادة، بشكل فضيع إذ
يحكي العربي اللوه: "أنه في قبيلة
تمسمان ... يوجد ضريح بنيت عليه قبة
ومسجد، ... وعلى مسافة قريبة من
الضريح ... يوجد بيت صغير وفي داخله
قبر صغير لكلبة من نوع السلوقي ...
ومن السخافات التي ... تروي،
ويتناقلها أهل تلك القبائل ... في
شأن تلك السلوقية، أنها كانت مملوكة

¹ - اللوه، العربي، المنهال...، م. س، صص. 14-15.

² - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 144.

لصاحب الضريح، ... وأنه أوصى أن من
يقصد زيارة من الواردين على ضريحه،
فعليه أن يبدأ بزيارة السلوقية،
ويذبحون هناك الذبائح ويقبلون جدران
البيت الذي بني عليها، وربما يقرؤون
القرآن إلى غير ذلك من أنواع الزيغ
والضلال"¹.

وإلى جانب ما سبق كانت العديد من
العائلات والأسر تمارس مجموعة من
التقاليد والعادات الخرافية في
حياتها اليومية، اعتقاداً منها أنها
تطرد بذلك النحس والشؤم عنها، وتحمي
أفرادها من النكبات، التي قد تلحقها
في حالة مخالفتها لتلك العوائد، حيث
يقول محمد داود: "وفي بعض بيوت
تطوان عوائد وتقاليد خرافية، فهناك
مثلاً إخراج المكانس من الدار وتقطير
الزهر وغسل الثياب وصلح² الأطفال

¹ - اللوه، العربي، المنهال ...، م. س، صص. 14-15.

² - "فيما يخص العادة المسماة الصلح بالنسبة للأطفال
والنساء الحوامل، فهي عادة تتلخص في أن العوام يعتقدون
أن بعض ما يصيب المرأة الحامل من التوعكات الصحية
الطارئة، إنما يرجع لكونها محتاجة إلى ما يعرف بالصلح
وهو حرز معين تقوم بكتابته سيدة من الشريفات العمرانية
المعروفات بمدينة تطوان، وذلك في قطعة صغيرة من القصب
الرقيق الذي تغلق طرفيه بالشمع، وتجعل في أحد أطرافه
خيطة سميكة يسمح بتعليقه على من هو في حاجة إليه، وكذلك
الحال بالنسبة للأطفال الصغار، فقد يصابون بما يعتقد
الكبار أنه صادر عن الحاجة إلى الصلح كالبكاء الزائد عن
الحد أو غير ذلك فيلجؤون إلى مثل هذه الممارسات التي

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

والنساء الحوامل، وهناك ليالي وحفلات
أصحاب الزوايا ووعداتهم وتقديم
الشموع والزيوت والندور لهم، وهناك
عيادة المرضى واجتماعات العزاء،
وهناك أنواع من الأكل في أوقات
مخصوصة إلخ. فهذه بعض أشياء للناس
فيها عوائد متبعة يرى بعضهم أن
مخالفها معرض للمرض أو للموت أو غير
ذلك من النكبات"¹. كما كانوا يربطون
سلوكيات بعض الحيوانات بالكوارث
والمصائب من قبيل أن "النباح الكلب
دلالة على حدوث مصيبة ونعق البوم
إشارة على وقوع خراب وهروب الطيور
إشارة على قدوم وباء"².

كما يحكي اتهامي الوزاني أن
والدته كانت تلتجئ في دفع الآفات عنه
وعن أخيه "إلى ما تفزع إليه النساء
من سلسلة تمائم"، ويذكر أنها بمجرد
ما كانت تسمع بفقيه أو ذي صلاح إلا
وتبعث إليه ليعد لها التمام لتضعها

يعتقدون صلاحها وفعاليتها"، أنظر تعليق رقم (478) في
كتاب: داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 144.

¹ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 144.

² - "حالة التمدن"، جريدة الإصلاح، عدد 211، 4 فبراير
1927، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

في أعناق أبنائها، "لاعتقادها الشديد
في هذه العزائم والتمائم"¹.

وهذه الظاهرة كانت منتشرة بشكل
مهول وخطير بين المغاربة، وشملت حتى
بعض أهل العلم والفقه، لأن الأمم
"المنحطة فمهما اشتهر رجالها...
بالعقل والفهم والإدراك والسياسة
... إلا ويكون لأصحاب الضلالة والأقاويل
الفاسدة والاعتقادات الخرافية سلطان
على عقولهم وقوة على أفكارهم ولا فرق
في ذلك بين العالم والجاهل. والعاقل
والأبله. والنبیه والبليد. والصغير
والكبير"². الأمر الذي جعل محمد
داود يستغرب قائلاً: "من الغريب أننا
كنا نرى بعض من ينتمون للعلم
والنباهاة يحافظون على بعض تلك
التقاليد"³. ثم يعود داود لتبرير
سلوكهم ذلك بكونهم كانوا يحافظون
على تلك التقاليد، "خوفاً من أن يقدر
الله حلول نكبة من النكبات عقب
مخالفتهم شيئاً من تلك التقاليد،
فيعتقد العوام وضعاف العقول أن حلول
النكبة إنما جاء من مخالفة العوائد

¹ - الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، صص. 17-18.

² - سعيد التطواني، "التدجيل والدجالون"، جريدة الإصلاح،
عدد 207، 3 يناير 1927، صفحة بدون رقم.

³ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 144.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المتبعة، وقد يؤدي ذلك إلى الشرك بالله¹. غير أن الواقع يؤكد أن أغلب ساكنة شمال المغرب عامتها وخاصتها كانوا منتسبين "**لطريقة من الطرق الصوفية**"²، إذ لا تكاد تجد فقيها أو عالما إلا ودرس التصوف في زاوية من الزوايا أو في دروس خاصة³. وبالتالي كانوا ملزمين بإتباع أشياخهم. إذن فكيف ساهمت الطرق الصوفية والزوايا في تكريس هذه العادات والتقاليد بين المغاربة؟

دور الطرق والزوايا في انتشار البدع والخرافات.

اعتبرت النخبة المثقفة أن الطرق الصوفية والزوايا التي كانت منتشرة بشمال المغرب من أبرز العناصر التي ساهمت بشكل كبير في تكريس الجهل والتخلف بين المغاربة، وكذلك في انتشار وشيوع العديد من التقاليد والعادات الخرافية داخل المجتمع المغربي. وهو ما يؤكدّه العربي اللوه

¹ - نفسه، ص. 144.

² - الرهوني، أحمد، **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج. 2، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الطوبريس، ط. 2، 2001، صص. 5-6.

³ - الفلاح العلوي، محمد، **جامع القرويين والفكر السلفي 1873-1914**، منشورات مجلة أمل للتاريخ والثقافة والمجتمع، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1994، ص. 47.

بقوله: "إن الذين ينتحلون الطرق
الصوفية ويزعمون أنهم أولياء الله
المقربون وأنهم تفرغوا لعبادة الله
تعالى، وإرشاد الخلق إلى المحافظة
على الدين الإسلامي لا يزالون بدورهم
ينتهجون طرق التمويه والتلبيس
والتضليل التي كان ينتهجها الأحرار
والرهبان في الجاهلية، حتى جعلوا
الأغمار والجهال يعبدونهم
ويقصدونهم" ¹، عن طريق تضليلهم
واستعبادهم والاستحواذ على عقولهم
"بمختلف أنواع التلبيس والتدجيل،
معرضين عن بيوت الله فيحدثون إلى
جوانب المساجد، وقربا منها معابد
وزوايا ليصرفوا إليها أتباعهم الذين
يعتنقون طرقهم بكل عزم وعناد
لينالوا رضى من يعبدونهم من شيوخ
الطرق،... ولأولئك الانتهازيين في
استعباد الجهال واختلاس أموالهم
أفانين من التزوير والتدليس لا
تنحصر" ².

ونظرا لكون غالبية ساكنة المجتمع
المغربي كانت من الأميين الذين لا
يعرفون لا القراءة ولا الكتابة، وجدت

¹ - اللوه، العربي، المنهال م. س، ص. 17.

² - نفسه، صص. 17-18.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الزوايا والطرق الصوفية كل الظروف
المواتية لتتسع قاعدة المنتسبين
إليها وتتكاثر. ومن أبرز هذه الطرق
الصوفية التي كانت تتواجد بشمال
المغرب إبان احتلال الجيش الإسباني
لمدينة تطوان سنة 1913 نجد: العلوية
والرحالية والقنطرية والبدوية¹
والفاسية والناصرية والوزانية
والدرقاوية والحراقية والريسونية
والكتانية والقادرية والعيساوية
والحمدوشية والتيجانية والبقالية²
وغيرها من الطرق الأخرى.

فأثرت هذه الهيمنة السلبية
للطرقية على العقلية المغربية³ ،
نظرا لما كان يدعيه بعض شيوخ هذه
الطرق من قبيل أنه يجب على الصوفي
"أن يتحرر عقله من كل قيد من قيود
التفكير"⁴ ، وأن "لا يقف مع حرفيات
العلم وما سطره العلماء"⁵ ، "لأنه
أبغض شيء إلى الصوفية هي القواعد

¹ - بنخليفة الخلفي، محمد بن عبد الرحمان، المجتمع
القصري في المنتصف الأول للقرن العشرين أحداث وعادات،
مطبعة الأمنية، الرباط، 2015، صص. 111-112-113.

² - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية...، م. س،
ج. 1، ص. 306.

³ - الناصر، سعاد، "الحركة القافية..."، م. س، ص. 199.

⁴ - الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 111.

⁵ - نفسه، ص. 111.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المنطقية التي تخضع كل شيء للعقل والقانون"¹.

كما كان بعض شيوخ هذه الطرق يرون
-حسب ما أورد الاتهامي الوزاني- بأنه
يجب على الصوفي أن "يتحرر من نفسه
وشهواتها وما ألفته في تاريخ
حياتها، ... فيخرق عادة النوم
بالسهر والشبع بالجوع والأناقة
بالتبذل". وهي صفات تلزم على
المتصوفة اعتزال الدنيا دون أن
يقوموا بمجهود عقلي أو بدني "فكانوا
مترفين غير عاملين ملزمين الناس بأن
يقدموا إليهم ما هم في حاجة إليه من
متاع ورفاهية"²، حتى أصبح بذلك "اسم
الصوفي مرادفا لاسم البطال، الذي لا
يحترف ولا يعمل، ويطلب من الناس أن
يرزقوه"³.

فاستهوى هذا الاتكال العديد من
المغاربة الذين صاروا يختارون طريق
القوم لضمان لقمة عيشهم دون عناء.
كما أصبح من المسلم به لدى الكثيرين
أن التقشف ولبس المرقعات والانتماء
إلى الطرق يعتبر من صفات الصلاح

1- نفسه، ص. 115.

2- نفسه، ص. 114.

3- نفسه، صص. 113-114.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والبركة¹. الأمر الذي زاد من ركود
وخمول المجتمع المغربي وانحطاطه.
ولذلك كانت أغلب هذه الطرق الصوفية
محط انتقاد من طرف النخبة المغربية
المثقفة في مطلع القرن العشرين².
واتهمها بكونها قوة نابذة وعاملا
معيقا لكل تجديد وكونها منافقة
وخادعة وماكرة ومشعوذة توظف الدين
في الأغراض الشخصية، ومروجة لأجوبة
استسلامية وبدع وخرافات تتنافى وجوهر
الإسلام الصحيح، ومتواطئة مع
المستعمر³.

وفي ظل هذا الصراع كان شيوخ تلك
الزوايا ينصحون مريديهم بعدم
القراءة على يد أولئك المنتقدين
الذين يعادون طرقهم، حتى لا يفسدوا
عليهم توجههم⁴، هذا إلى جانب انتساب
معظم العلماء والفقهاء إلى بعض
الزوايا بعينها مثل الزاويا
الحراقية والتيجانية والكتانية

¹ - الفلاح العلوي، محمد، جامع القرويين م. س، ص. 49.

² - معروف الدفالي، محمد، "أصول الحركة الوطنية ..."، م. س، ص. 134.

³ - الرايس، مصطفى، "ملاحظات أولية حول علاقة شيوخ الزوايا بالاستعمار الفرنسي في الخمسينيات من خلال صحيفة الوداد"، مجلة المناهل، عدد 90/89، يونيو 2011، ص. 283.

⁴ - معروف الدفالي، محمد، "أصول الحركة الوطنية ..."، م. س، ص. 134.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والريسونية والقادرية¹. بينما كانت
أغلب الطرق الصوفية الأخرى بشمال
المغرب ينتسب إليها فقط العامة
الأميين، الذي لا يستطيعون القيام بأي
دور في مجال التثقيف والإرشاد².
وبالتالي لم يكن لتك الزوايا أي
إشعاع أو تأثير ثقافي³. وإنما كانت
تساهم فقط في نشر التخلف والجهل بين
مريديها لاقتصار أدوارها على جمع
الفقراء وقراءة الأذكار والرقص
الصوفي وإحياء حفلات المولد النبوي
الشريف وغيرها من المواسم التي كان
الفقراء يخرجون فيها إلى الشوارع
حاملين أعلامهم راقصين على إيقاع
الآلات الموسيقية⁴. في جو يغلب عليه
طابع الخرافة والجهل والوثنية.

ويصف محمد داود ما كانت تقوم به
الطوائف العيساوية والحمدوشية من
مظاهر خرافية بمدينة تطوان بنوع من
الحسرة والتأسف بقوله: "كل فرقة...
يخصص لها من كل سنة يوم كامل من

¹ - العلوي، زين العبدین، المغرب...، م. س، ج. 2، ص. 398.

² - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية...، م. س، ج. 1، ص. 306.

³ - العلوي، زين العبدین، المغرب...، م. س، ج. 2، ص. 398.

⁴ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية...، م. س، ج. 1، ص. 306.

أيام السوق التي تكون المدينة فيها
عامرة بأهل البادية فيخرج فيه رجال
الفرقة من زاويتهم "محيرين" تصحبهم
الطبول والدفوف والغيطات، وهم
يرقصون ويشطحون على نغامتها،
وشعورهم مدلولة على أكتافهم، وفيهم
المنتظمون في صفوف، ومنهم الماشون
على غير هدى بطريقة جنونية يخيفون
بها النساء والأطفال. وهكذا يقضون
النهار من الصباح إلى الليل يطوفون
بأسواق هذه المدينة فيذبج الناس لهم
الأكباش والجديان ويرمونها لهم حية
فيختطفونها منهم، ويبقرون بطونها
بأيديهم ويمزقون أعضاءها بأظافرهم
ويأخذ كل واحد قطعة، وبعد تلويث
ثيابهم البيضاء بالدماء والأرواث،
ومنهم من يأخذ في أكل ذلك اللحم
أمام الناس، ومنهم من يرمي به لأصحاب
النية والمتبركين، والناس ما بين
متأثر خاشع، وخائف هالع. وآخر يرمي
بالمال على سبيل الهدية، وأخرى ترمي
بسبيليتها (مندیلا) أو شمعتها أو
دريهماتها، وتؤمل من الشيخ الكامل
أن يقضي حاجاتها أو أن يأتيها بزوج
صالح أو ولد ناجح أو بقرة حلوب...
ثم يأتي دور "حمادشة"... وهؤلاء لا
يفترسون المواشي بل يضربون رؤوسهم

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالشواقير والكور وغيرها من الآلات
الحديدية والخشبية فتسيل دماء على
وجوههم وصدورهم وهم يرقصون ويضحكون
ضحك الفزع والجنون، ومع ذلك تمتلئ
شوارع المدينة وسطوح ديارها
بالمتفرجين والمتفرجات بالضحكين
والضاحكات والباكين والباكيات،
والجنون فنون، ولا حول ولا قوة إلا
بالله" ¹.

إن هذه الطقوس الخرافية التي كانت
تمارسها بعض الطرق الصوفية والزوايا
بشمال المغرب، وما كان يظهر على
المريدين من انقياد أعمى لشيخوخهم
حتى فيما يخالف العقل والمنطق ²،
والتزامهم بتنفيذ كل ما كانوا
يأمرونهم به من أوامر ونواهٍ، كان ولا
بد وأن يثير كل ذلك استغراب
المستعمر الإسباني، مما جعله يراهن
على الطرق الصوفية لتسهيل عمليات
بسط نفوذه على شمال المغربي، عن
طريق استمالة شيوخ الزوايا وكسب
تأييدهم لما لهم من نفوذ في أوساط
العامة والخاصة ³، حيث يؤكد الاسباني

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. م. س، ج 11، ص. 323-324
² - الفلاح العلوي، محمد، جامع القرويين م. م. س، ص. 53.
³ - العلوي، زين العبدین، المغرب م. م. س، ج 2، ص. 400.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أنجيل كابريرا أن "معرفة وضعية
الزوايا والطوائف التي تنتمي إليها،
ضروري لكل عمل سياسي أو عسكري
بالمغرب. فتأثير زعماء الزوايا
وشيوخ هذه المؤسسات على المريدين هو
تأثير كبير...، وبالتالي يجب الأخذ
بعين الاعتبار أن كل واحدة من هذه
الزوايا لها أتباع ليس في منطقة
الحماية الإسبانية فقط، وإنما كذلك
في المنطقة الفرنسية، وخارج المغرب
بالجزائر، وبين قبائل الصحراء.
ولذلك فاستمالة شيخ زاوية ما، إلى
الجانب الإسباني يعني خضوع مجال
ترابي معين. بينما في المقابل فإن
عداوة إحدى هذه الشخصيات الدينية
يعني معاداة آلاف واستعدادهم في أية
لحظة للجهاد"¹. فكان لهذه البدع
والمعتقدات التي تمارسها الطرق
الصوفية، ووقوفها إلى جانب المستعمر
حجة كافية للنخبة المثقفة لتعلن
عليها حملة شعواء وتدعو لمحاربتها².

¹- الشريف، محمد، "أضواء على المجتمع التطواني سنة 1913
من خلال مشاهدات الرحالة الإسباني آنخيل كابريرا"، ضمن
كتاب: المجتمع التطواني والتطور المعماري والعمراني،
تنسيق د. امحمد بن عبود، منشورات كلية الآداب والعلوم
الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي تطوان، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2009، صص. 136-137.

²- الخطيب اسماعيل، محمد العربي... م. س، ص. 83.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

موقف النخبة المثقفة من الطرق والزوايا

نتج عن هيمنة الطرقية على المجتمع المغربي، العديد من التأثيرات السلبية على الفرد والمجتمع، بسبب مساهمتها في شيوع وانتشار البدع والعوائد والطقوس الخرافية بين الأوساط المغربية، الأمر الذي جعل النخبة المثقفة بشمال المغرب في مطلع القرن العشرين تعلن عليها حرباً شعواء، وتلح على ضرورة محاربتها والقضاء عليها، على اعتبار أن ممارستها وطقوسها تدخل في نطاق الشرك بالله من جهة، ومن جهة ثانية اعتبرت أنها من الأسباب المباشرة التي ساهمت في تبليد الإدراك وتغيب العقل، ونشر ثقافة الخمول والاتكال، حتى صار الفرد سهل الانصياع والانقياد لغيره من "الضالين"، وطالبا لودهم ورضاهم وكثير الخوف منهم ومن أرواحهم، مما زاد من انحطاط المجتمع المغربي وخرابه.

وزاد تأثر هذه النخبة المثقفة بالفكر السلفي، من إلحاحها على ضرورة تطهير الدين الإسلامي من كل "زيغ وضلال وانحراف"، والرجوع إلى

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه
السلف الصالح¹. وكذلك ربطها للتحضر
والتمدن والرقى الفكري والحضاري
بضرورة تجديد المجتمع، وتطهيره مما
علق به من بدع وخرافات وأساطير
وعوائد "التي تنكر عليهم إذا دخلوا
في نظام التمدن ولذلك يجب أن
يجتهدوا كثيرا في إزالتها وليبدلوها
بما يناسب روح العصر والتمدن"²، لأنه
"لا يلبس ثياب التمدن أولئك الذين
ينزلون الخرافات منزلة الحقائق
ويتغردون بها... غير عالمين أنه لا
شيء يدنس تلك الثياب النقية ويلطخها
نظير الأكاذيب والأباطيل وإشاعتها
فيهم... فلا يمكن لأحد أن يحسن عوائده
وأخلاقه التمدنية إلا إذا رفع عن فكرة
الاعتقاد بمثل هذا الأكاذيب... وأنه
لا يمكن للتمدن أن يقبل في نظامه
أدنى عادة قبيحة أو خلق ردي ولا يقدر
أحد على الدخول تحت (التمدن) ما
لم يحسن عاداته وأخلاقه"³.

¹ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية...، م. س،
ج. 1، صص. 331-332.

² - "تجديد التمدن"، جريدة الإصلاح، عدد 207، 3 يناير
1927، صفحة بدون رقم.

³ - "حالة التمدن"، جريدة الإصلاح، عدد 211، 4 فبراير
1927، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وبهذا الاقتناع شكلت هذه الحركة
السلفية التي تزعمها في بداية الأمر
عدد قليل من ذوي الاطلاع والثقافة،
حركة مناوئة لكل مظاهر الانحراف
الديني كالتوسل بالأولياء واتخاذهم
شفعاء والتعلق بالأضرحة وزيارة
القبور والذبج عليها ورقص الصوفية
وحكايتهم وكرامات الأولياء واجتماعهم
للذكر وغير ذلك، مما اعتبرته هذه
النخبة المثقفة مخالفا لأصول الدين
الإسلامي قولا وعملا واعتقادا، وفي
الوقت نفسه كانت تدعو إلى التجديد
والاجتهاد وإصلاح المجتمع، الأمر الذي
جعلها وجها لوجه مع الطرق الصوفية
التي كانت مسيطرة على العامة¹.

ولتجنب التعميم أخرجت النخبة
المثقفة "الصوفية الطاهرة" من حربها
ضد الطرق والزوايا، التي "انحرفت"
عن أصول الدين الإسلامي، و"زاغت" عما
كان عليه سلف الأمة. وذلك ما يؤكد
العربي اللوه بقوله: "إني لا أسمح
لنفسي أن أطرق موضوع التصوف الطاهر
الذي يتحلى به عباد الله الصالحون،
الذين زهدوا في هذه الحياة ونعيمها،

¹ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية والثقافية ...، م. س،
ج. 1، صص. 331 - 332.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ليتفرغوا بشعورهم ووجدانهم إلى
عبادة ربهم، طبقا للتعليمات
الشرعية، التي جاء بها الرسول
الأكرم، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،
..... فهذا التصوف الصادق إن هو إلا
بحر زاخر عميق واسع الأرجاء...،
وإنما الذي يهم... هو استعراض بعض
الانحرافات التي يحتضنها... ممن
يسمون أنفسهم شيوخ الطرق لتضليل
الجهال واستعبادهم"¹.

وقام هذا الاستثناء على اعتبار أن
أغلب عناصر هذه النخبة المثقفة كانت
عائلات تنسب لبعض الزوايا
الموجودة بمدينة تطوان، وعلى رأسها
الزاوية الريسونية التي اشتهرت
بمجالسها العلمية، التي كان يحضرها
كبار فقهاء تطوان كالفقيه محمد بن
علي عزيمن والشيخ أحمد بن محمد
السلوي والعلامة المفضل أفيال
والفقيه محمد بن أحمد البقالي²،
وكذلك الحاج العربي بنونة الذي رفض
أن يسمح لابنه أحمد بالانتساب
للطريقة الحراقية مبررا رفضه ذلك
بقوله الذي جاء على لسان التهامي

¹- اللوه، العربي، المنهال م. س، ص. 17.

²- العلوي، زين العبدین، المغرب م. س، ج. 2، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوزاني: "إن ولدي محمد أريد منه أن
يقرأ وإن لنا طريقة رشيدة تلك هي
طريقتنا الريسونية، الطريقة التي
نفهمها ونعرف ظاهرها وباطنها، ونعلم
كل تفاصيلها، ولا يغيب عنها أحد من
أفراد العائلة، أما أمر هذا الذي
يريد أن يدخل محمد فإننا نجهله
تماماً"¹.

وبناء على ما سبق نخلص إلا أن
النخبة المثقفة ذات النزعة السلفية،
أخرجت الطرقيين من دائرة الصوفية،
بحجة تحريفهم للتصوف، بل وانحرافهم
عن أصول الدين الإسلامي، نظرا
لاعتناقهم لمجموعة من البدع
والضلالات²، والعوائد القبيحة، التي
لم يثبت وجودها لا "في الكتاب العظيم
أو في حديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم، أو حفظت أثرا عن الخلفاء
الراشدين ومن كان على نهجهم القويم
من التابعين"³، ولذلك فإنه حسب محمد
العربي الخطيب لا يمكن أن "يتخيل

¹- الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 102.

²- معروف الدفالي، محمد، "حرب السلفية الجديدة على
الطرقية حرب حدود أم حرب وجود؟"، مجلة أمل، العدد 42،
2014، ص. 73.

³- الخطيب، محمد العربي، "الحمادشة عود على بدأ"، جريدة
شمال إفريقيا، العدد 183، الثلاثاء 4 ربيع الأول 1337- 10
دجنبر 1918. نقلا عن: الخطيب اسماعيل، محمد العربي
الخطيب م. س، ص. 142.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

لعاقل أو يتكيف في وهمه، أن ما عليه
هؤلاء الجهلة من الدين، أو له أدنى
تعلق به، بل الدين الإسلامي بريء من
هذه الأحوال الفظيعة والخصال
المفجعة"¹.

والأكثر من ذلك اعتبرت هذه النخبة
أن ما كانت تقوم به تلك الطرق
والزوايا يسيء للدين الإسلامي، الأمر
الذي زاد من حنقها عليهم، وأصبح
"الفقهاء يشددون النكير ويعزي بعضهم
بعضاً على المصيبة التي أصابت الإسلام
وضياع الدين"². وكان الفقيه أحمد
الرهوني من أشد الناس اعتراضاً على
ما اشتهرت به الزاوية الحراقية
بالغناء والطرب، فصار يعلن
انتقاداته "صراحة في مجلس دروسه،
وفي سائر المجتمعات"، حتى تأثر شيخ
تلك الطريقة إدريس الحراق، وقال "ما
وجد الفقيه الرهوني ما يشتغل به
غيرنا"³.

فقد كانت للفقيه الرهوني "مواقف
شريفة في محاربة البدع التي كانت

¹ - الخطيب، محمد العربي، "الحمادشة عود..."، م. س، نقلا
عن: الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، ص.
145.

² - الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 90

³ - نفسه، ص. 90

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

معهودة لدى المنتسبين لبعض الطرق
الصوفية فهو أول من جاهر من العلماء
بإنكار شذخ الرؤوس وأكل الهوام
واللحوم النيئة وتخصيص الليالي
للرقص والشطيح واستحضار الجان
والتدجيل بذلك على المرضى المغفلين
وكذلك كان ينكر اجتماع الأحداث
والنساء على حلق الآلة والسماع
والذكر في الزوايا وغير ذلك من
المنكرات"¹.

كما اعتبر محمد العربي الخطيب أن
ما كانت تبتدعه تلك الطوائف من
أمر، "تضحك السفهاء وتبكي
العقلاء"²، وتجعل الأجانب يهزؤون
بالإسلام ويقبحونه، معتقدين أن ما
تقوم به تلك الطوائف الصوفية من
"الأعمال الشنيعة... التي تأباها
الإنسانية وتردها الطبيعة"³، من
الدين الإسلامي، فيقولون (الأجانب):
"ما أصعب هذا الدين الذي يأمرهم
بالرقص في شوارع المدن والتطويل
والتزمير، وأكل اللحم الملطخة

¹ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 108

² - الخطيب، محمد العربي، "الطوائف العساوية"، جريدة
الإصلاح العدد 49. نقلا عن الخطيب اسماعيل، محمد العربي
الخطيب...، م. س، ص. 147-148.

³ - الخطيب، محمد العربي، "الطوائف..."، م. س. نقلا عن
الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، ص. 148.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بنجاسة الدم والأقذار، وضرب الرؤوس
بالشواكير الحادة حتى يسيل دمها على
صفحات الوجه فيصبح أحدهم في معصية
عظيمة بعد طاعة، وفي أوساخ وأقذار
بعد رونق ونظافة وفي أتعاب ومشاق
بعد راحة "1. وبالفعل كتب أحد
المشارقة وهو علي عبد الرزاق يصف
دين أهل المغرب بقوله: "وللمراكشيين
دين عنيف، وإيمان كإيمان العجائز،
وللدين أحيانا بله وجنون إذ أوغل
فيه صاحبه بعنف وجمود"2.

ولعل ذلك ما جعل محمد العربي
الخطيب يعمل من خلال مقالاته التي
نشرها منذ 1917 على صفحات جريدتي
"الإصلاح" و"شمال إفريقيا"، على إظهار
زيف الطريقة المنحرفة³، والتشهير
ببعض الطوائف كالحمدوشية والعيساوية
وما كانت تجره من خرافات وضلالات
ينكرها الإسلام ويدعوا لمحاربتها⁴. إذ
كتب منتقدا الطوائف الحمدوشية:
"أناس يشقون رؤوسهم شقا ويصبون من

¹ - الخطيب، محمد العربي، "الطوائف..."، م. م. س، نقلا عن
الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. م. س، ص. 148.

² - "علي عبد الرزاق يسب دين المراكشيين"، مجلة الفتح،
عدد 49، الخميس 9 يونيو سنة 1927، ص. 8.

³ - الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. م. س، ص.
70.

⁴ - الخراز، محمد الحبيب، الصحافة بشمال المغرب من
التأسيس إلى الاستقلال، الرباط، 2012، ص. 206.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ويلات العذاب ما تقشعر منه الجلود،
وتتضعض لديه أركان الأفئدة، منهم من
يشق رأسه بحديدة يسيل عنها الدم
سيلانا يغير وجه صاحبه ويقبح منظره
ويشوه خلقته يظن ناظره من الدماغ قد
سال مع الدم وأن صاحبه عما قريب
يلحق بالموتى. أي جناية جناها ذاك
الرأس حتى يضرب ذلك الضرب الفظيع
ويؤلم ذلك الألم الموجه"¹.

كما اعتبر محمد العربي الخطيب أن
هذه الطقوس مجرد "أوهام وخيالات"²، لا
تقوم على أي أساس ديني، وإنما هي
فقط "أمور سخرية استهزائية
تياترية"³، ولذلك نجده في مقال نشره
حول العيساوية بجريدة الإصلاح يستنكر
قائلاً: "أما آن لهذه البدع أن تموت
ولهؤلاء الجهلة أن يتنبهوا ويعلموا
أنهم بين أمم ينظرون أعمالهم،
وينتقدون أحوالهم ويكتبون عنهم ما
يكتب في الجرائد المنتشرة في

¹ - الخطيب، محمد العربي، "الحمادشة (1)"، م. م. س، نقلا عن:
الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. م. س، ص. 139.
² - الخطيب، محمد العربي، "الحمادشة عود ..."، م. م. س، نقلا
عن: الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. م. س، ص.
145.

³ - الخطيب، محمد العربي، "الطوائف ..."، م. م. س، نقلا عن
اسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. م. س، ص. 148.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العالم"¹، مما "يجلب العار على الأمة الإسلامية"².

ونفس الموقف كان يتبناه الحاج عبد
السلام بنونة ضد "الطوائف الضالة"،
التي كان يعتبرها تلعب بعقول
المغاربة وتتصرف بشؤونهم، وتنشر
بينهم الاعتقادات الخرافية. حيث يحكي
التهامي الوزاني أنه لما عين بنونة
محتسبا بمدينة تطوان، قام بتهديم
ذلك "البناء الشامخ وأبطل أمره في
كلمة واحدة (كفوا عن هذه الخرافات
والكفریات)، وتوقع الناس أن يصاب
بآفة من الجن، فما زاده الله الواحد
الأحد إلا عافية وفضلا مع أجر وثواب"³.

كما حرم محمد بن عبد الكريم
الخطابي على الناس التعلق بالأولياء،
وحارب الطرقية بالريف، ودعا إلى
عقلنة بعض العادات والتقاليد⁴، وقام

¹ - الخطيب، محمد العربي، "الطوائف..."، م. م. س، نقل عن
اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. م. س، ص. 150.

² - الخطيب، محمد العربي، "الطوائف..."، م. م. س، نقل عن
اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. م. س، ص. 148.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. م. س، ج1، ص. ص. 116.

⁴ - المساري، محمد العربي، محمد بن عبد الكريم الخطابي
من القبيلة إلى الوطن، منشورات المركز الثقافي العربي،
2012، ص. 159.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إدخال تعديلات على "العرف" وجعله
متطابقا مع الشريعة الإسلامية¹.

وما جعل هذه النخبة المثقفة أكثر
تشددا في موقفها ضد الطرقية
المنحرفة، هو كون جل المنضوين تحت
لوائها، كانوا غير ملتزمين
بواجباتهم الدينية ومتخلين عن أصول
الدين الإسلامية الأساسية. في حين
كانوا متشددين في إتباع أوامر
أشياخهم². فتجد منهم من "يترك الصلاة
أو يؤخرها عن وقتها ويشرب الخمر
ويزني ويأكل الحرام ويكذب ويسرق
ويغتاب ويظلم ويفعل أعظم وأكثر من
هذا وهو بهذه الحالة يتشبث ببعض
أحوال يسمع أنها كانت حال بعض
الصالحين ظانا أنه مهما أدى تلك
الأحوال أو انتسب إلى ذاك الشيخ
انتسابا وهميا خاليا لا تضره مخالفة
الدين بل إن ذاك الشيخ هو الذي يقيه
من جميع ما يأتيه من العقاب عن
مخالفة الدين أو إهماله"³.

¹ - نفسه، ص. 163.

² - الخطيب، محمد العربي، "الحمادشة عود..."، م. س، نقلا
عن: الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، ص.
144.

³ - نفس المرجع والصفحة.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

تصحيح العقيدة وإصلاح المجتمع رهان النخبة المثقفة

هذا الموقف الذي اتخذته النخبة
المثقفة بشمال المغرب من "الطرقية
المنحرفة"، و"الطوائف الضالة"،
واتهامها لها بتشويه صورة الإسلام.
جعلها ترى أنه من الصعب عليها أن
تدافع عن الدين الإسلامي، إذا كان
يوجد "بداخليته مثل هؤلاء"، الطرقيين
الذين "يزعمون أن شيوخم يأمرونهم
بهذه الأمور الفظيعة... وأن أعمالهم
من قبيل الكرامات"¹.

غير أن وعي هذه النخبة بالمسؤولية
التي كانت ملقاة على عاتقها لتصحيح
العقيدة الإسلامية، وإصلاح المجتمع،
جعل أغلب عناصرها لا يتوانون في
العمل على زعزعة تلك الترسبات
الخرافية من العقلية المغربية
القائمة على الخوف والجهل، عن طريق
الدعوة الصريحة للرجوع إلى أصول
الدين الإسلامي "المحفوظة وموارده
المصونة"، وعدم الاكتراث والاغترار
بما كان يدعيه شيوخ الطرقية
المنحرفة "الذين تركوا أصول الدين

¹ - الخطيب، محمد العربي، "الطوائف..."، م. س، نقلًا عن
اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، صص. 148 - 149.

وراء ظهورهم واتبعوا الشهوات
والخرافات فصارت تلعب بهم كما شاءت
وتقلبهم في لجج المهلكات وهم لا
يشعرون"¹.

ولتثبت النخبة المثقفة لعموم
المغاربة مدى زيف ادعاءات الطرقية،
وتقيم عليها الحجة بأنها قامت
بتحريف "الصوفية الطاهرة"، لجأت
لمقارنة طقوس تلك الطوائف بالأصول
الحقيقية للتصوف. وذلك ما عبر عنه
محمد العربي الخطيب بقوله: "وهلا رجع
هؤلاء الجهلة عن بدعهم والتزموا طرق
أشياخهم الذين يدعون أنهم على
آثارهم وما هم إلا في أيدي الشياطين
يلعبون بهم كيف يشاؤون. أين تصفية
الباطن التي هي مدار الطريق، أين
الخمول مع هذا الظهور وأين العزلة
والبعد عن الناس مع هذه المزاحة
وأين البعد عن الرياء مع الوقوف في
صفوف الرقص مع الألوف وأين الإرشاد مع
هذه البدع وأين الأشياخ إذا أردنا
السلوك... فإن الطريق المسلك للقوم
مبني على الإخلاص في العمل والخلوة
والبعد عن الناس، والصمت عن اللغو

¹ - الخطيب، محمد العربي، "الحمادشة عود..."، م. م. س، نقلًا
عن: الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. م. س، ص.
145.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وملازمة الذكر ومداومة السهر والتهجد
والتمسك بالسنة والإرشاد، إلى الطريق
المستقيم، وأين هذه الأحوال الشريفة
مما نراه الآن من أهل بعض الطوائف من
الخروج عن الحدود واستبدال السنة
بالبدعة، وترك الشرع بهوى النفس"¹.

ولم تتوقف حملة النخبة المثقفة
المغربية لتصحيح العقيدة وإصلاح
المجتمع فقط على محاربة الطرقية، بل
شملت أيضا حتي الدجالين والسحرة
والمشعوذين، و"أصحاب التمويه والحيل
والضلالات والخرافات. الذين يزعمون
أنهم قادرون على كشف المستقبل
والاطلاع على ما خلف حجاب الغيب"².
فحتى هؤلاء المنجمون والدجالون
اعتبرتهم النخبة المثقفة "سبب كل
خطر وفضيحة، ولا هم لهم إلا بث
الدسائس والإيقاع بعباد الله في مهاوي
الأخطار والمهالك. لا يضمنون إلا الشر
والمكر والخداع. إذ ليست الرحمة من
شأنهم ولا الشفقة من أخلاقهم فكم
خربوا من ديار وأفقروا من بيوت
ونهبوا من نقود ونفضوا من جيوب
وفرقوا من شمل ودنسوا من طهر ولوثوا

¹- الخطيب، محمد العربي، "الطوائف..."، م. س، نقلا عن
اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، صص. 148-149.

²- سعيد التطواني، "التدجيل..."، م. س، صفحة بدون رقم.

من شرف ورملوا من نساء ويتموا من
صبيان وخدعوا من كبار إلخ، يفعلون
كل هذا ويفتخرون بحالتهم ومقدرتهم
الذميمة التي أوصلتهم لفعل ما تقشعر
منه الجلود وتتبرأ منه الإنسانية
والدين"¹.

ونظرا لما كان لهؤلاء الدجالين من
طرق وحيل مختلفة "ليوقعوا في شباكهم
ضعفاء العقول من ذكور وإناث بكلام
مصنوع أو فعل مرصود"²، ازداد الإقبال
عليهم بشكل كبير، و"ازدحام الجمهور
عليهم وتواردهم إليهم أفواجا سعيا
وراء اطلاعهم على ما في مستقبلهم من
فقر أو غنى أو تجارة وزواج أو طلاق
ومحبة أو كراهية وانتصار أو انهزام
وغير ذلك من أمور الغيب... ولا فرق
من هذه المصيبة بين الرجل والمرأة
والصغير والكبير والحسناء والشمطاء
يقصدهم الكل يبحث عن أمره وويلج
باب الغيب ليتراءى له ما وراءها
لعله يفوز ببغيته ويصل إلى ضالته
المنشودة على يد هؤلاء... رسل
الضلالة والفساد الذين يدعون أن
بيدهم مفاتيح الغيب... المريض يسأل

¹ - محمد بن محمد الزواقي، "المنجمون..."، م. س، صفحة
بدون رقم .

² - سعيد التطواني، التدجيل...، م. س، صفحة بدون رقم .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

عن مرضه والمسروق عن سرقته وعمن
سرقها له والثقاف لرجوعها. والمرأة
ترغب في دواء لمحبة والثيب تطلب
إقبال الخطيب عليها. والرجل كالمرأة
إما للمحبة أو الكراهية. وهذه للطلاق
وتلك لعكسه... وهذه مصيبة قديمة
عمت العالم بأجمعه"¹.

واعتبرت النخبة المثقفة هذا
الإقبال الكبير للمغاربة على
الدجالين والسحرة والانقياد لهم، من
الأخطار العظيمة التي ساهمت في تخلف
الأمة المغربية²، ونزلت بالإنسان "من
أعلى مراتب المجد والفخار إلى حضيض
الدناءة والانحطاط"³. لكون تلك
العادات لا طائل من ورائها سوى جلب
الإهانة والذل والاحتقار للإنسان
والإنسانية، لأنه حسب محمد بن محمد
الزواقي: "بطاعتنا لمخلوق مثلنا
وامتثالنا لأوامره وخوفنا منه نجلب
على أنفسنا وبالا لا نعلم أين يقف بنا
تياره المنحدر بقوة. والذي نفقد من
أجله الشرف والجاه. ونصير فريسة
باردة يطمع فيها كل خسيس ولئيم. ولا

¹ - نفسه.

² - محمد بن محمد الزواقي، "المنجمون..."، م. س، صفحة بدون رقم.

³ - سعيد التطواني، التدجيل...، م. س، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

مفر لنا من هذا ... إلا إذا نبذنا
هذه العقائد كلها ... ونحرر أفكارنا
من عقال العبودية"¹.

وعلى هذا الأساس فإن خطاب النخبة
المثقفة كان يصبو إلى تحرير عقول
المغاربة من هذه الأفكار الخرافية
والعادات السيئة، عن طريق الدعوة
إلى نفص غبار تلك المعتقدات
والتقاليد²، "التي يكثر فيها الكلام
على الشياطين والأبالسة والعفاريت
السليمانية"³، و"الابتعاد عن
العرافين والدجالين" والعدول عنهم
وعن "عوائدهم الخاملة"، والاعتناع
بأنه "ليس لمخلوق قدرة أو قوة لأن
ينفع أو يضر ويرشد و يضل ويفقر
ويغني". وفي المقابل كانت هذه
النخبة تدعوا إلى ضرورة التمسك
بالفضيلة والسمو بالنفس إلى أرقى
درجات الإنسانية⁴، وترك الخوف والكسل
جانبا وشغل الأفكار بما يعود بالنفع
على الأمة⁵، لأنه "لا حياة إلا بالعلم

¹ - محمد بن محمد الزواقي، "المنجمون ..."، م. س، صفحة
بدون رقم .

² - سعيد التطواني، "التدجيل ..."، م. س، صفحة بدون رقم .

³ - محمد بن محمد الزواقي، "المنجمون ..."، م. س، صفحة
بدون رقم .

⁴ - سعيد التطواني، "التدجيل ..."، م. س، صفحة بدون رقم .

⁵ - محمد بن محمد الزواقي، "المنجمون ..."، م. س، صفحة
بدون رقم .

ولا علم إلا بالعمل ولا عمل إلا بالعقل
ولا عقل إلا بالفكر ... وما سمت الأمم
لأوج السيادة إلا بالرجال المفكرين
ذوي الآراء والأفكار السامية، وما
انحطت الأخرى إلا بخضوعها واعتناقها
للعوائد الخاملة وتعظيمها لأصحاب
الأغراض الفاسدة"¹.

ولم يفت هذه النخبة أن تبرز بأن
الإنسان المسلم لا يجوز له أن "يقبل
قول الكاهن والعراف والساحر والملفك
والمموه ويتخذه عمرة لطريق سلوكه،
أو أن يستشير في كل أعماله الخاصة
والضرورية ويصدق جميع كلامه ويعمل به
ويتوكل عليه"²، لأن الشريعة الإسلامية
تنهى عن ذلك، وتعتبره شركا بالله، حيث
يقول محمد بن محمد الزواقي: "إن الله
الذي خلقنا وخلق الكون كله. هو الذي
جعل لنا عقولا نعقل بها ونميز بها
ضوء النهار وحلقة الظلام، والحسن من
القبيح، والخير من الشر. وهو الذي
ينفع ويضر، يحيي ويميت، ويتولى
الملك من يشاء ويذل من يشاء. وهو
وحده العالم بالأسرار، المطلع على
خبايا الصدور. جعل لنا أفكارا نفكر

¹ - سعيد التطواني، التدجيل ..."، م. س، صفحة بدون رقم.

² - سعيد التطواني، التدجيل ..."، م. س، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

بها في كل أحوالنا ونتأمل في مكنونات الكون وناموس الحياة"¹.

وارتكز خطاب النخبة المثقفة أيضا
على تبرئة الإسلام من كل تلك الصفات
والطقوس التي كان يمارسها الطرقيون
والدجالون والسحرة وإمالة "ما نسجته
يد الجهل من برقع أو حجاب" عن وجه
الشريعة الإسلامية²، والرجوع إلى جادة
الصواب، مؤكدين في خطابهم على أن
الدين الإسلامي هو "دين المدنية
والحضارة والارتقاء واللطافة والحنان
والرأفة والرحمة والوقار والعفاف
والحرية والاستقلال وتنزيه النفس عن
الرذائل والنقائص وأن يحب الشخص
لنفسه ما يحب لغيره، وأن يحترم ذاته
ونفسه، وأن لا يكلفها بما لا تطيق
لأنها خلق من مخلوقات المولى لا
يعاملها إلا بما يبيحه ولا يتصرف فيها
وإن كانت نفسه وذاته"³. أما غير ذلك
فهو مجرد زيغ وانحراف عن الأصول
الحقيقية للإسلام نتيجة الجهل

¹ - محمد بن محمد الزواقي، "المنجمون ..."، م. س، صفحة
بدون رقم .

² - بنونة، عبد السلام، "أعراس أم إفلاس"، جريدة الإصلاح،
عدد 210، 24 يناير 1927، صفحة بدون رقم .

³ - الخطيب، محمد العربي، "الحمادشة عود ..."، م. س، نقلا
عن: الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، ص.
145.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والتقليد الأعمى¹ ، ولذلك أكد محمد
العربي الخطيب على أن "كل مستبشع
ومشوه صدر عن منتسب للدين الإسلامي
ليس هو عارا وتشويها وتنقيصا للدين،
وإنما ذلك العار والنقص راجع لصاحبه
وفاعله فقط"².

كما ربطت هذه النخبة التمدن
بضرورة التخلي عن العوائد المنكرة،
وأن ينزع الإنسان من عقله وتفكيره
تلك الغشاوة التي تقوده إلى إثبات
الخرافات الوهمية والاعتقادات
الفاسدة³ ، سواء تعلق الأمر بتلك
العادات التي كان يمارسها الطرقيون
والدجالون السابقة الذكر، أو تلك
التقاليد الاجتماعية التي كانت تصدر
عن بعض العائلات والأسر، وخاصة
المتعلقة منها "بالمآتم والأعراس".
ولذلك اعتبرت هذه النخبة أنه "لا
ينخرط في سلك التمدن كل أولئك الذين
متى دخلت المنية بيت أحدهم نهضت
الضوضاء ... وطارَت صراخاتهم إلى قبة

¹ - الخطيب، محمد العربي، "الحمادشة (1)"، م. م. س، نقلا عن:
الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. م. س، ص. 139.

² - الخطيب، محمد العربي، "الحمادشة عود ..."، م. م. س، نقلا
عن: الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. م. س، ص.
146.

³ - سعيد التطواني، "التدجيل ..."، م. م. س، صفحة بدون
رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

السماء فتقشعر منها الأبدان وليتولى
الكمود والانزعاج على سامعيها"¹، كما
اعتبرت كذلك أن التمدن لا يقبل "أحدا
من الذين تثور في أعراسهم صيحات
زغاريت النساء وصرخات جوقات
الرجال"².

كما وقفت هذه النخبة على ظاهرة
الإسراف والتبذير في الأفراح والأتراح،
وعواقبها الاقتصادية والاجتماعية، حيث
يقول الحاج عبد السلام بنونة "طالما
جلسنا بمجتمعات إخواننا التطوانيين
على اختلاف طبقاتهم ودار محور
المذاكرات على الأعراس والأفراح فلا
نلبث حتى يتأوه هذا ويتضرع الآخر
ويتضرع الثالث من مصائب تلك العوائد
والأعراف، العائد علينا بالإسراف
والإتلاف"³.

واعتبر محمد بن التهامي أفيلال أن
هذه المظاهر من البدع المستحدثة
التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي
نتجت عن الجهل والتقليد وسكوت

¹ - "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح، عدد 210، 24 يناير 1927، صفحة بدون رقم.

² - "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح، عدد 207، 3 يناير 1927، صفحة بدون رقم.

³ - بنونة، عبد السلام، "أعراس..."، م. س، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العلماء، إذ يقول: "إن من رأى¹ ما
بلغت إليه حالتنا التقليدية للعوائد
في الوقت الحاضر، وقاسها بأحوال
وعوائد من تقدم من أسلافنا في الزمن
الغابر، في جميع الولائم والأفراح
وعموم المآتم والأتراح، علم أنها
حالة لا ترضى الله ولا رسوله ولا الناس،
وإنها حالة مؤذنة بالخراب والعدم
والإفلاس... لكونها تستلزم عدم
الاكتفاء بالمتيسر الموجود، وتستدعي
التكلف لاستحضار المتعذر المفقود،
وتقضي الإعراض عن الاقتصاد المحمود
شرعا وطبعاً، ومن الأسف أن تلك
العوائد استحكمت في جميع الطبقات،
بحيث اقتدت الطبقة السفلى والوسطى
بالطبقة العليا بمقتضى حكم العادات،
وتعذرت الوسائل، لكثرة الكلف فعدمت
المقاصد، ورضخ لذلك الجاهل وسكت
العالم، فعمت المفاسد"².

كما اعتبر أحمد السكيرج أنه "لو
صدع العلماء بما به صدع، لم يفد
العامّة إلا الإذعان لقبول نصيحتهم
ولصرعوا به البدع، التي عمت فأعمت

¹ - وردت في النص الأصلي هكذا: رءا.
² - أفيلال، محمد التهامي، تنبيه الأكياس للاقتصاد في
المآتم والأعراس، تقديم حسن الوركالي، ط. 2، تطوان،
2013، ص.1.

عيون ذويها، وزين لهم الشيطان
أعمالهم فيها، وبكل الأسف لم يلتفت
العلماء للعوائد التي أقعدت الذكور
والإناث في مخدع التبتل غير¹ المحمود
... على أن العامة وإن تغلب سوادهم
على أهل العلم فإن من أهل العلم من
يعد من زمرة العامة"²

ومما زاد النخبة المثقفة امتعاضا
من تلك الظاهرة، كونها كانت لا تقف
عند حد معين وإنما تزداد تعقيدا
وخاصة فيما يتعلق بتقاليد الزواج³،
حيث صارت العادة تفرض "وجوب اتخاذ
فرش مرفوعة، وزرابي مبثوثة، وأوان
نفيسة، وذخائر ثمينة وصادق بلغ
الغاية القصوى في الارتفاع، ووليمة
مصحوبة بسوابق ولواحق"⁴ كما "اعتاد
الناس الرفاهية وتنوعت المأكولات
والمشروبات والحلويات وتفننوا في
صنوف اللباس على اختلاف ألوانها
وتجافي أثمانها"⁵، حتى أصبح الزواج
مكلفا للعديد من الأسر ومتعذرا على

1- في الأصل كتبت الغير.

2- تقرّيط السكيرج، أحمد، حول كتاب تنبيه الأكياس ...، م. س، ص. 118.

3- بنونة، عبد السلام، "أعراس ..."، م. س، صفحة بدون رقم.

4- أفيلال، محمد التهامي، تنبيه الأكياس ...، م. س، ص. 10.

5- نفسه، ص. 82.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الكثيرين وخاصة الفقراء الذين
يشكلون السواد الأعظم من الأمة¹.

ونظرا لتجدر تلك العادات السيئة
بين الأوساط المجتمعية، صار من الصعب
التخلي عنها بسهولة. بل الأكثر من
ذلك ذكر محمد بن التهامي أفيلال أنه
لو أخل أحد بها "لقامت قيامة أنصار
العوائد ودعاة التقليد، ورموه
برذيلتي البخل والتقتير"². وهو ما
زاد من شيوعها بين الناس، الأمر الذي
جعل الحاج عبد السلام بنونة يستغرب
الأمر بقوله: "والعجب كل العجب من
كوننا نتألم ونتضرع، ونعترف بمرضنا
ونتوجع. وكلنا يقول: رغما عن كوني
لمبدإ³ التحديد والاقتصاد منتصر. لا
أرضى ولا تسمح نفسي بأن أكون أول
مختصر. ليلا يقال ... أن البخل هو
الذي حملني على ترك تلك العوائد
الشنيعية. وأهل بيتي لا يرضون سماع
هذه الأقوال. ويفضلون عنها إفلاسي
وإتلاف ما أملك من الأموال. فأنا
مغلوب على أمري ولو أفضي بي الحال
إلى بيع ملك أو رهنه أو طلب قرض ...
إلى غير ذلك من طرق الإسراف وإذا لم

1- نفسه، ص. 9.

2- نفسه، ص. 1.

3- كتبت في الأصل هكذا: لمبدء

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أفعل أكون مضغنة تلوكني الأفواه في
المجامع. وهذا أيضا ما يحملني على
تحمل ما لا أطيق. ويتركني في بحر
الحيرة غريقا"¹.

واعتبرت النخبة المثقفة تلك
العادات التي كانت متفشية بالمجتمع
المغربي من أكبر العوائق التي تدفع
الشباب للعزوف عن الزواج، وما ينتج
عن ذلك من مشاكل اجتماعية كشيوع
الزنى واللواط، لأن "التوغل في تلك
العوائد يعين قطعاً على انتشار
البغاء العلني والسري... (رغم) ما
فيه من المفساد والمضار الدينية
والصحية والاجتماعية"². الأمر الذي
جعل هذه النخبة تنادي بضرورة الحد
من هذه الظاهرة والعمل على تمزيق
"جبة هذه العوائد التي لا خير فيها
والرجوع إلى الاقتصاد المحبوب"³ عن
طريق "تسهيل طرق الزواج بسن لائحة
ترفع كل القيود العرفية وغيرها
وتزيل العقبات من طريق الزواج إلا ما
أمر به الدين وتقليل قيمة المهر ما
أمكن وجعله في طاقة كل إنسان في

¹- بنونة، عبد السلام، "أعراس..." م.س، صفحة بدون رقم.

²- أفيال، محمد التهامي، تنبيه الأكياس...، م.س، ص.1.

³- تقرير السكيرج، أحمد، حول كتاب تنبيه الأكياس...،
م.س، ص. 118.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

حدود الشرع الشريف مع ترك العادات
المبتدعة المتبعة التي لا فائدة منها
سوى ضياع المال والشرف"¹. وتيسر
الزواج على "الغني والفقير والمأمور
والأمير"².

ولتحقيق هذه الغاية نادت هذه
النخبة العلماء والوجهاء لوضع نظام
يحكم تلك التقاليد والعادات وفق
بنود تعمل لما فيه المصلحة العامة
وبما يقضيه الدين الإسلامي ويلزم
الناس بالخضوع له³. وذلك ما عبر عنه
الحاج عبد السلام بنونة بقوله: "ويا
حبذا لو اجتمع بعض سراة القوم من
سادتنا العلماء الأفاضل وحضرات
الأعيان الأمثال وقرروا لنا القدر
المتاح لإشهار النكاح. سنوا بذلك
قانونا تلتزمه الأهالي. ويقف عنده
المتغالي"⁴.

وقد حاول محمد بن عبد الكريم
الخطابي الحد من ظاهرة الإسراف في

¹ - أفيلال، محمد التهامي، تنبيه الأكياس ...، م.س، ص.12.

² - نفسه، ص.9.

³ - بكبوط، محمد، "أضواء على بعض مواقف العلماء من بعض
الظواهر الاجتماعية بتطوان خلال عهد الحماية"، ضمن ندوة:
تطوان على عهد الحماية 1912-1956، مطابع عكاظ، الرباط،
1992، ص.263.

⁴ - بنونة، عبد السلام، "أعراس ..."، م.س، صفحة بدون
رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأعراس بمنطقة الريف، حيث ألغى عادة
تمديد حفلات الزواج واستضافة العروس
كل يوم في أحد البيوت. وحدد الصداق
في قدر أقصاه خمسين ريالاً¹.

كما دعت هذه النخبة المثقفة إلى
عدم الاحتفال بالختان والتنافس فيه
إلى حد الإسراف، ونفس الشيء بالنسبة
لحفل قدوم الحاج التي تكلف "صوائر
باهضة مع تنافس وتفاخر"²، مما سيزيد
من تعقيد فريضة الحج التي ستصبح غير
مستطاعة إلا إذا توفر الحاج "على
كمية زائدة على ما سينفقه على لوازم
سفره لإقامة حفلة القدوم"³، كما نهت
أيضاً هذه النخبة عن التباهي
والتنافس في شراء أضحية العيد⁴.

ونهدت هذه النخبة أيضاً عن العديد
من العوائد التي ارتبطت بالمآتم
والأتراح التي كان من المفروض "أن
تكون موضع العظة والاعتبار، لا موضع
المنافسة والافتخار، وأن تكون موضع
الإذعان، لا موضع الإعراض عن أوامر الله
والابتداع"، من قبيل البكاء والعويل

¹ - المساري، محمد العربي، محمد بن عيد الكريم الخطابي
...، م. س، ص. 159.

² - أفيلال، محمد التهامي، تنبيه الأكياس ...، م. س، ص. 60.

³ - نفسه، صص. 60 - 61.

⁴ - نفسه، ص. 60.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أمام مسمع ومرأى المريض المحتضر،
والنوح على الميت وضرب الخدود
وتمزيق الثياب والصراخ وتأخير دفن
الميت حتى تحضر الجماهير، وتزيين
القبور والمنافسة في طرق بنائها،
والتكلف في تقديم الأطعمة الفاخرة...

1

وبالإضافة إلى هذه الدعوة للحد من
الإسراف، نهت النخبة المثقفة في الآن
ذاته عن البخل ونادت إلى صرف الأموال
الفائضة في مساعدة الفقراء والأعمال
الخيرية والاجتماعية والثقافية²، كما
أكدت هذه النخبة أنه "لا يوجد اعتبار
لأولئك الذين ينفقون المبالغ الوافرة
على تجهيز المآدب الفاخرة والولائم
الحافلة في أيام المواسم والأعياد ولا
يدفعون فلساً واحداً لعمل الخير...
ولا يوجه أحد منهم خطوة في سبيل
الجميل والإحسان وإذا وجد بينهم من
يقصد ذلك الفعل سد الآخرون طريقه
بحجارة الملامة كما يرمونه بها لو
تأخر في مسابقتهم إلى قضاء تلك
الرسوم الباطلة"³.

¹ نفسه، صص. 62 - 63 - 65 - 66 - 70 - 74.

² بوكبوط، محمد، "أضواء..."، م. س، ص. 263.

³ - "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح، عدد 207، 3 يناير 1927،
صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ولذلك دعت هذه النخبة الطبقة
الغنية من المجتمع و"من كانت له
فضلة تفضل من ماله عن الضرورات
الشرعية" إلى مواساة الفقراء
والمساكين والمتشردين عن طريق إعانة
"الجمعيات الخيرية التي من شأنها أن
تنقذ الفقراء والمساكين والبؤساء
الذين تكتظ بهم الشوارع، من حالتهم
التعساء التي يرثي لها ويخجل منها
وجه الإنسانية وتقوم بشؤونهم من
مأكول ومشروب وغطاء ووطاء"¹.

كما دعت هذه النخبة أيضا إلى
استغلال تلك الأموال الفائضة في تعليم
البنات وتدريبهن على بعض المهن
العصرية وخاصة المتعلقة بالطب
والولادة. هذا علاوة على دعوتها إلى
"إنشاء المدارس العلمية الأهلية...
التي يعود نفعها على الدين والأمة
والوطن فتنهض (بالشباب) الذين هم
رجال المستقبل وتنقذهم من هوة الجهل
التي وقع معظمهم في قعرها ويتعلمون
ما ينفعهم في دينهم ثم دنياهم ثم
ينفعون غيرهم"².

¹ - أفيلال، محمد التهامي، تنبيه الأكياس، م. س،
صص. 35-36.

² - نفسه، صص. 35-36.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

إذا فكيف راهنت النخبة المثقفة
على التوعية والتعليم للقضاء على ما
كان يعاني منه المغرب من أمراض
مجتمعية، وما ينتشر فيه من جهل
وعوائد وبدع بالية وخرافية؟

المبحث الثاني: التوعية والتعليم أساس الإصلاح والنهضة في خطاب النخبة المثقفة بشمال المغرب

1. التعليم أساس الإصلاح في خطاب النخبة المثقفة بشمال المغرب

اعتبرت النخبة المثقفة بشمال
المغرب، أن الركيزة الأساسية التي
يمكن بواسطتها تحقيق نهضة وطنية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ترقى بالمغرب إلى مصاف الدول
المتقدمة والمتحضرة هو التعليم.
وذلك لاقتناعها بأن المغرب لا يتوقف
فقط على إدخال الإصلاحات المادية من
مؤسسات وقوانين وبنيات تحتية. بل
إنها كانت ترى بأن المغرب في أمس
الحاجة لإصلاح الإنسان المغربي نفسه،
الذي كان غارقاً في بحر الجهل
والخمول، وبالتالي فتعليمه وتوعيته
كان بالنسبة للنخبة المثقفة هو
الرهان الوحيد لنهضة المغرب، لوعيتها
أن انبعاث الأمة المغربية لا يتم إلا
برفع مستواها الفكري والثقافي قبل
علاج أي سبب من أسباب التخلف¹. وذلك
ما عبر عنه الحاج عبد السلام بنونة
الذي اعتبر: "أن التعليم هو أساس كل
إصلاح"²، وأنه "عندما تنعدم المعرفة
تنعدم معها جميع وسائل الإصلاح"³.

كما كان محمد بن عبد الكريم
الخطابي يرى أن التعليم هو أشرف
وسيلة للرقى بالمستوى المعرفي للأمة
المغربية وتمدنها، حيث اعتبر أن
المدرسة تمثل بالنسبة له "النشاط

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج1، ص. 143.

² - نفسه، ص. 141.

³ - نفسه، ص. 141.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوحيد الذي يليق بالأمم المتمدنة
تجاه الناس وأشرف وسيلة لنيل العطف
والتقدير، بشكل يعمل على نشر
الوفاق، وعلى تشجيع الصداقة بين
الأمم والشعوب¹.

في حين ذهب محمد العربي الخطيب
أبعد من ذلك، إذ اعتبر أن "أفضل
غذاء يقدم للصبي بعد استغنائه عن
لبان أمه وتربية أبيه على الوجه
الكفيل بنجاحه المستقل بصلاحه ...
غذاء التعليم لأنه روح الحياة وحياة
الروح ومشكاة العيش ونور العقل
ووسيلة الهداية. وكلما كان منظما
كان أوقع في النفوس وأعون على حصول
المقصود كما يشاهد في الأمم التي
أسست نظاماته وأتقنت إحكاماته. فوجب
الاعتناء بتنظيمه على طريق يفضي إلى
تسهيل تحصيله².

ومما يبين أكثر أهمية التعليم في
مشروع النخبة المثقفة وأسبقيته هو
ذلك الحوار الطريف الذي دار بين
محمد داود والشيخ علال الخطيب في
أوائل العقد الثاني من القرن

¹ - ماريا روسا ديمادريغا، محمد بن عبد الكريم
الخطابي.....، م. س، ص. 68.

² - محمد العربي الخطيب، "برنامج تنظيم التعليم" نقلا عن:
الخطيب إسماعيل، محمد العربي الخطيب....، م. س، ص. 211.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العشرين، حيث عبر داود عن حاجة
المنطقة إلى ضرورة إصدار الصحف
الوطنية فكان رد الشيخ الخطيب بأنه
"قبل إعداد الصحف يجب إعداد
القراء"¹، وذلك لوعيه بأن المغرب
كان أغلب ساكنته تعاني من الجهل
والأمية. وبالتالي فمن الصعب التواصل
معهم وإقناعهم دون تعليمهم
وتوعيتهم.

وجاء اقتناع النخبة المغربية
المثقفة بكون التعليم هو الكفيل
بإصلاح أحوال الأمة المغربية نتيجة
تأثرها بالحركة السلفية المشرقية
التي كانت ترى أن المسلمين لا ينقصهم
الرجال ولا العلم ولا المال، وإنما
تنقصهم التربية ومناهج التعليم. ومن
هذا المنطق اقتبست هذه النخبة فكرة
الرهان على التعليم لإصلاح المجتمع
المغربي من الشرق الإسلامي²، وما يؤكد
ذلك، الرسالة التي بعثها الحاج عبد
السلام بنونة لابنه الطيب بتاريخ 8
ماي 1930، والتي جاء فيها: "قرأت

¹ - الصفار، حسن، "الفقيه محمد داود الحركة الوطنية في
الشمال والمسألة الثقافية"، ندوة محمد داود الحركة
الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية، اتحاد كتاب
العرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1990، ص. 11.

² - السعود، عبد العزيز، "مسألة التربية والتعليم..."،
م. س، ص. 31-32.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مقالة في مجلة "الفتح" عدد 195 تحت
عنوان "الأزمة الحقيقية الحاضرة في
الإسلام هي أزمة التعليم"، بقلم أمير
البيان شبيب أرسلان أطربتني ورقصتني
كثر الله في أمثاله في الأمة الإسلامية
وبارك في حياته ونفعنا به وبأفكاره
الصائبة. فلا بد يا عزيزي أن تطالع
المقالة المذكورة بتأمل وإمعان نظر
وإنصاف فإنك تجدها جديرة الكتابة
بحروف الذهب"¹.

ونظرا لأهمية هذا المقال بالنسبة
للنخبة المثقفة، قام الحاج عبد
السلام بنونة بإعادة نشره بتطوان،
وتوزيعه بالمجان على الذين لم يكن
في وسعهم الاطلاع على مجلة الفتح،
وذلك ما تؤكد البطاقة الاستخبارية
التي أعدتها نيابة الأمور الوطنية
بتاريخ 21 ماي 1930 حيث جاء فيها:
"راج في الأسبوع الأخير كتيب يحمل
العنوان التالي: "الأزمة الحقيقية
الحاضرة في الإسلام هي أزمة التعليم"،
بقلم الأمير السوري شبيب أرسلان وهو
مقال سبق لمجلة الفتح القاهرية أن
نشرته في شهر أبريل الماضي وقد أعيد

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج1، صص. 372 - 373.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

طبعه بهذه العاصمة بالمطبعة المهدية
من طرف الحاج عبد السلام بنونة ويوزع
مجاناً. والغرض من هذا العمل هو
تعميم المقال وجعله في متناول جميع
المغاربة حسب ما أفاد بذلك بنونة
نفسه"¹.

ومن هنا كانت دعوة النخبة المثقفة
لنيل الجهل والجمود والعوائد
الفاسدة مقرونة بالدعوة إلى نشر
العلم والمعرفة وتعليم الأبناء
وإنقاذهم من براثن الجهل والامية،
وتحرير عقولهم من الخرافات
والأساطير، التي كانت تعمي الأبصار
وتسيطر على الأفئدة. وهذا الخطاب
يتجلى بشكل واضح فيما قاله محمد
العربي الخطيب الذي اعتبر أن
الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تساعد
الامة المغربية على الاندماج في
المجتمع الإنساني هو تعلم العلوم
وتثقيف العقول، إذ يقول: "فبغير
تعلم المرء العلوم الصالحة لتنمية
عقله وتثقيفه بالنواميس الكونية لا
يمكن له أن يخطو خطوة صالحة في هذا
المجتمع الإنساني بل تكون خطواته
كلها سائرة نحو الهلاك وحضيض

¹ - نفسه ، ص. 373.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

السفليات لا يعرف كيف أن ينفع نفسه
ولا غيره بل يجر الهلاك والوبال إلى
نفسه والناس من حيث يريد جلب
المنفعة ونفائس المصالح"¹.

وفي نفس السياق نجد داود هو الآخر
يقارن بين نشر العلوم والمعارف
بارتقاء الأمم، بينما يؤدي التفريط
فيها، إلى انحطاطها، إذ يقول:
"راجعنا تواريخ كل شعب في العالم
فوجدنا أن أول لبنة في صرح حياته
تشيد المدارس وتنظيم المعارف بحثا
في سبب ترقى من ترقى من الدول فما
وجدنا سببا أسبق من تحسين المعارف.
ورجعنا إلى أسباب انحطاط من مات من
الأمم فما وجدنا سببا أعظم من فساد
الأخلاق الناشئ عن التفريط في المعارف
الصحيحة. وإنما الأمم الأخلاق. إنما
أساس الأخلاق المعرفة"².

وعموما فإن إلحاح هذه النخبة، في
خطابها على نشر التعليم وتأسيس
المدارس والمعاهد وحث الآباء على

¹- الخطيب، محمد العربي، "نحن والتعليم... نصيحة وإرشاد"، جريدة الإصلاح، العدد 81 20 رجب 1338 - 31 مارس 1921. نقل عن: خطيب اسماعيل، محمد العربي م. س، ص. 162.

²- فتى المغرب (محمد داود)، "حالتنا العامة ووجوب تنظيم المعارف"، جريدة الإصلاح، عدد 223، 17 ماي 1927، صفحة دون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

تعليم أبنائهم جاء نتيجة اقتناعها
بأن: "العلم هو الفاعل الأكبر لتثقيف
العقل والمروء الأعظم لجماح الطباع،
والسبب الأهم لتسييد التمدن
والعمران. إذ أنه يرفع أفكار الإنسان
إلى الحقائق السامية فلا تعود دائرة
على مستحقرات الأشياء ويرسم في مرتاد
ذهنه صور الكيانات فتنطفي من قلبه
توقدات الحسد بنظره إلى زوايل
المحسودات ويطرد من صوره بواعث
الطمع بإدراكه حقيقة المطبوعات
وتلاشي من روحه بقية الأطوار المنتجة
للخراب كالقساوة ... والتقفل
والطمع ... والضغينة ... والكبرياء ...
والخيانة ...، وحينئذ تنمو به
الصفات الداعية إلى جلاله العمار
كالشجاعة والنباهة والمحبة والانضاع
والإحسان والوفاء والأمنية إذ يعود
خبيرا بفواعل تلك الأطوار الرديئة
ونتائج هذه الصفات الحسنة فبدون
تثقيف العقل لا يمكن للإنسان أن يدعى
متمدنا"¹.

وهكذا فرهان النخبة المثقفة على
التعليم لإصلاح أحوال الأمة المغربية

¹ - "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح، عدد 205، 20 دجنبر
1926، صفحة دون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

جعلها تلجأ في خطابها إلى تمجيد العلم وإبراز أهميته ونتائجه المباشرة على الفرد والمجتمع، والدعوة للأخذ بتلابيبه، والحث على ضرورة الانخراط في حركته. وخير مثال على ذلك ما أورده أحد كتاب جريدة "تلغراف الريف" في مقال بعنوان: "في العلم نهضة الأمم وحياتها"، الذي جاء فيه "أن العلم الحق هو نهضة الأمم وتقدمها ونجاحها... إن الإنسان هو ابن التربية، أي أن هذا الإنسان الذي تراه يبني الدور والقناطر، ويخترع الآلات، ويسبح في الماء ويطير في الهواء ويركب متن البخار، لم يكن كذلك، ولم يتسن له هذه الأمور لولا التربية، أي لولا ما نال من العلم والتدريب"¹.

بل الأكثر من ذلك اعتبر محمد داود أن العلم هو السر الحقيقي في ارتقاء الأمم وانحطاطها، وكذلك السر الذي كان وراء تدهور العالم الإسلامي وسقوطه تحت رحمة الاستعمار، إذ يقول بصيغة التساؤل: "وهل ترقى شعب في

¹ - "في العلم نهضة الأمم وحياتها"، تلغرام الريف، عدد 3341، 3 أكتوبر 1912، ص. 1787، نقلا عن: الطيبي، عبد الرحمان؛ الإدريسي، الحسين، التربية والتعليم في برنامج محمد بن عبد الكريم الخطابي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 1014، ص. 239.

العالم إلا بالعلم؟ وهل صير
الموجودات قسمين: سيدا ومسودا إلا
العلم؟ وهل كانت أمتنا الإسلامية سيدة
الأمم إلا بالعلم؟ وهل تدهورت في
مهاوي الهلاك فخسرت استقلالها وفقدت
عزها ومجدها إلا لما فرطت في العلم؟
فعفوا يا من لا يزالون حتى الآن
غافلين أو متغافلين¹. ولعل هذا
الافتناع بأهمية العلم في حياة
الأفراد والأمم هو الذي جعل محمد داود
يعتبر أن: "من لم يذق للعلم لذة...
لا مناص له من الموت الأدبي حبا أو
كرها"².

كما اعتبر محمد العربي الخطيب أن
"تعلم العلوم بجميع أنواعها"، هي
أساس "وجود الإنسانية في كل شخص"،
لأنه بفضل العلم "ينمو العقل والفكر
ويصل المرء إلى درجة يستحق بها أن
يقوم بواجبه نحو المجتمع الإنساني،
ويكون سيره في هذا المجتمع على نظام
صالح لعمارة هذا العالم، كما يكون
كل ما يبرر عنه نميا نواميس هذا

¹ - فتى المغرب (داود، محمد)، "نحن والعالم الإسلامي..."،
م. س، صص. 8-9.

² - داود، محمد، "تقرر عن المدرسة الأهلية في سنتها الأولى
- فذلكة تاريخية لسبعة أشهر من 23 الأولى إلى متم ذي
الحجة 1343"، نقلا عن: داود، حسناء، على رأس الثمانين،
مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2011، ص. 41.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الكون البديع النظام¹. لأن المجتمع
الإنساني والوطن حسب امحمد بنونة "لا
ينهض إلا بالعلم"²، ولذلك ربط (سعيد
التطواني) الحياة بالعلم والعمل حيث
يقول: إنه "لا حياة إلا بالعلم ولا علم
إلا بالعمل ولا عمل إلا بالعقل ولا عقل
إلا بالفكر"³.

وعرف محمد الميرر التطواني العلم
أنه "هو ما نور القلب وفتح البصيرة
وأكسب الخشية من الله، وأرشد إلى حسن
الأدب مع الخلق، وخفض الجناح لهم في
التعليم والنصيحة، دون عجب ولا بطر،
وليس العلم هو حفظ المتن ومطالعة
الكتب والأسفار، ورواية المسائل
والأخبار"⁴. لذلك كان يرى أن من أوتي
العلم الحقيقي والحكمة أوتي خيرا
كثيرا⁵. أما محمد داود فقد وصف
العلم "بالخير كله"، والذي توجد فيه

¹ - الخطيب، محمد العربي، نحن والتعليم...، م. س، نقلا
عن: خطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، ص.
161.

² - بنونة، أبو بكر، من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة،
م. س، ج. 1، ص. 43.

³ - سعيد التطواني، "التدجيل والدجالون"، م. س، صفحة
بدون رقم.

⁴ - الميرر، محمد، النعيم المقيم...، م. س، ج. 3، ص.
94.

⁵ - الميرر، محمد، النعيم المقيم...، م. س، ج. 3، ص. 94.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

"مصلحة الجميع في الدين والدنيا والآخرة"¹.

إن اقتناع النخبة المثقفة بشمال
المغرب بأهمية العلم والمعرفة في
تطور ورقي الأمم والشعوب، جعلها
تنتقد بشدة واقع التعليم التقليدي
الذي كان سائدا بالمغرب. واعتبرته
من الأسباب المباشرة في انتشار الجهل
والأمية واستمرار العقلية التقليدية
الرافضة لكل تجديد والاندماج في
الحياة العصرية الحديثة. ولذلك كان
خطابها موجها لجميع المغاربة عامته
وخاصته لتكثيف الجهود من أجل إصلاح
أحوال التعليم وجعله يساير حاجيات
العصر إذ يقول محمد داود: "ننصح بكل
خلاص، لكافة عقلاء الوطنيين من ولاية
وأهالي بأن يسيروا بالتعليم الأهلي
على طريقة تكون أقرب إلى النجاح...
فإن بمكاتبنا و يا للأسف، في غاية ما
يكون من التأخر والإهمال"².

فطبيعة و حالة هذه المكاتب التي
كان يدرس بها الأطفال، جعلت النخبة
المثقفة توجه نحوها انتقادات لاذعة،

¹ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 48.

² - داود، حسناء، على رأس الثمانين، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2011، ص. 54.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتعتبرها غير صالحة للتعليم وهي على
تلك الشاكلة، حيث وصفها محمد داود
بكونها "لا تفضل ... على معاقل
الحيوانات بشيء، سوى أنها مفروشة
بِحُصُرٍ ممزقة شر تمزيق، وقد سكنت بين
طيأتها حشرات، الله يعلم أنواعها
وعدها"¹. هذا علاوة على فساد هواء
تلك المكاتب بسبب الازدحام وغياب
منافذ للتهوية، مما كان يؤثر بشكل
سلبي على صحة التلاميذ البدنية
والفكرية². الأمر الذي جعل هذه
النخبة تتأسف في خطابها كثيرا على
مصير أولئك الأطفال ومستقبلهم دون أن
يجدوا من يشفق عليهم ويبادر
لإنقاذهم، حيث يقول محمد داود:
"يحتشد ... صغارنا إخواننا، أفلاذ
أكبادنا، رجال مستقبلنا، كقطيع من
غنم، هذا يموج في ذاك وذاك يئن من
ازدحام هذا، ونحن نرى ونبصر، ولا من
شفقة ولا من رحمة على أولئك الضعفاء
الذين نحتم عليهم أن يقضوا زهرة
شبابهم وزمن تكون أجسامهم، في تلك

¹ - نفسه، ص. 54

² - فتى المغرب (داود، محمد)، "حول التعليم ..."، م. س،
صفحة بدون رقم

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المعاقل، وبين تلك الحيطان الباردة"¹.

ولم يقف انتقاد النخبة المثقفة
بشمال المغرب فقط على الجانب
الشكلي، بل إنها أبدت أيضا موقفا
متشددا من طريقة ومنهج التعليم
بالمكاتب، حيث اعتبرها محمد العربي
الخطيب "غير مفيدة بالكلية". أما
محمد داود فقد وصف الجو الذي كانت
تلقن به العلوم الأولية بالكتاتيب
"جوا تنقصه كثير من عوامل الاهتمام
بالطرق التربوية الصحيحة، وكذا
عوامل الصحة والنشاط والحيوية، جوا
تسوده القسوة والصرامة، ويعترف فيه
بالسلطة لصاحب القضيبي الذي يمثل
بالنسبة للطفل شبعا مخيفا بدلا من أن
يكون منارة علم تضيء له الطريق ذا
كيان يدافع عنه ويحميه ممن يؤذيه
ويستغل خيراته... شابا عليه في
تحرير وطنه وبناء صرح أمته ماديا
وأدبيا"².

كما تأسفت هذه النخبة على ضعف
النتيجة التي كان يحصل عليها
التلميذ بالكُتَاب بعد أزيد من عشر

¹- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 54.

²- داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، ص. 53.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

سنوات والتي لا تتعدى حفظ القرآن
الكريم و"متني المرشد في الدين
والأجرومية في النحو" بدون فهم لأية
لفظة منها في الغالب¹. الأمر الذي
جعل محمد داود يتساءل بقوله: "هل الله
تبارك وتعالى وهو الحكيم في أفعاله،
أوجب علينا أن نقضي ثلث أو نصف
عمرنا في حفظ كلامه العزيز مجردا عن
فهمه أو معرفة أي شيء من
مدلولاته؟"².

وكجواب على هذا السؤال اعتبر
امحمد بنونة أنه من الأفضل للتلميذ
تعلم اللغة العربية وقواعدها، على
حفظ القرآن الكريم دون فهم معانيه،
التي لا يمكن فهمها دون تعلم اللغة
العربية³. لأن ما يشتمل عليه القرآن
"من محكم الآيات وبالغ العظات والمثل
الأعلى للأخلاق العالية والآداب الرائعة
لا يدرك جل حافظيه له معنى ولا يعرفون
حلاوة بسبب فساد التعليم الابتدائي"⁴.
لكن عندما يتمرن التلميذ على

¹ - فتى المغرب، "حول التعليم..."، م. س، صفحة بدون رقم

² - نفسه.

³ - رسالة من امحمد بنونة إلى محمد علي الخطيب بتاريخ
14 أبريل 1931، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج امحمد بنونة، ج.1، ص. 129.

⁴ - فتى المغرب، "حول التعليم..."، م. س، صفحة بدون
رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

القراءة والكتابة وتصبح له القدرة
على فهم ما يقرأ عندئذ يمكنه أن
يبدأ في قراءة القرآن ليحفظ منه ما
استطاع، وليؤكد امحمد بنونة أنه ليس
ضروريا على التلميذ أن يحفظ القرآن
كاملا، استدل على ذلك بأن الغالبية
الساحقة من الصحابة كانوا لا يحفظونه
لا كله ولا جله. بل آيات فقط رغم
قربهم من الرسول صلى الله عليه وسلم
ومعرفتهم الدقيقة بالدين
وروحانيته¹.

كما انتقدت النخبة المثقفة أيضا
الفقهاء الذين كانوا يشرفون على
تدريس الأطفال في المراحل الأولى من
تعليمهم بالكتاب واعتبرتهم غير
مؤهلين لتلك المهمة. حيث يقول محمد
العربي الخطيب: "أما إن سألت عن
المعلم فهو رجل يحفظ ألفاظ (الكتاب)
لا غير، لا يضبط لغة بقواعدها ولا يفقه
أن يفهم من أي لغة معنى مطابقا ومع
هذا فهو بدوي جافي الأخلاق مباين
لأحوال الحضرة وعوائده"²، لكونه حسب

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج
امحمد بنونة، ج.1، ص. 129.

² - الخطيب، محمد العربي، "حالنا ومستقبلنا في مكتبتنا
وتعليمنا"، شمال إفريقيا، العدد 169، السبت 17 صفر
1377- 3 نونبر 1918. نقلا عن: الخطيب إسماعيل، محمد
العربي الخطيب...، م. س، ص. 156.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

محمد داود تم انتشاله "من بين قطعان
البقر والمعز، و(نزع) من يده
المحراث أو عصا الرعاة، ثم (لَيْسَ)
ثوباً أبيض، ودعونا به بالفقيه، ثم
سلمنا له أولادنا"¹. لا لقواعد الدين
يرشدهم، ولا للمصالح الاجتماعية
يقودهم²، الأمر الذي جعل محمد داود
يتأسف على مصير أبناء المغاربة
بقوله: "في هذه البيئة نرْمي بأفلاذ
أكبادنا. وعلى هذا البرنامج يتربي
صبياننا ورجال مستقبلنا"³.

أما عن العلوم والمعارف فكانت
النخبة المثقفة ترى أنها منعدمة
بالكتائب، نظراً لكون أغلب الأستاذة
(الفقهاء) الذين كانوا يدرسون بها،
لا تزيد معرفتهم عن حفظ القرآن مجرداً
من أي فهم، هذا علاوة على جفاوتهم
وغلظته. إذ يقول داود: "ومن حيث
المعارف وأي معارف يا صاح نلتقاها
في مكاتبنا؟ بل أي معارف عند ذلك
الأستاذ حتى يُلقِّنا إياها؟ كل ما لدى
ذلك المدرس أنه يحفظ كلام الله العزيز
بدون أن يعرف له معنى أو مرمى. فتري

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 55.

² - الخطيب، محمد العربي، "حالنا ومستقبلنا..."، م. س،
نقلاً عن: الخطيب إسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س،
ص. 156.

³ - فتى المغرب، "حول التعليم..."، م. س، صفحة بدون رقم

الشاب لذلك يدخل المكتب، وعمره نحو خمس عشرة سنة، وهو يقرأ القرآن الكريم، قراءة هي عبارة عن كتابة جزء من الكتاب العزيز، ثم محوه ثانياً، وهكذا حتى صار رجلاً، وقد يحفظ القرآن وقد لا يحفظه، زيادة على كونه لم يتعلم في ذاك المكتب أي شيء من أمور دنياه أو دينه، حتى الطهارة والصلاة، فإن تعليمهما ليس من وظائف الأستاذ عندنا، والأمر لله¹. الشيء الذي جعل المستوى المعرفي والعلمي للأمة المغربية "في الدرك الأدنى من التأخر والانحطاط"²، عكس الأمم الأخرى بما فيها الأمة الإسرائيلية، الذي انكبوا على تعليم أبنائهم جميع أنواع العلوم، من الابتدائي إلى العالي، في حين بقي أبناء المغاربة "يساقون إلى هاوية الجهل سوقاً مهيناً"³.

ولذلك اعتبرت هذه النخبة أن السبل التي كان يسلكها المغاربة في حياتهم العلمية كانت فقط وسائل تسكن آلامهم الاجتماعية، بدون أن تقطع جرثومة الداء الذي كان يهدد وجودها كأمة

1- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 54.

2- نفسه، ص. 40.

3- نفسه، ص. 40.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

لها ماضٍ مجيد¹، لأن "ما يحتاج إليه
(التلميذ) في حياته الاجتماعية، أو
ما يلزمه، في معترك حياته من معارف
فقد لا يسمع به مدة وجوده في
المكتب"². فيجد التلميذ نفسه بعد
عدة أعوام قد كبر "عن المكث في ذلك
المكتب، فيتركه والحال أنه لم ينل
منه معرفة لقواعد لغته، ولا أدبا
يسلكه طريقا لطيب حياته كما لم يحصل
منه معرفة لقواعد أصول دينه"³.
وذلك ما عبر عنه محمد داود بقوله:
"إن الواجبات الدنيوية لا مناص للشخص
عن القيام بها ما دام في حيز الوجود
ومن المحال أن يقوم الإنسان بها على
الوجه الأكمل إلا بالعلم الصحيح فيما
يرجع للمصالح الدينية والدنيوية.
وإن معاهدنا الابتدائية لا تنتج شيئا
من هذا"⁴.

وبناء على هذا النوع من التعليم
كانت تضيع العديد من الطاقات
والمواهب سدى⁵. الأمر الذي جعل هذه

¹ - نفسه، ص. 41

² - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 55.

³ - الخطيب، محمد العربي، "حالنا ومستقبلنا..."، م. س،
نقلا عن: الخطيب إسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س،
ص. 156.

⁴ - فتى المغرب (محمد داود)، "حول التعليم..."، م. س،
صفحة بدون رقم.

⁵ - نفسه

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

النخبة المثقفة تشعر بالغبن وهي تصف
حالة تعليم أبنائها وشبابها، حيث
يقول محمد داود بلغة الحسرة مخاطباً
القراء: "وها أنا سأصور لك برنامج
التعليم لابتدائي في بلدتنا تطوان
التي يقولون إنها أرقى مدن الشمال.
ثم لك بعد إحاطة علمك بذلك أن تحكم
على مبلغ أمتنا من جميع ما ذكر. وإن
تجيب بنفسك عما عسى أن يخطر ببالك
عندئذ من التساؤل عن تعليمنا
الابتدائي هل هو صحيح أم فاسد؟ وهل
الحالة التي هو عليها الآن مما يغبط
به في هذا العصر الذي نهض فيه كل حي
في الوجود، وتصدى فيه كل شعب للكرع
من حياض مختلف المعارف إلا نحن. ذلك
لإدراك غيرنا مركزه الذي يجب أن يكون
عليه في الوجود، وسعيه للوصول إليه
والعيش ضمن دائرته السعيدة، وجهلنا
أو تجاهلنا وانكبابنا على ما لا يكبر
إلا في أعين ضعاف الأحلام"¹.

كل هذه المظاهر وغيرها من مظاهر
النقص والجمود التي كان عليها
الواقع التعليمي بالمغرب أثارت
النخبة المغربية المثقفة وجعلتها

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، "حول المعارف..."، م. ش،
صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تطلق العنان لقلمها للتعبير عن
رغبتها الأكيدة ودعوتها الصريحة لإصلاح
التعليم والارتقاء به، موضحة أن الأمر
في حاجة إلى مجهود ضخم يبذله كل من
العلماء وذوي القدرة والعناية بشؤون
هذه الأمة لإصلاح أحوالهم وتهيئ الجو
التعليمي المناسب للنشء الفتى،
والجو الذي يشحذ أذهانهم ويفتح
آفاقهم لتدشين عهد جديد يثبتون فيه
وجودهم بين شباب الأمم الناهضة
والمتقدمة¹. وذلك لا يمكن تحقيقه حسب
محمد العربي الخطيب إلا عن طريق
"التعليم النافع ... الذي يؤهل
الشخص إلى القيام بالواجب نحو
المصلحة الدينية والدنيوية وأساس
كلتا المصلحتين مبنى ... على معرفة
اللغة تعلما كافيا، وهو أن تكون
الكتابة والقراءة المقرونة بالفهم
صحيحة بتحكم وإتقان قواعد اللغة
إتقانا يمنع من الخطأ في الكتابة
والنطق والفهم، ثم بعد ذلك يجمل
بالمتعلم أن يقتبس الضروريات
الدينية والدنيوية"².

¹ - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود ..."، م. س، ص. 54.
² - الخطيب، محمد العربي، "نحن والتعليم ..."، م. س، نقلا
عن: الخطيب إسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، ص.
164.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ولتحقيق هذه الغاية دعا محمد داود
إلى ضرورة انفتاح التلميذ في
المرحلة الابتدائية على عدة معارف
وليس فقط الاكتفاء بحفظ القرآن
الكريم إذ يقول: "إن أول واجب علينا
دينياً أن نحفظ ما تيسر من كلام الله
العظيم ثم نعرف من عقائدنا
التوحيدية ما نثبت أو نكمل به
ديننا، مع الضروري من علوم ديننا
كالوضوء والصلاة والصوم والزكاة وما
يتعلق بها.. وأدبياً أن نعرف قواعد
النحو وتوابعه مما نصلح به ألسنتنا
وندرك به معنى ما نحفظ من كلام الله عز
وجل.. واجتماعياً أن نعرف مبادئ
العلوم الرياضية كالحساب والجغرافيا
والهندسة. وكالتاريخ الإسلامي عموماً
والوطني خصوصاً إلى غير ذلك، ثم لنا
أن نحفظ من كتاب الله ما شئنا لأنه
زيادة خير (وكل ما في كلام الله خير)
ولكن بعد أن نكون قد أحطنا قولنا
وأفكارنا بسياج من نور علمي نهتدي
به في شعائرنَا الدينية، ومعاملتنا
الدنيوية"¹.

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، "حول التعليم..."، م. س،
صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إن اقتناع النخبة المثقفة بأن
السبيل الوحيد لإصلاح الأمة المغربية
هو الارتقاء بالتعليم التقليدي
وتحديثه ونشر العلم والمعرفة بين
عامة الناس وخاصة فئة الشباب، جعلها
ترى أنها مضطرة "**لتشخيص الداء قبل
البحث عن الدواء**"¹ ، وتوعية الأمة
بعللها ونواقصها. ولذلك ارتكز خطاب
هذه النخبة على إبراز الأسباب التي
كانت تساهم بشكل كبير في انتشار
واستمرار الجهل والتخلف بين
المغاربة، حيث يقول محمد العربي
الخطيب: "**أيها القارئ، أنصفتي هل في
مكتبتنا شيء مما يبلغ بالمتعلم إلى
الدرجة الأولى التي هي أساس لكل شيء،
ولا أسألك عن إدراك الضروريات الدنية
والدنيوية. فإن أنصفت فلا يسعك إلا أن
تعترف بأننا مخطئون خطأ فادحاً،
وعاقون عقوقاً فاحشاً نحو اللغة
والواجبات القومية. والإنصاف
والاعتراف بالهفوات من شأن الكرام**"².
وبناء على ذلك كان محمد داود لا

¹- فتى المغرب (محمد داود)، "حالتنا العامة ووجوب تنظيم
المعارف"، جريدة الإصلاح، عدد 223، 17 ماي 1927، صفحة
بدون رقم.

²- الخطيب، محمد العربي، "نحن والتعليم..."، م. س. نقلا
عن: الخطيب إسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، ص.
164.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يتوانى في الاعتراف بفقر المغرب من
العلوم والمعارف حيث يقول: "وهل
أتأسف على شيء تأسفي على خلو بلادي
من المعارف؟ اللهم إن المعارف في
منطقتنا لضعيفة واللهم إن بلادنا
لمتعطشة إلى المعارف"¹.

وفي الوقت نفسه كانت هذه النخبة
تعمل أيضا على تنبيه الأمة المغربية
للحلول الكفيلة بتجاوز أزماتها، وما
يجب عليها القيام به من مجهودات
لإنقاذ شبابها الذين هم مستقبلها
ورهان نهضتها، ودعوتهم لتوفير
الشروط المناسبة لتعليمهم، وحثهم
أبناءهم للإقبال على العلوم والمعارف
الكفيلة بإصلاح حالهم وتكون سندا لهم
عندما يصبحون رجالا مسؤولين في
المستقبل، وذلك ما عبر عنه محمد
العربي الخطيب بقوله: "إن كنتم أيها
الإخوان تودون سعادة شبيبتكم، فلا
يسعكم إلا أن تشمروا عن ساعد الجد
بالعمل على نهج الطرق القوية في نشر
التعليم العام وتنقيحه وتهذيبه
حسبما يقتضيه العصر. ويكون ذلك
موافقا للدين والأخلاق. فإن شرعتم من

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، حالتنا العامة "...، م. س،
صفحة بدون رقم

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الآن في هذا الأمر المهم فستحمدون
عقباه. وتنالون ذكرا حسنا من
الشبيبة عند ما تصل إبان تقلدها
زمام المناصب ووقت تحملها
الواجبات"¹.

وكانت هذه النخبة ترى أنه من
الواجب على كل مغربي أن يعتبر نفسه
مدعوا للعمل من جانبه على توعية
أبناء الأمة المغربية، وتوجيه كل
العناية لهم من أجل تثقيفهم، عن
طريق إحداث المدارس والمكاتب
والمعاهد التثقيفية، وإرسال البعثات
إلى الخارج قصد تكوين أطر من
الأساتذة والتقنيين والمهندسين
والأطباء، الذين سيعهد إليهم أمر
تكوين النشء المغربي داخل البلاد بعد
عودتهم². وذلك ما عبر عنه داود
بقوله: "فلنعلمهم التعليم الصحيح،
ولنؤسس لهم مدارس ومكاتب أو ما
شئنا، إنما نريد أن نجعل لهم معاهد
يعرفون فيها واجباتهم الدينية
والدنيوية. فلنرأف بهم ولنرحمهم،
ليرضى ربنا عنا، وليبتهج ديننا

¹ - الخطيب، محمد العربي، نحن والتعليم...، م. س، نقلا
عن: الخطيب إسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، صص.
163 - 164.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج1، ص. 143.

بكثرة من يعرف حقيقته، ولنبتهج نحن
أيضا حينما نرى أبناءنا يعرفون من
أمر دنياهم ما يخرجون به من حظيرة
البقرات الحلوبة التي يستثمرها
الأجنبي عنا، لا شيء سوى أن لديه من
المعارف ما ليس عندنا، ولنقوم
بالواجب علينا إنسانية من العمل
لصالح من نحبهم أكثر من أنفسنا"¹.

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 55.

2. توعية الأسرة والمجتمع في خطاب النخبة المثقفة

لم يقتصر خطاب النخبة المثقفة بشمال المغرب فقط على نبذ الجهل والجمود والدعوة إلى محاربة البدع والخرافات. بل إن خطابها طرح أيضا مجموعة من الحلول والاقتراحات العملية لتجاوز الأمراض المجتمعية التي كانت تنخر الجسد المغربي وتعيق كل المحاولات الإصلاحية. ولذلك اعتمدت في خطابها على لغة التوعية والنصح والإرشاد، بغية تنبيه جميع المغاربة لمدى المسؤولية الملقاة على عاتقهم سواء كانوا أفرادا أو جماعات.

ولكونها كانت مقتنعة بأن أغلب المغاربة خاستهم وعامتهم كانوا لا يستطيعون التضحية بمصالحهم الشخصية في سبيل المصلحة العامة، نجد محمد داود يتساءل بقوله: "أي سعيد ذاك الذي سيحظى بتقديم خدمة صالحة لدينه ووطنه؟ وأي موفق ذاك الذي سيضحي بمصالحه الشخصية في سبيل المصلحة العامة؟ وأي شريف ذاك الذي تذوق حلاوة المجد وعرف قدر نفسه وملته

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

فقدرها حق قدرها، وأوقف نفسه وماله
ومعارفه على بناء عزها، وإعلاء
شأنها، واسترجاع شهرتها ومجدها؟¹،
ثم يضيف داود "هل لدينا يا ترى...
من هم مستعدون لأن يتقدموا لقيادة
الفكر العام والتجول بسيال الأقلام في
ميادين الإصلاح غير متأثرين بما يحوم
حولهم مما عسى أن يضعف همهم أو يقف
كعثرة في سبيل التصريح بأفكارهم"².

فوعي النخبة المثقفة بأن المغرب
لم يكن يوجد به إذ ذاك من يتحمل
مسؤولية الإصلاح، جعلها تركز في
خطابها على تحسيس المغاربة بمدى
حاجة الوطن إليهم ولمجهوداتهم
العقلية والبدنية، ومن هنا اعتبرت
أن أول خطوة في مشروعها لتوعية
المغاربة، هي دعوتهم "للعمل
والتعاون"، لاقتناعها بأن توحيد صفوف
المغاربة وتعاونهم يعد ركيزة أساسية
في إصلاح المجتمع المغربي. بل حسب
محمد العربي الخطيب "الطريقة الوحيدة
لإصلاح الحال والمحجة الكفيلة
بالتواصل إلى ما يرومه الإنسان

¹- فتى المغرب، "نحن والعالم الإسلامي..."، م. س، ص. 9.

²- داود، محمد، "سبيل النهوض..."، م. س، ص. 17.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ويقصده¹ . على اعتبار أن كل محاولة
لإصلاح سواء كانت اجتماعية أو
اقتصادية أو حتى سياسية فهي تتطلب
مجهوداً جماعياً يقوم على أساس تعاون
طبقات الأمة وتعاضدها على ما فيه
مصلحة الجميع² . لأن الإنسان داخل
المجتمع الواحد إذا **"عمل وتعاون،
نفع وانتفع"**³ ، وإذا **"كسل وانفرد، جر
على نفسه وبالا وخسرانا بعدم تعاطيه
أسباب نيل مآربه، وعلى أمته بعدم
الانتفاع به وبسريان سمه القاتل
لبقية أمته وقومه"**⁴ .

ذلك أن طبيعة الهيئة الاجتماعية
التي تتكون منها كل أمة لا يمكن أن
تقوم أو تتشكل هيئتها إلا بالعمل
والتعاون، لأن الإنسان لا يمكنه أن
يكفي نفسه بنفسه في جميع حاجياته،
لكونه كما يقول محمد العربي الخطيب
**"مفتقر (الإنسان) لأن يدرك من الملابس
أرفعها وأتقنها، ومن المطاعم أطيبها
وألذها وأن يسير في الطرق آمناً من**

¹ - الخطيب، محمد العربي، "العمل والتعاون"، م . س، نقل
عن: الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م . س، ص.
192.

² - داود، محمد، "سبيل النهوض..."، م . س، ص. 17.

³ - الخطيب، محمد العربي، "العمل والتعاون"، م . س، نقل
عن: الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م . س، ص.
188.

⁴ - نفسه، ص. 188.

المخاوف. وأن يقطع المسافات الطوال
في أقرب الأزمان، وأن تأتيه الأخبار
من الآفاق في المدة التي تأتيه من
بلده. كل ذلك مما لا يمكن أن يحصل
عليه بنفسه فقط لولا تعاونه عليها
بغيره، ولولا عمله الذي يبذله لغيره،
كما يبذل غيره له، لما نال مآربه،
وتوصل لمقاصده. فقطب رحي العمران،
وروح نظام عالم الاجتماع: العمل
والتعاون، فلا يكون عمران إلا إذا كان
الأفراد عاملين ولا ينفع عمل إلا إذا
كان التعاون، فبالتعاون تتكون
الهيئة الاجتماعية التي بها العمران.
لذلك لا ترى عملاً له أهمية في الحياة
الاجتماعية إلا وكان عمل شركة، مركبة
من أفراد كثيرين متعاونين
متعاضدين"¹.

وإيماننا بهذه القناعة نجد محمد
العربي الخطيب يوجه نداءً للأمة
المغربية بلغة الجمع تحمل في طياتها
روح المسؤولية التي يجب على جميع
المغاربة تحملها إذ قال: "لا يليق
بنا أيها السادة أن تكون جميع
أعمالنا منحة متأخرة إلى الوراء،
بل يجب علينا أن نتعاود ونتعاون

¹ - نفسه، ص. 188.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**ونمد يد المساعدة للأعمال والآثار
الكفيلة بترقي الأمة والوطن¹ . كما
دعا التهامي أفيلال من جانبه ولاية
الأمور والعلماء والأغنياء إلى
"التضامن والتعاون"² .**

وبما أن الإصلاح حسب النخبة المثقفة
لا يمكنه أن يجتمع مع اليأس والقنوط،
والإحساس بالضعف والتفرقة، وإنما
يتطلب روحاً جديدة قوية العزيمة تؤمن
بالإصرار والتحدي والتضحية، فإن
خطابها التوعوي ارتكز على الدعوة
لتوحيد الكلمة وترصيص الصفوف ضد
الجهل والخرافات والجمود والضلالات
والتقاليد المنحطة، والانكباب على
العمل والاجتهاد والتشبث بالعلم
والمعرفة. وفي هذا الصدد يقول أحد
كتاب جريدة الإصلاح: "يا أيها الناس
قوا أنفسكم وأهاليكم وأبناء وطنكم
عاقبة الجهل الذميم. واعلموا أن
حياتكم الأدبية بالعلم. فأقبلوا عليه
بكلياتكم. وجاهدوا في سبيله
بالأموال. استفيدوا من خير مدنية
العالم أجمع. زودوا أبناء وطنكم
بالعلوم كي يضمنوا مستقبل حياتهم

¹ - الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، ص. 185.

² - أفيلال، التهامي، تنبيه الأكياس...، م. س، ص، 59.

ونأمن شر جهلهم. عضدوا نوابغكم.
عظموا قدر علمائكم المصلحين، سيروا
في سبيل الرقي، انبذوا الخرافات
والأوهام. إياكم والاستسلام لليأس. فإن
اليأس جمود. والجمود موت والموت محو
من صحيفة الحياة الصحيحة. أنهضوا كل
فئة استنارت بنور العلم لتبين
لغيرها فوائدها. بالعلم يدرك المرء
قيمة الحياة، معنى إرادة النفس
ويهزم جيوش البدع به تتقهقر عصابات
الضلالات، وأرباب الغوايات. اتركوا
التقاليد المنحطة المضادة لناموس
الارتقاء. وتشبثوا بكل جديد نافع
تعلموا لتحاربوا الجهل واليأس.
تخاصروا واتحدوا على صالح العام.
اعلموا لتسودوا يا أبناء الوطن،
وتساووا غيركم من الشعوب الراقية"¹.

ونظرا لوعي النخبة المثقفة بواقع
التفرقة والاختلاف الذي كان يسود بين
مختلف أطراف المجتمع المغربي، نجدها
تؤكد في خطابها التوعوي، على أنه لا
يمكن للمغرب أن يرقى لمصاف الدول
المتقدمة أو يحقق أي إصلاح، دون أن
تسود داخل المجتمع المغربي "الألفة"،

¹ - جابر المغربي، "نظرة في الإصلاح"، جريدة الإصلاح، 216،
14 فبراير 1927، صفحة بدون رقم.

التي هي "عنوان جلي على تقدم الأمم
ورقيها وحياتها ونشاطها"¹. ولذلك
دعا محمد العربي الخطيب إلى ضرورة
خلق وتكوين مجامع وأندية، لما لها
من فوائد جمة "في نفي المشكلات
والأوهام والخيالات بين أفراد
وجماعات"²، كما تساهم بشكل كبير "في
ربط أفراد أمة أو أمم ربطا قويا لا
يتخلله أدنى ضعف أو فتور"³، عن طريق
التداول في قضايا ومصالح الوطن،
السياسية والأدبية والاقتصادية
والعلمية والأخلاقية، وغير ذلك من
مقاصد الرقي الاجتماعي، فيعرض كل
زائر لتلك الأندية أفكاره أمام غيره،
فتتقارب وجهات نظرهم، وتتضح كثير من
الأفكار الغامضة، وتمحى تلك الأحكام
المسبقة التي تطلقها كل فئة على
أخرى بدون معرفة مسبقة⁴.

هذا علاوة على ما "يستفيد المستفيد
ما يعز عليه استفادته من أدباء
وساسة وسواح ورؤساء وعظماء"⁵. حيث
يقول محمد داود: "والعاقل من اعظ

¹- الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، ص. 185.

²- نفسه، ص. 184.

³- نفس المرجع والصفحة.

⁴- نفسه

⁵- نفسه.

بغيره. إنما ليكن كتابنا أحراراً في
أفكارهم وأبحاثهم وأساليب كتاباتهم.
ولكن دون أن يمسوا في جميع ذلك أصول
الدين الحنيف بتبديل أو تغيير.
ليكونوا متسعي الصدور لتلقي كل ما
به يقابلون. سواء عندهم تهاني
المخلصين الحارة ونكت المنتقدين
الباردة، أما الجمهور فما عليه من
ضرر فيما لو اتسع صدره أيضاً لسماع
مختلف الآراء ما دامت غير خارجة عن
حدود القانون الأدبي حتى إذا ما ظهرت
الحقيقة التي هي بنت البحث، كان له
الحق حينئذ في الحكم على جيد الأخبار
ورديئها. والأخذ بما له فيه مصلحة
أكثر مما عداه"¹.

ولتجاوز الاختلاف والتفرقة التي كان
عليها المجتمع المغربي، اهتمت
النخبة المثقفة بشمال المغرب، إلى
مخاطبة العلماء والوجهاء والمفكرين،
واعتبرت أن ابتعادهم وانعزالهم عن
المجتمع هو الذي أودى بانحطاط الأمة
المغربية وتخلفها، حيث لام أحد أقلام
جريدة الإصلاح العلماء بقوله: "سامح
الله الذين تركونا على الإهمال حتى

¹ - داود، محمد، "المغرب ونهوضه..."، م. س، صفحة بدون
رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تمكنت منا روح الانحلال فكنا قلوبا
شتى لا تربطهم رابطة ولا تجمعهم
جامعة. الأمر الذي تنحط به الأمة إلى
حضيض السفليات"¹.

كما انبرت هذه النخبة لتذكير طبقة
العلماء والمفكرين بالمسؤولية التي
يجب عليهم تحملها اتجاه أمتهم
وحمايتها من كل زيغ أو انحراف، وكذا
دعوتهم إلى ضرورة القيام بأدوارهم
المنوطة بهم، لكي لا يتولى غيرهم
التصرف في تلك الأدوار بغير موجب حق
أو معرفة²، فينتشر العلماء المزيفون
والدجالون والمشعوذون والمحتالون،
فتشيع الفتنة ويزداد تفشي الجهل بين
المغاربة. وهو ما كانت تخشاه النخبة
المثقفة. مما دفعها إلى العمل على
رد الاعتبار للعلماء، ومخاطبتهم بنوع
من الإجلال والإكبار. إذ يقول محمد
داود: "يا أخي العارف إنما أجلك
لعلمك وأكرمك وأعزك لمعلوماتك، ولما
عسى أن يخلق وطننا المشترك من
المنافع بسبب معارفك وإخلاصك". كما
وصفهم "بعقول الأمة المفكرة"،

¹ - سعد، المغربي، "إليكم سادتي معاصر العلماء"، جريدة
الإصلاح، عدد 212، 11 فبراير 1917، صفحة بدون رقم.

² - فتى المغرب، "نحن والعالم الإسلامي..."، م. س، صفحة
بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

و"أسنتها الناطقة"، و"المقتدى بهم
في الأقوال والأفعال". واعتبرهم سعد
المغربي ب"الأفراد الصالحين
المصلحين" و"حماة الجامعة البشرية"،
و"بدورها الساطعة وكواكبها
الزاهرة"¹.

ولإبراز مدى حاجة الأمة المغربية
لعلمائها نادى أحد كتاب جريدة الإصلاح
طبقة العلماء بقوله: "نحن اليوم في
ظماء لا مزيد عليه للارتواء من حياض
معارفكم المتنوعة، إذ لا يخفى على كل
فرد من أفراد جماعتكم المقدسة ما
بلغ إليه أمرنا من آخر درجة الانحطاط
فصرنا أشبه بتمائيل جامدة"².

فاقتناع النخبة المثقفة
بكون "العوام يقفون مكتوفي الأيدي
أمام علماء الأمة ومفكريها، مقلدين
لهم في الصغيرة والكبيرة من
الشؤون"، جعلها تعمل جاهدة لمحاولة
كسب العلماء لصفها والاستعانة بهم في
إصلاح المجتمع وتطهيره من كل انحراف،
ودعتهم لاختيار ما يرونهم مناسباً من
مناهج الإصلاح التي لا تعارض أخلاق

¹ - سعد، المغربي، "إليكم سادتي معاشر العلماء"، م. س،
صفحة بدون رقم.

² - نفسه.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وعوائد المغاربة¹. إذ يقول محمد داود: "دعونا سواد الأمة في شخص زعمائها وعلمائها ومفكراتها، إلى تناول أماكن الضعف فينا والبحث لها عن علاج يقطع مادة الأدوية القتالة للأمم، المبيدة للشعوب"².

وتوسل سعيد المغربي من طبقة العلماء للمساهمة في إرشاد وتوجيه المغاربة وتثقيف عقولهم، إذ قال: "فرحماكم بنا سادتي معاشر العلماء لا تضنوا علينا بنوركم الوضاح حتى نهتدي به إلى مرشد الخيرات. لا تحرمونا طيب تعاليمكم القوية التي هي سر استواء الأمم على منصة الرقي وارتقائها أوج السعادة فقد ذهب وقت الكسل. ولم يبق إلا وقت العمل. حسنوا التعليم؟.. إن ضعفنا أصعب من أن يتغافل عنه وإن مقاومته لا تعاد إلا من مشمول واجباتكم الدينية. فاعملوا باتحاد لتقويم الأفكار وتثقيف العقول وتهذيب النفوس بالمبادئ الصحيحة. والآداب الراقية. حسنوا أساليبها واغرسوا في نفوس الناشئين منا و"الناشئات" أنفع بذورها. وأحسنوا

¹- فتى المغرب، "نحن والعالم الإسلامي..."، م. س، صفحة

بدون رقم.

²- نفسه.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

كما أحسن الله إليكم. إن الله يحب
المحسنين¹.

واعتبرت النخبة المثقفة أن أهم ما
يجدر بالعلماء الاهتمام به هو الإقبال
على إصلاح التعليم ونشر العلم
والمعرفة بين عامة المغاربة. إذ
خاطب داود العلماء والمفكرين
المغاربة قائلا: "إن كنت حتى الآن لم
تسمع أو لم تفهم عنا ما نقول، فاعلم
أننا ندعوك وأنت المقتدى بك «يا كل
من هو عالم أو مفكر مغربي» إلى أن
تعمل مع من تحت نظرك لتحسين حال
مكاتبنا الابتدائية التي يقضي بها
أبنائنا أو أفلاذ أكبادنا شطر عمرهم
ثم يخرجون منها على حال لا يعرفون
معها لا وضوء ولا صلاة ولا زكاة ولا صوما
ولا ولا من الواجبات العينية في
الدين، ولا أي شيء مما ينفعهم في
أمر دنياهم²."

وأضاف داود قائلا في السياق نفسه:
"اعلموا أن في بعض الأنحاء مدارس وقد
يكون الدخول إليها إجباريا أو شبه
إجباري. والحال أن المتخرج منها لا

¹ - سعد، المغربي، "إليكم سادتي معاشر العلماء"، م. س،
صفحة بدون رقم.

² - فتى المغرب، "نحن والعالم الإسلامي..."، م. س، صفحة
بدون رقم.

يصلح إلا لتوزيع البريد أو الخدمة
بالمقاهي، أو حمل أخراج المسافرين
أو كنس الشوارع بنظام. فبحياتكم هل
ترضون أن تفتح لكم مدارس كهذه ويجبر
أولادكم على الدخول إليها فلا يسعكم
إلا الامتثال ويدكم هي السفلى؟ أم أن
الأفضل أن تتولوا بأنفسكم إنشاء
مدارس ترضونها لشبيبتكم وتكون
نتيجتها إذا عرفتكم كيف تسوسونها أعز
لديكم من كل عزيز وأحب إليكم من كل
حبيب. إن كان هذا هو مختاركم فهو كل
ما ندعوكم إليه"¹.

وحتى تتمكن النخبة المثقفة من
تحريك شعور العلماء نجدها تحاول
استفزازهم بخطابها حيث كتب داود :
"هل يسرك يا سيدي المفكر المحقق ويا
سيدي المثري الوجيه أن تتهم دون
عباد الله كلهم بأنك كهيكل لا حركة له
ولا شعور فيه؟ وهل ترضى من أحد أن
يفتح قاموس اللغة ليجث عما ينظم لك
منه عقدا من قوارص الكلم كيما
يشاهدك نافضا عنك غبار الخمول؟"²

لكن على ما يبدو أن هذا الخطاب،
لم يرق مجموعة من علماء تطوان

¹ - نفسه .

² - نفسه .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ومفكريها، واعتبروه تنقيصا من شأنهم
واحتقارا لهم. وذلك ما يستنتج مما
أورده داود في إحدى مقالاته المنشورة
بجريدة الإصلاح، حيث قال: "فهل تلومني
بعد إذا طالبتك وألححت في مطالبتك
بمساعدي على الوصول إلى مبتغاي وهل
يحق في شريعة الإنصاف أن تؤاخذني إذا
أنا سجلت عليك أنني دعوتك للعمل
فأبيت والتمست منك المعاونة على
الإصلاح فامتنعت... ندعوكم إلى قطع
النظر عن شخصنا ومعارفنا وكل
المعلومات عنا والاقتصار على النظر
في المصلحة العامة قبل كل شيء.
ندعوكم إلى العمل قبل أن تندموا...
ندعوكم إلى المبادرة قبل أن يثبت
للعالم عجزكم أو جمودكم. أو تهاونكم
وعدم مبالايتكم ندعوكم إلى العمل
وأنتم اليوم أحرار كل الحرية في
تأسيس كل ما تريدون من المشروعات أو
إدخال جميع ما باستطاعتكم من
التحسينات. وفي مقدرتكم أن تسنوا
قوانين تكفل لنا تخريج علماء عظماء
وأمة نجيبة غراء"¹.

ولم تنحصر دعوة النخبة المثقفة
فقط على العلماء من أجل تحمل

¹ - نفسه .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مسؤولية الإصلاح، بل نجدها أيضا توجه
خاطابها لطبقة الأغنياء والميسورين،
الذي نادتهم هم كذلك بضرورة الإنفاق
مما يملكون في سبيل الخروج بالمغرب
من حالة الجمود والركود، عن طريق
المساهمة في تشيد و"إنشاء المدارس
العلمية الأهلية... التي يعود نفعها
على الدين والأمة والوطن فتنهض
(بالشباب) الذين هم رجال المستقبل
وتنقذهم من هوة الجهل التي وقع
معظمهم في قعرها ويتعلمون ما ينفعهم
في دينهم ثم في دنياهم ثم ينفعون
غيرهم"، إذ يقول محمد التهامي أفيلال
"وإني أوجه كلمتي هذه إلى الأغنياء
الذين بهم تسعد الأمة أو تشقى، وبهم
تكون الأمة عزيزة أو دليلة، والمال
مال الله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه"¹، ونفس الشيء يؤكد جابر
المغربي الذي اعتبر العمل الدنيوي
واجبا على كل فرد حيث يقول: "إننا
مأمورون بالعمل لدنيانا. وما العمل
إلا السير على سنن الكون وناموس
العمران. وليس هو جمع الأموال وكنزها
كما يفعل الكثيرون -عافاهم الله- المال
يراد لغيره لا لذاته لأنه غير نافع في
نفسه. وإنما ينتفع بالأغراض الناجمة

¹ - أفيلال، التهامي، تنبيه الأكياس...، م. س، ص، 36.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

عنه . الأمم الراقية شادت المدارس
فدرست العلوم وبنّت المعامل فنشرت
الصنائع . وجمعت الأموال فأنشأت
الشركات و.و.و. كل ذلك ونحن في
دياجي الجهل نتصنت لما يحدث حوالينا
هادئين ساكنين. كأننا ما خلقنا إلا
لنشاهد ما يخترعه الإنسان"¹.

وإذا كانت النخبة المثقفة قد دعت
العلماء للمساهمة في توعية المغاربة
وتثقيفهم ، ودعت الأغنياء والميسورين
لتشيد المدارس والمعامل والمصانع
والإنفاق في سبيل تعليم الفقراء
والمعوزين، فإنها في المقابل وجهت
كذلك نداءً للآباء من أجل تربية
أبنائهم والحرص على تعليمهم ، حتى لا
يبقون عرضة للضياع والجهل. حيث
يستغرب محمد العربي الخطيب بقوله:
"كيف يتصور أن عاقلاً يترك فلذة كبده
طائشة حائرة تلعب بها أيدي الأندال
في أسواق الخسران لا تعرف نفعا ولا
طرفة حتى تكسبه، ولا ضرا وأسبابه حتى
تجتنبه. تتقلب على جمر الهوان وحضيض
السفليات من آن إلى آن ومن زمان إلى
زمان، إلى أن تقضي العمر في هوان

¹ - جابر المغربي، "نظرة في الإصلاح"، م. س، صفحة بدون
رقم .

وخسران والناس أهل العلم والمعرفة
يتمتعون بفرش الراحة ورفاهية العيش
ومكانة المقام، ذلك ما جنته عليه يد
الجهل، وذاك ما بسطته له نتائج
العلم ... هذا أمر لا أشك أن أحدا من
إخواني يجهله أو ينكره، غير أنني
تعتريني دهشة وحيرة عظيمة كيف أن
أبناء وطني مع علمهم بهذه السنة
الكونية هم غافلون أو متغافلون عن
تغذية عقل أبنائهم بالعلوم التي
تتكفل لهؤلاء الأطفال بتقديمهم ونجاحهم
في المستقبل وأبنائهم على مرأى
ومشهد منهم يضيعون أوقاتهم النفيسة
فيما لا طائل تحته ولا فائدة"¹.

وباعتبار أن أغلب المغاربة كانوا
لا يهتمون بتدريس أبنائهم، ويكتفون
فقط بإرسالهم إلى الكتاتيب القرآنية
دون تتبعهم أو الإشراف عليهم، نجد
سعد المغربي يتساءل بحرقة مخاطبا
الآباء قائلا: "فكيف يَجْمَلُ بكم يا معشر
الآباء أن تشاركوا أفلاذ أكبادكم على
الإهمال يشبوا على التعاسة والشقاء
أين الحنو الأبوي؟ ... أغاب عنكم
أنكم مخاطبون بذلك في قول مولانا

¹ - الخطيب، محمد العربي، نحن والتعليم..."، م. س، نقلا
عن: خطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، ص.
162.

رسول الله (صلعم): كلکم راع وكل راع
مسؤول عن رعيته؟ وأنکم ستواخذون
بذلك إن لم تفعلوا؟ .. فما حجتکم في
ذلك؟ ... تحسر وندامة. فيا أيها
الآباء الكرام لم يعد باستطاعتي بعد
السكوت عما أراه من قلة الاهتمام
بأمر تربية أولادکم. ها أنا أدعوکم
باسم الدين والإنسانية إلى الاعتناء
بهذا الأمر الخطير. علموا أولادکم
ليعملوا بعلمهم. ولا يبقی من خدش في
مرآة صفاء وجه المغربي"¹.

ويضيف محمد العربي الخطيب مخاطباً
الآباء بقوله: "إخواني: تحبون
أبناءکم تلك المحبة الطبيعية وتودون
لهم كل خير ونجاح أملا وتخميناً لا عملاً
وفعلاً، لا أثر للأمل والتخمين وإنما
الأثر للعمل والفعل، ليس بالأمانى
تدرك المعالي وإنما تدرك بالجد
والاجتهاد قولاً وفعلًا... دعکم إخواني
من الكسل والخمول وبناء القصور
الشامخة على أساس الأوهام والخيالات.

¹ - سعد المغربي، "إليکم سادتي الآباء"، جريدة الإصلاح،
216، 14 فبراير 1927، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

لأننا في عالم الحس ومشاهدة الأفعال لا في عالم الخيال"¹.

وذهب محمد داود أبعد من ذلك حين
دعا الآباء إلى تشجيع أبنائهم للإقبال
على العلوم والمعرفة وعدم إكراههم
على التخلق بأخلاقهم حيث يقول: "كما
نلفت أنظار الأولياء إلى تنشيط
صغارهم بمختلف الوسائل، ليزدادوا في
العلوم محبة، وعلى المعارف إقبالا،
بدلا من تنفيرهم بالإكراه على التمشي
على نظمات أكل الدهر عليها وشرب،
فأصبحت غير خليقة بالروح العصرية
الوثابة إلى سبل المعالي، وقد قال
الإمام علي رضي الله عنه: لا تكرهوا
أبنائكم على التخلق بأخلاقكم، ...
فإنهم مخلقون لزمان غير زمانكم"².

وفي المقابل وجهت النخبة المثقفة
في خطابها التوعوي دعوة للشباب
للاهتمام بمستقبلهم والابتعاد عن
مغريات الحياة وملذاتها، والإقبال
على المدارس للنهل من العلوم
والمعارف الشتى حتى تستطيع بذلك نفع
وطنها وأمتها. إذا فما هي المكانة

¹- الخطيب، محمد العربي، نحن والتعليم...، م. م. س، نقلا
عن: خطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. م. س، ص.
163.

²- محمد داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. م. س، ص. 54.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----
التي احتلها الشباب في خطاب النخبة
المغربية المثقفة ومشروعها النهضوي؟

3. الشباب عماد النهضة الوطنية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

اقتنعت النخبة المثقفة بشمال
المغرب منذ البداية بأن مشروعها
النهضوي لا يمكن أن يتحقق دون أن
تراهن على فئة الشباب، لتزرع فيهم
روح العمل والإبداع، وتساعدهم على
اكتشاف مواهبهم وقدراتهم ويسترجعون
ثقتهم بأنفسهم، ويستغلون طاقتهم
للدفاع عن وطنهم وأمتهم في المستقبل
الذي سيكونون هم رجال. ولذلك اعتبرت
النخبة المثقفة بأن "شبيبة كل أمة
هي الحجر الأول في أساس رقيها
وتقدمها... وهي (أيضا) عنوان الإصلاح
والفلاح والرقى والكمال"¹، لكن إذا
كانت شبيبة نافعة متعلمة وراقية.
أما إذا كانت جاهلة منحطة فحتمًا
ستكون "عنوان الخراب والشقاق،
والتأخر والانحطاط"²، وتشكل خطورة
على الأمة والوطن.

إن وعي النخبة المثقفة بالمكانة
التي تحظى بها الشبيبة داخل كل أمة
جعلها تخصص لها حيزا مهما من
خطابها، لكونها، "كانت تؤمن بأنه
إذا عجز جيلها عن مقاومة الاستعمار.
فلا بد من إعداد جيل جديد واع بماضيه

¹- تطواني، "حول الشبيبة والنهضة الأدبية"، جريدة الإصلاح،
عدد 256، 29 فبراير 1928، صفحة بدون رقم.

²- تطواني، "حول الشبيبة..."، م. س، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وبتراثه، مسلح بسلاح العلم الحديث
يستطيع أن ينهض بالبلاد ويأخذ بيدها
في عثراتها لتسترد استقلالها وتسترجع
مكانتها"¹. وذلك ما عبر عنه الفقيه
أحمد الرهوني الذي خاطب الشباب
بقوله: "ليس أملنا في شيخوخنا ولا في
كهولنا لأنهم أشرفوا على ما قدموا،
إنما الأمل كل الأمل في الشبان
النجباء الذين نبذوا الجلوس في كسور
البيوت نبذوا الإنكماش في حجور الأمهات
والجدات، نبذوا لذة النوم والراحة
في أركان أوطانهم فطافوا البلاد
وساحوا في أرض الله يبتغون فضلا من الله
ورضوانا يبتغون العلم ليرقوا بلادهم
ويخرجوها من ظلمات الجهل إلى نور
العلم، فإليهم أوجه كلمتي"².

فرهان النخبة المثقفة على الشبيبة
لتحقيق النهضة الوطنية، نتج عن
إيمانها بأنه "ما من أمة نهضت من
غفلتها ودب في عروقتها روح الحياة إلا
ورائدها الشبيبة"³، ولذلك وجهت
عنايتها الخاصة لهذه الفئة التي

¹ - عزي مان، محمد، البدايات الأولى للحركة الثقافية...، م. س، ص. 33.

² - الرهوني، أحمد، الرحلة المكية، م. س، صص. 27 - 28.

³ - تطواني، "حول الشبيبة..."، م. س، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

اعتبرتها "عماد المستقبل"¹، والتي
يمكن لها أن تعتمد عليها لإخراج
المغرب من حالة الجمود والانحطاط
الذي كان عليه.

وبناء على هذا الاقتناع، كان لابد
من السعي لتوجه أنظار الشباب
المغربي إلى نماذج الأمم الأخرى وما
تقوم به شبببتها من أدوار طلائعية في
سبيل إصلاح بلدانهم. إذ يقول محمد
داود: "لا يخفى ما كانت عليه بعض
الدول هذه بضع سنين من التأخير
والانحطاط بل كانت على هوة السقوط
... كمثّل الدولة اليابانية والتركية
والصينية. ثم أنظر ما بلغت إليه الآن
من حسن التنظيم والتقدم السريع
والتمدن الحديث. ولولا الشبيبة
الحديثة لكانت هذه الدول والأخرى
غيرها صارت نسيا منسيا. ولكن² قضى الله
أن تكون الشبيبة هي المنتشلة لها من
وهدة السقوط"³.

ومقابل ذلك انتقدت النخبة المثقفة
في خطابها أيضا واقع الشباب المغربي
وميولهم للخمول والكسل، وعدم قيامهم

¹- يحي ابن المغرب، "شباب الوم؟"، جريدة الإصلاح عدد 205،
20 دجنبر 1926، صفحة بدون رقم.

²- في الأصل كتبت لاكن.

³- تطواني، "حول الشبيبة ..."، م. س، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بواجبهم الطبيعي اتجاه الأمة والوطن،
على غرار ما تقوم به شبيبة الأمم
الأخرى، وهنا نقف على ما دونه محمد
داود يصف حالة الشباب المغربي
بقوله: "إذا ألقينا نظرة على العالم
أجمع نجد أن شبيبة العالم كلها قد
أنهت جميع ما ألقى على عاتقها
ونفذته تماما. ما عدا شبيبتنا -
شبيبة المغرب- فإنها لا زالت تغط في
نومها العميق. رغما من الصيحات
المزعجة التي ناداها بها البعض من
الشبان الذين تنبهوا من غفلتهم
ونفضوا عنهم غبار الجهل والخمول.
وقد ذهبت كل تلك الصيحات سدى.
فكثيرا ما نادت وكثيرا ما وعظت وكل
ذلك لم يجد نفعا"¹.

كما تم انتقد الشباب المغاربة
الذين تمسكوا بقشور الحضارة
الأوروبية الدخيلة عليهم وتعاطيهم
للمخدرات ومعاقرتهم للخمر والإقبال
على مواخير الدعارة، وانقيادهم
لإغراءات المستعمر الذي كان يهدف
لتحطيم كيان المجتمع المغربي. إذ
يقول عبد السلام بنونة "إني ... لا
أجد وجها ولا عذرا لرجل يتخلق

¹ - نفسه .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالعوائد الأوروبية ويتلبس بأحوالهم
وليس لديه من معلوماتهم شيء حتى
اللغة، ولا أراه إلا مصيبة على بلاده
وأمتة لكونه يقلد الأمة الغالبة
المغتصبة تقليداً أعمى و...،،، للأجنبي
اغتباطه بتلك الهيأة¹ واحتقاره
لهيئة² قومه، فيبقى الشباب المتفرنج
ببلادنا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء نحرهم
نحن من تنفيذ أفكاره والانتفاع بها
وأن بلغت من الإصابة ما بلغت لأن
العامة ينفرون من سماع أقواله فضلاً
عن قبولها"³.

وانطلاقاً من هذه القناعة دعت
النخبة المثقفة الشبيبة المغربية
إلى الابتعاد عن قشور الحضارة
الغربية والاهتمام بنظامها وعلومها
وصناعاتها، التي يمكن أن تعود عليهم
وعلى أوطانهم بالخير والازدهار، وذلك
ما عبر عنه (يحيى ابن المغرب)
بقوله: "يا شباب المغرب: أي شيء
يمنعكم من الترقى ومن الاقتداء
بالراقين في الأصول إلا في القشور...؟
فلماذا لا تعمرون أوقات الانكباب على

¹ - في الأصل كتبت الهيأة.

² - في الأصل كتبت لهيأة.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج1، صص. 371-372.

الموائد الخضراء - بالتعالي في
مطلعة الأوراق البيضاء؟ وماذا يضركم
لو استبدلتم حسو الأقداح الخندريسية
بارتشاف المعارف والحكم السلسبيلية؟
وكم من الفضل يعود عليكم وعلى
"جيوبكم" إن انتقلتم من إتباع خطوات
الغواني وفتيات الغرام، إلى اقتفاء
أثر العلم الصحيح وفلسفة العمران
والاجتماع؟ فماذا يمنعكم من كل ذلك؟
.. إنه الجمود والخمول والاستعباد
للأعراف المنحطة والاستسلام للتقاليد
والشهوات. واحتساء كأس الشقاء حتى
الثمالة¹.

إن الواقع الذي كانت عليه الشبيبة
المغربية من جهل وخمول وكسل، وكذلك
اغترار بعضها بأسلوب الحياة
الأوربية، نتج عنه ضياع العديد من
الطاقات والمواهب دون أن يستفيد
منها المغرب الذي كان في أمس الحاجة
إلى أبنائه. حيث يقول محمد داود:
"ونحن يعز علينا أن نرى شبيبتنا على
هذه الحالة المنحطة حتى يؤول² بنا

¹- يحي ابن المغرب، شباب اليوم؟"، م. س، صفحة بدون رقم.

²- في الأصل كتبت يؤول.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأمر لأن نصفها على رؤوس الملأ بالكسل والخمول ونسمها بالجبن والبلادة"¹.

وتأسفت النخبة المثقفة عندما رأت
أن الشبيبة الإسرائيلية قد نظمت
نفسها والتحقت بالمعاهد والمدارس،
لتنهل منها العلوم والمعارف وتتنق
الصناعات، في حين كانت الشبيبة
المغربية لا تزال تغط في نومها وغير
مبالية ما يجري حولها. وذلك ما دفع
داود للقول إنه: "لا لوم على من
يقول: إن لكل أمة شبيبة ناهضة ما
عدا² المغرب ... بل حتى قال البعض
ليتنا نشاهد ما وصلت إليه نهضة
الشبيبة الأدبية الإسرائيلية التي
بلغت الشأو البعيد من الترتيب
والإتقان. وهو كذلك، فإن من يطالع
الجرائد المختلفة يكاد يرى أن لا
تخلو كل واحدة منهن لا تصف حالة
النهضة الأدبية الإسرائيلية ... ونحن
أيتها الشبيبة المغربية. ما عندنا
من ذلك؟ وأين نهضتنا الأدبية؟ ...
إننا أخذنا عن طريق الاستقامة وذهلنا
عن كل شيء واضطجعنا على فراش الخمول
وعدم الشعور. ونمنا نوما هادئا حتى

¹- تطواني، "حول الشبيبة ..."، م. س، صفحة بدون رقم.

²- في الأصل كتبت عدى.

إذا ما استيقظنا وجدنا أنفسنا ونحن
كما نعلم «ويعلم العالم كله» فصعب
علينا النهوض من فراشنا خجلا أو كسلا.
أو. أو. و عاودنا النعاس أيضا فنمنا
ونمنا إلى ما شاء الله لكذا¹ مع الأسف
لم ندر ما حمل شببتنا على هذا
الرقاد الطويل. فإذا كان الخجل هو
المانع لها من النهوض. فإن هذا
العذر أقبح من الذنب. وإذا كان
الكسل فالمصيبة أدهى وأمر. وعلى كلا
الحالتين يصدق علينا قول من قال أن
لا شبيبة للمغرب. وأن الشبيبة
الإسرائيلية فاقتنا في النهوض الأدبي
و. و. إلى غير ذلك مما لا نرد أو
نخجل من الإفصاح عنه والتلميح إليه
".²

ولتحفيز الشبيبة المغربية وجعلها
تسترجع ثقتها بنفسها، حاولت النخبة
المثقفة في خطابها أن تبين لها
بأنها ليست أقل قيمة من غيرها.
وإنما ينقصها فقط "الشجاعة الأدبية"،
وكذا الوعي بمسؤوليتها، لتسترجع
مكانتها داخل المجتمع. وهنا نقف على
تعبير محمد داود الذي قال: "ليست

¹- في الأصل هكذا: لا كنا.

²- نفسه.

أرض مصر واليابان والصين مثلا أو غيرها من الأراضي تنبت شبيبة راقية يقبل فكرها كل البذور وأرضنا لا تنبت مثلها أو لا يقبل فكر شبيبته ما عد¹ بذور الشوك والأشجار العديمة الثمار. كلا بل ربما كانت أرضنا أخصب وأنعم من أراضيهـم. لكن² لم نجد من يقوم بنبشها وحرثها وتعهدا فمرت عليها القرون والأجيال حتى صارت قحطا لا تصلح لصالح إلا بعد الجهد الجهد ورغما عن ذلك فإن الكل يتدارك. ويمكن إدراكه سريعا... لكن³ أين العامل وأين من يعمل أيتها الشبيبة إن أمامك مجالا واسعا للعمل ولديك كل الوسائل التي تسهل عليك جميع ما يصعب،... إذ الأمور تدرك بالتدريج.. فيبرز الآن بقلمه ويتبعه الآخر. ويتبع الآخر الآخر. وهكذا إلى أن يبرز للميدان جمع فتحصل الكثرة إن شاء الله⁴.

فهذا الأمل الكبير الذي كانت تعقده النخبة المثقفة على الشبيبة المغربية، يتجسد بشكل واضح في كلام

1- في الأصل كتبت عدى.
2- في الأصل هكذا: لا كنا.
3- في الأصل هكذا: لاكن.
4- تطواني، "حول الشبيبة..."، م. س، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحاج عبد السلام بنونة الذي قال
لولده: " " إذا لم يكن شيء من ...
التقدم في قطرنا المغبون اليوم
فالمستقبل الذي تكونون أنتم رجاله
بحول الله وقوته كفيل بتقدم الأمة
ونجاحها أعانكم الله ووفقكم وأخذ بيدكم
ومتعنا بعافيتكم وأرانا فيكم ما
نؤمل من مقارنة العلم بالعمل الصالح
إنه تعالى سميع مجيب" ¹.

وفي السياق نفسه حاول (يحيى ابن
المغرب) أن يبرز قيمة الشبيبة داخل
المجتمع، وأكد على أن الوطن متوقف
في المستقبل على كفاءتها وعملها حتى
يصير في مصاف الدول المتقدمة، إذ
يقول: "أيها الشباب: أنتم عماد
المستقبل أنتم رجال العمل غدا. أنتم
قادة الأمة بعد غدا.. سعادة الوطن
العزیز أو شقاؤه بأيديكم، فاختاروا
لوطنكم ولأمتكم ما يرفع ذكرها بين
الأمم الراقية فأنتم المسؤولون -بل-
أنتم هم الزمان نفسه- ضرورة أن
الزمان كله صور. وهو بالنسبة إليكم
كالظل - إن خيرا فخييرا وإن شرا
فشرا- وهو قلب إذا انقلبتم وعليه فلا

¹ - رسالة من عبد السلام بنونة لابنه الطيب بتاريخ 18
يناير 1929، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية...، م. س، ج1، ص. 98

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يلام الزمان، وإنما الزمن أنتم ...
يا شبان المغرب: إن الوطن في حاجة
إليكم بل إلى معارفكم -فأنتم قوامه
وعماده- وإن هذه العصر عصر كفاءات
وشهادات وإجازات¹. لأن المغرب حسب
تعبير الحاج عبد السلام بنونة كان
متوقفا "علي رجال ذوي مقدرة في
المعارف بأنواعها ليكونوا قادة
للشعب"².

وكانت النخبة المثقفة واعية بأن
الشبيبة ستجد في أول الأمر الكثير من
الصعوبات من أجل شق طريقها نحو
النجاح، وأنها "ستصادف في سيرها
(الكثير) من العقبات والموانع"³.
ولذلك دعتها إلى التحلي بالشجاعة
والصبر حتى تحقق مرادها وتفرض
نفسها، وتقف "أمام تلك الموانع وقفة
شجاع خبير لا وقفة جبان قصير تخيفه
الأحوال وتقهره المصاعب"⁴. لأن
الشبيبة النافعة والراقية عندما
تبلغ سن الرشd "ترسم لنفسها طريق
السير والعمل الذي لأجله وجدت في هذا
العالم. فتنظر نظرة الخبير البصير

¹- يحي ابن المغرب، شباب الوم؟"، م. م. س، صفحة بدون رقم.

²- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية

....، م. م. س، ج1، ص.99

³- تطواني، "حول الشبيبة"، م. م. س، صفحة بدون رقم.

⁴- نفسه.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ما على يمينها وشمالها وأمامها
وخلفها وما هو الواجب عليها في ذلك
ثم النظر في جميع شؤون الحياة من
سعادة وشقاء وخير وشر وأفراح وأتراح
وغني وفقير. وعدل وظلم ويسير وعسر
وقريب وبعيد وسهل وصعب وظلم وإلخ
فتجد أمامها مجالا واسعا للعمل الذي
لأجله وجد كل إنسان¹.

ومن هنا برزت دعوة الشبيبة
المغربية للتسلح بالعلم والمعرفة
والانكباب على تعلم الصناعات الحديثة
التي صارت ضرورة العصر، خاصة وأن
المغرب كان في ذلك الوقت خاليا "من
كل قسم من أقسام الهندسة الفنية
الصناعية"²، الشيء الذي جعل الفقيه
أحمد الرهوني يدعو الشبيبة للاجتهد
ومزاحمة الأجانب في تحصيل العلوم
الحديثة إذ يقول: "يا معشر الشبان
متى أرى فيكم فرقة عظيمة تركب متن
الكهرباء وتزاحم الأوروبيين الذين
يظنون أن لهم عقولا فوق عقولن؟ متى
نرى لنا مطارا عظيما تديره فرقة
منكم؟ ... أولادي قوموا على ساق في

¹ - نفسه .

² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة إلى ابنه الطيب
مؤرخة ب 31 أكتوبر 1931. أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب
الحركة الوطنية المغربية م. س، ج1، ص. 144.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تعلم العلوم والزموا ووحداوا صفوفكم
وقووها بالدعوة إليها وقبول من انضم
إليكم ولا تردوا من التجأ إليكم ولو
لم يكن على دينكم بشرط أن يقبل
عهودكم ويلتزم شروطكم"¹.

كما ذهب الحاج عبد السلام بنونة
في الاتجاه نفسه واعتبر أن البلاد في
أمس الحاجة "للمحامين والمهندسين
والأطباء والاقتصاديين"² وأن يوجد بها
كذلك "البنائون والصناعون
والكيماويون والفلاحون"³. ولهذا نجده
يدعو ولده الطيب للتخصص في أحد
العلوم الهندسية حيث يقول له:
"أؤكد لك دائما هو رغبتى العظيمة
في تخصصك في فن من الفنون بعد
الفراغ من مدرسة النجاح مع استعدادي
دائما لأداء كل ما يلزم من المصاريف
مهما عظمت". لأن بنونة كان مقتنعا
بأن العلوم هي "فرض عين"⁴ على

¹ - الرهوني، أحمد، الرحلة المكية، م. س، صص 27- 28 - 29.
² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة إلى ولده الطيب
بتاريخ يوم 2 أبريل 1930، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد،
أب الحركة الوطنية المغربية، م. س، ج1، ص. 99
³ - رسالة من عبد السلام بنونة لولده الطيب مؤرخة ب 20
غشت 1930، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية المغربية، م. س، ج1، ص. 145.
⁴ - رسالة من عبد السلام بنونة لولده الطيب مؤرخة ب 20
غشت 1930، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية المغربية، م. س، ج1، ص. 145.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المغاربة "يجب أن يقوم بتعلمه البعض
ليسقط على الباقيين"¹. ولتحقيق هذه
الغاية دعا الرهوني الشبيبة
المغربية لتتوجه نحو بلدان أخرى
للاستفادة من علومها وفنونها إذ
يقول: "إني أتمنى من الله عز وجل أن
تمتلئ إسبانيا وغيرها ببعثات من
شبابنا ليغترفوا من بحور علومها ما
ينفعون به بلادهم ويتعلموا الصناعات
كلها"².

ودعت هذه النخبة أيضا، الشباب
المغربي لمواصلة تعلمه للعلوم
والصناعات مع تعلم ناصية القراءة
والكتابة في الوقت نفسه، حتى تتمكن
من نشر أفكارها النهضة وخبراتها
العلمية على صفحات الجرائد والمجلات
ليستفيد منها غيرها. إذ يقول محمد
بن عيد الكريم الخطابي "أوصيكم يا
أبنائي بالقراءة والكتابة، عليكم أن
تعودوا أنفسكم على ممارسة الكتابة
وتدوين خواطركم ومشاهداتكم اليومية،
... عبروا عن أحاسيسكم باللغة
الريفية الأمازيغية أو العربية أو
بخلط بينهما، فالمهم هو التعبير

¹ - نفسه، ص. 145.

² - الرهوني، أحمد، الرحلة المكية، م. س، صص. 29 - 30.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**الصادق الأمين عن المشاعر، والأهم هو
اكتساب ناصية الكتابة والتعود على
ممارستها ¹. لأن تسلح الشبيبة
بالعلوم العصرية وإتقانها للكتابة
والتأليف يجعلها قادرة على نقل
خبراتها وأفكارها ومعارفها لغيرها،
فتبين "الكبير والصغير بلسان فصيح
عذب ما تريده هذه النهضة من أعمالها
الصالحة وفوائدها الجمّة التي تعيش
الأمة تحت ظلها سعيدة مطمئنة"، رافضة
لكل العوائد المنحطة وتهديم ما يضر
بالأمة من القوانين والمعتقدات
وتشييد ما يجب عليه العمل لكونه
يرفع من شأن الأمة ويقودها إلى حيث
المنفعة والتربّع على بساط العز
والسيادة فينحاز إلى جانبها "بسبب
بسط هذه الأفكار من بين طبقات الأمة"
كل من له فكر سام ويفكر في تحرير
الأفكار من عقال العبودية
والاستبداد ².**

وعموماً فالنخبة المثقفة بشمال
المغرب كانت ترى أن الشروط الضرورية
لتحقيق النهضة الوطنية، يتطلب

¹ - الرايس، محمد، **شهادات عن المقاومة في عهد الزعيم
محمد بن عبد الكريم الخطابي**، منشورات تيفراز، مطبعة
النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2011، ص. 6.

² - تطواني، "حول الشبيبة..."، م. س، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالأساس تنوير الفكر العام المغربي وإرشاده، وتوحيد طبقات الأمة، وتحديد واجبات أفرادها وجماعاتها، اتجاه شبابهم، من أجل خلق جيل جديد ناهض ومثقف. ولكن هذه النخبة كانت مقتنعة أن كل ذلك لن يتم تحقيقه إلا بالاعتماد على مجموعة من الوسائل الأساسية كالعمل على إنشاء المدارس لنشر التعليم وتأسيس الصحافة الحرة للرفع من المستوى الثقافي للأمة المغربية، وتطوير الاقتصاد المغربي، وتكوين الجمعيات والهيئات العمومية¹. فما هي إذن أهم المجهودات التي قامت بها النخبة المغربية المثقفة من أجل تنزيل خطابها النهضوي على أرض الواقع؟ وما هي الظروف التي ساعدتها على ذلك؟

¹ - أشقرا، عثمان، الوطنية والسلفية الجديدة بالمغرب من 1930 إلى 1956، منشورات اتصالات سبوء، مطبعة النجاح الجديد، 2007، ص. 202.

الباب الثاني: مجهودات النخبة المثقفة بشمال المغرب لتحقيق

مشروعها النهضوي : بين تماطل المستعمر ومحدودية الإمكانيات الذاتية

مقدمة الباب الثاني

تميزت النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية بكونها لم تكتف فقط بالدعوة إلى النهضة وإصلاح المجتمع المغربي، وإنما ساهمت من جانبها بالعديد من الخطط والمشاريع العملية، التي شملت مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية. وحرصت على تنزيلها على أرض الواقع، إما بواسطة التأثير على الإسبانين ومطالبتهم بالقيام بمجموعة من الإصلاحات الضرورية، أو عن طريق الاعتماد على النفس وإنجاز بعض المشاريع الوطنية البديلة عن المؤسسات الاستعمارية¹.

وساعد جو الانفراج والتفاهم الذي طبع العلاقة بين النخبة المثقفة والسلطات الاستعمارية بشمال المغرب، على تحقيق العديد من المطالب وكذلك المشاريع والبرامج التي طرحتها النخبة المثقفة. إذن فما هو موقف

¹ - عزيমান، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية ..."، م. م. س، صص. 35 - 36.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

النخبة المثقفة بشمال المغرب من
نظام الحماية الإسبانية؟ وما هي أهم
المطالب التي قدمتها هذه النخبة؟
وما هي أهم المنجزات التي حققتها
السلطات الإسبانية؟ وما هي أهم
المشاريع الوطنية التي أنجزتها
النخبة المثقفة بشمال المغرب؟

الفصل الأول: موقف النخبة
المثقفة بشمال المغرب من
الحماية الإسبانية والرغبة
في تحقيق المطالب

المبحث الأول: التعايش والتعاون مع الحماية الإسبانية ومحاولة الإصلاح من الداخل

1. موقف النخبة المثقفة بشمال المغرب من نظام الحماية الإسبانية

إن أول ملاحظة يمكن أن يسجلها الباحث في تاريخ شمال المغرب على عهد الحماية، هي طبيعة العلاقة بين النخبة المثقفة والسلطات الاستعمارية الإسبانية، التي تميزت في أغلب المراحل بالتعاون و"التعايش الإيجابي"، الأمر الذي نتج عنه انفراج سياسي مهم ساعد النخبة المثقفة على الاشتغال في جو من الحرية النسبية التي سمحت ببعض التحركات، وسهلت لها القيام بعدة اتصالات داخلية وخارجية¹.

ويعزى ذلك الانفراج الذي حظيت به المنطقة الشمالية على عهد الحماية، إلى حالة عدم الاستقرار التي كانت عليها الدولة الإسبانية، حيث سيتعاقب

¹ - المساري، محمد العربي، "من الاحتواء إلى التعددية المدبرة إلى الحزب الإداري"، ضمن كتاب: المغرب بأصوات متعددة، سلسلة شراع، ع. 2، ط. 2 ماي 1997، ص. 142.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

على حكمها ما بين 1913 و1936، عدة
أنظمة من ملكية ودكتاتورية
وجمهورية¹، الأمر الذي كان له الأثر
الواضح على الإدارة الاستعمارية بشمال
المغرب، إذ سيتولى إدارة شؤون
المنطقة منذ فرض الحماية إلى اندلاع
الحرب الأهلية سنة 1936، 15 مفوضاً
سامياً². هذا علاوة على كون إسبانيا
كانت تفتقد التجربة في الميدان
الاستعماري³، ذلك أنه حينما بدأت
الحملة على المغرب لم يكن لإسبانيا
جيش مهياً لحرب استعمارية غير معروفة
النتائج⁴.

كل هذه العوامل السابقة، فرضت على
السلطات الاستعمارية الإسبانية اتباع
سياسة سلمية بالمدن، للتخفيف من
عجزها، خاصة بعدما لقيت مواجهة
عنيفة من طرف القبائل الريفية

¹- Garacia, Figueras, Tomas, **Marruecos**, Ediciones FE, Barcelona 1941, p. 184.

² - Gómez Jordana Souza, **La Tramoya de nuestra actuación en Marruecos**, Editaría Nacional, Madrid, 1976, p. 50.

³ - ميكل، مرين، م. س، ص. 39.

⁴ - المساري، محمد العربي، "من الاحتواء إلى التعددية
..."، م. س، ص. 142.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والجبيلية، فعملت على استقطاب ذوي
النفوذ وكبار الأعيان¹.

وفي المقابل كانت أيضا النخبة
المثقفة بشمال المغرب أكثر واقعية
وعقلانية، لكونها كانت مقتنعة أنه من
الصعب الدخول في مواجهة مفتوحة مع
المستعمر، خاصة أنها تعيش داخل
المدن المنزوعة السلاح والواقعة تحت
سيطرة الجيوش الأجنبية²، كما كانت
هذه النخبة واعية بأن فرض الحماية
على المغرب لم يكن سوى تأكيد لحتمية
كانت متوقعة بالنسبة لهم منذ مدة
طويلة. وهو أخف مما كانت تخشاه³،
مادام أن إسبانيا وهي أضعف الدول
الاستعمارية، جاءت بموافقة السلطان
لمساعدة المغرب وجعله **"وطنا
عصريا"**⁴. وبالتالي ستجد هذه النخبة
نفسها حبيسة الانتماء إلى الأعيان
ومشروطة بشرط عقد الحماية الموقع من
طرف السلطان نفسه. فلم يبق أمامها
سوى العمل على الترحيب بالسلطة

¹- العلوي، زين العبدین، المغرب من عهد الحسن الأول إلى
عهد الحسن الثاني، ج. 3 مطبعة IDGI، الرباط، 2009،
ص. 167

²- عزي مان، محمد، "عمل الحاج عبد السلام بنونة في
الميدانين الثقافي والاجتماعي"، مجلة الإيمان، ع. 95،
السنة العاشرة، 1980، ص. 29.

³- عياش، جرمان، أصول حرب...، م. س، ص. 166.

⁴- نفسه، ص. 167.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الدخيلة ومساعدتها على الاستقرار
لتنفيذ "مشروعها التحضيري"¹.

وذهبت بعض العناصر من هذه النخبة
بعد دخول الإسبان إلى شمال المغرب
إلى أقصى درجة من الغلو و"التطرف"
في قبول الحماية²، لا على أساس كونها
استعماراً، بل على اعتبار أن إسبانيا
أتت إلى شمال المغرب "حاملة في
كفيها الحضارة والتمدن العصري"³.
وأن مساعدتها ستكون وسيلة للترقي
بالمستوى الاقتصادي والثقافي للسكان،
وإخراج المغرب من التخلف الذي يقبع
فيه⁴، عن طريق "المحافظة على الأمن
وتوطيد أركان الحضارة ومد يد
المساعدة لأسباب اقتصادية وتسهيل
الطرق المواصلات وترقية التجارة"⁵.

كما أن اقتناع هذه الفئة بمبدأ
القبول بالحماية الإسبانية، وتأيدها

¹- نفسه، ص. 167.

²- من أهم الذين آمنوا بهذا المبدأ نجد محمد بن عيد
الكريم الخطابي في بداية عهده، وكذلك العلامة أحمد
الرهوري الذي جاهر بمواقفه المؤيدة للحماية وسطرها في
خطبه ومؤلفاته.

³- الرهوري، أحمد، عمدة الراوين، م. س، ج. 2، ص.
146.

⁴- دي ماداريكا، ماريا روسا، محمد بن عبد الكريم
الخطابي، م. س، ص. 69.

⁵- الرهوري، أحمد، عمدة الراوين، ج. 2، م. س، ص.
146.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

للمستحدثات الأجنبية، لم يكن مبنياً
على الفراغ. بل إن تلك القناعة كانت
قائمة على منطق أن البلاد في حاجة
لإصلاحات عميقة وشاملة، من شأنها
إنقاذ المجتمع مما كان يتخبط فيه من
مشاكل وتقهقر واضطراب، وحاجته
لتطوير علومه وصناعته عن طريق
مساعدة الدولة الحامية¹.

وإيماناً من أصحاب هذا التيار
بالرسالة الحضارية - التي كانت تروجها
إسبانيا لتسهيل عملياتها الاحتلالية
بشمال المغرب- كانوا لا يترددون في
إعلان مواقفهم، وانتقادهم للمغاربة
الذين يرفضون هذا الدور التحضيري
لإسبانيا، ودعوتهم لهم باستغلال
الموقف لإصلاح أنفسهم وتحديث بلادهم
"**على النمط الأوروبي**"²، وخاصة
النموذج الإسباني. ومثل هذا التيار
الفقهاء والعلماء الذين شغلوا بعض
المناصب في الإدارة الإسبانية أو في
الحكومة الخليفية، وبالتالي كانت
مواقفهم وأفكارهم تسير في الغالب

¹ - الهيروز، بديعة، "قراءة تحليلية للائحة مطالب وطنية
مقدمة لسلطات الحماية الإسبانية سنة 1926"، ضمن أعمال
ندوة: السلطة والمجتمع على عهد السلطان مولاي يوسف،
جامعة مولاي علي الشريف الدورة الثالثة عشرة، 2006، ص.
257.

² - عياش، جرمان، أصول حرب...، م. س، ص. 179.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

توجهات الحماية الإسبانية، التي
أشادوا بها ومجّدوها¹، وأبانوا عن
تعاونهم المطلق معها لإصلاح حال
البلاد².

ومن أبرز عناصر النخبة المثقفة
الذين دافعوا عن نظام الحماية
الإسبانية هناك محمد بن عبد الكريم
الخطابي عندما كان موظفا في
إدارتها، حيث كان يرى بأن إسبانيا
تقوم بمساعدة المغاربة والريفيين
للخروج من الفقر والجهل وذلك ما
تؤكدّه إحدى مقالاته المنشورة بجريدة
تلغراف الريف بتاريخ 22 دجنبر 1912
تحت عنوان "مقاصد دولة إسبانيا في
المغرب وبالأخص في بلاد الريف" حيث
قال: "إن إسبانيا لم تأت إلى هذه
البلاد بقصد خصوصي يعود عليها بغنيمة
ولا بقصد التنصيب والعزل والتغيير
والحط من مقام أهل الكرامة. كلا وألف

¹- الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
أو تصور النخبة التطوانية لمحددات نجاح سياسة الحماية
الإسبانية بالمنطقة الخلفية'، ضمن أعمال ندوة الحماية
والمقاومة المغربية على عهد السلطان مولاي يوسف، الدورة
الثانية عشرة، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، دار
المناهل، 2005، ص. 126.

²- التمساني خلوق، عبد العزيز، "الحماية الإسبانية من
خلال عمدة الراويين في تاريخ تطاوين للفييه أحمد
الرهوني"، مجلة دار النيابة، عدد 18، سنة 1988، ج. 1، ص.
60.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كلا إن إصبايا أتت بقصد الإصلاح
والخير العام والمنفعة المتبادلة
والمساعدة بالعدالة والمحاماة
للدفاع عن المظلوم والمساواة بين
الرعية وتنوير العقول بالعلوم وفتح
دور العلم والمعارف والمحافظة على
الدين وإكرامه ... وكما قلنا قبلا
ونقول الآن فإنه لا غاية لها سوى نجاح
الريفيين وتقديمهم المادي والأدبي وقد
كتبنا في هذا الموضوع مرات عديدة
ولكنه، لعله بالإعادة إفادة"¹.

كما اعتبر أحمد الرهوني أن
"المقصود الوحيد للدولة الحامية
الفخمية المدفوعة لاحتلال هذه المنطقة
السعيدة بنصوص الأوفاق الدولية، هو
... مد يد المساعدة لمخزنها الشريف،
لتكون المنطقة ممثلة لغيرها في
الدين والعلوم والتجارة والفلاحة
والأمن التام، قادرة على القيام
بشؤونها أهلة بسكانها. فحينئذ
تتركها تدير شؤونها كما يترك الأستاذ
التلميذ حين بلوغه حد الرشد وترجع
حاملة لواء الشرف". كما اعتبر كذلك
أن الحماية الإسبانية قامت بالعديد

¹ - الطيبي، عبد الرحمان؛ الإدريسي، الحسين، التربية والتعليم في برنامج محمد بن عبد الكريم الخطابي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص. 128.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

من المنجزات، التي أخرجت المغرب من
حالة الفوضى إلى حالة المدينة إذ
يقول: "وفتحوا دور الصناعة للقاصدين
وبنوك الزراعة للوافدين فحيثما توجه
الإنسان لجهة من جهات المنطقة وجدها
روضة زاهرة بعد أن كانت غابة
قاحلة... قد كان المسافر في البوادي
يحتاج إلى الحراس أو مصانعة أهل
الفساد حتى لا يقتلوه أو يسلبوه وقد
كان السفر ممنوعا في طرفي النهار
فضلا عن الليل فصار الواحد يذهب حيث
شاء ليلا... وغاية ما نقول أن
الحماية قد غيرت المنطقة من حالة
التعس إلى حالة السعد ومن حالة
الفقر إلى حالة الغنى ومن حالة
الجهل إلى حالة العلم ومن حالة
الخوف إلى حالة الأمن ولا يخطر ببال
أحد أنها غيرت شعرة واحدة من حالة
الديانات والعادات بل بالعكس حافظت
كل المحافظة على الديانات والعادات
وراقبت أعمال الأعباس... وحافظت على
الأحكام الشرعية والمخزنية فساعدت
جانب المخزن الشريف على تولية
الأكفاء من الحواضر والبوادي للقضاء
والعمالة والحسبة والمواريث وراقبت
أعمال الجميع"¹.

¹ - الرهوني، أحمد "الخطاب الذي ألقاه في حفلة الأسواق

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وعبر محمد بن محمد الزواق عن
الموقف نفسه حيث أبدى إعجابه الكبير
بما كانت تبذله الحماية الإسبانية من
أجل تمدين شمال المغرب "حتى عم الأمن
والأمان كل نواحيها واستتبت الطمأنينة
في قلوب جميع سكانها"¹.

وإلى جانب هذا التيار المدافع عن
الحماية، كانت هناك عناصر أخرى من
النخبة المثقفة أكثر اعتدالا في
موقفها من الحماية والحدثة، وتؤمن
بالأمر الواقع. وهي بدورها كانت
مطلعة على المجريات والتحولت
العالمية، وما صاحبها من تغيرات في
نمط الحياة. كما أنها كانت على وعي
بالسياسة الاستعمارية الإسبانية،
ومطلعة على مشاريعها وأهدافها
الاستعمارية المحضة. لكن في الوقت
نفسه كانت هذه الفئة من النخبة
المثقفة مقتنعة أنه من المستحيل
الدخول في صدام مباشر مع الإسبان، في
أي ميدان من الميادين²، وأن الجهاد
الذي يجب أن يخوضه المغاربة يجب أن

الأدبية بمدينة سبتة"، مجلة الاتحاد، ع. 18، ص. 1-2
¹ - الزواق، محمد بن محمد، "تطوان تسعد بحلول الملوك
فيها"، مجلة الاتحاد، ع. 8، ص. 2.
² - جون، ولف، م. س، ص. 134.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يتخذ طابعا سلميا سياسيا¹. وبالتالي
كان موقفهم يميل إلى التفاهم
والتعايش مع الحماية الإسبانية،
ومحاولة استغلال أي وسيلة للنهوض
بالمغرب والمغاربة، شريطة موافقتها
لأصول الشريعة الإسلامية²، وما يحترم
هوية المغاربة وثقافتهم.

ويعتبر الحاج عبد السلام بنونة
رائد هذا التيار وقائده، لما امتاز
به من ذكاء ونشاط وسعة اطلاعه
ومعرفته بالعلوم والقوانين والسياسة
وإتقانه للغة الإسبانية³، هذا علاوة
على وطنيته المتقدة وروحه الإسلامية
وأفكاره المتنورة، وشجاعته، ومطامحه
القومية، كلها عوامل جعلته ينتبه
إلى أوضاع أمتة، في عهد انحلالها⁴.
فكان يرفض وجود جيوش الدولتين
الأوروبيتين وإدارتيهما على أرض
وطنه. إلا أنه كان يؤمن بعقم مواجهة

¹- ابن عزوز حكيم، محمد، "بنونة الحاج عبد السلام"،
معلمة المغرب، ج. 5، منشورات الجمعية المغربية للتأليف
والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1992، ص. 1493.

²- الشرف، محمد، "قراءة في كتاب: اللسان المعرب عن
تاريخ وساسة ملوك المغرب"، ضمن ندوة، تطوان على عهد
الحماية 1912-1956، مطبعة عكاظ، الرباط، 1992، ص. 232.

³- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 382.

⁴- بنونة، الطيب، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة
بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، طنجة،
مطبعة دار الأمل، 1980، ص. 47.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الاستعمار مواجهة عسكرية مفتوحة
بالنظر لاختلال موازين القوة من جهة .
ومن جهة ثانية كان يرى بأن العدو
الأكبر الذي يهدد المغرب يتمثل في
انحطاط المجتمع ، وعجزه عن رفع
تحديات العصر¹ . وذلك لكونه -حسب
الأمير شكيب أرسلان- : "كان يعلم أن
رقي الأمم في معارج الفلاح لا يتم إلا
إذا نظرت الأمة إلى إزاحة عللها من
جميع الوجوه بدأت بأقربها ، ونشطت
لأمسها حاجة ، وأن الجهاد السياسي
وحده لا يغني أصحابه إلا إذا جاء
مقرونا بالجهاد العلمي والجهاد
الاقتصادي والجهاد الأدبي ، وأن الأمة
التي تبقى عالة على غيرها في
احتياجاتها الاقتصادية فعبثا تجاهد
في تحقيق استقلال سياسي"² .

وبناء على هذه القناعة وجه الحاج
عبد السلام بنونة كل اهتماماته
لتحقيق نهضة وطنية عن طريق تفادي
الاصطدام المباشر مع الإسبانيين ،
والتسرب للإدارة الاستعمارية
والمشاركة في الحكومة الخليفية
ومحاولة التأثير من أجل تنفيذ بعض

¹ - ازحيمي، عاهد، "عبد السلام بنونة ... م . س ، ص . 65 .

² - بنونة ، الطيب ، نضالنا القومي ... م . س ، ص . 53 .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الإصلاحات، والعمل على توعية الشعب،
وتكوين الشبان المغاربة وتثقيفهم،
وخلق مشاريع اقتصادية وطنية عن طريق
الاستغلال الذاتي لخيرات البلاد،
بالإضافة إلى القيام بالدعاية
المنظمة من أجل توعية الأوساط
الشعبية وبث الروح الوطنية في نفوس
المغاربة¹.

ولتطبيق هذا البرنامج استقطب
بنونة بعض الشباب المثقف والمتحمس
إلى صفه، من أبرزهم أخوه امحمد
بنونة ومحمد داود والتهامي الوزاني،
علاوة على بعض أصدقائه، حيث كان يعقد
كل يوم أربعاء جلسة ببيته للتداول
في القضية المغربية. فكانت تلك
اللقاءات مهداة لبداية الشعور الوطني
بشمال المغرب، وتميز كل عناصر هذا
التيار برغبتهم القوية في إصلاح
المجتمع المغربي وتطهيره من كل زيغ
ورجعية عن طريق نشر التعليم وبث
الأفكار الإصلاحية بين الأوساط الشعبية.
بالإضافة إلى اعتدال موقفهم من
الحماية الإسبانية، وتأيدهم لمبدأ
التعايش وتفادي الاصطدام المباشر².

¹ - ولف، جان، م. س، صص. 136 - 140.

² - بوطالب، عبد الهادي، ذكريات ...، م. س، ج. 1، ص. 358.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

فوعي عناصر هذه النخبة المثقفة
بحدود إمكانياتهم، جعلتهم يبحثون عن
وسائل تمكنهم من ضمان نوع من
التعايش مع الإدارة الاستعمارية
الإسبانية، حتى تتمكن من تنزيل
مشروعها النهضوي. ولأجل ذلك سعى
الحاج عبد السلام بنونة منذ وقت مبكر
لتأسيس حزب "الائتلاف المغربي
الإصبنيلي"، الذي كان القصد منه حسب
ما جاء في المادتين الثانية
والثالثة من الفصل الأول من نظامه
الأساسي "العمل على المصالح العامة
واتخاذ الوسائل للتعارف بين
الفريقين بجميع أنواع الوسطاء
وتبيين محسنات الاتحاد والتعاون في
الأعمال مع احترام ما يرجع للديانات
والاهتمام بمساعدة الدولة في بسط
الأمن والراحة"، وكذلك "المطالبة
بحقوق الشعب المادية والأدبية وتعلن
برغبتها لاعتقاد جميع أفرادها يقينا
أن الدولة الحامية لا تجحف بحقوق
محميها"¹.

كما كانت سياسة الاعتدال والعقلانية
التي نهجتها النخبة المثقفة في

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، من أعلام تطوان الحاج عبد السلام
بنونة، م. س، ج. 1، ص. 105.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تحديد علاقتها مع إدارة الحماية
الإسبانية¹، قائمة كذلك على وعيها
بطبيعة الوضعية الاستعمارية التي
عرفها المغرب، وتقسيمه إلى مناطق
تابعة للحماية الفرنسية وأخرى تابعة
للحماية الإسبانية، بالإضافة إلى نظام
طنجة الدولي. حيث شكل هذا التقسيم
محور انشغال أساسي لدى النخبة
المثقفة بشمال المغرب، التي كانت
تتلافى أن يكون مسعاها النضالي معرقلا
للوحدة الترابية للمغرب، واقتناعها
بأن الاستعمار الإسباني بشمال المغرب
كان له ارتباط بطرف آخر هو فرنسا،
وبالتالي فإن التحرر من إسبانيا كان
يمكن أن يؤدي إلى إقامة وضع مستقل
في المنطقة الشمالية².

وتأكد ذلك بشكل جلي بعد سقوط
الملكية وقيام النظام الجمهوري
بإسبانيا سنة 1931، حيث أفصح جميع
عناصر هذه النخبة المثقفة بشمال
المغرب عن عدم رغبتهم في مطالبة

¹ - الدفالي، محمد معروف، "النخب والعمل الوطني"، ضمن
أعمال ندوة: شمال المغرب إبان فترة الحماية وبداية عهد
الاستقلال، تحت إشراف محمد القبلي، تنسيق المعطي، منجب،
منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط،
2014، ص. 2017.

² - المساري، محمد العرب، "إشكالية الاستقلال والوحدة في
عمل الحركة الوطنية في الشمال"، ضمن كتاب: المغرب
بأصوات متعددة، سلسلة شراع، ع. 2، ط. 2 ماي 1997، 79.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الاشتراكيين بالاستقلال النهائي. وعن
السبب في ذلك، صرح محمد داود لأحد
مراسلي جريدة الفتح المصرية بقوله:
"إن المنطقة هنا هي تحت نفوذ
السلطان مع وجودها تحت حماية
إسبانيا والسلطان هو بيد فرنسا فليس
أحب على هذه من خروج إسبانيا
لتتطاول هي على هذه المنطقة باسم
المعاهدات الدولية وتجعل المغرب كله
تحت نفوذها، ونحن نفضل أقل الأدواء
ضررا، وهذا لا يمنعنا من طلب حريات
داخلية واسعة وشبه استقلال داخلي
يسمح لنا بتسيير مصالحنا بأنفسنا ولا
أظن أن الجمهورية الإسبانية إلا
موافقة رغباتنا، وإلا كانت ناسية
لعهودها السابقة مستهزئة بمبادئها
التي تدين بها والتي من أجلها حطمت
عرشا من أعرق العروش"¹.

وعبر كذلك امحمد بنونة عن الموقف
نفسه إذ قال: "وإسبانيا لو يعلم
رجالها السياسيون كم يربحون من
القلوب عندما يسمحون لنا باستنشاق
بعض الأنفاس من الحرية لساعدتنا
ولأعطينا الحرية الكاملة. وذلك لأننا-

¹ - "كيف قابل المغاربة الجمهورية الإسبانية"، مجلة الفتح
، ع. 252، 10 محرم 1350، ص. 8.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مهما تطرفنا في وطنيتنا- فإننا لا
نطلب منها الانفصال ولا نقوم بثورة
ضدها في هذا الوقت الذي أعلنت فيه
جمهوريةها الحرة، وكل ما نريد هو أن
نعيش كأناس القرن العشرين، وهذا لا
يكلفها لا كثيرا ولا قليلا، وكذلك أيضا
لا نريد من إسبانيا أن تكون آلة بيد
أعدائها وأعدائنا من الاستعمارين
الفرنسيين أولئك الذين خسروا مركزهم
في قلوبنا وقلوب العالم الإسلامي فلم
يستطيعوا أن يروا إسبانيا تتقرب لنا
ولا أننا نتقرب لها، ولم يقدروا على
رؤية العالم الإسلامي الناقم على
سياستهم البربرية راضيا عن سياسة
إسبانيا مع أبناء عمومها المغاربة
سياسة الليونة والعواطف والهدوء
والوداد. هذا كل ما نريد من إسبانيا¹.

ومن خلال هذه التصريحات، نستنتج
مدى حرص النخبة المثقفة بشمال
المغرب على عدم إثارة موضوع الاستقلال
التام عن إسبانيا لغياب الشروط
الملائمة لذلك. واكتفت فقط بالمطالبة
بالإصلاحات في إطار نظام الحماية

¹- رسالة من امحمد بنونة إلى ولد أخيه الطيب، بتاريخ 1
غشت 1932، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج امحمد بنونة، ج.1، م. س، ص. 169.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الإسبانية. وهو ما عبر عنه الحاج عبد
السلام بنونة في تصريحه لمجلة الفتح
المصرية التي استجوبته حول موقفه من
الانقلاب الذي حدث في إسبانيا إذ قال:
"نأمل أن نحصل ... على بعض حقوقنا
الطبيعية وحرياتنا المقدسة. ولست
أقول هذا غرورا فإني أعلم علم
اليقين أن الاستعمار هو هو سواء كان
جمهوريا أو ملكيا، وإنما الذي يثبت
آمالنا هم الرجال القابضون على زمام
الحكم الآن فما منهم إلا من عذب أو
سجن أو نفي لإبداء رأيه أو دفاعه عن
حقه، فلذلك قريبون إلى فهم الرغبات
العادلة التي سيتقدم إليهم بها
الشعب"، وتابع حديثه قائلا: "ومن
مصلحة إسبانيا أن تسترضي محمييها
هنا إذ من المعلوم أن بعض الدول لا
هم لها إلا إثارة القلاقل على
الجمهورية الفتية خدمة للأذفونش، أما
لو توقفت على جلب عواطف المسلمين
فلن ينجح أعداؤها في العمل ضدها
هنا"¹.

تحكمت الوضعية الاستعمارية التي
كان عليها المغرب بشكل كبير على

¹ - "كيف قابل المغاربة الجمهورية الإسبانية"، م. س، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

موقف النخبة المثقفة بشمال المغرب،
التي ستجد نفسها مضطرة لقبول مبدأ
التعايش مع نظام الحماية الإسبانية،
حتى يتأتى لها التنديد بالسياسة
الفرنسية، لأنها كانت ترى بأن الإطاحة
بنظام الحماية الفرنسية، هو الذي
سيكفل تحرير شمال المغرب من نفوذ
الإسبان¹. بينما الاكتفاء فقط بالإطاحة
بالحماية الإسبانية، فإنه سيؤدي حتما
إما إلى واقع انفصالي، أو إلى تسليم
المنطقة لفرنسا لتشمل سياستها
القاسية مجموع التراب الوطني².
ولذلك عندما انتشرت إشاعة تخلي
إسبانية الاشتراكية عن المغرب،
ارتبكت النخبة المثقفة في كل
حساباتها³، وساد نقاش بين عناصرها،
أبان عن انبثاق فكر استراتيجي يقظ،
تمحور حول استقراء أبعاد وعواقب تلك
الفكرة، حيث تؤكد العديد من الرسائل
ما قامت به هذه النخبة من اتصالات
داخلية وخارجية، لاستشراف آفاق تطور

¹ - بوطالب، عبد الهادي، ذكريات ...، م. س، ج. 1، ص. 358.
² - العربي المساري، محمد، المغرب خارج سياج الحماية
العلاقات الخارجية للحركة الوطنية، مطبعة عكاظ، الرباط،
2012، ص. 111.
³ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح الوطني 1936 - 1956 دراسة
تحليلية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين
وأعضاء جيش التحرير، مطبعة الرسالة، الرباط، 2006،
ص. 25.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تلك الأوضاع ومستقبل المغرب وإعداد
السيناريوهات المحتملة¹.

وفي هذا الباب نجد مرشد هذه
النخبة الأمير شكيب أرسلان يقول للحاج
عبد السلام بنونة: "إني لا أبغي في
الوقت الحاضر خروج إسبانيا التام من
هناك إذ لو خرجت لجاءت فرنسا بجميع
الخطرة المعهودة، ولكن مع بقاء
الاسبانيول يمكن لأهل المنطقة الحصول
على استقلال داخلي وبرلمان ووزارة
مسؤولة مثل كاتالونيا وهذا الأمر لم
ينقطع منه الأمل ولن يلزم له شغل وبث
أفكار ومضي وقت"². ويبرر أمير
البيان رغبته في بقاء الإسبانين في
شمال المغرب بقوله: "لو أني أعلم
أن المغرب قادر أن يتحرر الآن من
سلطة الأوروبيين وأنه قادر على أن
يطرد فرنسة من فاس ومراكش والرباط
ومكناس والدار البيضاء لكنت أدعو
أيضا إلى طرد الإسبانول من الريف
وإلى طرد الجميع من طنجة... ولكني
على ثقة إذا خرجت اسبانيا من الريف
جاء الفرنسيون وأخذوه وكان لهم فيه
من الفظائع ما تاريخ استعمارهم

¹ - العربي المساري، محمد، المغرب خارج سياج الحماية...،
م. س، ص. 110.

² - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 214.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مملوء به. فلذلك عملك بقاعدة أخف
الضررين - أقولها وبكل حرية- لا أريد
أن الإسبانين يتركوا الريف¹.

وبعث كذلك الزعيم علال الفاسي
رسالة للحاج عبد السلام بنونة، عبر
فيها عن تخوفه من مسألة جلاء إسبانيا
عن شمال المغرب، إذ يقول: "وأنتم
تعلمون أن زامولرا هذا هو رئيس حزب
المعارضة للحكومة القديمة وهو الذي
طالما جاهر بوجوب إخلاء إسبانيا
للمغرب إبان الحرب الريفية وقد
تساءلت إحدى كبريات الصحف الانكليزية
هل سينفذ هذا الحزب فكرته الجلائية
عن البلاد أم سيظل في مركزه
الاستعماري... أما نحن فنعتقد أن
أمر الجلاء غير معقول التنفيذ².

كما أبدى كذلك الشاب عبد الخالق
الطريس الذي كان لا يزال طالبا بمصر
عن هذا القلق أيضا حيث سيعث هو
الآخر رسالة للحاج عبد السلام بنونة
يحذر فيها من عواقب انسحاب إسبانيا
على مستقبل العمل الوطني وألح على
تكوين فريق عمل لدراسة الموضوع من

¹ - نفسه، ص181.

² - نفسه، ص. 206-207.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

جوانبه السياسية والقانونية¹، حيث
يقول: "'هذه هي القضية ... أقلقنا
بالنا وشغلنا أذهاننا فهل لها نصيب
من الصحة؟ على ذلك يتوقف حكمنا ولو
فرضنا صحتها مما سنعمل؟ ... ومن
العار أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا
الانقلاب، هذا سيظهرنا بأشنع مظهر.
وسيحل بنا من الأضرار ما قد يقضي على
كياننا ويذهب بشخصيتنا ويبعد عنا من
الأمل ما كنا نراه ممكنا ميسورا يكفي
أن نتصور جنود فرنسا تحتل أراضينا
لندرك القضاء المبرم على نهضتنا
الفتاة ورجاؤنا الكبير المعلق عليها
فالعمل العمل'².

وتأثر كذلك الحاج عبد السلام بنونة
بإشاعة انسحاب إسبانيا من شمال
المغرب، ولذلك عندما تم تكذيب
الخبر، نجده يسرع لإخبار شكيب أرسلان
بالأمر حيث قال له: "'أما ما يتعلق
بالمنطقة فقد كذب وزير الخارجية
السنور لروش ما أشاعته بعض الجرائد
الفرنسية من كون الجمهورية الإسبانية
ستتخلى عن منطقة حمايتها

¹ - المساري العربي، محمد، المغرب خارج سياح الحماية....،
م. س، ص. 111.

² - رسالة من عبد الخالق الطريس إلى الحاج عبد السلام
بنونة، بتاريخ 5 ماي 1931، أنظر: ابن عزوز الحكيم،
محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 2، صص. 335-336.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالمغرب¹ . كما أخبره في الرسالة
نفسها بأنه يطمح للحصول على استقلال
داخلي يكون "حبلا متينا متصلا طرفه
النهائي بالاستقلال التام"² .

بناءً على هذا التحليل السابق،
يمكن تفسير مبدأ التعايش الذي نهجته
النخبة المثقفة في إطار علاقتها مع
نظام الحماية الإسبانية، لوعيتها بأن
الخصم اللدود لجميع المغاربة هو
فرنسا، وأن وجود إسبانيا في المغرب
إنما هو مستمد من وجود فرنسا³ ،
نتيجة أن الفرع يتبع الأصل⁴ . ولذلك
ستركز النخبة المثقفة على توجيه
سهامها نحو فرنسا، في حين ستدخل مع
إسبانيا في تعاون من أجل تنفيذ
الإصلاحات الضرورية، إما عن طريق
المشاركة في الحكومة الخليفية أو عن
طريق تقديم مجموعة من المطالب،
كخطوة أولى إلى الاستقلال الإداري يهيء
المغرب إلى الاستقلال المطلق⁵ ، كما
كانت إسبانيا تشجع هذا التوجه

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س.، ص. 340.

² - نفسه، ص. 340.

³ - المساري، محمد العرب، "إشكالية الاستقلال والوحدة
..."، م. س.، ص. 79.

⁴ - بوطالب، عبد الهادي، ذكريات شهادات...، م. س.، ج. 1،
ص. 358.

⁵ - الدفالي، محمد معروف، "النخب والعمل..."، م. س.، ص.
217.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

للنخبة المثقفة، ولعبها دور الرعاية
الأبوية، وترويجها دعاية أن إسبانيا
تعمل فقط على إعداد المغرب ليصبح
قادرا على حكم نفسه بنفسه وفي
المقابل كانت النخبة المثقفة أيضا
تضرب في خطابها على وتر "التآخي مع
الإسبانية الفخمية التي ألحمت
ارتباطها بشعب المغرب وشائج تاريخية
حضارية"¹.

2. مشاركة النخبة المثقفة في الحكومة الخليفية ومحاولة الإصلاح من الداخل

على الرغم من إجماع أغلب الباحثين
في تاريخ المغرب المعاصر على ضعف
منجزات الدولة الإسبانية بشمال
المغرب، مقارنة مع ما أنجزته فرنسا
في المنطقة الجنوبية من بنيات تحتية

¹ - بوطالب، عبد الهادي، ذكريات شهادات م . س، ج. 1،
ص. 358.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ومصالح وخدمات اجتماعية واقتصادية
مهمة¹، فإن ذلك لا يعني أن جميع
مطالب النخبة المثقفة بشمال المغرب
بقيت حبرا على ورق. بل إن الواقع
يؤكد أن سياسة المهادنة والتعايش
وقبول المشاركة في الحكومة
الخليفية، التي نهجتها النخبة
المثقفة بشمال المغرب، أعطت مجموعة
من النتائج الإيجابية، حيث استطاعت
أن تجعل إدارة الحماية الإسبانية
والحكومة الخليفة تنفذ جانبا مهما
من مطالبها التي كانت تعد جزءا من
مشروعها النهضوي.

وشكل التعليم الركيزة الأساسية في
مشروع النهضة الوطنية الذي كانت
تتصوره النخبة المثقفة. ولذلك فمنذ
إعلان الحماية نجدها متتبعة ومهتمة
بالسياسة التعليمية، التي كانت
سلطات الحماية تنوي تطبيقها بشمال
المغرب. ونظرا لتعثر هذه الأخيرة منذ
البداية في وضع استراتيجيات تعليمية
معينة ملائمة للوسط المغربي، نجد
النخبة المتنورة والمثقفة التي كانت
متواجدة بمدينة تطوان عند فرض

¹ - جون، جيمس ديمس، حركة المدارس الحرة بالمغرب (1919 -
1970)، ترجمة سعيد المعتمد، ط.1، الدار البيضاء، 1991،
ص. 44.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحماية تلح على إدارة هذه الأخيرة
للاعتناء بتعليم أبناء المغاربة،
وإصلاح حال التعليم المغربي
التقليدي¹.

وأمام هذا الاهتمام الذي أبدته
النخبة المثقفة لتنظيم أحوال
التعليم بشمال المغرب، ورغبة من
إسبانيا التي كانت في السنوات الأولى
من الاحتلال تروم لتهدئة المغاربة،
وتظهر لهم أنها فعلا تحمل معها
مشروعا تحضيريا، هدفه إدخال الإصلاحات
وترقية المغاربة، وتعليم أبنائهم،
تم تعيين لجنة بموجب قرار ملكي مؤرخ
9 يناير 1914، مكونة من المستعرب
الاسباني الدكتور **خوليان ربيرا D.**

Julian Ribera مدرس اللغة العربية
بالجامعة المركزية، والدكتور **ألفونس**
دي كويباس D. Alfonso de Cuevs
أستاذ بالمدرسة العليا للتجارة
بفالنسيا، إلى مدينة تطوان سنة 1914
لدراسة وضعية التعليم في شمال
المغرب وإعداد تقرير حول ذلك²،

¹ - المجذوبي، حسن، "التربية والتعليم..."، م. س، صص. 102-103.

² - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural ...**, Op. Cit, p. 73.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

لتبدي من خلاله مجموعة من الاقتراحات
والحلول¹.

وبعدما حلت هذه اللجنة بمدينة
تطوان، واتصلت بالمقيم العام
الإسباني **الجنرال ألفا** لتسهيل
مهمتهم، نبههم هذا الأخير إلى اتخاذ
الحذر، وأثار انتباههم إلى أن أهالي
المنطقة لهم حساسية خاصة تجاه بعض
الأسئلة التي قد تثار خلال البحث
فتكون لها نتائج عكسية²، الأمر الذي
جعل هذه اللجنة تلجأ في أول الأمر
إلى بعض "المثقفين لاستشارتهم حول
الطريقة التي يجب اتباعها لتنظيم
التعليم الخاص بالمسلمين"³.

ومن بين المثقفين الذين تم الاتصال
بهم، وزير العدلية في الحكومة
الخليفية الفقيه أحمد الرهوني،
"الذي كان على دراية كبيرة بوضعية
التعليم بحكم وضعه السياسي واشتغاله
بقطاع التعليم"، فزود هذه اللجنة

¹ - اللوه، أمينة، "الثقافة العربية المعاصرة في شمال
المملكة المغربية"، مجلة دعوة الحق، ع. 1 السنة 17، ماي
1975، ص. 129.

² - المجذوبي، حسن، "التربية والتعليم..."، ضمن م. س،
ص. 104.

³ - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La
acción cultural ...**, Op. Cit, p. 75.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بتقرير¹ باللغة العربية عبر فيه عن
موقفه من التعليم المغربي "الذي
وصفه بالفقير والمتجاوز"².

وأبدى الرهوني في تقريره المذكور
على اللجنة الإسبانية، مجموعة من
الاقتراحات، أولاً: "اعتماد تعليم
إسلامي محض قوامه اللغة العربية
والفقه وعلم اللاهوت وعلم التفسير
داخل الجامع بمدينة تطوان"؛ ثانياً:
"إنشاء مركز علمي مختلط يجمع
المسلمين والنصارى حيث يمكن
للمسلمين تعلم المواد العلمية غير
إسلامية كالعلوم الفيزيائية
والطبيعية والرياضيات واللغة والأدب
والتاريخ الإسباني"³، وأنه من اللازم
على المسلمين الذين ستوكل إليهم
مهام عمومية اتباع الدراسة في
المركز المذكور الذي سيكون في

¹ - أشار الرهوني لهذا التقرير ضمن تقرير آخر قدمه سنة
1919، للمقيم العام "دماسو برنغوير إي فوستي Dmsو
Berenguer y Fuste"، بعنوان: نصيحة الوطن لمقيمه: حيث
ذكر في الباب (19) الخاص بالتعليم "وقد لخصنا ما ظهر
لنا نفعه في ذلك حسبما بالملحق الثالث بهذا التقيد
المرفوع عليه عدد 3"، ويقصد أنه رفع ذلك التقرير مرة
أخرى إلى جانب تقريره نصيحة الوطن لمقيمه. أنظر:
الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
...، م. س، ص. 144.

² - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La
acción cultural ...**, Op. Cit, p. 75.

³ - Ibid, p. 76.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بدايته خاصا بالمسلمين بينما يمكن
في مرحلة قادمة أن يتردد عليه
المسيحيون عندما يكون التفاهم
والوئام قد عم الشعبين¹؛ ثالثا:
"إنشاء مدارس للتعليم الثانوي
بمختلف مدن المنطقة الخاضعة للنفوذ
الإسباني لتهيئة التلاميذ للولوج إلى
مؤسسات التعليم العالي"²، ونبه
الرهوني كذلك في تقريره أن كل هذه
المؤسسات سيصرف عليها من مداخيل
الأحباس³.

وعلى ما يبدو أن هذا التقرير الذي
رفعه الرهوني راق اللجنة المذكورة،
وأيدت اقتراحاته في تقريرها الذي
رفعته للحكومة الإسبانية. غير أن هذه
المحاولة لإدخال بعض الإصلاحات المبكرة
في مجال التعليم لم تسفر عن أي
نتائج عملية على أرض الواقع⁴.

ولم يكن هذا الارتجال والتأخر في
الإفصاح عن سياسة تعليمية واضحة

¹ - المجذوبي، حسن، "التربية والتعليم..."، ضمن م. س،
صص. 104 - 105.

² - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural ...**, Op. Cit, p. 76.

³ - المجذوبي، حسن، "التربية والتعليم..."، ضمن م. س،
صص. 104 - 105.

⁴ - عزيमान، محمد، البدايات الأولى للحركة الثقافية ...،
م. س، ص. 37.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بشمال المغرب، ليثبط عزيمة النخبة
المثقفة التي كانت تزداد اقتناعاً
يوماً بعد يوم بأن السبيل الوحيد
لتحرير المغرب هو التعليم، فكانت
هذه القناعة كافية لتجعل النخبة
المثقفة المحدودة الإمكانيات لا تقف
عند منتصف الطريق، واقتصر دورها فقط
في انتقاد السياسة الإسبانية
وقصورها. بل إنها كانت توازي ذلك
بإلحاحها على المستعمر من أجل إدخال
الإصلاحات الضرورية المتفق عليها في
معاهدة الحماية. وهكذا نجد هذه
النخبة المثقفة بالإضافة إلى مجموعة
من العلماء والأعيان في نهاية 1916،
تهيئ لتأسيس مؤسسة علمية تعليمية
أطلق عليها "المجمع العلمي
المغربي". ذات أهداف وطموحات
كبيرة¹.

ويذهب مؤرخ شمال المغرب محمد بن
عزوز حكيم إلى أن تأسيس هذا المجمع
يرجع الفضل فيه للحاج عبد السلام
بنونة، حيث يقول: "كانت أول خطوة
قام بها بنونة في الميدان الثقافي
أن فكر في إنشاء منظمة ثقافية عليا
تضم أبرز شخصيات المنطقة ولذلك نراه

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 303.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

يقوم باتصالات مكثفة مع مجموعة من
العلماء والفقهاء والأساتذة بتطوان
وشفشاون والقصر الكبير والعرائش
ويعرض عليهم مشروعه، كان ذلك في
أواخر سنة 1914. وأول من بادر
بالاستجابة لنداء الحاج عبد السلام
بنونة عميد علماء الشمال الفقيه
سيدي أحمد الرهوني وزير العدالة في
الحكومة الخليفية آنذاك والذي ساعد
بنونة في إقناع المقيم العام
الجنرال مرينا على الموافقة على
مشروعه .

غير أن مغادرة الجنرال مرينا
لتطوان في شهر يوليوز 1915 حالت دون
تحقيق مشروع المنظمة ... إلا أنه ما
إن حل بتطوان المقيم العام الجديد
الجنرال خوردانا حتى فاتحه كل من
بنونة والرهوني في الموضوع معتمدين
في ذلك على بعض كبار الموظفين
الإسبان كان من بينهم القبطان خوان
بيكبيدير والترجمان كلمينكي
سيردايا، وبعد مدة طويلة من
المذاكرات بين بنونة ومجموعة أخرى
من المثقفين والمستعربين الإسبان تم
الاتفاق على تحرير مذكرة في موضوع
المجمع العلمي المغربي قدمها

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

القبطان بيكبيدير إلى المقيم العام
يوم 3 أكتوبر 1916.

وفي يوم 10 من نفس الشهر استقبل
المقيم العام، بنونة والرهوني
اللذين تحدثا معه في المشروع، وتم
الاتفاق على أن يقوم الفقيه الرهوني
بوضع القانون الأساسي للمجمع العلمي
المغربي. وبعد أن قام الفقيه
الرهوني بوضع القانون المذكور، أدخل
عليه بنونة تعديلات ارتأى ضرورتها،
ليستجيب المجمع العلمي لهدفين: الأول
جعله أداة للنشاط الوطني، والثاني
عدم تعرض تأسيسه لأية معارضة من طرف
سلطات الحماية. وقد قدم بنونة مشروع
النظام الأساسي في صيغته النهائية
إلى لجنة عقدت اجتماعها بالمجلس
البلدي التطواني يوم 5 دجنبر 1916،
وكانت اللجنة مكونة من السادة
الفقيه الرهوني وزير العدلية والحاج
أحمد الطريس باشا المدينة والحاج
محمد راغون ممثل الصدر الأعظم
بالإضافة إلى الحاج عبد السلام بنونة
والترجمان سيرديرا وطوباو¹.

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، صص. 145 - 146 - 147

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وهكذا عندما تمت الموافقة على
إحداث هذه المؤسسة العلمية أصدر
الوزير الصدر محمد بن عزوز كتابا
بتاريخ 27 دجنبر سنة 1916، يأذن فيه
بتأسيس هذا المجمع ويدعو علماء
تطوان ونخبته إلى الاجتماع لانتخاب
أعضائه العاملين، إذ يقول: "عن الأمر
الشريف أسماء الله وباتفاق مع الدولة
الحامية الفخمية، أصدرنا إذننا
بتأسيس مجمع علمي يحث على ترقية
الشؤون العلمية، التي كاد ظلها أن
يتقلص من هذه المنطقة الشريفة.
واقضى نظرنا استدعاء حضرات السادات
المرقومة أسماؤهم عقبه، لانتخاب
الأعضاء العاملين في هذا المجمع، من
القائمة التي تقدم لهم عند الاجتماع،
كما يصلهم ضابط تأسيس المجمع
المذكور طيه. فالمأمول من السادات
المذكورين أن يقدروا هذا العمل
الخيرى قدره، ويتحققوا أنه روح
الحياة البشرية، فليقابلوه بالارتياح
التام، ويبادروا للحضور في الوقت
المقدر لذلك، وهو الساعة العاشرة من
يوم السبت الموالي لتاريخه، بإدارة
المجلس البلدي، والسلام"¹.

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 305-

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وفي 30 دجنبر 1916 تم عقد الجمع العام التأسيسي "للمجمع العلمي المغربي"، في قاعة البلدية بتطوان، حضره مائة من الشخصيات المغربية، وسبعة من الإسبانيي¹، بهدف انتخاب أعضاء المجلس العام²، "فاتفق الجميع على أن يكون رئيس المجلس الإداري هو الحاج أحمد الطريس، وخليفته هو الفقيه الرهوني، والكاتب العام هو الحاج محمد راغون، والمكلف بالصندوق هو الحاج عبد السلام بنونة، والمكلف بالخزانة هو الفقيه ابن الآبار"³. في حين ينص النظام الأساسي للمجمع على أن يكون الرئيس الأساسي أو الشرفي للمجمع هو الصدر الأعظم محمد بن عزوز⁴.

أما الأعضاء، فكانوا 11 من المغاربة و 5 من الإسبانيي¹. كما تم تأليف سبع لجان اختصت كل واحدة منها

306.

¹ - للإطلاع على أسماء المغاربة والإسبان الذين تم استدعاؤهم لحضور الجمع التأسيس للمجمع العلمي التطواني يمكن الرجوع إلى: داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، صص. 306-307-308.

² - عزي²مان، محمد، البدايات الأولى للحركة الثقافية...، م. س، ص. 37.

³ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، صص. 305-306.

⁴ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 150.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بإحدى المهمات التالية: (التشريعات
والكتابة والتنظيم والمالية
والمكتبة والنشر والمآثر التاريخية)
1.

وانطلاقاً من القانون الأساسي لهذه
المؤسسة، ونظامها الداخلي، ومحاضر
جلساتها، يبدو بأن أهدافها وطموحات
العاملين بها كانت جد كبيرة وراقية،
تصبو إلى نشر العلم والأدب والثقافة
بكل ما يمكنها من وسائل. وهو ما
تؤكد ديباجة النظام الأساسي للمجمع
التي جاء فيها: "بما أن تحصيل
العلوم من أفضل المرغوبات وبه يدرك
البشر درجات الكمالات وبما أن هذا
كله هو الغرض الوحيد لكل عاقل كان
من الضروري تأسيس جمعية مختصة بنشر
العلم وتسهيل طرقه"². كما يؤكد
الفصل الأول من هذا القانون الأساسي
أن "مقصود الجمعية انتشار الحقائق
العلمية، وتكثير دروس اللغة وغيرها،
بكل الوسائل الممكنة من مدارس
وجرائد ومجلات، وإيجاد مكتبة عالية
تكون ملجأ لطلاب العلوم"³. كما نص

1- نفسه، ص. 155.

2- نفسه، ص. 147.

3- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 303؛ ابن
عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1،
ص. 147.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الفصل الثالث أيضا على أن تكون جميع
الوظائف التي تتوقف عليها الإدارة
"بدون أجره خدمة للعلم الشريف
وقياما بحقوق الإنسانية"¹. أما الفصل
الثامن فينص على أن المقصود الذي لا
يجب أن تزيغ عنه الجمعية والفروع
التي يمكن تأسيسها هو "الأخذ بيد
العلوم والفنون، وتسهيل طرق تعليمها
وتعميم نشرها"². أما نفقات الجمعية
فيشير الفصل العاشر إلى أنها تعتمد
"على اشتراك المحسنين من أعضائها
الأمثال، وإعانات الأصحاب النجدة من
الأغنياء الأفاضل، ومن ربح ما عسى أن
تصدره من المطبوعات النافعة وغير
ذلك"³.

كما ينص النظام الداخلي للمجمع
على أن تهتم لجنة المطبوعات "بطبوع
جميع الكتب النافعة التي لم تطبع
أصلا أو طبعت وقلت نسخها مع الاحتياج
إليها". وكذلك عملها على تعريب

¹- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 304؛ ابن
عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1،
ص. 148.

²- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 305؛ ابن
عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1،
ص. 149.

³- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 305؛ ابن
عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1،
ص. 149.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الكتب النفيسة "وخصوصا في العلوم
العصرية ويكون ذلك بإعانة الأفاضل
الأوروبيين الموجودين في المجمع"¹.

أما على مستوى التعليم فورد في
الفصل الرابع والخمسين من النظام
الداخلي أن المجمع يطمح إلى تأسيس
مدرسة دينية بالجامع الأعظم تحاكي
القرويين بفاس وجامع الزيتونة بتونس
وجامع الأزهر بمصر، تدرس بها "العلوم
الدينية ... من عربية بأنواعها
وتوحيد والفقه وأصوله وتفسير وحديث
وسير وتاريخ ومنطق وحساب ولأجل ذلك
يطلب كل من له القدرة على التعليم
أن يكون أستاذا لتلك المدرسة ويكون
الأساتذة على ثلاث طبقات". كما كان
المجمع يطمح كذلك حسب الفصل الثامن
والخمسين من النظام الداخلي إلى
إحداث "مدرسة عصرية تدرس فيها
العربية على الطريقة الحديثة واللغة
الإصبنولية والحساب والهندسة والطب
والجغرافية الطبيعية والسياسية
وعلوم الطبيعية كلها والعلوم
الرياضية وتعين لها من المدرسين

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 161.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**المغربيين والأوروبيين من ترى
كفاءتهم لذلك¹.**

وتجنباً لأي خلافات بين العاملين في
هذا المجمع نجد الفصل الثاني
والستين (62) يؤكد على أنه "يمنع
منعاً قطعياً الجدل فيما يتعلق بأمور
السياسة والديانات في أي قسم من
أقسام المجمع إلا فيما يرجع
للتعليم". كما ينص الفصل الخامس
والستون على أنه "يجب أن يكون
الأعضاء متحدين قلباً وقالباً على كل
ما فيه مصلحة علمية مبتعدين عن
الأغراض الشخصية والشهوات النفسية"².

وبعد انتخاب المجلس العام للمجمع
العلمي وتشكيل لجانه، حاول المشرفون
عليه، تنزيل الأهداف والمرامي التي
كانوا يطمحون إلى تحقيقها من خلال
هذا المجمع، حيث صاروا يعقدون
جلساته مرتين في الشهر، كما انطلقت
كل لجنة تقوم بما أوكل لها من أعمال
وأنشطة³.

¹ - نفسه، ص. 167.

² - نفسه، ص. 168.

³ - الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب م. س، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ومن الأعمال التي أنجزت باسم
المجمع العلمي، نجد تأسيس المدرسة
العربية الإسبانية¹ لتدريس اللغة
العربية والإسبانية والرياضيات ومسك
الدفتر والتي تم تدشينها بتاريخ
فاتح يناير 1917، والتي أسندت
إدارتها إلى الحاج عبد السلام بنونة،
الذي كان في الوقت نفسه يدرس بها
الرياضيات ومسك الدفتر للطلبة الذين
كانوا يتلقون دراستهم الدينية
بمجالس العلم بالجامع الكبير²،
ويقول التهامي الوزاني الذي كان أحد
أولئك الطلبة عن هذه المدرسة: "ولم
يكن أحد يستطيع أن يقوم بإدخال دروس
الحساب والجغرافيا وما شاكلهما إلى
الجامع الكبير ولكن الحاج عبد السلام
بنونة لمس هذا الضعف ولم يهن عليه
أن يكون سائر الطلبة يجهلون أبسط
قواعد الحساب فعمد وفتح درسا في
الحساب بالنادي العلمي الذي كان
بباب المشور لجهة الفدان... فأحدث
بنونة قسما للحساب كان يحضره جماعة

¹ - ولف، جون، م. س، ص. 137.

² - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 174.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

من الطلبة وكان درسه في بعض الأحيان بعد العصر"¹.

وأنجز كذلك باسم المجمع العلمي،
أول مطبعة عربية بمدينة تطوان سميت
"بمطبعة الإصلاح"، ويذكر ابن عزوز
حكيم أن الحاج عبد السلام بنونة هو
الذي اقترح على المجمع المغربي
تأسيسها²، وبعد موافقة أعضاء المجلس
على اقتراح بنونة، تم تكليفه
باعتباره أمين الصندوق باقتناء
المطبعة، حيث ورد في محضر الجلسة
الثالثة للمجمع العلمي المنعقدة
بتاريخ يوم الاثنين 15 يناير 1917،
"تيسير مطبعة بحروفها لطبع لوازم
المجمع على يد أمين الصندوق"³.
وبالفعل قام بنونة بشراء المطبعة من
مدينة سبتة بثمن قدره 962 بسيطة،
واشترى مائة كيلو غرام من الحروف
العربية للمطبعة من مدينة طنجة⁴،
وتقرر حسب ما ورد في محضر الجلسة
الرابع للمجمع العلمي التي انعقدت
بتاريخ 29 يناير 1917 تعيين الشاب
"عبد الرحيم الخلافي مصففا بالمطبعة

¹ - الوزاني، التهامي، "من قصة التعليم الديني"، جريدة
الريف، ع. 292، 10 أبريل 1942، ص. 1.

² - نفس، ص. 174.

³ - نفسه، ص. 157.

⁴ - نفسه، ص. 175.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

على راتب مائة بسيطة إسبانية شهرية"، كما عين "ابن سيدي المختار بن عجيبه متعلما معه بدون راتب حتى يتعلم"¹. ونظرا لتأخر استلام المطبعة من طرف المكلفين بها تساءل أعضاء المجمع عن هذا التأخر، فأجاب بنونة في الجلسة الثامنة للمجمع بتاريخ 10 شتنبر بأن المطبعة "تامة الأدوات صالحة للطبع وها هي لمن أراد حوزتها"². والشيء نفسه أكدته في الجلسة التاسعة المنعقدة بتاريخ 24 شتنبر 1917، كما أخبرهم بأن العدد الثامن عشر من مجلة الإصلاح طبع فيها، وسلمهم ورقة مطبوعة بها استحسناها الجميع³.

ويعتبر تأسيس جريدة الإصلاح التي صدر عددها الأول بتاريخ 29 يناير 1917⁴، أهم إنجاز أقدم عليه المجمع العلمي المغربي، لكونها كانت أول جريدة عربية صدرت بمدينة تطوان⁵، تهدف إلى نشر التوعية والدعوة

¹ - نفسه، ص. 159

² - نفسه، صص. 171 - 172.

³ - نفسه، ص. 173.

⁴ - الخراز، عبد القادر، "تطوان ورائدة الصحافة المغربية مجلة - الإصلاح"، مجلة دار النيابة، السنة الرابعة، العدد الثالث عشر، 1987، ص. 28.

⁵ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 299.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

للنهوض بين المواطنين¹، وصدر العدد
الأول من هذه الجريدة في ورقة واحدة
كتب فيه "الإصلاح جريدة سياسية أدبية
علمية إخبارية تصدر مرتين في
الشهر"، وأن إدارتها بزقاق المشور
السعيد² واحتوى العدد الأول على
مقالين: الأول يحمل عنوان: "ديباجة
الإصلاح"، وهو بدون إمضاء وجاء في
مطلعه "حمدا لمن جعل إصلاح العباد،
سببا لعمارة البلاد، كما جعل صلاح
البلاد، قوما لحياة العباد، وصلاة
وسلام على رسل الإصلاح... إلخ"، أما
المقال الثاني الذي وقعه محمد
العربي الطيب فبعنوان "المجمع
العلمي بتطوان".

وتغير شكل الإصلاح انطلاقا من العدد
الثاني الذي صدر بحجم مجلة تحتوي
على 12 صفحة ثم تتابع صدورها مرتين
في الشهر³، وتوقفت بتاريخ 25 فبراير
1918، بعد أن صدر منها 29 عدد⁴،
واستطاعت الإصلاح خلال هذه المدة أن
تساهم في تفتق العقول وانفتاحها على

¹ - عزيमान، محمد "عمل الحاج السلام بنونة..."، م. س،
ص. 31.

² - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 299.

³ - نفسه، صص. 299 - 300.

⁴ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، صص. 176 - 177.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ما يجري حولها، وتكريس ثقافة الإقبال
على قراءة الصحف في مجتمع محافظ
وذلك ما عبر عنه محمد العربي الخطيب
في الذكرى الأولى لتأسيسها: "الإصلاح
وافق مسماه، ولم يمض على هذه
الجريدة إلا عام واحد ولم تكن
بالمنطقة (الاصبنيولية) جريدة عربية
قبلها كما لم يكن ولوع لأهلها
بمطالعة الجرائد حيثما كانت لا
لجهلهم بمزية الصحف وشرف الصحافة
وإنما ذلك لتوخي الصدق وحب الحقائق،
وكم سمعنا من فضلائهم التضرع للمولى
طالبين تأسيس صحيفة حرة، تبين الحق
وتدحض الباطل وترشد الضال، وتشكر
المهتدي تعلم الجاهل وترد المتجاهل
تنشر الأخبار وتفحص الأقاويل بأصح
مسبار تردع القوي وتقوي الضعيف"¹.

ومن بين المبادرات الإيجابية التي
أنجزت باسم المجمع العلمي، تنفيذ
الفصل السادس والخمسين (56) من
الباب التاسع من النظام الداخلي
للمجمع العلمي الخاص بالتعليم،
والذي ورد فيه: أنه "لأجل تسهيل
التعليم يحوز المجمع مدرسة لوقش...

¹ - الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب...، م. س، ص. 68.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**ليسكن بها الطلبة الذين يقرؤون في
الجامع الأعظم**¹ . وكان دور هذه
المدرسة التاريخية - التي تكون فيها
معظم علماء تطوان ونخبها المثقفة -
عند فرض الحماية على المغرب يقتصر
فقط على إيواء الطلبة، الأمر الذي
جعل بعض أعضاء المجمع العلمي وعلى
رأسهم الحاج عبد السلام بنونة يثيرون
قضيتها أمام مجلس المجمع العلمي من
أجل إعادة تأهيله² . فتقرر في
الجلسة الثانية للمجمع العلمي
المنعقدة بتاريخ فاتح يناير 1917،
"حيازة مدرسة لوقش للمجمع وتسييرها
لسكنى الطلبة العلم الآفاقيين
والبلديين دون من عداهم"³ ، كما تم
الاتفاق على تقديم طلب للإقامة العامة
لتخصيص اعتماد مالي لترميم المدرسة⁴
وهو ما تم الاستجابة له بإصدار ظهير
خليفي⁵ في فاتح شتنبر خصص عشرة آلاف

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 167.

² - نفسه، ص. 177.

³ - نفسه، ص. 156.

⁴ - نفسه، ص. 177.

⁵ - جاء فيه: "يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره وخلد
في المعالي فخره، أننا بحول الله وقوته وشامل يمينه ومنته
أذننا بتنفيذ عشرة آلاف بسيطة سكة إصبانيولية تحمل من
القسم الثالث عشر والباب السادس والفصل الثالث من
الميزانية المعمول بها الآن، وذلك بقصد القيام بإصلاح
مدرسة لوقش بحضرتنا التطوانية، فنأمر الواقف عليه من
ولاة الأمور وأرباب الصدور أن يجري على مقتضاه ويلزم حده

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بسيطة لإصلاح المدرسة. وتقرر في
الجلسة الثامنة للمجمع العلمي
المنعقدة بتاريخ 10 شتنبر، تكليف كل
من الحاج عبد السلام بنونة والشريف
أحمد غيلان بالسهر على ترميم مدرسة
لوقش¹. وفي 20 أكتوبر صدر ظهير
خليفي ينص على تعيينهما للقيام بهذه
المهمة².

وفي ظرف شهر واحد تم إصلاح المدرسة
وترميمها. وفي فاتح يناير سنة 1918
صدر ظهير خليف³ يقضي بتنظيم
التعليم بهذه المدرسة، كما صدر في

ولا يتعداه والسلام. وصدر به أمرنا الشريف في 13 قعدة
الحرام عام 1335 موافق فاتح شتنبر 1917"، أنظر: داود،
محمد، التكملة، مراجعة وتحقيق وإضافات داود، حسناء،
مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2016، ص. 163.
¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، صص. 171.

² - جاء فيه: "يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة
رئاسة وزارة الصدارة أنا صادقنا على ما قرره المجمع
العلمي في بعض جلساته من انتخاب اثنين من أعضائه
لمباشرة إصلاح مدرسة لوقش بحضرة تطوان وهما أمين الصندوق
الحاج عبد السلام بنونة والشريف سيدي أحمد غيلان وبموجبه
أذناهما باستلام العشرة آلاف بسيطة سكة اسبنيولية المنفذة
لذلك المقصد الحميد بالظهير الشريف فليجدا فيما انتخبا
له ولينتهزا فرصة الإسراع ما دام في الوقت فسحة كما نأذن
المكلف بالدفع تمكينهما من القدر المذكور فالواقف عليه
يجب أن يجري على مقتضاه والسلام في 2 محرم الحرام فاتح
عام 1336 موافق 20 أكتوبر سنة 1917". أنظر: ابن عزوز
الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص.
178.

³ - الجريدة الرسمية لمنطقة الحماية الإسبانية، ع. 6 ص.
236.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

السنة نفسها قرار وزار ي¹ حددت
بموجبه أجور الأساتذة المنوط بهم ذلك
التعليم، والذين تم تقسيمهم إلى ثلاث
درجات²، "وفتحت هذه المدرسة بتطوان
باحتفال خطب فيه ابن عزوز الوزير
الصدر في الحكومة الخليفية، في 15
محرم 1338"³.

ومن أجل تنظيم السكنى بهذه
المدرسة تم وضع قانون داخلي (ضابط)
سنة 1341هـ، التزم به جميع الطلبة
القاطنين بهذه المدرسة والذين وصل
عددهم خلال السنة المذكورة، إلى 46
طالباً. وفما يلي نصه:

"الحمد لله. هذا ضابط سكنى مدرسة
لوقش الذي أسسه ابتدائياً وزير
المعارف:

• الفصل 1: لا يمكن من المبيت فيها
إلا من بلغ 16 سنة فأعلى.

¹- نفسه، ص. 240.

²- تشمل الدرجة الأولى كل من أحمد الزواقي ومحمد ابن
البار ومحمد المودن، أما الدرجة الثانية فتكونت من
محمد الزواقي ومحمد أفيلال ومحمد المير، وأخيراً درجة
الفقهاء وهم الحسين أفيلال والمهدي الموفق وعبد الرحمان
أقشار. أنظر: ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية....، م. س، ج. 1، صص. 178 - 179.

³- داود، محمد، التكملة، مراجعة وتحقيق وإضافات داود،
حسناء، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2016، ص. 164.

• الفصل 2: يلزم الساكن بها ملازمة الدروس العلمية بالجامع الأعظم من تطوان على الكيفية المبينة في ضابط التدريس وبغرفة المدرسة أيضا.

• الفصل 3: يلزم من مريد السكنى بها تقديم عريضة لوزير المعارف بطلب البيت، وأن يرفقها بشهادة أحد المدرسين التطوانيين بالاستحقاق.

• الفصل 4: يلزمه أن لا يبدل ولا يغير شيئا من هيئة المدرسة ، فإذا قضى وطره رد البيت كما دفع له بيد المقدم.

• الفصل 5: إذا ضاقت المدرسة عن الطلبة وطابت نفس بعضهم بإسكان ثان أو ثالث لا غير معه فلا بأس من غير جبر عليه.

• الفصل 6: مدة المدرسة سنون 6 ، فإن بلغها الساكن ولم يخرج بنفسه، نظرت فيه وزارة المعارف، فإن رأت فيه الأهلية للعلم ومقربته الكمال، أذنت له في زيادة سنين 6 أخرى لا غير.

• الفصل 7: لا يجوز لأحد أن يأتي للسكان فيها في سائر الأيام، ولا

يكون بها اجتماع ولا مألوف ولا
غناء ولا طرب ولا رفع صوت بتلاوة أو
حفظ متن أو غير ذلك مما يشوش على
الغير. نعم لا بأس باجتماع
الساكنين بها مع بعضهم البعض
للمذاكرة والمطالعة مع الأدب وعدم
رفع الصوت والهرج، ولا بأس أيضا
بإنشاد أشعار العرب والأمداح
النبوية وأمره مطاع، ومن له غرض
بطلب من طلبتها يقضيها معه
خارجها.

• الفصل 8: لا يجوز لأحد خزن شيء أو
وضع سلعة بها، ولا يرهن بيت بها
ولا يباع ولا يكرى لأحد.

• الفصل 9: كل سنة تجري وزارة
المعارف امتحان الطلبة لتعرف
مكانة كل واحد منهم في العلم،
وتجيز كل بما يليق به، وتكون على
بال منه في المستقبل.

• الفصل 10: لطلبة هذه المدرسة
التوقير والاحترام التام في جميع
الإدارات والعموم والخصوص، كما
لهم التمييز على غيرهم بالتقدم
للووظائف الدينية والمخزنية
وغيرها، فعليهم أن يعملوا لذلك
ما يوصلهم إليه.

• الفصل 11: تتخذ وزارة المعارف
لهذه المدرسة قيما أو قيمين بحسب
الاقتضاء لمراقبة أحوال الطلبة
والمدرسة والسهر على إجراء هذا
الضابط بكل دقة. والله المعين"¹.

ومن الأنشطة التي اضطلع بها المجمع
العلمي كذلك، مشاركته في أول مهرجان
أدبي بمدينة سبتة²، تحت اسم
"الاحتفالات الزهرية لسبتة"³، المنظم
من طرف المراكز التجارية المغربية
الإسبانية⁴، والذي كانت تتم فيه عدة
أنشطة ثقافية وأدبية وترفيهية⁵.

ولكون هذا المهرجان أتاح للمغاربة
فرصة المساهمة فيه بلغتهم العربية⁶،
أصدر المجمع العلمي في شأن ذلك بلاغا
طلب فيه من الأدباء والكتاب المغاربة
أن يقدموا إليه كتابة أو بحثا في
أحد الموضوعات الأربعة التالية:
(قصيدة في موضوع يختاره الشاعر؛

¹ - داود، محمد، التكملة، م. س، صص. 164 - 165.

² - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 167.

³ - بنونة، عبد السلام، تحفة الإخوان في الصنائع القديمة
بتطوان، تخرّيج وتقديم، داود، حسناء، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2016، ص. 4.

⁴ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 167.

⁵ - بنونة، عبد السلام، تحفة الإخوان...، م. س، ص. 4.

⁶ - نفسه، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تاريخ الشعر العربي وأسواقه الأدبية
قبل الإسلام؛ ترجمة أحد مشاهير رجال
تطوان؛ الصنائع والحرف بتطوان)¹.

وتعهد المجمع بأنه سيتمنح "لمن
يجيد الكتابة في موضوعه، جائزة
مادية محترمة من الجوائز النفيسة
التي تبرع بها الخليفة والمقيم
العام وبعض الوزراء وكبار الموظفين
والهيئات الرسمية"². وعين من بين
رجال المجمع العلمي، لجنة مكونة من
رئيسه الحاج أحمد الطريس ونائبه
الفقيه أحمد الرهوني، والحاج عبد
السلام بنونة³.

وشارك في هذا المهرجان الأدبي من
ساكنة تطوان كل من الفقيه سيدي محمد
بن التهامي أفيلال؛ والسيد الحاج عبد
السلام بنونة، وسيدي أحمد غيلان
والسيد محمد الفزاري، الأستاذ محمد
العربي بنونة، وحاز أغلبهم على
جوائز تقديرية⁴ عن الأعمال التي
تقدموا بها لهذا المهرجان¹.

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 334

² - نفسه، ص. 334

³ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 167.

⁴ - كانت نتائج المباراة حسب ما قضت به اللجنة التحكيمية
من المجمع العلمي كما يلي:

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ووصف محمد داود فعاليات هذه
المهرجان بقوله: "بعد زوال يوم الأحد
11 غشت سنة 1918 (4 ذي القعدة عام
1336) امتطى رجال المجمع العلمي
التطواني مع رجال الحكومة الخليفة
متن قطار سبتة فوصلوها عند العصر،
وقد استقبلوا بما يناسب مقامهم من
الاحترام. وفي نفس الليلة التالية،
أقيم الاحتفال الكبير بأكبر مسارح
سبتة، وقد حضره من سبتة حكماؤها
وأعيانها وعدد غفير من جمهورها كما
حضره من تطوان الوزير الصدر وبقيّة

في الموضوع الأول: قصيدة باختيار الشاعر: الجائزة الأولى
الفقيه السيد محمد الفزاري جائزة الخليفة؛ الثانية
الأستاذ محمد العربي بنونة جائزة وزير العدالة؛ وقدم
الفقيه الرهوني منظومة له من صلحاء تطوان فنالت الجائزة
الشرفية الأولى.

في الموضوع الثاني: تاريخ الشعر العربي وأساوقه الأدبية
قبل الإسلام: الجائزة الأولى: الفقيه السيد محمد أفيال
جائزة المقيم العام؛ الثانية للترجمان طوباو الإسباني:
جائزة النائب السياسي؛ الثالثة: للحاج عبد السلام بنونة:
جائزة المجمع التجاري بسبتة.

في الموضوع الثالث: ترجمة أحد مشاهير الرجال تطوان:
الجائزة الأولى لسيد محمد أفيال جائزة الوزير الصدر
وكتب ترجمة سيدي عبد القادر التبتّي الأندلسي الغرناطي
التطواني، من علماء تطوان وصلحائها في القرن السادس
لهجرة؛ الثانية: لسيد أحمد غيلان، جائزة باشا تطوان،
وقد كتب ترجمة الحاج محمد الطريس؛ الثالثة: للحاج عبد
السلام بنونة: جائزة جريدة الإصلاح، وقد كتب ترجمة جده لأمه
الحاج عبد الكريم بريشة.

في الموضوع الرابع: الصنائع والحرف بتطوان: الأولى للحاج
عبد السلام بنونة جائزة الكاتب العام؛ الثانية للترجمان
طبي

نده الإسباني جائزة المجلس البلدي.

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 334

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوزراء ورجال الحكومة مع المقيم
العام الإسباني وكبار رجاله وعدد من
وجوه تطوان. وعلى العادة قد ترأست
هذه الاحتفالات إحدى الفتيات الحسان
من بنات الإسبان بصفتها ملكة الحب
والجمال. وقد أُلقيت في هذا الاحتفال
عدة خطب وبيانات، وخطب من تطوان
الفقيه الرهوني وزير العدالة باللغة
العربية، ثم أُلقيت ترجمة خطابه
باللغة الإسبانية، وخطب من الإسبانين
أحد خطبائهم المشهورين بمدريد،
وألقى الفقيه الفزازي قصيدته
العربية كما ألقى الشاعر الإسباني
قصيدته الإسبانية وألقى المقيم العام
الجنرال خوردانا خطبة مناسبة في
الموضوع ثم كانت حفلات وإكرامات تركت
ألسنة الذين حضروها رطبة بالثناء
والإعجاب وقد جدد هذا الاحتفال بعد
ذلك بضع سنوات¹.

كما أشرف المجمع العلمي كذلك، على
تأسيس مدرسة الصنائع التقليدية
بتطوان، باقتراح من الحاج عبد السلام
بنونة، الذي أعد مشروعاً تعليمياً
حرفياً سنة 1916، نص على خلق محترفات
يتطلب الاستعجال في إعدادها نظراً

¹ - نفسه، صص. 335 - 336.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

لقيماتها التراثية والحرفية، وهي
محترفات الزرابي والنجارة والصباغة
على الخشب والأسلحة والفنون التزيينية
المغربية كالطرز والاشتغال على
الجلود بالتسفير والتذهيب والطرز¹،
وكانت "الغاية من هذه المدرسة هي
العمل على إحياء وحفظ الفنون
والصنائع المغربية المحضة وبدون
تشويه في كافة أنواعها"².

وعرض بنونة يوم 31 دجنبر 1916،
على المجمع العلمي تقريره الذي
يتضمن إنشاء مدرسة للصنائع
التقليدية بتطوان، فلم تتردد اللجنة
التنفيذية في الموافقة على المشروع،
وقدمت طلبا للإقامة العامة لتخصص
لذلك اعتمادا في ميزانية المخزن
لسنة 1917³.

وتجلت أهمية هذا المشروع في
الميزانية التي رصدت له سنة 1917

¹ - الصردو، أنس؛ بوعبيد، بوزيد، مدرسة الصنائع والفنون
الوطنية مسيرة أجيال من المبدعين، مطبعة الخليج العربي،
2009، ص. 14.

² - "أشغال مدرسة الفنون والصنائع التطوتنية"، مجلة
الاتحاد، عدد 11، السنة الأولى يناير 1928، بدون صفحة.

³ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، صص. 180.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والتي قدرت بـ 36250 بسيطة¹، ومن أجل
دعم ميزانية مصاريف المدرسة ورد في
المشروع الأول لهذه المدرسة تنظيم
معرض سنوي لعرض وبيع الأعمال المنجزة
بمختلف المحترفات خلال السنة
الدراسية، حيث كان المنظمون يطمحون
للحصول على مدخول بحوالي 15000
بسيطة².

كما أكد نص المشروع الأول على
احتضان مدينة تطوان لفضاء مدرسة
الفنون والصنائع التقليدية، ولذلك
صدر ظهير خليف³ يأمر بهدم فندق

¹ - وزعت ميزانية هذه المديرية على الشكل التالي: أجرة
المدير (2500 بسيطة)، أجرة أستاذين (4000 و 2000 بسيطة)،
أجرة أستاذين (3000 و 1500 بسيطة)، أجرة معلم المحترف
(1500 بسيطة) أجرة مساعد المعلم (1250 بسيطة)، أجرة
الحارس (1250 بسيطة)، أجرة الشاوش (1250 بسيطة)، في حين
خصص لمصاريف الأدوات والتجهيزات (15000 بسيطة)، بينما
قدرت مصاريف المحافظة على التجهيزات والبنية ومصاريف
أخرى ذات علاقة بالأدوات بـ (5000 بسيطة). أنظر: الصردو،
أنس؛ بوعبيد، بوزيد، **مدرسة الصنائع**، ... م. س، ص. 14.

² - الصردو، أنس؛ بوعبيد، بوزيد، **مدرسة الصنائع**، ... م. س، ص. 14.

³ - جاء فيه: "ويعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره،
وأجرى نهج العدل سيره، أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه
ومنته، لما كان جنابنا العالي بالله الدائم الالتفات لكل
ما يعود بتعميم التعليم، واقتضى الاهتمام بالحرف
والصنائع، الاعتناء بأربابها، كي تظهر بمظهر التقدم
والنجاح، أصدرنا أمرنا هذا بإفراغ الفندق المعروف بفندق
الملاح، الكائن بباب الملاح بحضرتنا التطوانية، مع كافة
الحوانيت المتصلة به بالطرافيين، والكل ملك لجانب
المخزن الشريف، وإعداده لإنشاء مدرسة الصنائع والفنون
الابتدائية، بعدما رفعت لسدتنا العالية بالله لائحة الأعمال
المقدمة من إدارة البناءات المدنية من إدارة المنافع،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الملاح والحوانيت التي كانت محيطة
به، لتقام محلها بناية لمدرسة
الصنائع والفنون¹، والتي أصبحت
جاهزة بعد سنتين، حيث تم تدشينها
بتاريخ 30 غشت 1919²، بعد أن تم
تعيين السيد أنطونيو كوت إنشاوستي
(ANTONO GOT INCHAUSTI)، مديرا
لها³، وكانت هذه المدرسة تحتوي على
خمسة معامل، لصناعة الزرابي
والنجارة والزخرفة (التسطير) والطرز
على الثياب والجلد والأسلحة، وكان
عدد المتعلمين بها ستين متعلما⁴.

وبعد أقل من سنة صدر ظهير خليف⁵
يأمر بجعل بناية مدرسة الصنائع

ويكون القيام بذلك إداريا، وقد صادق جنابنا الشريف على
تلك اللائحة، كما أنا أذنا بتنفيذ كمية قدرها ثلاثة
وثمانون ألفا ومائتان وإثنان وثمانون بسيطة وثلاثة
وثمانون سنطوما سكة إسبنيولية، وتؤخذ من القسم الثاني
عشر والباب السادس والفصل الثالث من ميزانية المخزن
الجاري عليها العمل للقيام بذلك، فنأمر الواقف عليه من
ولاة الأمور والرؤساء والصدور، أن يجري على مقتضاه، ويلزم
حده ولا يتعداه، والسلام. صدر به أمرنا الشريف في 13
شعبان عام 1336 موافق 24 مايو سنة 1918". أنظر: داود،
محمد، تاريخ تطوان، ج. 11، ص. 332.

- ¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج. 11، ص. 332.
² - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، صص. 180.
³ - الصردو، أنس؛ بوعبيد، بوزيد، مدرسة الصنائع...، م. س،
ص. 16.
⁴ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، صص. 180.

⁵ - جاء فيه: يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره،
ورفع في المعالي ذكره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

والفنون مقرا للكتابة العامة
التابعة للإقامة العامة الاسبانية¹ ،
وتحويل المدرسة بشكل مؤقت إلى
البنائية التي كانت بها الكتابة
العامة بشارع لونييتا أو المصلى
القديمة وذلك بتاريخ 19 يوليوز
1920².

ولأهمية هذه المدرسة التراثية وما
حظيت به من إقبال، تقرر تشييد بنائية
ملائمة لوظيفتها، تتوفر على جميع
الشروط الضرورية لها كمدرسة للتعليم
والمحافظة على الحرف والصنائع
الفنية، والتي انطلقت أشغال بنائها
بتاريخ 6 أبريل 1926³، بباب العقلى،

ومنته، لما رأى جنابنا العالي بالله ما اقتضاه المناسبة
لمصالح خدمات المنطقة المحروسة، وكانت أهمية المكتبة
العامة للمقيمية الاسبانية المغربية مما تستدعي مزيدا من
الالتفات لذلك، وتقرر لدى كريم علمنا أن المحل الذي كان
معدا لأن يجعل مدرسة الصنائع والفنون، يترجح إثارة به،
أصدرنا أمرنا هذا بتسليم ذلك المكان المذكور لهذا
المقصد المتعينين، وأذننا أن تجعل مدرسة الصنائع والفنون
مؤقتا بالمحل الذي كانت تشغله المكتبة المذكورة، ريثما
يعين لها محل خاص يناسب أهميتها ونمو نتائج الحرف
الوطنية التي تقام بها. فنأمر الواقف عليه من خدامنا
وكافة ولاية أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه، ويلزم حده ولا
يتعداه، والسلام. صدر به أمرنا الشريف في 9 شوال عام
1338 موافق 26 سنة 1920". أنظر: داود، محمد، تاريخ
تطوان، م. س، ج. 11، ص. 360.

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 360.

² - الصردو، أنس؛ بوعبيد، بوزيد، مدرسة الصنائع ...، م.

س، ص. 17.

³ - نفسه، ص. 17.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتم افتتاحها في فاتح يوليوز 1928،
وأطلق عليها اسم مدرسة الفنون
والصناعات التقليدية وكانت من أحسن
المدارس من نوعها بالمغرب آنذاك¹،
حيث كانت بمثابة "قصر حقيقي يوجد في
أرحابها أقسام واسعة وكافية لأجل نسج
الطنافيس والزرابي وصنع الفسيفساء
والسلاح أيضا. وفي هذه المدرسة تعطى
أيضا دروس الرسم... ويوجد فيها فوج
كبير من المتعلمين لكافة الصنائع
وهم مواظبون على إتقانها"².

فبناء على ما سبق، يتبين أن
المجمع العلمي المغربي كان عبارة عن
هيئة ثقافية وناد وأكاديمية أدبية
وفنية وعلمية في الوقت نفسه³، يطمح
إلى تطوير أوضاع المنطقة من الناحية
العلمية والثقافية⁴. وتجلى ذلك من
خلال إقبال المشرفين عليه على تنزيل
أهدافه السامية على أرض الواقع
وخاصة في سنواته الأولى. ولذلك اعتبره
محمد داود "عملا من جلائل الأعمال
وحسنة من أعظم الحسنات. وهو المأثرة
التي كتبها كل تطواني على صفحات

¹- ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. م. س،
ج. 1، صص. 180.

²- "أشغال مدرسة الفنون..."، م. م. س، بدون صفحة.

³- ولف، جون، م. م. س، ص. 137.

⁴- بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. م. س، ص. 44.

قلبه بأحرف من نور محفوفة بآيات
الشكر والامتنان"¹، لكونه كان "مؤلفا
من أفراد يهمهم صالح البلاد وخير
حكام العباد ولو اختلفت مبادئهم
وتنوعت ... جنسياتهم، هناك كان
الوزراء وعلماء الكتاب وتراجمة
الإقامة ورؤساء مكاتب استعلاماتها
وأعضاء مكتبها الحربي و... حتى
متأمر من أركان حرب الدولة
كالمستعرب بيكيدر ورؤساء الأهالي.
على موائد ذلك المجلس كانت تطرح
مباحث العلم وما يؤدي للحصول عليه
فكان المحميون والحامون يقصرون
أعمالهم عليها ويتحاورون فيها
باتخاذ في الآراء فيقر قرارهم على ما
به الخير العام والصالح المستدام"².

غير أن هذه المؤسسة لم تعيش إلا
بضع سنوات³، حيث سرعان ما توقفت
أنشطة المجمع العلمي، وأصبح مجلسه
اسميا فقط⁴. ويصف محمد داود أثر هذا
التوقف بقوله: "ولكن شاءت الأقدار

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، حالتنا العامة ...، م. س،
صفحة بدون رقم.

² - الإصلاح ومدرسة لوقش ولدا المجمع العلمي فمالهما
يعيشان ويموت، جريدة الإصلاح، عدد 73، 24 شتنبر 1920،
صفحة بدون رقم.

³ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 44.

⁴ - "الإصلاح ومدرسة لوقش ..."، م. س، صفحة بدون رقم.

فقضي على المجمع العلمي وكان أمر الله
قدرا مقدورا. ومن ذلك الحين بقيت
المعارف في طي الإهمال فهذا يبقى
السنتين والثلاث لا يعطي درسا واحدا
وذاك كذلك وآخر كذلك، هذا بعض ما
يرجع للمدرسين أما المتعلمون فقد
كان المجمع العلمي سعى لهم في مرتب
شهري كان كل من بمدرسة لوقش يتقاضاه
فيتعاون به على العيش أو شراء الكتب
النافعة ولكن بعد القضاء على المجمع
العلمي وقع الخلل في ذلك أيضا فحرم
المستحقون ومنح غيرهم والله الأمر من
قبل ومن بعد واضطر كثير من الطلبة
للرحلة إلى فاس للكرع من مناهل
العرفان بها وقد قضى بها بعضهم ما
بين أربع سنوات وست وذاقوا فيها من
صنوف البؤس ألوانا¹. ونظرا لآمال
التي كانت معقودة على هذا المجمع في
النهوض بالعلم والتعليم بشمال
المغرب، جعلت الرهوني يأسف عن توقف
أنشطته، بقول: "لو دام لحصلت منه
نتائج عظيمة"².

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، "حالتنا العامة..."، م. س،
صفحة بدون رقم.

² - الرهوني، أحمد، عمدة الراوين...، م. س، ج. 2، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وإلى جانب نشاط النخبة المثقفة في
المجمع العلمي، استغلت كذلك
اشتغالها في سلك المخزن، لإدخال
مجموعة من الإصلاحات واقتراحات أخرى.
فعلى سبيل الذكر لا الحصر فإن مشاركة
الفقيه أحمد الرهوني في الحكومة
الخليفية كوزير للعدلية جعلت الإسبان
يستشيرون معه حول العديد من الإصلاحات
ويطلبون رأيه فيها، فساهم في "وضع
قوانين ونظامات، ومهد السبيل
لمشاريع وإصلاحات"¹ شملت العديد من
الميادين والقطاعات.

كما استطاع الحاج عبد السلام بنونة
من خلال مشاركته في الحكومة الخليفة
تحقيق العديد من المطالب وتنفيذ بعض
خطته ومشاريعه عن طريق مشاركته في
إصدار مجموعة من الظواهر التنظيمية
في مجالات متعددة، ذلك أنه عند
تعيينه محتسبا لمدينة تطوان سنة
1916²، كان أول ما بادر إليه بنونة
هو وضعه لمشروع تنظيم مؤسسة الحسبة

¹ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 109.

² - عين بنونة محتسبا لمدينة تطوان بمقتضى ظهير خليفي صدر
في 12 رجب 1334 الموافق 15 ماي 1916، أنظر: أنظر: ابن
عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1،
ص. 108.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتوحيدها في جميع مدن شمال المغرب¹،
وأصدرَ في شأن ذلك ظهير خليف²
بتاريخ 14 نونبر 1917¹

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 110.

² - جاء فيه: "يعلم من هذا الكتاب الممضي بصفة رئاسة
الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أنه لما كانت خطة
الحسبة مما يتعين الالتفات إليها، والاهتمام بها، بتنظيم
قوانين يجب تتبعها والاعتماد عليها، وجب أن يحرر ضابطا
يضبطها أتم ضبط وتحرير، وتقرر فصوله أحسن تقرير، فصدر
هذا الضابط الذي يتعين على كافة المحتسبين من حيث هو
مؤهل...، نظرا للمهمات التي أنيطت به منذ قديم، والتي
يجب عليه متابعة القيام بها حبا لمصالح الشعب الإسلامي،
والتي هي مراقبة الصنائع، ومراقبة سلوك أصحابها، ودفع
الغش المتأتي من جانب السحرة وأرباب الكهنة والمشعوذين،
ودفع الأكاذيب المضرة الصادرة من جانب رواة الحكايات
والخرافات بالأسواق.

وكذلك مراقبة الحمامات والحمامات والفنادق بما لا مضرة
فيه على ملاكها أو مكتريها، وغير ذلك بشرط أن تجمع هذه
الأمور المقررة، الشروط الدينية والصحية.
وأن غير ذلك من المهمات التي كان يتعاطاها قبل،
والتي أوجد لها العصر الحاضر -عصر التقدم- أشخاصا ذوي
تهيئة خصوصية لها، كالأطباء والمهندسين وما شبههم،
والمجالس الخصوصية التي هي تابعة لمجلس الأشغال البلدية
أصبح لا يتعاطاها الآن.

وأخيرا توجد بعض المهمات التي يسند للمحتسب القيام بها
وفقا للتعليمات التي تصدر من المجلس المناط إليه،
كالذود عن مصالح السكان، تبعا لما هو قائم في كافة
المدن المتمدنة، إذ إن المخزن الشريف أعزه الله، جعله عضوا
من أعضاء المجالس المذكورة، فيجب عليه الحضور في كافة
الجلسات والمحاورات.

أولا: تهيئة الأسواق وضبطها ومراقبة مصالح الوافدين
إليها.

ثانيا منع بيع الأصناف قبل وصولها إلى السوق، ومنع
احتكارها قبل أن يقضي أربه الشعب منها.

ثالثا: اقتراح تسمية الكيالة والوزانين والسماصرة، وغير
ذلك من متوظفي الأسواق، ولكن يشترط ألا يقوم المجلس
بتسميتهم بواسطة المباراة، ولا يمكن المحتسب أن يقوم
بوضع ضرائب لم يسمح بها المجلس.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتتجلى أهمية هذا الظهير في كونه
جاء كرد على ما كان ينتشر في
المجتمع المغربي من غش وفوضى
واستغلال لضعف وسذاجة المغاربة
وجهلهم ، فأعطى السلطة للمحتسب
"لمراقبة الصنائع وسلوك أصحابها ،
ودفع الغش المتأتي من جانب السحرة
وأرباب الكهنة والمشعوذين ، ودفع
الأكاذيب المضرة الصادرة من جانب
رواة الحكايات والخرافات بالأسواق.
وكذلك مراقبة الحمامات والحمامات
والفنادق بما لا مضرة فيه على ملاكها
أو مكتريها ، ... وتهيئة الأسواق
وضبطها ومراقبة مصالح الوافدين
إليها . ومنع بيع الأصناف قبل وصولها
إلى السوق ، ومنع احتكارها قبل أن
يقضي أربها الشعب منها . والضرب على

رابعاً: الضرب على يد أصحاب الغش والتدليس في الأصناف ،
وزيادة الأسعار ، وكذلك النقص في الكيل والوزن وتحقيقها .
خامساً: تعيين أسعار أصناف غل البلاد وإفادة المجلس بذلك
ومراقبة الأصناف المجلوبة حتى لاتباع بأكثر مما يعينه
المجلس .

سادساً: الحكم في الديون القليلة الأهمية الواقعة في
السوق .

سابعاً: القيام بوضع غرامات صغيرة لمخالفة تقع فيما
يعنيه المجلس .

فالواقف عليه يجب أن يجري على مقتضاه ، ولا يتعداه لسواه
والسلام . في 26 محرم الحرام عام 1336 موافق 14 نونبر سنة
1917 ."

¹ - صدر بالجريدة الرسمية لمنطقة الحماية الإسبانية ، عدد
23 ، ص . 1314 . عن: ابن عزوز الحكيم ، محمد ، أب الحركة
الوطنية م . س ، ج . 1 ، ص . 110 .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يد أصحاب الغش والتدليس في الأصناف،
وزيادة الأسعار، وكذلك النقص في
الكيل والوزن وتحقيقها"¹.

وقام المحتسب بنونة إلى جانب ذلك
بتحرير عدة قوانين أخرى منظمة
لمختلف الهيئات والنشاطات الاقتصادية
والتجارية والصناعية التي كانت
تابعة لحسبة تطوان، ومنها قانون سوق
الحوت ونظام "القاعة"، والنظام
الداخلي لحرف الصناعة التقليدية،
ونظام الدلالة والسمسارة. كما قام
المحتسب بنونة بتحديد أثمان جميع
المبيعات والمشتريات. وفرض على
التجار وضع لائحة الأثمان وعرضها على
جدران دكاكينهم، هذا علاوة على
مقاومته للاحتكار وادخار السلع،
والامتيازات التي كان يستغلها
المحوظون على حساب الضعفاء
المستهلكين، بالإضافة إلى توجيه
عنايته لتنظيم الأسواق الأسبوعية
واليومية².

كما يرجع الفضل للمحتسب بنونة في
تطبيق النظام العشري في الموازين

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج. 11، صص. 322 - 323.

² - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، صص. 110 - 111.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والمقاييس الذي كان قد صدر بتاريخ
11 نونبر 1914¹ ، عن طريق فرض
احترامه بدقة على جميع فروع الإنتاج
والبيع² ، والاستغناء عن المعايير
القديمة التي كان يتم التعامل بها،
من قبيل "الدرع والقصبة والمد
والكيل والقلعة والرتل العطاري أو
البقالي أو الخضاري والقنطار". بل
الأكثر من ذلك عمل بنونة على تحرير
قانون للمقاييس والأوزان الحديثة
مناسبة لقانون المقاييس المغربية
القديمة بعد دراستها. كما اقترح
كذلك على إدارة الحماية إنشاء
مفتشية للمقاييس والأوزان تعم سائر
النشاطات الاقتصادية في المنطقة بما

¹ - جاء فيه: "يعلم من هذا الكتاب الرفيع قدره، الممتمثل
نفيه وأمره، أننا بقوة الله وحوله، ويمنه وعزته وطوله، حيث
رفع لشدتنا العالية بالله رئيس وزارتنا السعيدة، الضابط
المختص بالمقاييس والمكاييل المأخوذة عن الميطرو في
كافة المعاملات التجارية التي يقوم بها التجار
الأورباويون والإسراييليون، وهو المصاحب لكتابنا هذا،
واستوجب الحال مصادقة جنابنا العالي بالله على ما تضمنته
فصوله. وعليه فنأمر كافة رؤساء الموظفين، وخصوصا
المحتسبين وأعيان المكلفين، ممن أنيط بهم ضبط مجالس
الأشغال البلدية، بجميع مدن منطقة الحماية الإسبانية، أن
يتخذوا سائر الاحتياطات والوسائل اللازمة، ليصير التمشي
على مقتضاه من فاتح شهر يناير من سنة 1915 المستقبل،
والسلام، صدر به أمرنا المستعلي بالله في الثاني والعشرين
ذي الحجة الحرام متم عام 1332 موافق 11 نونبر سنة
1914م". أنظر: داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11،
ص. 282.

² - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 111.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

فيها الأنظمة الإسبانية، غير أن مشروع
هذا القانون الذي هيأه بنونة بتاريخ
3 جمادى الثانية 1347 هـ، لم يتم
المصادقة عليه بظهير خليفى في 17
نونبر 1928 وإدخال بعض التعديلات
عليه¹.

ونتيجة تدخلات بنونة وطلبه عملت
إدارة الحماية الإسبانية على توفير
الإنارة بالشوارع والساحات العمومية،
وكذلك حصلت المساجد ومباني الأحياس
على الاستفادة من تخفيضات في سعر
الاستهلاك الكهربائي، وبالإضافة إلى
ذلك أنشأ مراقبة الشؤون الخيرية
والكتاتيب القرآنية، ومقابر
المسلمين والقائمين على تجهيز
الموتى².

ونظرا للتصور الذي كان يحمله
بنونة من أجل خلق نهضة مجتمعية
شاملة نجده يستغل منصبه كمحتسب
لمحاربة كل العوائد الفاسدة والأعراف
البالية والأمراض التي كانت منتشرة
بالمجتمع المغربي، حيث قام بحملة
شعواء ضد الذين كانوا يحترفون

¹ - نفسه، صص. 111 - 112.

² - نفسه، صص. 110 - 112.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

البغاء ويتعاطون للقمار والخمر¹ ،
فمنع المسلمين من المجاهرة بشرب
الخمر ولعب القمار بل إنه منعه من
المقاهي² ، وأقفل الحانات التي كان
يملكها الإسبان داخل الأحياء
الإسلامية³ . كما ضرب على يد المتلاعبين
بعقول العوام⁴ كالدجالين والمشعوذين
من المعالجين والقصاصين بالأسواق⁵ .
ومنع السحرة من تعاطي مهنتهم وحجز
منهم كتبهم وأجلى جلهم من تطوان⁶
وقضى على عادة الرقص الجنوني الذي
كان بعضهم يقوم به في الحفلات
والليالي التي تمثل أقبح البدع
والمنكرات⁷ . كما شملت حملة بنونة
هذه حتى الطرق الصوفية وطوائفها ،
حيث لم تستطع الطائفتان العيساوية
والحمدوشية أن تقيم الحفلات المسماة

¹ - نفسه ، ص. 111.

² - بنونة ، امحمد ، حاشية بكتاب ، داود ، محمد ، عائلات
تطوان ، م . س ، ج . 1 ، ص. 221.

³ - ابن عزوز الحكيم ، محمد ، أب الحركة الوطنية... ، م . س ،
ج . 1 ، ص. 111.

⁴ - داود ، محمد ، عائلات تطوان ، م . س ، ج . 1 ، ص. 221.

⁵ - ابن عزوز حكيم ، محمد ، أب الحركة الوطنية... ، ج . 1 ،
ص. 111.

⁶ - بنونة ، امحمد ، حاشية بكتاب ، داود ، محمد ، عائلات
تطوان ، م . س ، ج . 1 ، ص. 221.

⁷ - داود ، محمد ، عائلات تطوان ، م . س ، ج . 1 ، ص. 221.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ب"الخرجات" مدة توليه للحسبة لمنعه
إياها¹.

كما أنه عندما شارك شمال المغرب
في المعرض الاشبيلي سنة 1929، لاحظ
بنونة أن جميع الدول المشاركة تضع
أعلامها بأروقتها، بينما وُضِع بالرواق
المغربي علم إسبانيا، مما جعله يلجأ
لبعض أصدقائه الإسبانين وعرض عليهم
أمر إنشاء علم مغربي، وبفضل تدخل
بنونة، أصدر الخليفة السلطاني
بإيعاز من الحكومة الإسبانية، يوم 4
نوفمبر 1929 ظهيرا خليفيا لإنشاء
العلم والشعارات التي يجب أن
تستعملها المحلات الخليفية، كما أصدر
ملك إسبانيا يوم 7 مارس 1930 مرسوما
يقضي بلزوم تقديم مراسيم التشريف
والاحترام للعلم المغربي من طرف
الجيش الإسباني، وبتاريخ 11 ماي
قام الخليفة السلطاني الحسن بن
المهدي باستعراض المحلة الخليفية
وتسليم الراية المغربية²، وهو ما
أشار إليه بنونة في إحدى رسائله
لولده الطيب حيث قال له: "غدا سيخرج

¹ - بنونة، امحمد، حاشية بكتاب، داود، محمد، عائلات
تطوان، م. س، ج. 1، ص. 221.

² - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 374-375.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إلى محل الطيارات سمو الخلفي وجميع
رجال المخزن وأعيان المدينة ويقع
استعراض نحو 5000 من عسكر المسلمين
لاستلامهم راية جديدة باسم الخليفة
المعظم وقراءة ظهير من الملك الفنس
الثالث عشر مضمنه أن الجيش الإسباني
يلزم رسميا احترام هذه الراية كراية
دولته والقيام لها مع السلام عليها
حين مرورها أمامه. وأنت تعلم
المجهود الذي بذلته من أجل هذه
القضية ونحمد الله أن كلل هذا المجهود
بالنجاح حقق الله الآمال"¹.

المبحث الثاني: مطالب النخبة
المثقفة بشمال المغرب وموقفها
من سياسة التماطل للحماية
الإسبانية

1. مطالب مبكرة للنخبة المثقفة
والرغبة في تحقيق الإصلاحات

سمحت علاقة التعايش والتعاون بين
الحماية الإسبانية والنخبة المثقفة،
لهذه الأخيرة بتقديم العديد من
المطالب والبرامج الإصلاحية منذ

¹ - نفسه ، ص. 375.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

السنوات الأولى للحماية الإسبانية
بشمال المغرب. وأنجزت تلك المطالب
إما بطلب من بعض المقيمين العامين
أو بمبادرات شخصية أقبل عليها بعض
عناصر النخبة المثقفة.

وتعد أول هذه المطالب، تلك التي
قدمها الفقيه أحمد الرهوني سنة
1914، للبعثة الإسبانية التي قدمت
إلى شمال المغرب لدراسة وضعية
التعليم في المنطقة الإسبانية¹، وكان
من بين الذين اتصلت بهم هذه اللجنة
وطلبت منهم إبداء رأيهم في الطريقة
الأنسب لإصلاح التعليم، وزير العدالة
أحمد الرهوني، الذي رفع إليها
تقرير² عن حالة التعليم آنذاك
وآفاق إصلاحه³.

ومن بين المطالب التي رفعها
الرهوني كذلك، مشروع خاص بإصلاح نظام
القضاء والعدالة، الذي قدمه إلى أول
مقيم عام إسباني بشمال المغرب،

¹ - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural ...**, Op. Cit, p. 74.

² - سبقت الإشارة لمضامين هذا التقرير في المحاور السابق.

³ - خليفة، إدريس، "حول التعليم والمكتبات بالشمال"، ضمن
كتاب: شمال المغرب إبان فترة الحماية وبداية عهد
الاستقلال، تنسيق المعطي منجب، ص. 229.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الجنرال فيلبي الفاو **Felipe Alfau**¹،
ويقول الرهوني عن هذا المشروع بأنه
: "لما وردنا لهذه الخدمة الشريفة
... قدمنا لسعادة ... الطنيطي خنرال
(Lieutenant Général) دون فليبي
ألفاو دام حفظه، فكرنا في تنظيم
القضاة والعدول، وقد ترجم ذلك
التنظيم ووضع في إدارة الأشغال
وقتئذ، بعد أن اطلعت به وزارة
الخارجية حسبما كنا قرأناه في بعض
الجرائد العربية وقتئذ، كما كنا
دفعنا نسخة منه لسعادة الصدر الأعظم،
وطال انتظارنا لإبرازه أو إبراز
تحريره، أو إبداء الملاحظة المتعينة
فيه، فلم نحظ بذلك إلى الآن"².

وهناك أيضا مشروع تنظيم مهام
الحاكمين بين المسلمين (القاضي
والقائد والمحتسب)³، والذي أشار
إليه الرهوني في التقرير الذي رفعه
إلى المقيم العام **دماسو برنكر Damso**
Berenguer سنة 1919، وأخبره فيه

¹ - الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
...''، م. س، ص. 127.

² - الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيمه، نقلا عن : محمد
الشريف، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني...''، م.
س، ص. 143.

³ - الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
...''، م. س، ص. 128.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بأنه سبق له أن قدم بياناً في
الموضوع لنائب الأشغال الوطنية على
عهد المقيم العام فليبي ألفا¹. كما
صاغ الرهوني كذلك مشروعين لتدريس
العلوم الدينية وتعميمها بجميع
المنطقة الإسبانية².

ويعتبر أهم مشروع إصلاحي قدمه
الفقيه أحمد الرهوني لإقامة العامة
الإسبانية، هو المشروع الذي سماه
"نصيحة الوطن لمقيمه"، والذي أنجزه
بناءً على طلب من المقيم العام
الإسباني الجنرال دماسو برنكر **Damso**
Berenguer، عندما أبدى هذا الأخير
رغبته في معرفة أحوال المنطقة، حيث
يقول الرهوني في موضوع إعداد لهذا
المشروع: "كان من فكر سعادة المقيم
العام ... استطلاع أفكار بعض رجال
المنطقة ... وكان كاتبه من جملة
المخاطبين بهذا الأمر العالي، ...
وكاتبه وإن لم يكن من رجال الإصلاح
وأهل السياسة الكبيرة والاطلاع على
مجريات الأحوال كما يتعين، لم يمنعه
ذلك من إبداء فكره وإدلاء دلوه مع

¹ - الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيمه، نقلا عن : محمد
الشريف، "نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني ..."، م.
س، ص. 142.

² - الشريف، محمد، "نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
..."، م. س، ص. 128.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**الدلاء خدمة للوطن والدين وللدولة
الحامية التي أوجبت عليه الظروف
خدمته لها بنصح تام، علما منه بأن
ذلك في الحقيقة خدمة لوطنه ودينه**"¹.

و"نصيحة الوطن لمقيمه"، هو مشروع
يقعد للأمر السياسية والإدارية
والتعليمية والاقتصادية والأمنية
والمالية بالمنطقة الخليفة²، حيث
يشمل مجموعة من الاقتراحات البديلة،
لتجاوز العلل التي كانت تنخر الجسد
المغربي³.

ومهد الرهوني لنصيحته بمقدمة عامة
عبر فيها عن نجابة المقيم العام
دماسو برنكر، ورغبته في إدخال
الإصلاحات بمنطقة الحماية الإسبانية،
عن طريق حفظ دين أهلها وعاداتهم
القديمة الجارية على قانون الشريعة،
وكذا توحيد سلطتها بيد مخزنها تحت
رعاية الخليفة ومراقبة المقيم
العام، كما ذكر كذلك بأنه بفضل هذا
العمل، سوف تكثر الخيرات التجارية

¹ - الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيمه، نقلا عن : محمد
الشريف، "نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني..."، م.
س، ص. 139.

² - الشريف، حمد، "نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
..."، م. س، ص. 127.

³ - الهيروز، بديعة، "قراءة تحليلية..."، م. س، ص. 251.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والصناعية بالمنطقة، وتكسب الدولة
الحامية خيرات طائلة، وكذلك محبة
الأهالي لها¹. ويمكن تقسم مشروع
الرهوني إلى عدة جوانب سياسية
واقتصادية، واجتماعية وثقافية².

فعلى المستوى السياسي ركز
الرهوني، على مكانة الخليفة
السلطاني وصلاحيات الوزراء، إذ يقول
في نصيحته، 'يجب إعطاء صاحب سمو
الخليفة النفوذ التام الحقيقي على
جميع المنطقة، لا فرق بين كبيرها
وصغيرها، جليلها وحقييرها، لأنه أصبح
بمقتضى خلفه سلطان المنطقة
وأمرها'³. كما يرى الرهوني بأن
للأمير على رعيته السلطة الدينية
والسياسية، فيكون له النفوذ الحقيقي
على جميع الوزراء، كما استعرض
الرهوني ميدان اختصاص الوزراء،
وترشيحهم للمناصب، مقترحا على أن
يكون للخليفة وحده الحق في تعيين
ذلك الموظف⁴، مع تأكيده على عدم

¹- الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيمه، شريط ميكروفيلم
رقم 1506/2، الخزانة العامة، الرباط

²- الهيروز، بديعة، م. س، ص. 256

³- الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيمه، نقلا عن : محمد
الشريف، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني... '، م.
س، ص. 139

⁴- الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
... '، ص. 129.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تدخل أي وزير في أعمال وزير آخر، مع
الحرص على عقد اجتماع وزاري يرأسه
ال خليفة في كل أسبوع¹.

أما على مستوى القضاء والمراقبة،
فلقد لاحظ الرهوني أن في أعمال
القضاء بعض الانحلال، الأمر الذي أدى
إلى ضياع حقوق الناس، لذلك اقترح
مقترحات علمية لإصلاح القضاء والأحكام،
منطلقا من ملاحظة مفادها أن جل أهالي
المنطقة مسلمون وبالتالي يجب ألا
يحكم على المسلم إلا المسلم، وأنه
إذا كانت قضية بين المسلمين لا يجوز
أن يتدخل بينهم قنصل ولا محكمة شرعية
أجنبية لا مدنية ولا عسكرية ولا أي
سلطة من السلطات. وفي حالة إذا كانت
قضية بين مسلم وأجنبي، وكان الداعي
مسلم والمدعى عليه أجنبي، فإن
القضية يجب رفعها إلى المحكمة
الخاصة بالأجنبي، أما إذا كان العكس
فيجب رفع القضية للقضاء الإسلامي².

وبخصوص التعليم، فقد قدم الفقيه
الرهوني جملة من المقترحات العملية

¹ - الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيمه، نقلا عن : محمد
الشريف، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني...'، م.
س، صص. 139-140.

² - الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
...'، ص. 130.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

التي من شأنها النهوض بالتعليم
الديني خاصة وبالتعليم بصفة عامة¹،
حيث حظي التعليم في نصيحته بأهمية
كبيرة، لكونه خصص له عشرة بنود،
كلها ترمي لجعل التعليم قادرا على
تحقيق نهضة علمية بالمنطقة الخليفية
عن طريق نشر التعليم الابتدائي
وتعميمه في جميع الحواضر والبوادي²،
إذ يقول الرهوني في نصيحته:
''التعليم كما هو معلوم ابتدائي
وعالي، أما العالي... فيجب أن يؤسس
في كل مدينة من مدن المنطقة عدد من
المدرسين والمتعلمين لهذا التعليم
وكذا في القبائل. وأما الابتدائي
فينبغي أن يجعل في كل حومة من حومات
المدن وفي كل مدشر من مداشر القبائل
مكتب لتعليمه''³.

ولم يقتصر الرهوني في مشروعه فقط
على العلوم الدينية. وإنما أولى
كذلك أهمية خاصة للعلوم العصرية، بل
وحدث على وجوب تعليمها، لاقتناعه

¹ - خليفة، إدريس، الحركة العلمية...، م. س، ج. 1، ص. 251.

² - الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني'...، ص. 130.

³ - الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيميه، نقلا عن : محمد الشريف، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني'...، م. س، ص. 6.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بضرورة الانخراط في العلم الحديث
وتقنياته، وبقينه بضرورة العلم
والتكنولوجيا في حياة الأمم¹. ولذلك
نجد أنه يؤكد في مشروعه على ضرورة
تعلمها إذ يقول: 'يجب تعميم تعليم
العلوم العصرية في المنطقة تدريجياً،
فباللغة الإسبانية والحساب وبعض
المقدمات تلقن لأهل التعليم الديني
الابتدائي... وبقية العلوم العصرية
تلقن لأهل التعليم العالي الديني'².

وإصلاح التعليم بالمنطقة الخيلية
عند الرهوني لا ينفصل عن العلم
التجريبي والتعليم التقني. ولذلك
نادى بضرورة خلق المدارس التقنية
وربط التكوين النظري بالتطبيقي.
وألح على ضرورة إحداث المدارس
الصناعية، لتعليم الصنائع والحرف،
لإحياء ما اندثر من صنائع المنطقة
وإحداث أخرى، وذلك عن طريق إحداث
مدرسة خاصة بالحرف والصنائع. هذا
بالإضافة على تأكيده على ترقية فلاحية
المنطقة، وفتح مكتب لتعليم علوم
الفلاحة، وكذا السماح بتدخل الشركات

¹ - الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
...''، ص. 131.

² - الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيميه، نقلا عن : محمد
الشريف، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني ...''، م.
س، ص. 5.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الإسبانية، للقدوم لهذه المنطقة
بأموالها وعلومها. وباعتبار التجارة
هي مصدر الثروة نجد الرهوني يلح على
ضرورة الاهتمام بها والأخذ بأساليب
التعامل التجاري والمالي الحديث عن
طريق إحداث مدرسة لتعلم علوم
التجارة وحساباتها على غرار القواعد
المقررة في الأمم المتمدنة¹.

وتحدث كذلك الرهوني عن ضرورة
تأسيس مدرسة بحرية لتعلم العلوم
البحرية وفي هذا الصدد يقول 'ينبغي
أن تؤسس مدرسة بحرية... يستخرجون
منها رؤساء المراسي والمستخدمون
منهم في المراكب البحرية حتى تصير
المنطقة بحسن تدبير الدولة الحامية
وصدق معاملتها لها دولة قادرة على
كل ما يلزمها في نفسها'².

ولم يغفل الرهوني الجانب الاجتماعي
والأمني في مشروعه. بل حث على إدخال
العديد من الإصلاحات على هذا الجانب.
وذلك عن طريق تعميم ربط أطراف
المنطقة بالطرق والسكك الحديدية،

¹ - الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد
الرهوني...''، ص. 132-132.

² - الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيمه، نقلًا عن : محمد
الشريف، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني...''، م.
س، ص. 7.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والتلغراف والتلفون، بهدف تسهيل
النقل للفلاحة والتجارة، وتعميم نفوذ
المخزن المحمي داخل المنطقة، كما
نادى الرهوني بضرورة مراقبة مداخل
البلديات ومصاريفها مراقبة مدققة،
حيث اقترح تعيين في كل مدينة وكل
قبيلة، مندوبا يكلف بجمع الزكاة، من
الأغنياء وتوزيعها على الفقراء¹. أما
الأحباس فيرى الرهوني أنه من الواجب
الالتفات إليها، و'ضبط مداخلها
ومخارجها على نظام يؤسس لذلك يكون
جامعا لحسن الإدارة، والموافقة
للقواعد الشرعية والعادات
الوطنية'².

كما يرى صاحب النصيحة وجوب
الاهتمام بالأمن في ربوع المنطقة
ونواحيها. ولتحقيق ذلك يجب في نظره
إحداث فرق عسكرية في كل مدينة
وقبيلة. ولأجل هذه الفرق الوطنية
اقترح الرهوني إحداث مدارس عسكرية
يتخرج منها ضباط وطنيون، تكون
وظيفتهم حفظ الأمن في مناطق خدمتهم،
ومن هذه الفرق الوطنية تستخرج

¹ - الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
...، ص. 134-135.

² - الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيمه، نقلا عن : محمد
الشريف، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني ...، م.
س، ص. 10.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الطبجية التي تعلم فنون المدافع،
وتدرب على الرمي به¹.

هكذا شكلت نصيحة الرهوني برنامجا
شاملا لإصلاح المنطقة، وجعلها قادرة
على توفير "كل ما يلزمها من
نفسها"²، دون المساس بدين "أهلها
وعوائدهم القديمة الجارية على قانون
الشرعية، وتوحيد سلطتها بيد مخزنها
الشريف"³.

ومن بين المطالب التي تستحق
الوقوف عندها كذلك، التقرير الذي
رفعه الحاج عبد السلام بنونة عندما
كان وزيرا للمالية بالحكومة
الخليفية إلى المقيم العام الإسباني
لويس سيلفيلو Luis Silvela، بتاريخ
28 فبراير 1923، والذي طالب فيه
بضرورة رد الاعتبار لمنصب وزير
المالية ومنحه سلطاته الكاملة
للقيام بواجبه. وكذلك بالنسبة لجميع
الوظائف الأخرى، حيث يقول في تقريره:

¹- الشريف، محمد، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني
...''، ص. 136.

²- الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيميه، نقلا عن : محمد
الشريف، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني...''، م.
س، ص. 10.

³- الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن لمقيميه، نقلا عن : محمد
الشريف، 'نصيحة الوطن لأبي عباس أحمد الرهوني...''، م.
س، ص. 10.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

"وفي هذا الذي أقترحه رد الاعتبار
لوزير المالية ولا يمس شيئاً الاعتبار
الذي يجب أن يكون لنائب المالية، بل
سيمكن كل واحد منا من العمل داخل
حدود اختصاصاته من أجل الصالح العام
لأمتنا"¹. كما أكد في تقريره هذا أن
يكون من اختصاصات وزير المالية
"تعيين الأمناء والعدول وآباء
المواريث ورؤساء المراسي ووكلاء
الغياب"².

كما طالب بنونة كذلك بضرورة منح
إدارة الحكومة الخليفة سلطاتها
الحقيقية وتوزيع المناصب حسب
الكفاءة إذ يقول: "ولا أظن أنني مخطئ
عندما أقول إنه يجب اعتبار هذه
المنطقة كأمة كاملة فيما يخص
إدارتها السياسية والاقتصادية وأن
الوظائف في أي بلد كان يجب أن توزع
على أفراد الأمة حسب كفاءاتهم ليكون
هناك نظام يعرف كل واحد فيه حقوقه
وواجباته"³.

وعلى إثر الإهمال الذي لقيه هذا
التقرير، اضطر بنونة لرفع تقرير آخر

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، صص. 130.

² - نفسه، صص. 130.

³ - نفسه، صص. 130 - 131.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بتاريخ 30 مارس 1923، طالب فيه بإدخال إصلاح شامل لهيكل حكومة المخزن الخلفي بأكمله وتوزيع جميع المهام التي بيد الإسبانين على الوزراء المغاربة، حتى يتمكن المخزن من استرجاع القيمة التي كان يفتقر إليها¹. عن طريق "تحديد كيفية تسيير مجلس الوزراء"، الذي رأى بنونة أنه "من المنطق أن يجتمع هذا المجلس مرة في كل أسبوع وأن يكون من اختصاصاته: مناقشة ميزانيات منطقة الحماية؛ وضع المخططات العامة للأشغال العمومية والتعمير؛ القيام بالإجراءات التي تساعد على تنمية التجارة والصناعة؛ إعادة النظر في تنظيم مصالح الأحياس والتعليم والبلديات والنظام الجبائي والقوات العسكرية الخلفية؛ النظر في تعيينات القواد والقضاة بالمدن والقرى وكذلك خلفائهم وكتابهم وأمناء الديوانات والمستفاد ونظار الأحياس ورؤساء "الحركات" والضباط المغاربة في القوات الخلفية"².

ودعا بنونة كذلك إلى ضرورة تعيين وزراء أكثر حزمًا وكفاءة، وتحديد

¹ - نفسه، ص. 131.

² - نفسه، صص. 132 - 133.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

اختصاصاتهم ومهامهم ومنحهم سلطة فعلية، إذ قال: "يجب التنصيب على أن الصدر الأعظم هو وزير الحربية للمخزن وبهذه الصفة لا يمكن عدم معرفة رأيه في كل ما يتعلق بتنظيم البلديات وميزانياتها السنوية ومحاضر اجتماعاتها وكذلك كل ما يتعلق بالسلطات والموظفين المغاربة والقوات الخليفة وجماعات المداشر بالقبائل إلى غير ذلك. ووزير العدل يجب أن يكون في نفس الوقت وزيرا للمعارف فتكون تحت نظره المدرسة والمدارس القرآنية كما يجب أن يسمع رأيه في كل ما يتعلق بمؤسسات التعليم الإسلامي والمدارس الإسبانية العربية ومدارس الفنون والصناعات وغير ذلك. ووزير المالية يجب أن تكون له مشاركة أكثر في وضع النظام الجبائي بالمنطقة وبالأخص في تحضير الميزانيات العامة وفي تعيينات الأمناء وباقي الموظفين المغاربة التابعين لمصالح مالية المخزن بالإضافة إلى تكليفه بدراسة كل ما من شأنه أن يساعد على تنمية الصناعة في البلاد والتجارة مع الخارج وكذلك كل ما يتعلق بالتعمير والأشغال العمومية. ووزير الأحباس يجب أن يمنح

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

سلطة أعلى من التي يتمتع بها منذ
الإعلان عن الحماية وذلك بإحداث مجلس
أعلى ومجالس محلية لمراقبة الأحباس
وبجعله مكلفا بكل ما يتعلق بسلامة
الحجاج الذين يتوجهون إلى مكة
المكرمة بالإضافة إلى سماع رأيه فيما
يتعلق بالصحة العمومية وبالإحسان
المغربي"¹.

وطالب بنونة كذلك في تقريره
بضرورة "إعادة تنظيم المجالس
البلدية والمحلية بحيث يكون فيها
عدد ممكن من العناصر الرسمية وأكثر
عدد من المنتخبين المسلمين مع جعلها
تحت رئاسة المحتسبين. ويجب كذلك أن
تخصص رواتب محترمة للموظفين
المغاربة من جميع الفئات والدرجات
سواء منهم الذين يعملون بإدارة
المخزن أو الذين يعملون بإدارة
الحماية"².

وباعتبار أن النخبة المثقفة بشمال
المغرب كانت ترى أن التعليم هو
الركيزة الأساسية للإصلاح والتحرر، نجد
أن أغلب مطالبها لا تخرج عن الدعوة
لإصلاح التعليم وترقيته، كما قام

¹ - نفسه ، صص. 133 - 134 .

² - نفسه ، ص. 134 .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العديد من عناصر هذه النخبة برفع
برامج دقيقة لتنظيم التعليم بشمال
المغرب وإصلاحه. ومن أبرز هذه
البرامج ذلك الذي قدمه محمد بن
العربي الخطيب تحت عنوان "**برنامج
تنظيم التعليم**"، الذي نشره بجريدة
"**الإصلاح**" ابتداء من العدد السابع¹،
في عدة حلقات سعيًا من وراء ذلك إلى
تغيير ما كانت تعرف المدينة من طرق
تعليم عتيقة، سواء في الكتاتيب
القرآنية، أو في المعاهد الدينية
متأثرا في كتابته بما أذاعه محمد
عبده بالمشرق من برنامج إصلاح
التعليم².

وشكل برنامج محمد العربي الخطيب
أول مشروع متكامل لتنظيم التعليم³،
حيث شمل مائة (100) بند، تم توزيعها
على عدة أبواب، عالج فيها جل
الجوانب الكفيلة بجعل التعليم
بالمنطقة راقيا، وقادرا على تخريج
جيل جديد مثقف وواع. وكان أول ما
تطرق إليه هذا البرنامج هو المعلم

¹ - الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، ص. 103.

² - الخراز، عبد القادر، "تطوان وريادة الصحافة المغربية
مجلة - الإصلاح"، مجلة دار النيابة، العدد 3، 1987، ص. 28.

³ - الخطيب، إسماعيل، محمد العربي الخطيب ...، م. س، ص. 110.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الذي اشترط أن تتوفر فيه مجموعة من
الخصال الحميدة ليكون قدوة لتلاميذه
وأن يكون متفرغا لعمله. هذا علاوة
على حفظه للقرآن وموسوعيته في النحو
والتوحيد والفقه واللغة... . كما
اشترط أن لا يتعدى عدد التلاميذ خمسة
وعشرين تلميذا في الفوج، وألا يزيد
عدد الأفواج عن اثنين لكل معلم مع
ضرورة أن يتخذ معه مساعد¹. وحدد
هذا البرنامج كذلك العقوبات
الممنوعة قطعا والمسموح بها، حيث
منع الضرب على الرأس أو الوجه، أو
سبهم، وتربيتهم على الصفح والعفو
والصمت². وفي حالة إذا قام أحد
المتعلمين بتصرفات غير مقبولة و ثبت
عليه ذلك اشترط الخطيب على المعلم
أن "يعظه أولا ثم يعاتبه ثانيا ثم
يضربه ثالثا على قعر رجليه ثلاث
ضربات"³.

أما علاقة المعلم بالتلميذ فقد
اشترط محمد العربي الخطيب بأن لا
تكون قائمة على الطمع والتفريق بين
الغني والفقير. وأن يكون التفضيل

1- نفسه ، صص. 212-213.

2- نفسه ، ص. 214.

3- نفسه ، ص. 221.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بين المتعلمين قائما فقط على
نجابتهم ونباهتهم ودمائة أخلاقهم¹.

أما منهج التربية فقد اشترط
الخطيب في برنامجه على المعلم أن
ينهى تلاميذه عن "جميع الفواحش
الظاهرة والباطنة من الكلام في
الناس، ومن الزور والكذب والنميمة
واللواط والزنى والسرقه والاستهزاء
بالناس ومن الحسد والبغض وغير ذلك
من الشرور"². كما شدد على ضرورة
مراقبة المعلم لتلاميذه وتتبعه لهم
حتى لا يتعاطوا للمخدرات، ويبتعدوا
عن مجامع الفساد، وحرصه على طهارتهم
وحفظ صلاتهم³، و"يحملهم على التحابب
فيما بينهم والتوادد والتواخي
والتناصح والتناصر على الخير"⁴.

وحدد الخطيب سن الالتحاق بالمدرسة
في الخامسة فما فوق، كما حدد في
برنامجه أنواع العطل، وأوقات الدخول
والخروج، وحدد كذلك المواد الدراسية

1- نفسه ، صص. 214 - 215.

2- نفسه ، ص. 216.

3- نفسه ، صص. 218 - 119.

4- نفسه ، ص. 219.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

التي يجب أن يتعلمها التلاميذ من
السنة الأولى إلى السنة السادسة¹.

وإلى جانب هذا البرنامج الذي وضعه
محمد بن العربي الخطيب لتنظيم
التعليم، أشارت الأستاذة حسناء داود
في كتابها **"على رأس الثمانين"** أنها
وقفت بين أوراق والدها على برنامج
آخر، كتب عليه محمد داود **"مشروع
نظام قديم للتعليم قبل تأسيس
المجلس- الباب الثاني في نظام
التعليم بالجامع الأعظم من تطوان
وفروعه"**، ويتكون هذا البرنامج من 14
صفحة ولا يحمل أي تاريخ. ويشمل
محتواه سبعة فصول، الأول في
المدرسين، والثاني في العلوم
والدروس والثالث في التلاميذ،
والرابع في مدرسة لوقش وسكانها،
والخامس في الامتحانات، والسادس في
الشهادات وامتيازات المتخرجين، أما
الفصل السابع فيشمل ملاحظات ومساءل
متفرقة (أيام الدراسة- دروس الجامع
الأعظم- ساعات الدروس- قسم غير
نظامي- فروع الجامع الأعظم- مكتبة
مدرس لوقش- دروس ليلية للعوام)².

¹- نفسه، صص. 222-242.

²- داود، حسناء، **على رأس الثمانين**، م. س، صص. 126-127.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كما أشارت الأستاذة حسناء داود
أيضا إلى برنامج آخر خاص بالتعليم
العالي من إعداد العلامة محمد المير
التطواني، والذي بدوره لا يحمل أي
تاريخ محدد. ويتكون هذا البرنامج من
32 صفحة، ويشتمل على سبعة أبواب،
الأول في المعهد العالي ورئاسته
والفنون ويضم 14 فصلا، والثاني في
المدرسين وفيه 13 فصلا، والباب
الثالث في التلاميذ ويتكون من 10
فصول، والباب الرابع في الامتحان
والشهادة وفيه 13 فصلا، والباب
الخامس في زمن الدراسة والعطلة ويضم
4 فصول، والباب السادس في الرخص
والمسامحات، أما الباب السابع
فيتطرق للمخالفات وما يلزم من
العقاب¹.

ورفع كذلك الحاج عبد السلام بنونة
تقريراً آخر² حول التعليم إلى المقيم
العام فرانسيسكو كوميث خوردينا **Francisco Gomez Jordana** يوم فاتح
يوليوز 1930. وجاء هذا التقرير
نتيجة لقاء بنونة مع بعض أعضاء

¹ - نفسه، ص. 127.

² - للاطلاع على هذا التقرير يمكن الرجوع إلى: ابن عزوز
الحكيم، محمد، **أب الحركة الوطنية...**، م. س، ج. 1، صص.
395 - 396 - 397 - 398.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحكومة الإسبانية، وعرضه عليهم
لمشكل التعليم بمنطقة الحماية
الإسبانية. فأشاروا عليه برفع مذكرة
في الموضوع إلى المقيم العام،
وإرسال نسخة منها للسيد سانطاوليا
الأستاذ بجامعة مدريد.

وعرض بنونة في هذا التقرير بشكل
موجز ومختصر معظم أفكاره التي كان
يرى أنها ضرورية وأساسية لتنظيم
التعليم الإسلامي بمنطقة الحماية
الإسبانية¹. وكان أول ما طالب به
بنونة في هذا التقرير هو "أن تتألف
لجنة مكونة من عدة أعضاء أخصائيين
في الموضوع وتصبح تلك اللجنة بمثابة
هيئة استشارية تعود إليها إدارة
المخزن في كل ما يتعلق بالقضايا
التعليمية والتربوية بالمنطقة"².

وتكون هذا التقرير من ثلاثة وعشرين
(23) بنداً، شملت مطالب مختلفة.
لخصها عبد الخالق الطريس الذي أطلعته
عليه بنونة قبل أن يرفعه للمقيم
العام في الأبواب التالية: "بناء
المدارس الابتدائية ومعهد التعليم

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 395.

² - نفسه، ص. 395.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الثانوي؛ برنامج لتكوين الأساتذة؛
التعليم المهني والحرفي والصناعي
والفلاحي والتجاري؛ اللغة العربية هي
أساس التعليم؛ إنشاء مدارس خاصة
بالبنيات؛ الاعتراف بالشهادة
الابتدائية التي تسلمها المدرسة
الأهلية؛ تنظيم التعليم الديني؛
إعطاء المنح للطلبة لمتابعة دراستهم
بإسبانيا والشرق العربي؛ إحداث
مطاعم في المدارس الابتدائية
الحكومية؛ منح إعانة مالية للمدارس
العربية الحرة؛ تنظيم دروس للرجال؛
إنشاء مدرسة للموسيقى؛ إحداث مكاتب
عمومية في المدن؛ إنشاء إدارة
مغربية مكلفة بالتعليم الإسلامي"¹.

وبناء على هذا التقرير، استدعى
الكاتب العام لإقامة العامة
الإسبانية الحاج عبد السلام بنونة يوم
20 يوليوز 1930، للنظر في مشكل
التعليم بمنطقة الحماية الإسبانية.
وطلب منه إعداد تقرير آخر مفصل حول
كيفية ترقية المدارس القرآنية
بالمنطقة². كما تقرر في اليوم نفسه

¹ - نقلا عن: وثائق أبو بكر بنونة، المجتمع التطواني،
ج.3، ملف إلكتروني مضغوط، م. س، ص. 459.

² - يقول الحاج عبد السلام بنونة عن هذا اللقاء في رسالة
بعثها لولده الطيب بتاريخ 21 يوليوز 1930 : "أمسه وجه
عليا الكاتب العام، ودام الحديث بيني وبينه ما يزيد على

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كذلك تأليف لجنة خاصة بالتعليم،
التي أعلن عن أعضائها بشكل رسمي يوم
24 يوليوز 1930، وذلك ما أفصح عنه
الحاج عبد السلام بنونة في إحدى
رسائله المؤرخة بـ 25 يوليوز 1930،
التي يقول فيها: "وقع أمسه تأسيس
لجنة تنظيم التعليم الذي ربما يكون
إجباريا على كل أبناء المسلمين عند
بلوغهم السادسة من العمر، ويسرني
كثيرا أن أذكر لك أسماء الأعضاء¹
الذين ذهبوا لمقابلة المقيم العام
وتكلفوا بهذه المهمة وهم السيد علال
الخطيب السيد محمد داود السيد أحمد
بن تاويت السيد التهامي الوزاني
السيد محمد طنانة السيد محمد بن
الخضر الريسوني السيد محمد بن محمد
اللبادي السيد محمد المير السيد
أحمد الرهوني وسينظم إليهم ثلاثة من

ساعة ونصف في موضوع التعليم وتنظيمه بالمنطقة، وأخيرا
وبعد أن قيد جميع النقط التي تهم المسلمين اقترح علي أن
أقدم رأيي الخاص كتابة في كيفية ترقية المدارس القرآنية
بوجه لا يمس سمعة الدولة الإسبانية ويتقبله العامة
بارتياح إلخ". أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، اهتمام
الحركة الوطنية بشمال المغرب بالثقافة والتعليم
والاقتصاد، ملف إلكتروني مضغوط، م. س، ص. 133؛ ابن عزوز
الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص.
400.

¹ - لم يذكر بنونة في رسالته أحمد الغنيمة ومحمد الدليرو
اللذان كانا كذلك من بين أعضاء هذه اللجنة. أنظر: ابن
عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1،
ص. 401؛ داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 126.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الإسبانيين أحدهم سردير¹ والثاني
بورتيدو² والثالث يقال له شكون³ وهو
مفتش المدارس وآخر بصفة مندوب من
المراقبات الحربية للقيام بتنفيذ
البرنامج بالقبائل والقرى. ولا أكتمك
أن بعض الأعضاء هم من اقتراحي على
السيد الكاتب العام في محاورة دارت
بيني وبينه في الأسبوع الماضي دامت
نحو الساعة والنصف كلها في موضوع
التعليم وقد طلب مني إبداء رأيي وأن
أوجهه له مدونا ففعلت ذلك ونسأل الله
أن يوفق هذه اللجنة لتأسيس أنظمة
صالحة ووافية بالمقصود كفيلة بنجاح
التلاميذ وترقية مداركهم وأظن أنهم
أهل لما طوقوا به من تربية أبناء
الأمة وخدمة الدين والوطن"⁴.

¹- مستعرب كان يشغل منصب ترجمان بالإقامة الإسبانية
بتطوان: أنظر: الهامش 26، ابن عزوز الحكيم، محمد، أب
الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1، ص. 402.

²- مراقب رئيس القسم السياسي بنيابة الأمور الوطنية
بتطوان، أنظر: الهامش 27، ابن عزوز الحكيم، محمد، أب
الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1، ص. 402.

³- خوصي شاكون كان يشغل منصب مفتش التعليم الاسباني
العربي بالمنطقة، أنظر: الهامش 28، ابن عزوز الحكيم،
محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1، ص. 402.

⁴- رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب، بتاريخ
25 يوليوز 1930: أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، اهتمام
الحركة الوطنية بشمال المغرب....، م. س، ص. 134؛ ابن
عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1،
ص. 402؛ "سيدي التهامي الوزاني كان من بين العلماء
الذين وقع اختيارهم لدراسة قضية التعليم بالمنطقة سنة
1930"، جريدة الحياة، عدد 86، 22 دجنبر 1994، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

واستجابة لطلب الكاتب العام
لإقامة العامة الإسبانية، وضع الحاج
عبد السلام بنونة تقريراً ثانياً¹ مفصلاً
وشاملاً حول برنامج تنظيم التعليم
الإسلامي، رفعه إلى النائب العام
لإقامة العامة السيد **"تيودوميرو
أكيلار"** بتاريخ فاتح غشت 1930². يدعو
فيه لفرض نوع من التعليم الإجباري من
سن السادسة إلى الثانية عشرة يتلقى
فيه الطفل تعليماً عربياً إسلامياً
خالصاً تستعمل له الكتاتيب القرآنية
(المدارس التمهيدية) بعد تجديدها من
النواحي المادية والصحية، وبعد
تنقيح برنامجها الديني بالمعلومات
الأساسية في الحساب ومبادئ العلوم
والتاريخ والجغرافيا³. وبعد ذلك
ينتقل التلميذ إلى المدارس

¹ - للاطلاع على هذا التقرير يمكن الرجوع إلى: **"إصلاح
التعليم وكيف يكون؟"**، مجلة الإيمان، عدد 95، أبريل/ ماي
1980، صص. 66-79؛ مجموعة من المؤلفين، **صفحات من تاريخ
الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة**، مطبعة النجاح
الدار البيضاء، 1980، صص. 66-79؛ ابن عزوز الحكيم،
محمد، **أب الحركة الوطنية...**، م. س، ج. 1، صص. 408-421؛
بنونة، عبد السلام، **"رسالة إلى المقيم العام الإسباني حول
إصلاح التعليم"**، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وأعضاء
جيش التحرير بالمغرب، تأليف ونشر المندوبية السامية
لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة عكاظ،
الرباط، 2005، ج. 1، مجلد 2، صص. 348-354.

² - الصفار، حسن، **حزب الإصلاح الوطني**، م. س، ص. 23.

³ - عزيमान، محمد، **"عمل الحاج عبد السلام بنونة..."**، م. س، ص. 33.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الابتدائية الإسبانية العربية التي
يقضي فيها ثلاث سنوات، يدرس فيها
بالعربية والإسبانية، دون السماح
بتدريس الكتب الإسبانية التي تحتوي
على الأفكار الدينية الكاثوليكية،
كما يتم تعويض بعض المواد في
المدارس التمهيدية والابتدائية
بالنسبة للقرى ببعض الأعمال
اليدوية¹.

وبعد اجتياز المرحلة الابتدائية
يلتحق التلميذ بالمدارس الثانوية،
والتي قسمها بنونة إلى شعبتين:
الأولى عصرية وهي شعبة إسبانية يدرس
فيها المغاربة بجانب الإسبان مدة
أربع سنوات أو ست سنوات، تخول لهم
بعد ذلك الانتقال إلى الكليات
الإسبانية قصد التخصص في العلوم
والفنون².

والشعبة الثانية دينية تستغرق
الدراسة فيها خمس سنوات، يتخرج منها
العدول وأئمة المساجد والمحامون
الشرعيون والأساتذة المربون بالمدارس
التمهيدية والأساتذة المدرسون

¹ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح، م. س، ص. 23.

² - بنونة، عبد السلام، "رسالة إلى المقيم"، م. س، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالمدارس الابتدائية. كما تخول هذه
الشعبة للمتخرجين منها الالتحاق
بالقسم الثاني الذي مدته أيضا خمس
سنوات والذي يتخرج منه القضاة
والمفتون والمدرسون بالكلية الإسلامية
والمدرسون لطلبة المدارس الثانوية¹.

وحرص بنونة في هذا التقرير على
شرح خطته لتنظيم التعليم، مع تأكيده
على مجموعة من المبادئ الأساسية،
كإجبارية التعليم والمحافظة على
الوحدة اللغوية للبلاد، والعناية
التامة بالمقومات الروحية الدينية
واللغوية والثقافية للأمة، وإتقان
لغة أجنبية، والانفتاح بعد ذلك على
جميع العلوم النافعة².

وأنجزت كذلك اللجنة السابقة
الذكر، برنامجا للتعليم الإسلامي، حيث
أشار محمد داود الذي كان أحد أعضاء
هذه اللجنة، أنه تم تكليف الأعضاء
الشباب (محمد داود - التهامي
الوزاني - وأحمد بن تاويت) بإعداده.
فساروا يجتمعون لمدة شهر حتى انتهوا
منه. ثم عرضوه على رئيس اللجنة وزير

¹ - بنونة، عبد السلام، "رسالة إلى المقيم..."، م. س، ص. 352.

² - عزيमान، محمد، "عمل الحاج عبد السلام بنونة..."، م. س، ص. 33.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العدلية الفقيه أحمد الرهوني بتاريخ
27 أكتوبر 1930. وتضمن هذا البرنامج
سته أبواب هي: نظام التعليم بالجامع
الأعظم؛ نظام المكاتب القرآنية؛
المدارس العربية-الإسبانية؛ ميزانية
التعليم الإسلامي وإدارة المعارف؛
إدارة المعارف الإسلامية؛ رسالة إلى
المقيم العام كوميث خوردانا **Gomez**
Jordana ¹.

وفي سياق الحديث عن البرامج
والمطالب التي رفعتها النخبة
المثقفة لإقامة العامة الإسبانية،
تجد الإشارة كذلك إلى أنه بعد سقوط
نظام الملكية بإسبانيا ووصول النظام
الجمهوري سنة 1931، سارع محمد داود
بشكل فردي لرفع رسالة بتاريخ 20
أبريل 1931 إلى رئيس الجمهورية
المؤقتة لجس نبض الحكومة الجديدة
ومعرفة موقفها إزاء الأوضاع
بالمغرب²، حيث قال داود في هذه
الرسالة³: "وإننا بكل اغتباط نؤمل

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 126.

² - نفسه، ص. 131.

³ - النص الكامل للرسالة: "سعادة الرئيس الجليل. إننا من
صميم الفؤاد، نهني الأمة الإسبانية العظيمة أولا وحكومتمكم
الرشيدة ثانيا، بالنظام الجمهوري الممتاز، راجين لكم
كامل التوفيق، حتى تبلغوا بأمتمكم المجيدة أعلا قمة
السؤدد والسعادة. وإننا بكل اغتباط نؤمل أن يكون
لمنطقتنا حظ من النور في ظل الجمهورية الحرة وعلى

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أن يكون لمنطقتنا حظ من النور في ظل
الجمهورية الحرة وعلى الخصوص تحقيق
ما نحن في أشد الحاجة إليه، مثل ما
يأتي: إنشاء مدارس حقيقية للأهالي؛
السماح لأمتنا بحرية الاجتماع
والكتابة حتى تعبر عن حقيقة أفكارها
الإصلاحية؛ تطهير الدوائر الرسمية من
جرائم الظلم والاستبداد التي سودت
ويا للأسف سمعة إسبانيا لدى جل
الأهالي¹.

ولم يتأخر رد رئيس الجمهورية
الإسبانية، حيث سيبعث لمحمد داود
بتاريخ 11 ماي 1931، رسالة يطمئنه
فيها بقوله: "ليكن عندك اليقين بأن
الحكومة ستعتني الاعتناء التام
بمستقبل تلك المنطقة، وإني بكامل
الشوق، ألقى إرشادات أو طلبات
كإرشاداتك الصادرة عن إخلاص، والتي

الخصوص تحقيق ما نحن في أشد الحاجة إليه، مثل ما يأتي:
إنشاء مدارس حقيقية للأهالي؛ السماح لأمتنا بحرية الاجتماع
والكتابة حتى تعبر عن حقيقة أفكارها الإصلاحية؛ تطهير
الدوائر الرسمية من جرائم الظلم والاستبداد التي سودت
ويا للأسف سمعة إسبانيا لدى جل الأهالي. وختاماً تقبلوا
فائق الاحترام وكبير متمنياتنا. عن جماعة من أهالي
تطوان: محمد داود". أنظر: داود، حسناء، على رأس
الثمانين، م. س، ص. 131.

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 131.

هي بكيفية في غاية القانونية أو المشروعية" ¹.

إن هذه الخطوة التي أقدم عليها محمد داود، هي نفسها التي كان يفكر بها معظم وطنيي شمال المغرب وجنوبه، حيث نجد في الأسبوعين اللذين تليا إعلان الجمهورية الإسبانية، العديد من الرسائل المتبادلة بين النخبة المثقفة، تصب كلها في موضوع اغتنام فرصة تغير نظام الحكم بإسبانيا، لتقديم عريضة مطالب باسم الشعب المغربي. فهذا الحاج عبد السلام بنونة الذي كان قطب رحي هذه النخبة بمدينة تطوان، نجده يتوصل بمجموعة من الرسائل في الموضوع، حيث توصل بعد يوم واحد من إعلان الجمهورية الإسبانية بمدريد في 14 أبريل 1931، من الأمير شبيب أرسلان برسالة يقول له فيها: "أعلنت الجمهورية رسميا في مجريط (مدريد) وقضي الأمر، وهو خبر سار كيفما كانت الجمهورية فيها شيء من الحرية أكثر من الملكية... ولعلهم .. يوسعون على المنطقة ويعتنون بإرضاء أهلها ويتركون لهم حريتهم في التعليم وباختصار يكون

¹ - نفسه، ص. 131.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحكم الجديد أحسن من الماضي" ¹ ،
وأضاف شكيب أرسلان حاشية نفس الرسالة
يقول فيها: "يوافق أن تسحبوا
تلغرافات تهنئة للحكومة الجديدة
وتشيروا فيها إلى أن المنطقة تغتبط
بهذا الانقلاب وتراه فألا حسنا وهي
حاضرة لزيادة علاقتها بإسبانيا
والاتحاد معها على أمل أن تتمتع
بحقوقها وحريتها الدينية والأدبية
إلخ والرأي هو لكم أنتم أدرى
بشؤونكم. لكن عدم سماع صوت من
جهاكم لا يوافق" ².

كما بعث علال الفاسي لبنونة رسالة
أخرى في الموضوع بتاريخ 16 أبريل
1931، يعتبر فيها هذا التحول في
نظام الحكم بإسبانيا: "فرصة عظيمة
قد يستفيد منها المغرب إذا جاهد
أبناؤه فوائد جليلة لأننا نعلم أن
الأحزاب تكون متشددة في تنفيذ
مبادئها أول ما تؤسس وأن كل الهيئات
تتطرف في التمسك بتنفيذ أفكارها في
أول وجودها وإذا علمنا أن زامورا قد
أعلن سياسة حكومته وبين تعلقها
بالحرية والمساواة... فلا نستبعد أن

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، صص. 204-205.

² - نفسه، ص. 206.

يحصل المغرب على أي نفع ولو كان قليلا إن لم يكن من الجهة السياسية، فمن الناحية العلمية والأدبية، لهذا أو ذاك فإننا باتفاق نقترح على سعادتكم أن تشكلوا هيئة من أفاضل منطقتكم تذهب إلى مدريد حيث ترفع تهانيتها الخاصة للحكومة الجديدة وتقدم للرئيس عريضة ممضاة من قبلكم مشتملة على أهم المطالب التي ترون المنطقة في حاجة ماسة إليها سواء من الناحية العلمية وخصوصا الحالة الشخصية أو من ناحية تحسين حالة الحكم بها وإيجاد حكومة مسؤولة.... ولا ينبغي أن يتطرق إليكم فتور في هذه المسألة فإن انتهاز الفرض واجب والمحاولة إذا لم تنفع لم تضر"¹.

وعبر الحاج عبد السلام بنونة كذلك عن ضرورة استغلال هذه الفرصة للحصول على بعض الحقوق، إذ يقول في رسالة جوابية للأمير شكيب أرسلان: "إذا ثابرنا على العمل بنظام وعرفنا كيف نطالب بحقوقنا ولم نترك هذه الفرصة تضيع، نفوز بعدة رغبات تكون حجر أساس للاستقلال الداخلي وحبلا متينا

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 2، ص. 246 - 247.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**متصلا طرفه النهائي بالاستقلال التام
... وسوف لا نترك من مجهوداتنا شيئا
حتى لا تذهب هذه الفرصة من يدنا"¹.**

لقد أثار قيام الجمهورية الإسبانية
أملا كبيرا لدى الحركة الوطنية
الناشئة بالمنطقة الشمالية، وحماسا
لتحقيق بعض الإصلاحات. الأمر الذي
دفعها إلى تركيز مجهوداتها على
إعداد رسالة المطالب لعرضه على
النظام الإسباني الجديد. فساروا
يعملون بدون انقطاع لمدة أسبوعين،
تمكنوا من خلالها من وضع برنامج
مطلبي وتوقيعه من طرف 800 من الأعيان
وشخصيات أخرى من المنطقة²، كما
تمكنوا بعد خلاف طويل من تشكيل الوفد
الوطني المكلف بتقديم مطالب الأمة
إلى رئيس الجمهورية الإسبانية بمدير
بتاريخ 25 ماي 1931³. وضم هذا الوفد
كل من السيد محمد الطيب بوهلال
رئيسا، والسيد أحمد غيلان نائبه،
والسيد أحمد بن عبد الكريم

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، صص. 430-431-434.

² - بن جلون، عبد المجيد، "الحركة الوطنية المغربية
للمنطقة الشمالية والمقيم العام لويس فريز"، مجلة
أبحاث، عدد 12/11، ربيع/صيف 1986، ص. 66.

³ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 2، ص. 404.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

اللبادي وعبد السلام حجاج بصفتهم
عضوين، بالإضافة إلى الحاج عبد السلام
بنونة الذي بالرغم من عدم ترشيحه
ضمن أعضاء الوفد، فإنه كان قد سافر
إلى إسبانيا بتاريخ 18 ماي، من أجل
خلق الجو المناسب في أوساط العاصمة
الإسبانية حتى يستقبل الوفد بما يليق
وتكون الاستجابة تامة¹ وهو ما عبر
عنه بنونة قائلا: "نظرا لتقلب الظروف
أسرعت بالقدوم إلى مدريد لأخدم
القضية بنفسني ولا يهمني وجودي بين
أعضاء الوفد أم عدمه إذ المراد هو
الوصول إلى الضالة المنشودة بحول الله.
وإنني أتفاءل خيرا بما رأيت من
البشائر في مقابلة خصوصية مع بعض
الوزراء. كما أن الفكر العام
الجمهوري له ميل عظيم إلى إعطاء شبه
استقلال داخلي لم تكن تخطر ببال قبل
هذا الانقلاب"².

وسافر الوفد يوم 3 يونيو إلى
مدريد حيث وجد في استقباله الحاج
عبد السلام بنونة الذي كان قد وصل
إلى إسبانيا قبل سفر الوفد بسبعة

¹ - نفسه، صص. 387 - 388.

² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة إلى ولده الطيب،
بتاريخ 22 ماي 1931، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، أعلام
تطوان الحاج عبد السلام بنونة 2، ملف إلكتروني مضغوط، ص.
265.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

عشر (17) يوما من أجل القيام
بالاتصالات التمهيديّة الكفيلة بإنجاح
المهمة المنوطة بالوفد، وذلك ما عبر
عنه بنونة لأخيه امحمد في رسالة
بعثها له بتاريخ 27 ماي 1931، قال
له فيها: "قضيت الآن بمديرية عشرة
أيام كلها في خدمة وطننا العزيز ولن
أبرح مدريد إلا بعد مفاوضات رسمية
فيما يتعلق بنظام الحماية في
منطقتنا وعلى كل حال كن على يقين
بأن الحالة ستبدل كثيرا ولا بد من
سماع صوت المغاربة وإعطائهم غالب
الحقوق المرغوبة... ورغما عن كون
الحكام في تطوان يعرقلون سفر الوفد
فإني وحدي هنا والله المنة قمت بما لا
يقدّر عليه أي وفد"¹.

وتم استقبال أعضاء الوفد والحاج
عبد السلام بنونة من طرف رئيس
الجمهورية **ألكلا سامورا Alcía Zmora**
يوم 8 يونيو فسلموه وثيقة المطالب
وهو بدوره وعدهم بالعمل على تنفيذ
ما جاء فيها²، حيث تضمنت الرسالة
التي يطلق عليها عريضة مطالب الأمة،

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 2. ص. 416.

² - ابن عزوز، حكيم، وثائق الحركة الوطنية في شمال
المغرب، مطبعة الشويخ، تطوان، 1980، ج. 1، صص. 18-19.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تهنئة الشعب الإسباني بعهد العدل
والحرية. والتشبت برمز الوجود جلاله
السلطان وخليفته ودعت لاحترام عقد
الحماية التي ينبغي أن تحترم الحرية
وكرامة الشعب وحقوق الإنسان. وتطالب
بمجالس بلدية منتخبة في جميع
المنطقة؛ ومجلس شورى يصادق على
الميزانية؛ وحرية النشر والصحافة
والجمعيات؛ فتح مدارس في القرى
والمدن ونظام للتعليم في كل طبقاته
الابتدائية والثانوية والصناعية
والفلاحية وفتح صناديق اعتماد لإعانة
الفلاح. وتختتم الرسالة ببيان العواقب
الوخيمة التي تنتج عن عدم تغيير
الأوضاع في المغرب والاستجابة
للمطالب¹.

¹ - الطيب، بنونة، "مطالب الشعب للجمهورية الإسبانية"،
أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، أعلام تطوان الحاج بعد السلام
بنونة 3، ملف إلكتروني مضغوط، ص. 533.

2. موقف النخبة المثقفة من سياسة إدارة الحماية الاسبانية

إن التقارب والتعاون بين النخبة المثقفة بشمال المغرب وحكام الإسبان، لم يكن يعني أن تلك العلاقات كانت دائماً ودية، بل حسب تعبير الحاج عبد السلام بنونة كانت "حرباً بلا سلاح"، حيث ظلت الإدارة الاستعمارية تتعامل مع أغلب مطالب النخبة المثقفة بنوع من التسويف والمماطلة، وتأخير البث في الطلبات، علاوة على نهج سياسة تضيق الخناق والقمع في العديد من الأحيان. ولذلك بقيت معظم المطالب حبرا على ورق. وعبر عبد الخالق الطريس فيما بعد عن سياسة اسبانيا مع المغاربة: بأنها كانت تتظاهر بالتفاهم فيوافقون على تأليف اللجان المختلفة، غير أن أمر تلك اللجان كان ينتهي بالانتهاء من تعيينها¹.

¹ - المساري، محمد العربي، "من الاحتواء، إلى التعددية..."، م. س، ص. 149.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كما أن النخبة المثقفة بشمال
المغرب حتى وإن كانت ضمناً تعترف
بنظام الحماية الإسبانية، وتعايشت
معها للعوامل السابقة الذكر، فإنها
في الوقت نفسه لم تكن تتوانى في
انتقاد سياستها وإدارتها
الاستعمارية، لوعيها بأن نظام
الحماية تلتزم فيه الدولة الحامية
على احترام الدولة المحمية، وأن
معاهدة الحماية بالمغرب اشتملت على
مبدأ إدخال الإصلاحات الضرورية
ومساعدة حكومته الشرعية حتى يكون في
أقرب مدة في مصاف الدول الراقية
المتمدنة¹.

وبالتالي فعند كل إخلال بنظام
الحماية كانت النخبة المثقفة لا
تتردد في توجيه انتقادات لاذعة لإدارة
الحماية الإسبانية. وعلى سبيل الذكر
لا الحصر نجد محمد داود ينتقد إنفاق
مصاريف محاربة القبائل الثائرة ضد
الاحتلال الأجنبي من الميزانية
المغربية الأمر الذي أدى إلى عجز

¹ - الدفالي، محمد معروف، "النخب والعمل الوطني"، م. س،
ص. 217.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ميزانية الحكومة الخليفية لسنة
1914¹.

كما انتقد داود الحماية الإسبانية
بشدة لإهمالها مجال التعليم في
سياساتها إذ يقول: "لقد تكونت
الحكومة الخليفية بتطوان، وكانت
فيها وزارة الصدارة التي كانت تقوم
بأعمال الرئاسة الداخلية، وكانت بها
وزارة للعدل، وأخرى للمالية، ولو
كانت صورية، وكانت بها إدارة
للأوقاف. أما المعارف فلم تكن لها في
الحكومة الخليفية لا وزارة ولا إدارة.
بل ولا حتى مكتب حقير بين مختلف
المكاتب. ولا أدري هل رجال الحل
والعقد في ذلك التاريخ، فكروا في
تكوين وزارة أو إدارة للتعليم أم لا؟
ورجال الفكر والتدبير منا هل فكروا
هم أيضا في ذلك أم لا؟ وإذا كانوا
فكروا فهل طلبوا ذلك من الحكومة
الحامية أم لا؟ وأظن أنهم حتى ولو
كانوا فكروا وطلبوا أو لم يطلبوا،
فإن حكومة الحماية في ذلك العهد،
يظهر أنها كانت قد احتفظت لنفسها
بإدارة شؤون التعليم والثقافة، لأن
الحكومة الخليفية قد مر على تكوينها

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج. 11، م. س، ص. 276.

ما يزيد على عشرين سنة، دون أن يؤسس بها أي مكتب للتعليم. وإذا كانت قرارات اتخذتها حكومة الحماية في إدارتها، أو أوراق كتب دفاتها أو صحفها، فإن المدير إنما هو على الأعمال، لا على القرارات، والأقوال، والواقع أن ناحية التعليم في ذلك العهد، كانت مهمة كل الإهمال في الأوساط المغربية بتطوان، لا فرق في ذلك بين التعليم القديم والحديث"¹.

وبناء على ذلك اعتبر محمد داود أن تأسيس المجمع العلمي سنة 1917 جاء نتيجة إهمال الحماية للمعارف، حيث يقول: "إن مؤسسي هذه الجمعية ومن كان في طبقتهم من مثقفي ذلك العهد، لاحظوا أن الحكومة الحامية، قد أهملت جانباً من واجبها وهو ناحية التعليم والتربية والثقافة إذ ما معنى الحماية إذا لم يكن في مقدمة أعمالها، إدخال الحضارة للبلاد وإمدادها بالتعليم والثقافة وما إلى ذلك من وسائل التقدم؟ لعلهم رأوا ذلك فقرروا أن يؤسسوا جمعية تقوم بذلك الجانب، وبكل ما يمكن من

¹ - نفس، ص. 301.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأعمال التي تقوم بها وزارة المعارف أو إدارة التعليم¹.

كما كان الحاج عبد السلام بنونة
كذلك في احتكاك دائم مع الإدارة
الاستعمارية الإسبانية، نظرا لكثرة
أنشطته ومطالبه الإصلاحية الشمولية
حول المنطقة²، ولذلك اعتبر أن حياته
كانت مع "المستعمرين ... عبارة عن
حرب بدون سلاح والحرب خدعة"³، إذ كان
يحاول دائما أن يحصل على أكبر عدد
ممكن من الحقوق والإصلاحات. فعند
تعيينه محتسبا لمدينة تطوان سنة
1916 أبان بنونة عن اعتزازه برأيه
في ممارسة مهامه، لا يسعى لإرضاء
إدارة الحماية، ولا يقبل بالقرارات
الفوقية، وإنما كان كل همه هو إصلاح
مؤسسة الحسبة وتنظيمها، وتحرير
القوانين المنظمة لكل الأنشطة
الاقتصادية والتجارية والصناعية
التقليدية، غير أن ما كان يلاقيه من
عراقيل وتهديدات من طرف المراقبين

¹ - نفسه، ص. 300.

² - المساري، محمد العربي، "من الاحتواء، إلى التعددية
..."، م. س، ص. 149.

³ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 368.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

العسكريين، جعله يقدم استقالته
بتاريخ 29 أبريل 1918¹.

وعندما تقلد الحاج عبد السلام
بنونة وزارة المالية في الحكومة
الخليفية سنة 1922، رفض الاشتغال
كوزير صوري يتم تسييره من طرف
المراقبين، وأراد أن يقوم بدوره
كوزير فعلي، يخضع لمراقبة معقولة
ومنطقية تتفق مع المفهوم الحقيقي
لما يتضمنه نظام الحماية². ولذلك
رفع تقريراً قوياً للجهة بتاريخ 28
فبراير 1923 إلى المقيم العام **لويس
سيلفيا Luis Silvela**، يحدد فيها
اختصاصاته ومسؤوليته وطالب بضرورة
رد الاعتبار لوزارة المالية وكذلك
جميع الوظائف المخزنية إذ يقول:
"أفيدكم بوجهة نظري المتواضعة بخصوص
تصرفاتي واختصاصاتي، فها أنا أشرح
لكم أن تعييني بصفة رسمية مع وجود
نيابة المالية على رأسها نائب يعني
أنه يتحتم علي أن أتدخل بصفة مباشرة
في جميع هذه المسائل وأن أكون على
علم تام بالتقارير والتنظيمات التي
يجب أن ترفع إلى سمو الخليفة

¹ - نفس، صص. 114 - 115.

² - نفس، ص. 125.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بواسطتي وتحت رقابة النائب المذكور
الذي يجب أن يعمل دائما باتفاق تام
معي وعليه أن يخبر سعادتكم بالطرق
التي يراها ملائمة بكل ما يتم الاتفاق
عليه بيني وبينه وللنائب المذكور
الحرية التامة في تعيين المراقبين
والمساعدين والضباط الإسبان بالموانئ
وباقى الموظفين الأوروبيين الذين
يحتاج إليهم لسير الإدارة سيرا حسنا
كما يجب أن يكون من اختصاصاتي تعيين
الأمناء والعدول وآباء المواريث
ورؤساء المراسي ووكلاء الغياب... وفي
هذا الذي اقترحه رد الاعتبار لوزير
المالية... ولا أظن أنني مخطئ عندما
أقول إنه يجب اعتبار هذه المنطقة
كأمة فيما يخص إدارتها السياسية
والاقتصادية وأن الوظائف في أي بلد
كان يجب أن توزع على أفراد الأمة حسب
كفاءاتهم ليكون هناك نظام يعرف كل
واحد فيه حقوقه وواجباته"¹.

ونظرا لتعنت الإقامة العامة
الإسبانية وعدم اتخاذها أي قرار في
شأن ذلك التقرير، قام بنونة برفع
تقرير ثان، في 30 مارس 1923 كان
أكثر جرأة، انتقد فيه الهيمنة

¹ - نفسه، صص. 130 - 131

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الإدارية والسياسية للحماية الإسبانية
على حساب الحكومة الخليفية، التي
كانت تفتقد للسلطة التي يخولها لها
نظام الحماية، ولذلك دعا إلى إعادة
تنظيم الحكومة الخليفية بشمال
المغرب ومنحها سلطات واسعة¹، وإسناد
جميع مهمات الإدارة التي كانت من
اختصاص مصالح الحماية إلى مجلس
وزاري، إذ يقول: "إنه من الضروري أن
يكون للمخزن القيمة التي يفتقر
إليها منذ السنوات العشر التي مرت
على الحماية، وكان ذلك سببا في كونه
لم يستطع أن يستعمل وسائله التي لا
يمكن أن تقوم مقامه فيها المصالح
الإدارية التابعة لإدارة الحماية،
خصوصا منها المسائل التي تتعلق
بالعمل السياسي"².

كما طالب بنونة في تقريره بضرورة
"التعجيل بإعادة تنظيم الحماية
بكيفية تمكنها من القيام بمهمتها
على الوجه الأكمل مع تحديد: -
الاختصاصات التي يجب على الإدارة
المذكورة أن تمارس رقابتها بنوع من
الكتمان والسرية؛ الاختصاصات التي

¹ - جون ولف، م. س، ص. 137.

² - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، صص. 131 - 132.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يمكن أن تقوم بها بعد اطلاعها على
رأي المخزن فيها؛ الاختصاصات التي
يمكن أن تمارسها دون استشارة
المخزن¹.

ولم تكن هذه المبادرة التي أقبل
عليها الحاج عبد السلام بنونة لتروق
الإسبانيين، الذين كانوا "يتطلبون
رجالا لا يناقشونهم الحساب²"، الأمر
الذي جعل نائب المالية بالمنطقة يرى
نفسه معزولا. وهو ما تؤكد الرسالة
التي بعثها إلى نائب الأمور الوطنية
يخبره فيها عن تصرفات بنونة إذ قال
له: "إنه منذ اليوم من تعيينه يتصرف
وكأنه وزير حقيق للمالية، باعتقاده
أن اختصاصاته تفوق اختصاصاتي حيث
يظن أنه هو الذي يجب أن يتصرف في
المالية الخليفة وأن مهمتي تقتصر
على الرقابة فقط"³. الأمر الذي جعل
السلطات الإسبانية تضطر إلى إعفاء
بنونة سنة 1923، وحذف وزارة المالية
من هيكل المخزن الخلفي⁴.

¹ - نفسه، ص. 132.

² - الوزاني، التهامي، خمسون سنة في صحبة آل بنونة،
(مخطوط)، نقلا عن: ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية....، م. س، ج. 1، ص. 115.

³ - نفسه، ص. 128.

⁴ - نفسه، ص. 135.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ومن خلال هذا التقرير، نستنتج أن
النخبة المثقفة، كانت لا تجد حرجا في
انتقاد سياسة الحماية الإسبانية. بل
الأكثر من ذلك فإن استمرار إهمال
إسبانيا للمنطقة جعل بعض عناصر هذه
النخبة تدعو إلى محاربتها كما حصل
مع محمد بن عبد الكريم الخطابي
وأسرته، التي غيرت موقفها بشكل جذري
من نظام الحماية الإسبانية، بعدما
اقتنعت أن إسبانيا لا تهدف لإدخال
الإصلاحات ونشر "الرسالة الحضارية"
بشمال المغرب كما كانت تدعي، وإنما
فقط ترغب في استعمارها والسيطرة على
ثروته. الأمر الذي جعل عبد الكريم
الخطابي يوقف تعاونه مع إسبانيا،
كما تولى ابنه الأكبر محمد عن مناصبه
بمليلة، وتوقف ابنه الأصغر محمد عن
متابعة دراسته على نفقة إسبانيا،
وعن أسباب هذا التغير في الموقف
الذي اتخذته أسرة عبد الكريم
الخطابي شرحه ابنه الأكبر في رسالة
جوابية بعثها إلى مانويل ثيبانتوس
القائد العسكري لجزيرة نكور بتاريخ
21 فبراير والتي ورد فيها: "إنه لمن
دواعي الأسف الشديد بالنسبة لوالدي
وبالنسبة لي أن ينقطع أخي عن متابعة
دراسته، وأتخلى أنا بدوري عن منصبي،

بيد أن هذا هو قرار والدي الذي
اتخذه... إن مبادرتنا ليست نزوة من
النزوات بل هي مرتبطة بمشكلة
درسناها بعناية بالغة، اللهم إلا إذا
قامت إسبانيا بتصحيح سياستها في هذه
المنطقة. على أنه من المفروض فيما
أعتقد أن تكون السلطات الإسبانية
بهذه المنطقة على علم بوضعيتها. على
أية حال فنحن الآن كما سنكون دائماً
من أنصار الرسالة الحضارية التي
تضطلع بها إسبانيا...¹.

يتضح من خلال رسالة محمد بن عبد
الكريم الخطابي أن والده، اشترط من
أجل الاستمرار في دعمه لإسبانيا، أن
تقوم هذه الأخيرة بتغيير سياستها في
الريف، وأن تقوم بإدخال الإصلاحات
الفعلية وليس فقط إعطاء الوعود.
وذلك ما شرحه امحمد الخطابي بتفصيل
أكثر في رسالة مطولة بتاريخ 15 غشت
1919 بعثها إلى **منويل أكيري** رئيس
قسم المغرب التابع لوزارة الشؤون
الخارجية. واعتبر أن السبب الرئيسي
في تغير موقف والده من الحماية
الإسبانية هو تناقض سياسة هذه
الأخيرة، وسرعة تغيرها بتغير

¹ - عياش، جرمان، أصول حرب الريف، م.س، صص. 250 - 251.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

المسؤولين، وإنفاق الأموال الطائلة دون أن تعرف المنطقة أية إصلاحات معقولة، حيث يقول في رسالته: "إن هذا القرار منطقي ومعقول إذا دققتم النظر في تدخل إسبانيا في المغرب والكيفية المستعملة عندما تُعَيَّن هنا سلطات ذات كفاءة ودراية بالمسألة المغربية، يتم تحقيق إنجازات كثيرة ومعالجة مشاكل عديدة، لكن سرعان ما تعوض بأخرى، فتقوم بتقويض كل ما بنته السلطات السابقة، إن هذا الأمر ينتقص بالطبع من نفوذ إسبانيا والموالين لها في أعين الأهالي ويجعلهم يعتقدون أن إسبانيا بنهجها هذا السبيل، سوف لن تتمكن أبدا من تهدئة منطقتها. ولدى معاينتهم لتنظيم وإقامة العدل وأمور أخرى تساهم في تحقيق رفاهية البلاد، ولكيفية إدارة حكم المنطقة المحتلة، يقاومون ويصدون أي تقدم سياسي أو عسكري، مفضلين الوضعية التي هم عليها. لقد تم هنا تبذير كثير من المال من دون نتيجة ملموسة، ودون التوصل إلى النتائج المرجوة جراء سوء تدبير إدارتها والجهل بالقضايا التي يتوجب إنفاق المال من أجلها. هذا ما يرفضه التفكير السليم ويثبط

عزيمة كل إسباني أو مغربي صالح.
فبفضل المال الذي أنفق هنا، لو تم
توظيفه بشكل جيد لتمت تهدئة المنطقة
الإسبانية في ظروف حسنة، ولإنجاز خط
السكة الحديدية بين طنجة وتطوان، أو
بين ملييلية والحسيمة وفاس أو ملييلية
والحسيمة وتازة، ولكانت الآليات تنقب
عن المعادن وعدة آلاف من العمال
يجوبون جبال أيث توزين وأيث ورياغل
من أجل استخراج الثروات الهائلة
التي تحتوي عليها. إن الريف ينادي
بأعلى الأصوات الإسبان الطيبين متشكيا
من طريقة الحماية هذه، أملا أن
يستفيقوا وينظروا إلى الريف بعين
المصلحة ويبذلوا الوسائل من أجل
تنمية مصادر الثروة ورفي الشعبين،
إننا، وقد أرهقنا توالي سنين
الفوضى والنزاعات الداخلية نتوسل
إلى إسبانيا أن تهتم بوضعيتنا وأن
تغير بعضا من سياستها في الريف،
مؤكدين لها أن تهدئة المنطقة تتوقف
على توافق وتفاهم مباشرين بين
مسيرين وأكفاء من الإسبان وبعض
الزعماء النبهاء من هذه المنطقة،
الذين يعرفون الامتيازات والمنافع
التي يتوفر عليها شمال المغرب، من
خلال وحدة وثيقة مع إسبانيا، ولهم

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بعض الدراية بتنظيم وإدارة منطقة
الحماية... إن الطريقة الوحيدة
لتهدئة المنطقة هي التفاهم لبسط
النفوذ الإسباني هنا وإعداد البلاد
بجعلها مهينة لتقبل الحماية
الإسبانية دون تضحيات¹.

وبناء على ما ورد في الرسالتين
يمكن أن نستنتج أنه بالرغم من تأييد
عبد الكريم الخطابي وأسرته لنظام
الحماية الإسبانية، فإنه بعد فشل
سياستها وضعف أدائها التحضيري الذي
كانوا يطمحون إلى تحقيقه في الريف
بصفة خاصة وشمال المغرب بصفة عامة،
جعلهم ينتقدون نظام الحماية
الإسبانية برمته، كما عبر عن ذلك
محمد بن عبد الكريم الخطابي بقوله:
"الحماية مصطلح استعمل أسلوباً
ممنهجاً لإخضاعنا والقضاء على
حقوقنا"². واستعمل أخوه محمد
الخطابي الشدة نفسها في لهجة الخطاب
في رسالة بعثها للإسباني لويس دي
أوثيثا Luis de Oteyza في شهر غشت
1922 والتي جاء فيها: "الحماية التي

¹ - ذي ماداريكا، مريا روسا، محمد بن عبد الكريم الخطابي
...، م. س، صص. 208 - 209.

² - ذي ماداريكا، مريا روسا، في خنق الذئب معارك في
المغرب، منشورات مؤسسة الغني للنشر، دار أبي رقرق،
الرباط، 2010، ص. 318

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تصورناها يوما أنه بالإمكان قبولها،
اكتشفنا أنها غير ذلك تماما لا
سياسيا ولا عسكريا¹. وهو موقف
اعتبره وزير الخارجية الإسباني ذي
ليما بمثابة مرافعة لمناهضة
للاستعمار في المغرب². حيث أعلن
امحمد الخطابي صراحة أنه إذا عجز
الإسبان عن إدخال الإصلاحات الضرورية،
فإن الريف "سيكون مجبرا على
الاستنجد بمن يكون بمقدوره إنقاذه".
ذلك بناء على قناعة والده الذي كان
يرى بأن المغرب لا يمكنه الخروج من
تلقاء نفسه من حالة التأخر التي كان
عليها، دون مساعدة إحدى الدول
الأوروبية³.

ونتيجة استمرار إسبانيا في
سياستها المتناقضة والمتردة في
الريف، صار عبد الكريم الخطابي أكثر
اقتناعا أنه لا يمكنه الاستمرار في
تأييد الحماية الإسبانية التي أصبحت
في نظره عاجزة عن أداء "رسالتها
الحضارية" عبر بناء المدارس

1- نفسه، ص. 318

2- ذي ماداريكا، مريا روسا، محمد بن عبد الكريم الخطابي
....، م. س، ص. 210.

3- عياش، جرمان، أصول حرب الريف، م. س، ص. 254.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

والمستشفيات وشق الطرق¹. بل الأكثر
من ذلك أنه أصبح يدعو لمحاربتها
وإعلان الجهاد ضد سياستها
الاستعمارية، كما خاض ابنه البكر
محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد
وفاته حروبا طاحنة ضد إسبانيا
استمرت لعدة سنوات، وأصبح ينتقد
الحماية الإسبانية واعتبرها بأنها
تخالف الأعراف الدولية حيث رفع
بتاريخ 6 شتنبر 1922، رسالة إلى
"الأمم المتحدة"، جاء فيها: "هل
الإصلاح يعني تدمير المنازل باستخدام
أسلحة محظور استعمالها أم التدخل في
الشؤون الدينية أو اغتصاب حقوق
الآخرين؟ أو هو عبارة تطلق على عملية
ضم أراضي الآخرين تسترا باسم
الحماية؟ فالغرض من الحماية هو
الحفاظ على حقوق الرعايا المعنيين
بالأمر وحمايتهم. وفي إمكان أوروبا
الآن أن ترى أننا في حاجة إلى من
يحمينا مما تمارسه هذه السلطة من
عدوان على حريتنا واستقلالنا، وشرفنا
وحرمة نسائنا"².

¹ - ذي ماداريكا، مريا روسا، محمد بن عبد الكريم الخطابي
....، م. س، ص. 210.

² - الوزاني، محمد بن الحسن، حياة وجهاد، ج. 2، منشورات
مؤسسة محمد حسن الوزاني، مطبعة المتوسط، بيروت، 1982،
ص. 73.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كما انتقد أحمد الرهوني من جهته
سياسة الحماية الإسبانية، في خطبة
جمعة ألقاها سنة 1923، حث فيها "على
جمع كلمة المسلمين، واتحادهم
وتعاونهم على مصلحة الإسلام وأمة
الإسلام"¹، ودعا إلى رفض سياسة
الحماية الإسبانية²، فتم على إثرها
عزله من وزارة العدلية، وهدد
بالمحكمة والإعدام، بتهمة الحض على
الثورة ضد الدولة الحامية³.

وانتقد امحمد بنونة كذلك سياسية
الإهمال التي كانت تتبعها إدارة
الحماية الإسبانية، اتجاء مطالب
النخبة المغربية المثقفة. ولجوئها
من حين لآخر إلى تهدئة المغاربة، عند
طريق تقديم بعض الوعود دون أن تفي
بتطبيقها على أرض الواقع. وعلى سبيل
الذكر لا الحصر، اعتبر امحمد بنونة
تأليف اللجنة الخاصة بالتعليم
بتاريخ 20 يوليوز 1930، لا يزيد عن
ذر الرماد في العيون، حيث يقول في
إحدى رسائله للطيب بنونة المؤرخة ب
27 يوليوز 1930: "قد أعلمك والدك

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج. 11، م. س، ص. 384.

² - الريسوني، علي، أبطال صنعوا التاريخ، ج. 1، مطبعة
المهدية، تطوان، 1975، ص. 153.

³ - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج. 11، م. س، ص. 385.

بأن الحكومة الإسبانية ألقت لجنة لتنظيم المعارف إلخ وهو عمل جليل إن نفذته ربما تكون مكفرة إهمالها كل هذه المرة. ولكني شخصيا لي رأي في هذه القضية وهو أن هذا التنظيم لا يتم وإن تم فلا يكون مفيدا كما نريد وإن أقر جميع ما ستقرر اللجنة فستهمله قريبا. وإليك الأسباب التي جعلتني أعتقد هذا الاعتقاد:

(1) هذا وقت سفر التلاميذ إلى الخارج وقد علمت الحكومة أن بعض الأعيان سيرسلون أولادهم كما أخبركم بذلك والدك لابد من أن تتحرك النهضة العلمية كالسنة الماضية لعل الناس يعجزون وهذا شيء صرح به المقيم العام في خطابه الذي ألقاه على اللجنة الجديدة إذ جاء فيه 'نريد أن نجعل نظاما للتعليم عاليا حتى يكفي الطلاب فلا يحتاجون للسفر للخارج' بلفظه المترجم.

(2) قد علم الحكام بالنهضة التي قامت حول إحياء المدرسة الأهلية التي كانوا يظنونها قد قضت نحبا فأرادوا أن يعملوا الغبار في العيون حتى يوهنوا العزائم. ولكن خاب سعيهم وساء فآلهم فنحن أحق

مما يظنون. إذ المدرسة الأهلية
تتحسن بحول الله سواء أجروا التنظيم
أم لم يجروه.

(3) أن الحركة في المنطقة
الداخلية وقيام الأهالي ضدها جعلهم
الآن يفكرون في التعليم الديني
وغيره حتى يخذروا عقول البلد
بأنهم ليسوا كالأفرانسيين الذين
يحاربون الإسلام بل من أنصار نشره
وتنظيمه إلخ وربك أعلم بما يقرون
بأبناء المسلمين بالمدارس الجبلية
والريفية.

(4) أرادوا أن يشغلوا الناهضين
منا حتى لا نشارك في الحركة
الوطنية إخواننا، كما أنهم يعملون
دائما على فصلنا وإشعارنا بأن تلك
أمة ونحن أمة أخرى. ولكننا رغما
عن ذلك سنجتهد لنشارك في الحركة
إن شاء الله، خصوصا وأن لدينا الآن
المواد الكافية من منشورات
وتفصيلات. والآن أرجع للموضوع فأقول
لك: إن هذه المواد الأربعة تتركني
أعتقد أن مسألة تنظيم التعليم لا
تتم وفق ذلك فإني أرجو أن أكون
مخطئا في هذا الاعتقاد. وأن يكون

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الإسبان غيروا سياستهم في هذه المنطقة المنكودة بهم"¹.

ووجه عبد الخالق الطريس الانتقاد
نفسه، لسياسة الإهمال التي كانت
تتبعها إسبانيا بمنطقة حمايتها، حيث
قال: "نرى الإسبانين في بعض الأحيان
يريدون ذر الرماد في العيون
فيوافقون على تأليف لجان لتنظيم
التعليم ولكن ينتهي وقتها بانتهاء
وقت تعيينها، فإنه لم تمض أربعة
أشهر على تنظيم لجنة من هاته اللجان
وقد اختار فيها بعض مفكري تطوان
وبعد أن خطب فيهم المندوب السامي
خطبة ضافية أشار فيها إلى حسن نية
إسبانيا نحو هذا المشروع الجليل
ونشرت جميع الجرائد الإسبانية خطبته
معلقة عليها بأطيب الثناء، قامت
اللجنة بعملها خير قيام وقدمت نتيجة
بحثها إلى الحكومة ولكن ماذا حصل
بعد ذلك؟ سؤال تجيب عليه سلة
المهملات"².

وبناء على ما سبق نستخلص أن
النخبة المثقفة، التي كانت تؤمن

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب، م. س، صص. 136-137.

² - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س،
ج. 1، ص. 403.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بضرورة التعايش مع نظام الحماية،
كانت في الوقت نفسه تدعو إلى إدخال
الإصلاحات الكفيلة بتطور البلاد
ونهوضها، التي ينص عليها نظام
الحماية¹. وبالتالي كانت كتابات
وخطب وتقارير هذه النخبة المثقفة لا
تخلو من التلميح لقصور الدولة
الحامية في القيام بواجباتها اتجاه
الدولة المحمية، إذ يقول محمد داود:
"منذ وطئت إسبانيا هذه المنطقة
السعيدة نرى أن السنين قد مضت بسرعة
زائدة بدون أن نجتني من ثمرات
التمدين فيها ما كان عقلاء الجانبين
يؤملونه... مضت السنوات واختلفت
السياسات فطورا سلم سائد وطورا حروب
دامية وتارة حكومة أهلية وتارة
عسكرية والأيام تمضي، والأعمار تنقضي
والآمال تطفو وتغور، وما تدري نفس
ماذا تكسب غدا... نعم قد قاست
الحكومات السابقة مختلف الشدائد في
جل الأعمال التي باشرتها ولكن² هل
قامت هي الأخرى أيضا بجميع الواجبات
التي يحتمها عليها وظيفها التمديني
في هذه الأرجاء؟ وخصوصا في دواخل

¹ - الدفالي، محمد معروف، "النخب والعمل..."، م. س، ص. 217.

² - في الأصل كتبت: لاكن.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المدن الساكنة سكونا طبيعيا وهل من
اللائق أن تبقى الحالة العمومية كما
كانت منذ زمن ليس بالقريب، ننظر
بعين الناقد البصير إلى الحالة
العمومية فلا نجد ما يسرنا كثيرا
لأننا نود لو نرى أمتنا المحبوبة في
مصاف الأمم الراقية"¹.

وعموما فإن موقف النخبة المثقفة
بشمال المغرب من نظام الحماية
الإسبانية يتجلى بشكل واضح، وأكثر
تعبيرا في عريضة مطالب الأمة
المغربية لفاتح ماي 1931، التي تم
رفعها إلى رئيس الجمهورية الإسبانية
بمدريد يوم 8 يونيو 1931، والتي جاء
فيها: "إننا على علم بأن الدولة
مقيدة بعهود دولية لا بد لها من
الوقوف عندها، فلذلك يجب علينا أن
نصرح أولا بتشبهنا بجلالة السلطان
وسمو خليفته الذي هو رمز وجودنا،
كما أننا متشبهون بأهداب الحماية
التي نريد أن تكون علينا نعم الوصي
في الأخذ بيدنا وتدريجنا في سلم
الرقى والتقدم حتى يمكننا أن نصير
لها عونا صالحا ومساعدة قويا، نعم

¹ - فتى المغرب (محمد داود)، حالتنا العامة، م. س،
صفحة بدون رقم.

إننا نتشبت بذلك تشبثنا بوجوب
احترام عواطفنا واعتبارنا كأمة ذات
حقوق يجب أن تتمتع بها في قيامها
بواجباتها. ولكننا نرى أن نظام
الحماية على ما كان عليه لم يأت
بنتيجة لحد الآن ونظرنا أنه ما دام
هذا النظام على ما كان عليه سابقا لا
يمكن أن يثمر أبدا. فحكومة تفتقد
رعاياها كل نواع من أنواع الحرية
تخرجهم عن ميزتهم الإنسانية وتسقطهم
في درك الحيوان. وكلما طال هذا
الحكم أدى إلى فساد الأخلاق وقتل في
الناس رؤى العز والكرامة التي هي
ميزة الإنسان ومهما اختلفت العقول
والمدارك والأوساط، فإن النوع البشري
محتاج إلى قسط من الحريات لا يمكنه
بالمرة ينمو ويتطور بدونها.... ثم
إننا نسجل بمداد الأسف كون الحكومة
السابقة لم تبد أي اهتمام بتعليم
الأهالي كما يجب، فقد مضى على
الحماية ما يقرب عشرين سنة لم تفتح
مدرسة ابتدائية خاصة بالأهالي مبنية
على ثقافتهم الخاصة ولغتهم
العريزة"¹.

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق تشهد، ج.1، مطبعة
الساحل، الرباط، 1980، صص. 12 - 13 - 14.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الفصل الثاني : مشاريع ومبادرات وطنية لتحقيق النهضة الوطنية

المبحث الأول: مشاريع ومبادرات وطنية على مستوى التعليم والتوعية والتثقيف

1. المبادرات الفردية الأولى للنخبة المثقفة في ميدان التعليم

إن ما يميز النخبة المثقفة بشمال
المغرب، كونها لم تبق رهينة انتظار
تلبية مطالبها الإصلاحية من طرف
الإقامة العامة الإسبانية أو حكومة
المخزن الخلفي، وإنما نزلت إلى أرض
الواقع وساهمت من جانبها في خلق
العديد من المبادرات الاجتماعية
والاقتصادية، ذات الطابع الوطني
الخالص.

ويبقى الحاج عبد السلام بنونة
رائد هذا التيار الذي آمن بالعمل لا
القول فقط. ولذلك قال عنه شكيب
أرسلان في حفلة تأبينه: "يفضل العمل
على القول ويرى العمل القليل خيرا
من القول الكثير، ويعتقد أن الدأب

الضئيل أدنى إلى المصلحة من البرنامج الكبير وهو حيز التخيل"¹.

كما عبر محمد داود أيضا في إحدى
مذكراته، عن هذا المبدأ بقوله: "ولا
أكتم أن خطتي كانت هي أن أكون
عمليا، وأن لا أكون صاحب أقوال تذهب
مع الريح، وأن أقدم للناس فوائد
يرونها بأعينهم ويلمسونها بحواسهم
دون احتياج إلى دليل. فبدلا من أن
أقول: يا أيها الناس هلموا إلى
التعليم الحديث، وأقبلوا على تأسيس
المدارس العصرية، إن ذلك شيء مفيد،
إنكم بدون ذلك لا تترقون، إن حياتكم
وسعادتكم متوقفة على تحسين حالة
التعليم، ومسايرة العصر في النهوض،
ومجاراة الأمم الراقية في ميدان
المعرفة والثقافة.. إلخ، بدلا من
أقول ذلك، وتضيع أوقاتنا في الأخذ
والرد والجدال الفارغ، قدمت لمفكري
تطوان تلاميذ أربعة، كانوا يجلسون
إلى جانب طلبة المساييد والدروس
العادية بمطلق المساجد، فتبيض وجوه
وتسود وجوه. يتكلم التلميذ المتعلم
على الطريقة الجديدة، فتسمع المنطق
السليم، وتجد القواعد العلمية

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي م. س، ص. 52.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

مصحوبة بالفهم الصحيح والتطبيق
العلمي، ونجد مشاركة في مختلف
العلوم التي لا يحصلها أمثالهم إلا
بعد السنوات الطويلة... وعقيدتهم
سالمة، ودروسهم محصلة، وكتبهم
مفهومة، ومحفوظاتهم مهذبة مؤثرة وكل
من رآهم حكم بأنهم لا يضيعون أوقاتهم
في اللعب، وبأن معلوماتهم أكبر من
سنتهم وأوسع من وقتهم، ويحضر معهم
التلميذ العادي، فيبهت ويخجل ولا
يعدم وسيلة يبرر بها انسحابه من
الميدان"¹.

ويعتبر كذلك محمد بن عبد الكريم
الخطابي من النخبة المثقفة التي
لجأت إلى المبادرات الشخصية من أجل
ترقية وإصلاح أحوال منطقة الريف،
فتجربته كأستاذ بمدرسة مليلية،
وصحفي اهتم بقضية التعليم ودعوته
لأهل الريف لتعليم أبنائهم، دفعته
بعد الثورة الريفية، ليشرف على
تأسيس "نظارة المعارف والعلوم"،
بالحكومة الريفية²، التي أقرت جعل
التعليم بالريف إجبارياً³، وتم وضع

¹ - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، ص. 58.
² - الطيبي، عبد الرحمان؛ الإدريسي، الحسين، التربية والتعليم...، م. س، ص. 136.
³ - نفسه، ص. 159.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

"برنامج عام"¹ للتعليم ، يتضمن ثلاث وعشرين (23) مادة ، وحدد هذا البرنامج سن الالتحاق بالمدرسة في سن السابعة ، ويكون أول ما يقبل عليه التلميذ هو تعلم الكتابة والخط بالقلم والقراءة².

ويشترط هذا البرنامج على المعلم الاعتماد في تعليمه للتلاميذ على "الكتاب الذي تعينه لذلك نظارة المعارف" ، وأن يكثر للتلاميذ من التمارين والأسئلة ، وأن "لا يتساهل مع التلاميذ في كتابة الحروف معوجة" ، ويعودهم على "النطق بالألفاظ صحيحة ويفهمهم مدلولاتها"³ ، كما يجب على المعلم "أن يلحق التلاميذ ببعض محفوظات دينية وأدبية ونصيحا من القرآن وأن يصرف عنايته كلها في تهذيب أخلاقهم وتثقيف عقولهم بلطف القول ولين الكلام" ، وينبهم كذلك إلى "واجباتهم نحو أنفسهم وعائلاتهم والمجتمع الإنساني وأن يغرر فيهم حب المسلمين والوطن وحب العمل"⁴ . كما منع على الأساتذة "إلقاء الدروس

1- نفسه ، صص. 259-264.

2- نفسه ، ص. 259.

3- نفسه ، ص. 259.

4- نفسه ، ص. 260.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالبربرية " ولا مخاطبة التلاميذ بغير
العربية ، أو السماح لهم بالتكلم
"بالبربرية داخل المدرسة"¹.

ويشير البرنامج إلى أن المدة
المخصصة لإتمام التعليم "بالمكتب
الابتدائي" هي ثلاث سنوات، حيث يجتاز
التلميذ امتحانا فيما درسه "فإذا
جاز تعطى له شهادة المكتب
الابتدائي"، ثم يلتحق بعد ذلك
ب"المدرسة الوطنية"، التي تتكون من
أربع طبقات. وحدد البرنامج لكل طبقة
المواد والكتب التي ستدرس بها². كما
جعل الانتقال من طبقة إلى أخرى
مشروطا باجتياز امتحان سنوي، حتى
يحصل التلميذ على الشهادة العليا
بعد نجاحه في الطبقة الرابعة، والتي
تخول له الاشتغال في "التدريس أو
كاتباً في المحاكم أو الالتحاق بإحدى
كليات المشرق العلمية على نفقة
الحكومة"³. وحدد البرنامج كذلك
أوقات الدراسة وأيام العطل، وأنواع
العقاب⁴.

1- نفسه ، صص. 263-264.

2- نفسه ، صص. 260 - 270.

3- نفسه ، ص. 262.

4- نفسه ، ص. 263.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وعموما فإن هذا البرنامج التعليمي
الذي ينسب لمحمد بن عبد الكريم
الخطابي، يعد مشروعا منسجما
ومتكاملا، لكونه يحمل حمولة معاصرة
وآليات منهجية تربوية حديثة ترمي
إلى تحقيق تعليم مدني عصري يراعي
المصلحة العليا للإنسان المغربي على
جميع المستويات، فضلا عن الهم
التحريري من السيطرة الاستعمارية
بمحاربة مخططاتها في مجال التربية
والتعليم¹.

وبالرغم من قصر المدة التي عاشتها
حكومة الريف، فإن محمد بن عبد
الكريم الخطابي لم يكتف فقط بوضع
برنامج تعليمي، وإنما تؤكد الوثائق
والشهادات أن الرجل أقدم على تنفيذ
مشروعه الإصلاحي بالريف، وخصوصا في
مجال التربية والتعليم، الذي كان
يشكل انشغاله الرئيسي والدائم، إذ
كان ينوي من جهة خلق مدارس في أنحاء
المنطقة من أجل محو الأمية في أوساط
الساكنة، ومن جهة ثانية إرسال
الشبان الريفيين إلى مصر لمتابعة

¹ - مبارك، زكي، تقديم كتاب التربية والتعليم في برنامج
محمد بن عبد الكريم الخطابي، م. س، ص. 9.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

دراستهم هناك، الأمر الذي سيؤهلهم
للمساهمة مستقبلا في تنمية البلاد¹.

ولتحقيق تلك الغاية، أولى الخطابي
اهتماما كبيرا **"بأئمة المساجد
والاعتناء بوضعيتهم، وبالمعلمين
والمتعلمين"**²، كما باشر في بناء
القاعات الدراسية، غير أن العائق
الذي اعترض محمد بن عيد الكريم
الخطابي في تنفيذ مشروعه، هو النقص
الكبير في عدد المدرسين، علاوة على
كون أزيد من 80% من ساكنة الريف
كانت لا تجيد اللغة العربية³، الأمر
الذي جعله يلجأ إلى طلب **"أساتذة
ومعلمين"** من خارج المغرب، وذلك ما
تؤكداه الرسالة التي بعثها محمد بن
عبد الكريم الخطابي بتاريخ 23 شعبان
1341هـ إلى الجزائري الحسن بن عبد
العزیز القادري مدير جريدة **"لسان
الدين"**، والتي ورد فيها: **"سيدي
المدير لا يخفى عليكم ما عليه حالة
الأمة الريفية من تأسيس حكومة جديدة
بهذه البلاد ملائمة للقواعد العصرية
كما تستفدونه من الجرائد ونحن في**

¹ - ذي ماداريكا، ماريا روسا، محمد بن عبد الكريم
الخطابي م. س، ص. 457.

² - الرايس، محمد، **شهادات عن المقاومة** م. س، ص. 28.

³ - ذي ماداريكا، ماريا روسا، محمد بن عبد الكريم
الخطابي م. س، ص. 457.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بداية العمل ولدينا مشروعات متنوعة
ومن أهمها تأسيس نظارة المعارف
والعلوم لقصد تعليم الناشئة الجديدة
لاحتياجاتنا إلى الكتابة والكتاب حتى
يكون هذا الشعب راقيا في المستقبل
بحول الله وقوته وها نظارة المعارف
والعلوم قد تأسست، وقد انتدبنا لها
حضرة الفقيه سيدي محمد بن علي
الوكيلي. هذا وحيث لم يكن لدينا من
الأساتذة والمعلمين الذين نحتاج
إليهم لأجل التعليم حسب القواعد
الشرقية العصرية، فإننا نأمل من
جنابكم أن تنشروا لنا الإعلان الآتي في
جريدتكم ولكم الشكر وكل من يريد أن
يشرفنا بقدومه من الأساتذة والمعلمين
أعلمنا به لنبعث له ما يحتاجه لأجل
الركوب وله عندنا راتب شهري كما
يجب"¹.

وجاء الإعلان الذي طلب محمد بن عبد
الكريم الخطابي نشره على صفحات
جريدة "لسان الدين" على الشكل
التالي: "الحكومة الريفية تطلب
أساتذة ومعلمين ممن له الكفاءة
والمقدرة على التعليم براتب شهري

¹ - الطيبي، عبد الرحمان؛ الإدريسي، الحسين، التربية والتعليم م. س، ص. 137.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**مناسب، فمن أراد القدوم للريف
بأجدير فليخبر جريدة لسان الدين"¹.**

وأعطى هذا الإعلان أكله، حيث قدم
إلى أجدير مجموعة من الأساتذة
الجزائريين. ومن بينهم مدير جريدة
"**لسان الدين**"، السيد حسن بن عبد
العزیز القادري، والفقيه محمد
بلعودة، إضافة إلى أستاذة آخرين من
الريف وعلى رأسهم الفقيه محمد بن
الحاج حدو الخطابي². الأمر الذي ساعد
على تأسيس أول مدرسة عصرية في أجدير
عاصمة الريف، والتي كان يدرس بها كل
المواد التعليمية التي وردت في
البرنامج التعليمي لحكومة الريف³،
حيث يذكر محمد الرايس الذي كان أحد
تلاميذها أنه كان لديهم "عدد من
الأساتذة يتعاقبون على تدريس قواعد
اللغة العربية، وقواعد الحساب، وما
إلى ذلك من السيرة النبوية ومبادئ
الدين... بالإضافة إلى المواد
المعروفة"⁴.

ولتحفيز التلاميذ وإيقاظ همهم
وتربيتهم على الوطنية وحب الوطن، تم

1- نفسه، ص. 137.

2- الرايس، محمد، **شهادات عن المقاومة**، ... م. س، ص. 28.

3- نفسه، ص. 144.

4- الرايس، محمد، **شهادات عن المقاومة**، ... م. س، ص. 28.

تصور النخبة المثقفة	بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية	(1913-1936)
-----	عاهد ازحمى

اعتماد نشيد وطني خاص يردده التلاميذ
المدارس والكتائب القرآنية في عهد
حكومة الريف الجمهورية، ويقول هذا
النشيد: ¹

هيا بنا
الوطن
الفرائض والسنة
فالسعد في هذا الزم
بالاجتهاد
المن
هيا بنا
بنو علي ديار
جدودنا
ونحامي عن أوطاننا
بالحزم والفعل الحسن
هيا بنا
العز والذل أصبح
ذيلنا
هيا بنا
العمل فالوطن ضاع
من الكسل
والدين مات من الوجع
والجهل قد أضل الوطن

¹ - الإدريس، علي، عبد الكريم الخطابي التاريخ المحاصر، منشورات تيفراز، الدار البيضاء، 2007، ص. 167.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

والعلم ضاع فليتذنا
متنا فقد ذاعت

الفتن

فيـا رب، يا نعم اللطيف
أعد يقظة الشرع الشريف
بالخير والفضل المنيف
وأصلح لنا هذا الزمـن
ثم الصلاة على المختار خير الأنام
هو الشفيـع غدا بين
الأمم

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر
وعن عثمان وعن علي ذي الكرم.

ونظرا لتأكيد البرنامج التعليمي
لحكومة الريف على ضرورة "تطبيق
العلم على العمل"¹، نجد تلاميذ مدرسة
أجدير لا يكتفون بتلقي الدروس
النظرية فقط. وإنما تجاوزوها إلى
المستوى التطبيقي. وهو ما يؤكد
محمد الريس بقوله: "وقد كان بالقرب
من مدرستنا بيت فارغ في ملك أحد
سكان أجدير وضعه رهن إشارة المدرسة
النظامية، فشغلته السلطة كمستودع
للأدوات الهاتفي، يتكلف بها الأسير
الإسباني أنطونيو مصلح الأجهزة

¹ - الطيبي، عبد الرحمان؛ الإدريسي، الحسين، التربية والتعليم، م. س، ص. 261.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الهاتفية المعطلة، وبإشارة من إدارة
مدرستنا كنا نتصل به في أوقات
الفراغ، فنتعلم منه كيفية استعمال
الهاتف، واستطعنا كذلك التعرف على
الكهرباء التي كانت تجري في الأسلاك
من البطريات، وكان ذلك مما يثير
اندهاشنا... بالإضافة إلى هذا تعلمنا
المكالمة، وإضافة إلى هذا كله كانت
حصة الأنشطة الذهنية اليدوية
كممارسة الإرسال والاستقبال عبر
الحركات العمودية للأذرع والأكف في
شكل رموز الأبجدية،... هذا زيادة
على التعلم والتدرب على المكالمات
بالإشارة اليدوية بأعلام حمراء، وكذا
بواسطة المرآة الشمسية وغيرها من
متطلبات تلك المرحلة ناهيك عن تعلم
الرماية بالبندقية على إصابة
الهدف"¹.

وإلى جانب مدرسة أجدير قام محمد
بن عبد الكريم الخطابي كذلك بتأسيس
مدرسة أخرى بقرية أدوز بقبيلة
بقيوة، التي أشرف على وضع منهجها
بنفسه في إحدى تحركاته، وأقام عليها

¹ - الرايس، محمد، شهادات عن المقاومة م. س، ص. 28.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مديرا هو الفقيه محمد مشبال أحد
علماء قبائل غمارة¹.

وعند تحرير مدينة شفشاون من يد
الإسبان في أواخر سنة 1924²، اجتمع
بعض قواد الثورة الريفية بعدد من
أعيان المدينة وفقهائها وعلمائها من
أجل التعارف ووضع الإطار العام
لمضمون المواد التعليمية الواجب
تدريسها بشفشاون، وجرى الاجتماع
بالجامع الكبير. واستفسر الفقيه
محمد بن علي بولحية علماء المدينة
عن مضمون الدروس التي يلقونها على
التلاميذ، فأخبره كل واحد منهم بما
يدرسه. وبعد ذلك أفهم الفقيه بولحية
للأهمية الكبرى التي أولتها الحكومة
الريفية للعلم والتعليم، فكلف السيد
الغالي العلمي بتدريس مختصر الشيخ
خليل في الفقه المالكي، والسيد أحمد
بن عبد الرزاق رسالة ابن أبي زيد
القيرواني، والسيد الحسن العمرني
ألفية بن مالك والمرشد المعين
والسيد محمد بن خجو يدرس كتاب تحفة
الأحكام في نكت العقود والأحكام، وخصص

¹ - البوعياشي، عبد السلام، حرب الريف التحريرية ومراحل
النضال، مطبعة درا الأمل، طنجة، 1975، ج.2، ص. 185.

² - سيلفا، لورينزوز، سبع مدن في إفريقيا حكايات من
المغرب في فترة الحماية الإسبانية، ترجمة، بن رمضان،
أحمد، منشورات مطبعة أنفو برانت، فاس، 2016، ص. 120.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

لجميع راتباً شهرياً قدره عشرة ريالات
حسنية، وإلى جانب تكليف العلماء
بتدريس الكتب المذكورة، حثهم الفقيه
بولحية على قراءة كتب جمال الدين
الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد
الرحمان الكواكبي، حتى يتمكنوا من
الاطلاع على التيار الإصلاحى الذى كان
منتشراً بالبلاد المشرقية¹.

ومما يؤكد أكثر الاهتمام الكبير
الذى أولاه محمد بن عبد الكريم
الخطابى لقضية التربية والتعليم،
تخصيه بنداً كاملاً (البند التاسع)
لشؤون التعليم من الاتفاقية التى
أبرمها مع الإنجليزى غاردينير
GARDINER سنة 1923، والذى جاء فيه:
"يتعهد الكابيتين جاردنير فى هذا
الاتفاق بأن ينظم المدارس والمعاهد
الفنية، وكل ما تراه الحكومة ضرورياً
لنشر العلم والعرفان فى بلادها
باستخدام الأموال المخصصة للتعليم،
والأموال التى يتعهد الكابيتان
بإيجادها. أما برامج التعليم فيضعها

¹ - الهبتي، محمد ياسين، مساهمة فى دراسة تاريخ المقاومة
المغربية -مقاومة شفشاون للإستعمار الإشباني نموذجاً-،
أطروحة لنيل الدكتوراه فى الآداب، جامعة سيدي محمد بن
عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس - فاس، 2010-
2011، صص. 127- 128.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وزير المعارف العمومية في حكومة الريف"¹.

وبالرغم من تعرض محمد بن عبد
الكريم الخطابي للاحتيال من طرف
الكبیتان غاردينير GARDINER، فإن
هذا الاتفاق يؤكد على مدى رغبة الأمير
الخطابي في تنفيذ مشاريعه الإصلاحية
وعلى رأسها التعليم².

وشهد شمال المغرب على عهد الحماية
كذلك قيام مشاريع تعليمية حرة أخرى،
حيث بدأت الشرارة الأولى للتعليم
الحر بمدينة تطوان منذ أواخر سنة
1922، عندما أقدم الوجيه محمد
السلامي على تأسيس ما يشبه مدرسة،
لتدريس أخ زوجته الطفل عبد الخالق
الطريس، حيث "بذل من ماله ما أصلح
به أحد الأملاك المهملة، واشترى له
الأثاث الضروري"³. ويقول علي السلامي
عن هذه المبادرة: "الحمد لله الذي
وفقني لفتح شبه مدرسة صغيرة
وتأسيسها على طراز جديد لتعليم

¹ - "حكومة عبد الكريم اتفاتها مع جاردينز"، جريدة
الأهرام، بتاريخ 15 شتنبر 1924م، ص. 3.

² - الطيبي، عبد الرحمان؛ الإدريسي، الحسين، التربية
والتعليم م. س، ص. 261.

³ - الخطيب، اسماعيل، محمد العربي الخطيب م. س، ص.
105.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تلاميذها مبادئ اللغة العربية من نحو
وصرف ومبادئ الفقه وما شاء الله من
علوم التاريخ والجغرافيا والحساب،
وكان فتحها في 24 دجنبر سنة 1922 في
محل بحومة الوسعة وجعلت لها أستاذا
خاصا هو الفقيه الأديب السيد محمد
العربي بن ج أحمد الخطيب"¹.

وشرع الخطيب في إلقاء دروسه على
بعض الأطفال، ولكونه كان يشتغل في
نفس الوقت بالمدرسة الإسبانية لم
"يكن يجد لا من الوقت ولا من الحرية
ما يكفيهم لتعلمهم تعليما وطنيا
مفيدا"².

ونظرا لتعطش العديد من الأسر
لتعليم أبنائها تعليما عصريا إسلاميا
بالطريقة الحديثة، سارع بعضهم لضم
أبنائهم لهذه المدرسة، حيث يقول
داود عن ذلك، "وكان هناك شخص آخر
دقيق الإحساس شاعر بالواجبات قد شغف
بالأعمال النافعة، وامتاز بالجرأة
والإقدام والتجديد وهو النابغة
المرحوم الحاج عبد السلام بنونة، فضم
ولده الطيب إلى رفيقه عبد الخالق

¹ - عزيमान، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،

م. س. ص. 39.

² - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س. ص. 58.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الطريس ورفقائه¹ ، وكان عدد تلاميذ
هذه المدرسة ستة وهم عبد الخالق
الطريس والطيب وأحمد الخطيب، ومحمد
بن محمد الخطيب، وأحمد بن أحمد
الطريس وعبد السلام بن الحاج محمد
زويزو².

غير أن هذه المبادرة التي أقدم
عليها الوجيه السلاوي، لم تزد عن
بضعة شهور، بسبب اعتذار الأستاذ محمد
العربي الخطيب عن الاستمرار في
القيام بهذه المهمة³. لكن سرعان ما
تم استدراك الأمر، حيث طلب السيد
محمد زويزو محمد داود أن يقوم
بإعطاء دروس خاصة لابنه عبد السلام،
وعن ذلك يقول داود: "ثم عرضت عوارض
حالت دون استمرار دروس السيد
الخطيب، فاتفق الرأي على أن يجمع
زويزو والطريس في حلقة واحدة،
وأتولى أنا تعليمهما في وقت مخصوص
على أن تبقى لهما الحرية فيما عدا
من الأوقات"⁴.

1- داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، ص. 58.

2- عزيمن، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،
م. س، ص. 39.

3- نفسه، صص. 39-40.

4- داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، صص. 56-

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وخصص الحاج محمد زويزو لهذا العرض
مقرا بإحدى الإدارات، وانطلق دود في
تدريس التلميذين المذكورين، ثم ضم
إليهما أخاه عبد الكريم داود، كما
لحق بهم أيضا نجل الوزير أحمد
الركينة. ولم تستمر الدراسة بهذه
الإدارة أيضا إلا بضعة أشهر، فاضطر
محمد داود إلى الانتقال بتلاميذه إلى
مكتبه الخاص بمنزله، والتحق به
تلاميذ آخرون هما الطيب بنونة ومحمد
بن مصطفى أفيال بينما انسحب عبد
السلام زيوزو، وبعد هذه الخطوة أخذت
الدروس مجراها الطبيعي في جو كله
اهتمام ورغبة في النجاح من طرف
الأستاذ وتلاميذه. وذلك ما أكده داود
بقوله: "وقد شملنا في هذا العهد
اطمئنان من جميع النواحي، فمحل
الدراسة هو مكتبي الخاص ولا سلطة فيه
لغيري، وأنا غير متبوع لا بوظيف ولا
بخدمة على العيال، وحياتي كلها
علمية بين دراسة ومطالعة، أولياء
التلاميذ ليسوا من الأشخاص الذين
يجهلون قدر العمل الجليل الذي نقوم
به، والتلاميذ الأربعة كلهم نجباء
مجتهدون، يتسابقون إلى الحضور قبل

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الوقت المعين، وإلى حفظ النصوص وفهم الدروس"¹.

وعلى إثر هذا النجاح الذي حققه
داود، فكر في وضع برنامج أولي
لدروسه، حيث حدد مجموعة من المواد
وهي التوحيد والعبادة، والنحو،
والحساب والجغرافية والتاريخ
والسيرة، والمطالعة والمحفوظات،
وحرص على تدريسها بالاعتماد على
الكتب المدرسية المقررة في المدارس
المصرية².

وحتى يستفيد من دروسه أكبر عدد
ممكن من التلاميذ، لجأ داود إلى
افتتاح درسٍ نحويٍّ بمسجد الطرنكات
بالاعتماد على كتاب الدروس النحوية
المؤلف من طرف جماعة من الأساتذة
المصريين، فوقع إقبال كبير على هذا
الدرس نظرا لما سمعه الناس عن محمد
داود وطريقته التجديدية في
التدريس³.

وكانت هذه المبادرات الفردية في
الميدان التعليمي، بمثابة اللبنة
الأولى التي قام عليها التعليم الحر

¹ - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، ص. 57.

² - نفسه، ص. 58.

³ - نفس المرجع والصفحة.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

بشمال المغرب. ولذلك اعتبر محمد
داود أن هذه التجربة كانت كافية
للتفكير في خوض تجربة تأسيس "مدرسة
ابتدائية بسيطة"، تناسب الوسط
المغربي وثقافته، ولا يتعارض
برنامجها مع مبادئ الدين الإسلامي¹.
وذلك ما تم تحقيقه عند تأسيس
المدرسة الأهلية في نهاية 1924.

¹ - نفسه، ص. 57.

2. المدرسة الأهلية مهد النهضة الوطنية بشمال المغرب

لعبت المبادرات الفردية الأولى لتأسيس التعليم الحر، التي قام بها بعض عناصر النخبة المثقفة بشمال المغرب، دورا كبيرا في تبلور فكرة إنشاء مدرسة وطنية عصرية بمدينة تطوان. غير أن جسامه المسؤولية، والخوف من فشل المشروع عن طريق مقاطعته من طرف الساكنة، التي كانت لها نظرة سلبية عن المدارس الحديثة، جعل هذه النخبة مترددة في القيام بهذا المشروع. وذلك ما أفصح عنه محمد داود بقوله: "لم تكن تطوان فاقدة لأشخاص متنورين يعرفون قدر المدارس ومبلغ تأثير التعليم الحديث في حياة الأمم وتطورها، ولكن من هو هذا الشخص الذي يقدم على تأسيس مدرسة تحتاج إلى جهود مادية وأدبية زيادة على الجرأة الكافية لفتح هذا الباب أول مرة في التاريخ؟ وما هي يا ترى التدابير التي ينبغي اتخاذها

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

لمن يريد الإقدام على هذا العمل الجديد؟¹.

غير أن هذا التردد لم يكن ليستمر
أكثر، حيث أقدم الحاج عبد السلام
بنونة في نهاية سنة 1924، على عرض
فكرة إنشاء مدرسة عصرية على محمد
داود، الذي كان نجمه آنذاك بدأ يسطع
في ميدان التعليم والتدريس، ويقول
داود عن هذا اللقاء: "وفي أحد الأيام
جاءني المرحوم الحاج عبد السلام
بنونة، وقال لي بلسانه المهدب
ولهجته اللطيفة ومرونته السياسية:
إنك ناجح في عملك العلمي ... فهلا
ترى أن نخطو إلى الأمام خطوة فيها
الخير والمصلحة؟ فقلت: لعلك تريد أن
نؤسس مدرسة. فقال لا أريد غير ذلك.
فقلت لقد تأخرت في هذا كثيرا -وأنت
السباق إلى المعالي- وكنت أنتظر منك
هذا قبل سنة كاملة فقال: نحن أبناء
اليوم فقلت: سر على بركة الله وأنا معك
في جميع الخطوات وعلى كل الوجوه"².

وبناء على هذا اللقاء الذي جرى
بين الحاج عبد السلام بنونة ومحمد
داود، بدأ الاتصال بأعيان ووجهاء

¹ - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود ..."، م. س، ص. 55.

² - نفسه، ص. 59.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المدينة، حيث استغل بنونة اجتماعهم
"بحانوت الباشا محمد بن عبد السلام
بريشة بسوق الغرسة الكبيرة"، فبدأ
بنونة يحرك همهم ويدعوهم "للهوض
والعمل بجد للمستقبل، وكان يصب
اهتمامه على التعليم والصناعة، وفي
هذه المرة أثر كلامه على السيد مصطفى
أفيلال فأجابه بأنه سيكون بجانبه
ويؤازره في إنشاء مدرسة للأبناء"¹.

ويصف التهامي الوزاني كيف عرض
بنونة فكرة إنشاء مدرسة عصرية على
أعيان تطوان بقوله: "وضع ذات يوم
الحاج عبد السلام بنونة دفتره وقلمه
الجيبين في جيبه وقصد جماعته الذين
كانوا يرونه متطرفا خياليا أكثر من
اللازم وقال: هذه المرة لن أكون
خياليا وها نحن واقعيون واقعية
ساذجة؟ أفلا نفكر في تأسيس مدرسة؟
واستهول القوم كلمة مدرسة. فغيرها
لهم بأنها 'مسيد' مثل بقية
المسايد، وفي وسعنا أن لا يكون حانوت
واحدة، بل مكانا فيه بيتان أو أكثر:
أما أحدهما فلحفظ القرآن الكريم
بالوقف بدل الهجاء. وأما الثاني أو

¹ - بنونة، أبو بكر، "اهتمام الحركة الوطنية بشمال
المغرب..."، م. س، ص. 4.

ما زاد على ذلك لدروس ابتدائية
لمعرفة أوائل العلوم التي كانت
الباب الذي صعدت به الشعوب إلى أعلى
المستويات: مثل التاريخ، الجغرافيا،
والمحفوظات، وقواعد الدين: وهذه
المرّة طأطأ سيدي علال الخطيب رأسه
وسكت. تلك عادته إذا وافق: فأخرج
بنونة دفتره وقلمه وقال أما أستاذ
هذه العلوم فالسيد محمد داود فإنه
شاب طموح، عارف بمشاكلنا الاجتماعية،
التي يؤمن بأن حلها الوحيد هو تزويد
الأذهان بحصص من المعلومات، تفتح
بينه وبين العالم كوة تراه منها:
أما التلاميذ فهذا ولدي الطيب، وهاكم
أستاذ آخر هو أخي الحاج محمد. وقدم
الحاج أحمد الخطيب ولده محمدا، وقدم
سيدي علال الخطيب: التلاميذ: عبد الله
الخطيب، ومحمد الدليرو، ومحمد أخاه،
وقدم سيدي محمد السلاوي صهره التلميذ
عبد الخالق الطريس، وقدم سيدي مصطفى
أفيلال ولده محمدا، وأصبحت فكرة
المدرسة فكرة في طريق التنفيذ"¹.

وتم أول اجتماع رسمي بين النخبة
المثقفة وأعيان مدينة تطوان

¹- الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية م .
س، صص. 2-3.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ووجهائها من أجل تأسيس مدرسة ،
بتاريخ 11 أكتوبر 1924 (12 ربيع
الأول 1343) ¹، والذي تقرر فيه حسب ما
ورد في مقدمة القانون الأساسي
للمدرسة ، أنه "أجمع رأي السادات
المذكورة أسماؤهم م² بعد ختم هذه
الورقات على تأسيس مكتب عربي منظم
لقراءة أبنائهم وذويهم أحبوا أن
يجعلوا له نظاما أساسيا يكون به
أنموذجا لغيره ويسير به هو إن شاء الله
في طريق النجاح والرقى فتوافقوا على
تعيين أربعة من الأفاضل منهم يضعون
فيهم ثقتهم ويجعلون بيدهم سير هذا
المكتب والنظر في مصالحه وإجراء ما
يأتي من النظام عليه بكل تدقيق
وقرروا أن تكون وظيفة المدير وأمين
الصندوق والكاتب مجانية ووظيفة

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 186.

² - هم : العلامة الشريف القاضي الحسن أفيال؛ الشريف
مصطفى أفيال؛ محمد بن محمد اللبادي؛ علال الخطيب؛ محمد
السلوي؛ محمد المؤذن؛ عبد السلام بن عبود؛ محمد الخطيب؛
عبد الكريم بن عبد الغفور اللبادي؛ أحمد بن محمد مدينة؛
محمد داود؛ عبد السلام بناني؛ عبد السلام بن العربي
بنونة؛ الحاج العربي العطار؛ أحمد الصفار؛ محمد فتوح،
عبد الرحيم مدينة؛ محمد بن جلون؛ العربي الدليرو؛ أحمد
بن عبود؛ عبد السلام حجاج؛ محمد بن الحاج أحمد مدينة؛
عبد الله بن أحمد الوزاني؛ الزبير السكرج؛ محمد بوهلال؛ عبد
السلام الفاسي؛ علال عزيزمان؛ أحمد بن التهامي أفيال؛ محمد
بن أحمد بنونة؛ محمد المسفيوي، أنظر: داود، حسناء، على
رأس الثمانين، م. س، صص. 27-28.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**الرئيس الداخلي بأجرة إن كان مدرسا
وبدونها إن لم يكن كذلك¹.**

وحدد القانون الأساسي للمدرسة
الأهلية²، اختصاصات كل من المدير،
والرئيس الداخلي، وأمين الصندوق
والكاتب، كما حثهم على "أن يتعاونوا
ويتعاضدوا ... ويجعلوا أمرهم شوري
بينهم بدون رياسة لأحدهم على الآخر"³.
كما حدد هذا القانون كذلك المواد
التي سيتم تدريسها بالمدرسة، وعدد
حصص كل مادة في الأسبوع، سواء
بالنسبة للقسم التمهيدي التأهيلي،
أو بالنسبة للقسم الابتدائي
العلمي⁴.

وكان أول ما فكر فيه القائمون على
هذا المشروع هو البحث عن مقر مناسب
لهذه المدرسة، والذي حصلوا عليه في
تربيعة الكوزة، بالقرب من الخرسة

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 186.

² - للاطلاع على نص القانون الأساسي للمدرسة الأهلية يمكن
الرجوع إلى: داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، صص.
23- 28؛ وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة
الوطنية بشمال المغرب ...، م. س، صص. 12- 22.

³ - حسناء داود، على رأس الثمانين، م. س، صص. 27- 28.
⁴ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب ...، م. س، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الكبيرة¹ بحومة الصياغين²، حيث تم
استغلال محل يتكون من حجرتين³. كان
في ملك السيد الحسن أفيلال، فأدخلوا
عليه مجموعة من الإصلاحات وتم تقسيمه
إلى فصول⁴، وأُثبِت بكراسٍ وطاويلات على
النمط الحديث، وتجهيزات أخرى باختلاف
ما كانت عليه الكتاتيب القرآنية⁵.
فكانت المدرسة الأهلية بذلك أول مركز
إسلامي للتعليم العصري أنشئ بطريقة
خاصة في تطوان⁶، كما كانت حسب
التهامي الوزاني "أول مدرسة تحطمت
فيها القيود، واستطاع التلميذ أن
يجلس مطلق الرجلين يكتب في
الدفتر"⁷.

وبتاريخ يوم الاثنين 15 دجنبر
1924، تم عقد اجتماع بمقر المدرسة،

¹- Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural ...**, Op. Cit, p. 543.

²- حسناء داود، على رأس الثمانين، م.س، صص. 27-28.

³ - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural ...**, Op. Cit, p. 543.

⁴- وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب م.س، ص. 4.

⁵ - BENJELLOUN, Abdelmajid, **pages d'histoire du Maroc :Le patriotisme Marocain face Au Protectorat Espagnol**, Imprimerie El Maarif Al Jadida, Rabat, 1993, p. 258.

⁶ - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural ...**, Op. Cit, p. 542.

⁷- الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة م.س، ص.
110.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتم الاتفاق على النظام الأساسي الذي
قدمه بنونة، كما اختاروا للمدرسة
اسم "المدرسة الأهلية"، وذلك تجنباً
لاستعمال أي اسم آخر يمكن أن يثير
حافضة الإدارة الاستعمارية فتعرقل
أعمالهم الإصلاحية¹. وذلك ما أشار
إليه التهامي الوزاني بقوله: "ولما
جاء دور التسمية قالوا نسميها
«المدرسة الوطنية» فلما سمع بنونة
هذه الكلمة قال: هذه كلمة سوف تكون
هي المانع في ثبات المشروع، لأنها في
نظر الإسبانين أشد من المدافع
والطائرات، وإذا اجتنبنا كلمة وطن
فلنا كل الحرية في أن نقول مدلولها
على الصورة التي لا تروهم، فإن كلمة
«الأهلية» هم من اختاروها لكي تطلق
على المغرب والمؤسسات المغربية
فسميت بـ «المدرسة الأهلية»².

وتم كذلك في هذا الاجتماع "تعيين
لجنة خصوصية تقوم بالأعمال الإدارية
للمدرسة"³، فانتخبوا السيد مصطفى
أفيلال رئيساً، والسيد محمد داود
مديراً داخلياً والسيد محمد بن محمد

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب م. س، ص. 4.

² - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية م.
س، ص. 3.

³ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 29.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

اللبادي أمينا للصندوق، والسيد محمد بن العربي بنونة كاتباً¹. أما فيما يخص تعيين الأساتذة فقد "وقع الاتفاق على قيام الفقيه السيد عبد السلام بناني بتعليم القسم التمهيدي، مع انتخاب السيد فاتح السعيد معينا له... كما انتخب الفقيه الأديب السيد محمد بن ج أحمد داود مدرسا بالقسم الابتدائي، لما عدا دروس الحساب والجغرافيا، التي تبرع بإعطائها الفاضل السيد ج عبد السلام بنونة، كما تبرع أخوه محمد بنونة بإلقاء دروس الخط وتوابعه"².

وبتاريخ 23 جمادى الأولى 1343 الموافق 20 دجنبر 1924، تم تدشين المدرسة الأهلية³، وانطلقت عملية تسجيل التلاميذ بها، ويصف محمد داود ذلك بقوله: "كان اليوم الثالث والعشرون من جمادى الأولى عام 1343 موعدا لاجتماع اللجنة العاملة بالمدرسة لأهلية، وقبول من يرد الانخراط في سلك تلاميذها. ولما كانت الساعة الثامنة صباحا من اليوم

1- داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، ص. 60.

2- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 29.

3- ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 187.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المذكور، حض الفقيه العدل الشريف
سيدي مصطفى أفيلا بصفته مديرا،
والفاضل الأرضي السيد محمد بن الفقيه
اللبادي بصفته أمين الصندوق، والأديب
النبية السيد محمد بنونة بصفته
كاتبا عاما، وما كاد عقد السادة
المذكورين يجتمع، حتى صار التلاميذ
يتوافدون أفواجا مستحبين معهم ما
جاءت به أنفوس آبائهم أو أوليائهم من
القدر الافتتاحي الذي يسلمونه
للمدير، في مقابلة أخذهم لتوصيل
ممضي من الأمين، وبطاقة بجواز الدخول
للمدرسة بإمضاء المدير، وقد أظهر
أولياء التلاميذ من السخاء، ما يدعو
إلى الإعجاب بكرم نفوسهم، ومن تنشيط
اللجنة العاملة بمختلف الوسائل ما
يستوجبون عليه مزيدا من الشكران"¹.

وانطلقت الدراسة بشكل رسمي
بالمدرسة الأهلية بتاريخ 21 دجنبر
1924²، وذلك ما يؤكد محمد داود
بقوله: "وفي صبيحة اليوم التالي، 24
جمدى الأولى 43، حضرت اللجنة أيضا،
مع كاتبه محمد بن أحمد داود، بصفته
رئيسا داخليا للمدرسة، وحضر الفقيه

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 37.
² - عزيما، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،
م. س، ص. 41.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

السيد عبد السلام بناني، بصفته
أستاذًا لقسم القرآن العظيم، والسيد
فاتح السعيد، المدرر الثاني بالقسم
المذكور، وافتتحت المدرسة رسميا
بقراءة سورة الفتح من كتاب الله
العزیز. وفي الساعة الحادية عشرة من
هذا اليوم، حضر كاتبه أيضا بصفته
مدرسا بالقسم الابتدائي، فوجد طلبة
هذا القسم مجتمعين، وفي الساعة
المذكورة وقع افتتاح القسم المذكور
أيضا بتلاوة بعض الذكر الحكيم، ثم
قراءة بعض دروس علمية، وهكذا فتح
قسما المدرسة التمهيدية والابتدائي،
والجميع يؤمل أن تكون هذه المدرسة
التي هي الأولى من نوعها فاتحة عصر
جديد في حياتنا العلمية¹. وهكذا
خرجت هذه المدرسة للوجود انطلاقا من
حماس بعض التطوانيين الذين شكلوا
طوقا في التنظيم والتسيير².

وبعد أيام معدودة من انطلاق
الدراسة بالمدرسة الأهلية، سجّل بها
عدد أكبر مما كان متوقعا من
التلاميذ³، حيث "ما كاد الأسبوع الأول

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 37.

² - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural ...**, Op. Cit, p. 542.

³ - بنونة، أبو بكر، "اهتمام الحركة الوطنية بشمال
المغرب ..."، م. س، ص. 4.

ينقضي، حتى ظهر الإقبال كان فوق
المظنون¹، إذ بلغ عدد الداخلين
للمدرسة ضعف العدد المذكور، أي نحو
40 تلميذا²، فأصبح مقر المدرسة لا
يتحمل هذا العدد، الأمر الذي "دعا
اللجنة العاملة للانتقال إلى محل آخر
أنسب وأوسع قليلا"³، حيث تم استغلال
دارين متجاورتين بزنقة المطامير⁴،
"وكان ذلك ليلة الأربعاء رابع
جمادى⁵"، أي بعد عشرة أيام فقط من
تأسيس المدرسة، ويحكي رئيس المدرسة
السيد مصطفى أفيال عن هذا التنقل،
"أن حالة المدرسة في ظرف الشهر
الأول، رغما على صعوبة المبدأ وقلة
الوسائل، قد برهن المدرسون بها على
اقتدار تام ومهارة في فن التعليم،
حتى تزاحم الناس لإدخال أبنائهم
إليها، ولم يسعني إلا قبولهم، فبحكم
الضرورة، رأيتني ملزوما بتنقيطها
لمحل يسع تلامذتها، وقد فعلت باتفاق
مع اللجنة العاملة"⁶. ونظرا لرغبة
القائمين على هذه المدرسة في اختيار

1- كتبت هكذا: المظنون.
2- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 37.
3- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، صص. 37-38.
4- وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب م. س، ص. 4.
5- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 38.
6- نفسه، صص. 30-31.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

موقع مناسب لها، جعلهم ينقلونها على
التوالي من مقر إلى آخر¹.

وحدث بعد شهر واحد فقط من افتتاح
المدرسة، تغيير في إدارتها، حيث طلب
السيد مصطفى أفيلال إعفاءه من رئاسة
المدرسة، لكثرة أشغاله²، فاجتمع ثلة
من أولياء التلاميذ، واتفقوا على
تفويض الأمر للسيد الحاج الحسن
أفيلال³، الذي طلب نائبا له، يعوضه
أثناء غيابه في مهمته، فتوافق
المجتمعون على تسمية السيد محمد
السلامي نائبا مؤقتا عنه⁴.

أما بخصوص المواد الدراسية التي
كانت تلقن للتلاميذ بالمدرسة الأهلية
فيحدها محضر الجلسة الافتتاحية
للمدرسة بالنسبة للقسم التمهيدي في
"تعلم القراءة والكتابة لمن كان
يجهلها، ثم الاعتناء بحفظ القرآن
الشريف، وهو أهم شيء بهذا القسم، ثم
حفظ القواعد الدينية وفهمها على
سبيل الإجمال، وتعلم الطهارة والصلاة
عمليا، وتعلم مبادئ الحساب. وفي

¹ - Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural ...**, Op. Cit, p. 543.

² - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود ..."، م. س، ص. 60.

³ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 38.

⁴ - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود ..."، م. س، ص. 60.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

القسم الابتدائي تدرس العلوم الآتية:
النحو والتوحيد والفقه والحساب
والجغرافية، وتعطى لهم في أوقات
خصوصية دروس أخلاقية وأخرى في تاريخ
الخط ورسمه¹.

وكانت جل الكتب الدراسية التي تم
اعتمادها مقرررة رسميا بمصر وسوريا²،
والتي كان يستوردها كاتب المدرسة
السيد محمد بنونة "بالكتابة إلى
مكاتبها الشهيرة من مصر"³، ومن أهم
هذه الكتب نجد "المرشد المعين" لابن
عاشر في الفقه، و"الجواهر الكلامية
في إيضاح العقيدة الإسلامية"، للطاهر
بن صالح الجزائري في التوحيد، أما
في السيرة فكان يتم اعتماد
"الشمائل" للترمذي و"الشفاء" للقاضي
عياض و"لباب الخيار في سيرة
المختار" لمصطفى الغلاييني. وفي
النحو كان يعتمد على كتاب "الدروس
النحوية"، و"النحو الواضح" و"قواعد
اللغة العربية". أما في التاريخ
فكان يعتمد على "الاستقصا" للناصر
و"تقريب الأقصى" للرهوني و"دروس

1- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 29.

2- "من مؤسساتنا الوطنية المدرسة الأهلية"، مجلة السلام،

ج. 8، سنة الأولى ماي 1934.

3- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 44.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

التاريخ الإسلامي للخياط. وفي المنطق
كان يعتمد على **"السلم"**، وفي الأدب
على **"المقامات الحريرية"**، بينما كان
يتم الاعتماد في الأخلاق والاجتماع على
"أدب الفتى"، و**"الدروس الأخلاقية"**
لأحمد حسن طبارة¹.

وحتى لا يبقى التلاميذ مرتبطين فقط
بالكتب المبرمجة بالمدرسة، تم خلق
مكتبة داخلها تحتوي على كتب نفيسة
و ذات قيمة أدبية كبيرة، ليتعود
التلاميذ على قراءة الكتب والانتفاع
بها، وتم إنشاء هذه المكتبة عن طريق
تبرع بعض التلاميذ والآباء بالكتب،
التي كانوا يرون أنها جديرة بالاطلاع،
والتي كان غالبيتها في الرياضيات
والحساب والهندسة والفلك والتاريخ
والجغرافيا².

ونظرا لعدم تمكن إدارة المدرسة من
إدراج بعض المواد الثقافية كمواد
دراسية، لجأ محمد داود المدير
الداخلي للمدرسة إلى تأسيس نادي
**"يجتمع فيه التلاميذ في أوقات الفراغ
يطالعوا ما هم في حاجة إلى مطالعته
ليعرفوا ما يدور حولهم من الأحداث**

¹ - نفسه ، ص. 36 .

² - نفسه ، صص. 44-45 .

العالمية: وكان النادي مكتبة ثقافية أكثر مما كان ناديا للشطرنج وتقضية الوقت"¹. وعن تأسيس هذا النادي يقول محمد داود: "رأيت جل التلامذة متأخرين في المعارف العمومية، بسبب عدم ممارستهم لمطالعة الكتب التاريخية وغيرها، ولهم العذر في ذلك، فإن فيهم من لا كتب عنده، ومنهم من لا يجد محلا خاصا للمطالعة ومنهم من لم يجد قبل من يرشده إلى منافع المطالعة ومنهم، ومنهم مثل كثير، ولأجل ذلك كان جلهم يقضي جل أوقات فراغه جالسا في باب حانوت فلان أو فلان، أم مترددا على محلات عمومية قد لا يَجْمُلُ بمثله التردد على مثلها، ضرورة أنها عديمة أي فائدة علمية أو أخلاقية، لهذا وذاك، كان إنشاء هذا النادي من أهم الواجبات للناشئة الجديدة. وها هو اليوم مجتمع لطيف يحضر به التلامذة الثانويين ويقضون فيه غالب أوقات فراغهم تارة في مطالعة الكتب المختلفة والمجلات العلمية الراقية التي يشترك فيها النادي وتارة في المذاكرة في دروسهم وأخرى في المباحثة في شؤونهم

¹ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية م. س، ص. 3.

العامّة، وفقهم الله وأرشد الجميع لطريق الصواب"¹.

وبعد تأسيس هذا النادي بتاريخ 8
شتنبر من عام 1925، أعطى مدير
المدرسة الداخلي السيد محمد داود
لتلاميذه حق اختيار رئيس له، فأجمعوا
على إسناد هذه الرئاسة لأستاذهم محمد
داود، وذلك ما تؤكد الرسالة التي
رفعها له التلميذ الطيب بنونة باسم
تلاميذ المدرسة بتاريخ 20 صفر 1344
(9 شتنبر 1925)، والتي جاء فيها
"سيدي طالما كنت أتمنى أن يكون لنا
داخل المدرسة مجتمع أدبي واتحاد
مكتبي وأرى دونه خبط القناد لاختلاف
الآراء وتضارب الأهواء ومباينة الأمانى
وانحياش أفراد منا إلى الخمول
والتواني... سيدي أسفر لنا شهر صفر
الخير الجاري عن لوائح الاتحاد
باشتراك المفكرين من تلامذة مدرستنا
الغراء في تأسيس ناديها على نمط
صالح للتفسيح مع المطالعة والمراجعة
والاستقراء وما إلى ذلك إلا بفضل
وجودكم ووضعكم حجرة تأسيسه من كرمكم
وجودكم. سيدي إقرارا لكم بالجميل
واعترافا بمجدكم الأثيل أجمع رأي

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 45.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إخواني تلامذة المدرسة الغراء علي
تسميتكم رئيسا لهذا النادي بأجمعية
الأصوات بعدما أعطيتهم حرية الانتخاب
وكشفت عن أفكارهم النقاب والحجاب إذ
لم يروا غيرك لها أهلا وأي فضيلة
تعلو حتى لا يكون موطنها لك سهلا وكلا
الله وألف كلا فنهني أنفسنا بقبولكم
رئاستنا ونرفع لكم هذه السطور شكرا
على عملكم المبرور ولتقبل من تلميذ
حقير فائق الاحترام والسلام¹.

وكان أعضاء النادي يؤدون قدرا
ماليا شهريا، للمساهمة في مصاريفه
التي من جملتها الاشتراك في بعض
المجلات القومية والجرائد التي كانت
تصدر بالشرق العربي، وخاصة مصر. أما
الأنشطة التي كانت تنجز بهذا النادي،
فكانت تتمثل في إلقاء المحاضرات،
وعقد الجلسات الأدبية، والمساهمة في
الحفلات القومية، والتدرب على كتابة
المقالات، وإنشاء الخطب والتدرب على
طريقة إلقائها، كما تأسس باسم
النادي "جمعية نهضة الفنون الجميلة"
في فبراير 1926²، والتي بمجرد ما
شرعت في أنشطتها قامت بإحياء مجموعة

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب م. س، صص. 23 - 24.

² - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 63.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

من الصور التاريخية، ووجهت نسخا
منها لعدد من الشخصيات، من ضمنهم
وزير العدلية الفقيه أحمد الرهوني¹،
الذي توصل برسالة تحمل تاريخ فبراير
1926، جاء فيها: "سيدي الشيخ،
والأستاذ الهمام، صاحب المعالي
والفضيلة وزير الحقانية أبا عباس
سيدي أحمد الرهوني. دمت في أفق
المعالي شمساً ساطعة، وفي روض
المعارف عينا نابغة، وبعد عاطر
السلام وتقدير جليل الاحترام تتشرف
نهضتنا الصغيرة بإهدائها إلى
معاليكم بعض الصور التاريخية التي
قامت بإحيائها، ولذلك تستمطر من
علياكم وابل العطف محفوفاً بالقبول.
وختاماً نقبل جهتي راحتكم ونرجو دوام
سروركم وراحاتكم. نهضة الفنون
الجميلة"².

وللترويج على التلاميذ من ضغط
الدروس، كانت إدارة المؤسسة تنظم
خرجات ورحلات، ليمنحوا للتلاميذ فسحة
قصيرة يقضونها في إحدى المنتزهات
التطوانية، فخلال سنتها الأولى "تنازل
المدير المؤقت السيد محمد السلاوي عن

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب م. س، ص. 26.

² - نفسه، ص. 26.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

عرصته الخصوصية لتلاميذ المدرسة،
فذهب إليها القسمان التمهيدي
والابتدائي، وقضى بها هؤلاء خمسة أيام
كانت من أحسن الأيام¹، وكان في
الغالب ما يتم تنظيم هذه الفسحة في
شهر شعبان من كل سنة، ولذلك كان
يطلق عليها بفسحة شعبانة². كما أولت
إدارة المؤسسة كذلك اهتمامها
بالاحتفاء بالمواسم والأعياد الدينية،
حيث كانت تهيب بالتلاميذ لأداء صلاة
العيد مجتمعين³.

وبفضل هذه المواد المتنوعة
والدروس المركزة، والأنشطة المختلفة
بالمدرسة الأهلية، والمجهودات التي
كان يبذلها الأساتذة العاملون بها،
بدأت تظهر علامات النجاح على قسمي
المدرسة بعد شهرين فقط من تأسيسها،
فازداد الناس اقتناعاً بأهميتها
وبمجهودات السَّاهرين عليها، فانمحي
ما كان عالقا بأذهان بعضهم من أفكار
سلبية عن المدارس الحديثة. وثبت
لديهم أن ما حصل عليه التلاميذ
بالمدرسة الأهلية في شهرين، لا يمكن
أن يحصل عليه في غيرها في أزيد من

1- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 39.

2- نفسه، ص. 70.

3- نفسه، ص. 71.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

سنة¹ ، الشيء الذي شجع العديد من
الآباء على إلحاق أبنائهم بالمدرسة ،
التي وصل عدد تلاميذها أزيد من خمسين
تلميذا² ، مما اضطر إدارة المؤسسة
إضافة أستاذ جديد للقسم الابتدائي
وهو الفقيه العدل أحمد الفرطاخ وذلك
في 27 شعبان³ ، ونقل المدرسة إلى دار
السيد عبد الكريم اللبادي بشارع
الساقية الفوقانية بتاريخ 6 ذي
القعدة 1343 (28 ماي 1925) بعدما
أصبح المقر السابق لا يتسع للمدرسة⁴ .

وفي نهاية السنة الدراسة الأولى
قامت اللجنة العاملة بالمدرسة
الأهلية بتنظيم امتحان فردي لجميع
التلاميذ ، فأثبتت فئة مهمة منهم عن
تفوقها في المواد التي درّسوها
بالمدرسة طيلة السنة⁵ . وكتقييم
لهؤلاء التلاميذ قال داود : "أما حالة
التلامذة العلمية الأخلاقية ، فهي
بالإجمال سائرة نحو الرقي بخطوات
واسعة ، وإنها وإن تكن إلى الآن لم
تصل إلى الغاية المنشودة ، لكن من
يطلع أولا على نفسية مطلق شبابنا

1- نفسه ، ص. 38 .

2- نفسه ، ص. 40 .

3- نفسه ، ص. 39 .

4- نفسه ، ص. 31 .

5- نفسه ، ص. 41 .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ومعارفهم العمومية وآرائهم في
الحياة المدنية، لا يسعه إلا أن يطأطي
هامته أمام الشوط الذي قطعه هؤلاء
التلامذة النجباء"¹.

غير أن هذا النجاح الذي حققته
المدرسة الأهلية كان لا بد أن يثير
حفيظة الإدارة الإسبانية التي لم تكن
"ترتاح للمجهودات الشعبية في ميدان
التعليم بل كانت تنظر إليها بالحدز
وتعتبرها من الانتفاضات للتححرر من
قبرهم وسلطانهم وهذا ما دفعهم سنة
26 في نهاية الحرب الريفية إلى دس
الدسائس لإقفال المدرسة الأهلية ...
التي اعتبروها معقلا لتكوين
أعدائهم"².

وجرى هذا الحادث في أواخر يناير
من سنة 1926، عندما قام مجهول برفع
رسائل تحريضية إلى كل من الصدر ابن
عزوز، ووزير العدلية الفقيه أحمد
الرهوني والعلامة محمد الزواقي، يتهم
فيها أن المدرسة تلقن لتلاميذها

¹ - نفسه، ص. 40.

² - "الحديث الذي ألقاه الطيب بنونة في ندوة عقدتها
جمعية قدماء تلاميذ المعهد الحر بتاريخ 5 مارس 1979"،
أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ
الطيب بنونة، ج. 2، ملف إلكتروني مخطوط، ص. 327.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

"العقائد الفاسدة الزائغة"¹ ، حيث
ورد في الرسالة التي توصل بها
الرهوني ما يلي:

"فضيلة الفقيه العلامة قاضي
القضاة سيدي أحمد الرهوني، السلام
عليكم ورحمة الله ما ذبَّ العلماء عن سنة
رسول الله. أليس منصبكم الشريف العالي
يأبى أن نضل وتضل أولادنا وأنتم
بأنوار علومكم بين أظهرنا لم
تبادروا إلى حسم مادة العقائد
الفاسدة الزائغة التي يتلقها
أبنائنا بالمدرسة الأهلية، ولكم
أجران، فإن كنت جاهلا بذلك -وهو
المظنون بسامي جنابكم- فقد أخبرناكم
ونبهناكم، ولا عذر لك في التأخر عن
نصرة الدين والذِّبِّ عن سنن سيد
المرسلين، وإن كنت عالما بذلك -
وحشاك- وعرض لك في طريق التغير
لهذا المنكر عارض، فهذا أوان دفعه،
ولا تأخذك في الله لومة لائم وإلا فموعدنا
القيامة يوم يقوم الناس لرب
العالمين. والسلام. تطوان فاتح رجب
1344. وطني غيور"².

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 59.

² - نفسه، ص. 61.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وعلى إثر توصل الرهوني بهذه الرسالة استدعى إدارة المدرسة، فذهب إليه كل من محمد داود ومحمد النبخوت والحاج عبد السلام بنونة وأخوه امحمد، فنفوا ما أشيع ضد المدرسة، وبعد ذلك ذهبت لجنة¹ لمقابلة الصدر ابن عزوز محتجة على إقفال المدرسة متبرئة من التهم الباطلة الموجهة لأساتذتها، فما وجدت الإدارة الحاكمة سبيلا للوقوف في وجه هذه الجماعة وعادت المدرسة لتفتح أبوابها والسير في طريقها الإصلاحي².

وعلى إثر هذه الضجة التي قامت ضد المدرسة كتب محمد داود تقريرا يوضح فيه تفاصيل تلك الحادثة، ورد فيه: "أثار بعضهم في هذه الأيام على المدرسة ضجة كبيرة مدعين أنها تفسد أخلاق الناشئة الإسلامية وتغرس في أذهانها اعتقادات مغايرة لما عليه أهل السنة والجماعة. قام بعض بعضهم يشيع هذا في المجتمعات العمومية، ثم ما كفاه ذلك، بل عمد إلى أكابر العلماء فكتب إليهم يستنهض همهم

¹ - تتكون: من محمد بن الفقيه اللبادي والفقيه الصفار ومصطفى أفيلال ومحمد بن أحمد الخطيب، أنظر: محمد داود، حسناء، على رأس الثمانين، م.س، ص. 59.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب، م.س، صص. 23-24.

للقوف في وجه هذا التيار الفاسد
الذي كاد يجرف ببدعته الدين وسنة
سيد المرسلين. ولكن علماءنا وشيوخنا
الأجلة حفظهم الله ورضي عنهم، أكبر من
أن تغرهم ادعاءات مثل أولئك، وهم
أعرف الناس بالتلامذة ومعتقداتهم
ضرورة أن جلهم يحضر بعض دروسهم
العلمية خارج المدرسة، ولقد ساعدنا
الحظ فتشرفنا بزيارة شيخنا
الفقيه الدراكة وزير العدالة وقاضي
تطوان ومؤرخها العلامة النحرير أبي
العباس أحمد الرهوني حفظه الله،
فأطلعنا في إدارة حكمه بالمشور
السعيد على رسالة وصلته بالأمس عن
طريق البريد، وأظهر لنا تعجبه مما
تشير إليه تلك الرسالة، مع ما يعرفه
فيينا شخصيا من الاعتدال، ومع ما رآه
وسمعه بنفسه من أفواه التلاميذ حين
زيارته السابقة للمدرسة، فأكدنا
لفضيلته ما كان يعهده فيينا، ونفينا
عن المدرسة ومن فيها كل ما يشاع عنا
من الأباطيل التي لا أصل لها... وإننا
قبل كل شيء نتبرأ بكل ما فيينا من
قوة، مما نسبته لمدرستنا هذا الكاتب
من العقائد الزائفة، ونعلن للملا أن
العقائد التي تقرأ بالمدرسة هي
عقيدة الإمام الأشعري رضي الله عنه...

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**كما نعلن أن المدرسة مفتوحة دائماً
لكل من أراد الوقوف على العلوم التي
تقرأ بها"¹.**

ونظراً لتقلب ميزانية المدرسة
الأهلية التي كانت تضعف وتقوى حسب
كثرة التلاميذ وقلتهم²، كان يتعذر
عليها في بعض الأحيان أداء واجب كراء
مقرها بدار اللبادي، فتم نقل
المدرسة إلى مقر أرخص منه بدار حبس
بريشة بزقة المطامير بتاريخ 4 مارس
1928، غير أن عدم ملائمة هذا المقر
للمدرسة، جعلها تنتقل في 28 نونبر
1928 إلى دار ابن عبود بحومة الملاح
البالي³. ولهذا المقر أشار امحمد
بنونة في إحدى رسائله للطيب بنونة
بقوله: "انتقلت المدرسة إلى الدويرة
الجديدة وهي محتوية على دورين ما
عدا الأسفل الذي به الدرج فقط وقد
خصمت الطبقة الوسطى لقراءة القرآن
العظيم والعليا بها ثلاث غرف خصمت

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، صص. 60-61.

² - نفسه، ص. 56.

³ - نفسه، صص. 30-31.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الكبيرة منها للدراسة والمتوسط للنادي والصغرى لإدارة"¹.

وبسبب هذه التنقلات من مكان لآخر
التي كانت تعيشها المدرسة الأهلية،
فكر القائمون عليها في بناء مقر خاص
بها، حيث يقول بنونة: "منذ أسبوعين
ونحن نروج بين الإخوان والأحباء بل
وحتى الأعداء أيضا فكرة بناء محل
خصوصي للمدرسة الأهلية ليتمكننا بذلك
ترقيتها والخروج بها من طور إلى آخر
وكأن المسألة سائرة في طريق النجاح
بحول الله وقوته، وعندما تحصل بغض
النتائج المطلوبة نخبركم بها إن شاء
الله"².

وتقرر في اجتماع عقد بتاريخ 21
ماي 1930 بإدارة المدرسة، فتح
اكتتاب أولي يتبرع به من له غير
على المدرسة، مع اكتتاب شهري
يدفعونه لمدة معينة، حتى يتيسر لهم
جمع المبلغ الكافي لبناء المقر
المطلوب³، وذلك ما أشار إليه الحاج

¹- رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطيب بنونة بتاريخ
7 يناير 1929، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج امحمد بنونة، ج. 1، م. س، ص. 42.

²- رسالة من الحاج عبد السلام بنونة، لولده الطيب،
بتاريخ 14 ماي 1930، أنظر: ابن عزوز الحكيم، محمد، أب
الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 376.

³- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. ص. 32.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

عبد السلام بنونة في إحدى رسائله
بقوله: "افتتحت المذاكرة في مسألة
التعليم إلخ وكنت أول متكلم في
الموضوع حتى استغرقت نحو الساعة من
الزمان بينت فيه للسادات نشوء فكرة
المدرسة الأهلية وما قبلناه بسببها
من الصدامات وما سلكته المدرسة في
أدوار حياتها من النكبات وما هي
عليه الآن والحمد لله من حسن التنظيم
والاطمئنان ثم تخلصنا إلى المقصود
وهو ما كنا نفكر فيه منذ نحو الشهر
نحن والسيد محمد الدليرو والسيد
مصطفى أفيلال والسيد محمد بن عبد الله
أفيلال وعمك محمد وكان ذلك باقتراح
من الدليرو المذكور وهو اشتراء أرض
خارج سور البلد تكون قريبة من أحد
الأبواب وبناء مدرسة بها على نظام
عصري يوافق الدروس المتنوعة بإدخال
اللغة الإسبانية في جملة الدروس مع
موافقة البناء بما تقتضيه شروط
الصحة إلخ ... ثم بعد الأخذ والرد
والمذاكرة تقرر فتح اكتتاب لأجل شراء
الأرض وبنائها وهذا الاكتتاب يكون على
قسمين: تبرع أولي بما تسمح النفس
والتزام شهري يضم مجموعه إلى
التبرعات الأولية حتى المقصود ويبقى
هذا الشهر بعدئذ متراسلا للقيام

بشؤون المدرسة. وعينت الجماعة أميناً
للسندوق السيد علي الخطيب وعدلين
معه: السيد التهامي الوزاني والسيد
أحمد بن تاويت. ومنذ تلك الساعة حتى
الآن اجتمع من التبرعات بسيطة 3000
وفي الالتزامات الشهرية 150 بسيطة
شهرية والكل بالسكة الإسبانية وتكلف
بالبحث عن المحل واشترائه لجنة
مؤلفة من سيدي التهامي الوزاني
ومحمد الدليرو وعبد ربه وها نحن
نباشر الآن العمل والله الميسر والموفق
سبحانه. ومن أحسن ما تسمعه أن السيد
أحمد الدليرو عندما سألناه أن يكتب
بشيء معنا كان في المجلس عدلين فقال
لهما في الحين: اشهدا علي أنني حبست
على المدرسة الأهلية عشر بسيطات
إسبانية مشاهرة أدفعها بنفسي ما دمت
حياً وتخرج من متخلفي بعد عيني حبساً
مؤبداً ووفقاً مخلداً، فشكرناه شكراً ما
عليه من مزيد جزاه الله أحسن الجزاء
وكثر من أمثاله الأفاضل إذ فتح لنا
هذا الباب وهي باب التحبيس على
المدرسة الأهلية لعل الناس يقتدون
به" ¹.

¹ - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة، لولده الطيب،
بتاريخ 22 ماي 1930، أنظر: ابن عزوز الحكيم، محمد، أب
الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، صص. 376 - 377 - 378.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وانتقلت المدرسة الأهلية إلى مقرها
الجديد بالملاح البالي في فاتح أبريل
من سنة 1931، إلا أن هذا المقر على
ما يبدو لم يكن بدوره كافياً لها،
حيث سيتم توسعته في نونبر 1931¹،
كما سيتم في شتنبر من نفس السنة
توزيع منشور آخر من أجل الاكتتاب
الشعبي لجمع المال لبناء مقر خاص
بالمدرسة الأهلية، والذي جاء فيه:
"غير خاف عليكم ما قامت به مدرستنا
الأهلية حرسها الله تعالى من نشر العلم
على قدر المستطاع وما كان لجهودها
الطيبة من آثار جليلة ظهرت كالشمس
في رابعة النهار، مما حدا بخواص
الأمة وعوامها إلى الانكباب عليها،
وتوجيه الهمم العالية إليها، حتى
تضاعف عدد تلاميذها، وأصبح مكانها
الحالي لا يسع جميع أبنائها، وذلك ما
دعا جماعة من الناهضين المخلصين إلى
التفكير في إيجاد محل يبنى لها على
الخصوص، ويكون ملكاً خالصاً لأبناء
المسلمين بهذه البلدة السعيدة
(المدرسة الأهلية) يقرأ فيها أبنائكم
وأفلاذ أكبادكم كتاب ربهم وسنة
نبيهم، وأصول دينهم وقواعد لغتهم،
ويتعلمون بها ما ينفعهم في حالهم

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. ص. 32.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ومستقبلهم، وقد يسر الله الأسباب ومد
أولو الأمر من الحكام يد المساعدة
إليها جزاهم الله خيرا، وها هي الآن قد
حصلت على قطعتين من الأرض تحدان سور
المدينة بين باب العقلة وضريح ولي الله
تعالى سيدي السعيد رضي الله عنه. ولم
يبق إلا وجود المال الكافي للمشروع في
بنائها على طراز يكون مفاخر لتطوان
بل "المغرب" بحول الله"¹.

وهذا المقر الجديد للمدرسة الأهلية
بروض الشرتي، لم يصر جاهزا بشكل
نهائي إلا في مطلع سنة 1936، حيث
يقول داود في مذكرته ليوم السبت 4
يناير 1936: "ذهبت إلى المدرسة
الأهلية بمحلها الجديد روض الشرتي،
ولا يزال به البناء، فلذلك سوف لا
تلقى الدروس إلا بعد إكمال البناء
بعد نحو أسبوعين، أما قسم القرآن
فقد عمر اليوم"².

غير أن الاستقرار النهائي للمدرسة
الأهلية لم يتم إلا بعدما قامت
الحكومة الخليفة بتسليمها بناية
خاصة بها شيدتها خارج باب العقلة في

¹ - ابن عزوز الحكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 3، ص. 113.
² - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 32.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

فبراير 1937¹ ، وذلك بناء على طلب
كان قد قدمه بنونة منذ سنة 1932 ،
حيث ذكر الطريس في إحدى مذكراته :
"جاء يوم رأى فيه بنونة أنه أصبح من
الضروري تشييد بناية عصرية خاصة
بالمدرسة المذكورة فوافقناه على
تقديم طلب إلى الإقامة العامة لكي
تمنحنا قطعة أرضية مخزنية صالحة
للمشروع ، وبعد عدة شهور من المحاولات
والمماطلات صدر الظهير الخلفي الذي
أمر بوضع قطعة أرض مخزنية تحت
تصرفنا . كان ذلك سنة 1932 ولم نتسلم
القطعة إلا في أوائل سنة 1935 ، وذلك
لأن السلطات لم تكن في الحقيقة راضية
عن وجود مدرسة أهلية حرة تؤدي رسالة
لم تستطع إدارة الحماية القيام
بها"².

ونظرا للسياسة الجديدة التي أصبحت
تنهجها الحكومة الإسبانية الفرنكوية
بقيادة المقيم العام بيكبيدير في
شمال المغرب ، تم تشييد بناية خاصة
بالمدرسة الأهلية على تلك القطعة
الأرضية التي منحتها سابقا الحكومة
للمدرسة ، فكانت محاولة من الإدارة

¹ - نفسه ، ص. 35.

² - ابن عزوز الحكيم ، محمد ، أب الحركة الوطنية... ، م . س ،
ج . 3 ، صص. 416 - 417.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الاستعمارية للتدخل في شؤون المدرسة ،
غير أن إدارة هذه الأخيرة اشترطت
لانتقالها إلى البناية الجديدة عدم
تدخل أي هيئة حكومية في شؤون
المدرسة¹.

كما قررت الحكومة كذلك دعم
المدرسة ماديا ، وأثبتتها "بأثاث
مناسب، وفوق ذلك مساعدة شهرية قدرها
ستمائة بسيطة سكة إسبانية ثم لا تزال
ترعاها برعايتها وتشجعها ماديا
وأدبيا. ولم تكن وزارة الأحباس بأقل
رعاية لهذه المدرسة من الحكومة فقد
نفذت لها مساعدة شهرية"².

وعلى إثر هذا الانفراج الذي ستشهده
المدرسة الأهلية في عهد الحرب الأهلية
الإسبانية ، ونظرا للغاية الوطنية
التي أسست من أجلها هذه المدرسة ،
قررت إدارة هذه الأخيرة أن "تقبل
ثمانين في المائة من التلاميذ بدون
أجر ولا نفقة"³ ، وذلك ما يثبته
المنشور الذي وزعته إدارة المدرسة
على العموم ، حيث جاء فيه : "لقد قررت
المدرسة بعدما حصلت على إعانات من

¹ - داود، حسناء ، على رأس الثمانين، م . س، صص. 34-35.
² - "المدرسة الأهلية"، جريدة الريف، ع. 81، 22 يونيو
1937، ص. 2.
³ - نفسه، ص. 2.

الحكومة والأحباس والبلدية أن تجعل
ثمانين في المائة من التلاميذ يتلقون
الدراسة فيها مجاناً، فكل من أراد أن
يعلم ابنه تعليماً منظماً، وأراد أن لا
يدفع شيئاً مما يلزم، فأبواب المدرسة
مفتوحة أمامه ... والغاية التي
تخدمها المدرسة محاربة الأمية ونشر
الثقافة الإسلامية والعربية، وتعليم
النشء ما يجب عليه نحو وطنه العزيز،
وتحبيب التلميذ في العلوم الكونية،
وبث الأخلاق الفاضلة، وتقديم المصلحة
العامة. فهذا أيها الآباء بأنائكم
قبل أن يفوت ولات ساعة مندم، أدخل
أيها المسلم العربي ابنك لهذه
المدرسة الإسلامية العربية الوطنية،
يخرج منها بعد خمس سنين مسلماً عربياً
عارفاً للإسلام حق المعرفة، ومثقفاً
باللغة العربية لغة القرآن، وعارفاً
وكنه ومكانته التاريخية وقيمه
الرفيعة بين الأقطار. الإدارة¹.

وعلى امتداد هذا المسار الذي
عاشته المدرسة الأهلية، وما لقيت "من
العقبات وتلقت من الصدمات وقابلت من
الهجمات ... وقد عاشت مدة طويلة وهي
ترفعها رافعة وتخفضها خافضة فقد

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، صص. 34-35.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

لها أن تتغلب على جميع العراقيل،
وأن تقف في وجه الصعاب أعواما
وأعواماً¹، أتت بأطيب الثمار، حيث
نشأ بين أحضانها جيل جديد مثقف
وواع، ساهم بشكل كبير في نشر الوعي
وبناء النهضة الثقافية والفكرية
والسياسية²، وذلك بفضل التكوين
الوطني الذي تلقاه هذا الجيل داخل
المدرسة الأهلية، التي ارتبطت فيها
قضية التربية والتعليم بالعمل
الوطني³، لكون النخبة المثقفة بشمال
المغرب كانت ترى بأن التعليم هو
أحسن سلاح ضد الوجود الأجنبي في
المغرب⁴، وهذا ما جعلهم لا يكتفون
فقط بتلقين الدروس ومبادئ العلم
لتلاميذهم، وإنما عملهم كان بمثابة
عمل الداعية، الحامل لرسالة يريد أن
يكون جيلا من الشباب يحمل رسالته⁵.
حيث كانوا يلقنون تلاميذهم دروسا في
القومية تحت غطاء تدريسهم مواد
دراسية، كما عبر عن ذلك محمد داود

1- "المدرسة الأهلية"، م. س، ص. 2.

2- عزيमान، محمد، "عمل الحاج عبد السلام بنونة ..."، م. س، ص. 32.

3- السعود، عبد العزيز، "مسألة التربية والتعليم ..."، م. س، ص. 30.

4 - BENJELLOUN, Abdelmajid, **pages d'histoire du Maroc :Le patriotisme Marocain ...**, Op. Cit, pp. 258-259.

5- عزيमान، محمد، "الأستاذ محمد داود ..."، م. س، ص. 39.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بقوله: "لقد لقنت الوطنية إلى الذين
أصبحوا فيما بعد قادة حزب الإصلاح
الوطني، باستثناء امحمد بنونة
والتهامي الوزاني"¹.

وتجلت هذه الخطة التي نهجتها
النخبة المثقفة في سياستها
التعليمية، في تلقين التلاميذ
للأناشيد الدينية والوطنية التي
تتغنى بالمجد والحرية والكرامة
والاعتزاز بالهوية²، وعن ذلك قال
داود: "وإن أهم مظاهر حفلاتنا
المدرسية، أنها تشتمل على أناشيد
إسلامية وأناشيد عربية وأناشيد
وطنية، سامعها ومنشدها بحرارة
الوطنية تدب في قلبه ديبا، يشعر
باعتراز يملأ جوانحه اعتزازا بقوميته
وبلغته، يشعر بتيار يجرف كل ما
يعترض سبيل نهوضه وتضحيته في سبيل
بلاده وأمته. وإن الأثر الذي تركته
هذه السنة التي اتبعناها منذ أمد
طويل مفعولها، ليبعث فينا روح
التمسك بعلمنا، والاستزادة من هذه
الأناشيد التي ظهر مفعولها في شبابنا

¹ - BENJELLOUN, Abdelmajid, *Approches du colonialisme Espagnol et du mouvement nationaliste Marocain Dans l'ex-Maroc Khalifien*, OKDA, Rabat, 1988, p. 94.

² - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، ص. 60.

وشيبنا ... وإن عملا له مفعول لهذه
الدرجة لخليق بأن نتمسك به، وأن
نعمل عن إزالة العراقيل التي تقف في
طريقه"¹.

وكان كلما نظمت المدرسة حفلة من
حفلاتها، يقوم التلاميذ بإلقاء هذه
الأناشيد على مسامع الحاضرين، وعلى
سبيل الذكر لا الحصر، ورد في إحدى
رسائل امحمد بنونة يصف فيها حفلة
المدرسة بقوله: "لقد أقامت المدرسة
الأهلية أمس حفلة بتياترو المصلى
القديمة ... ولقد ابتدأت بنشيد
«فؤادي إلى وطني»، ثم خطب الأخ
الطريس خطبة قيمة باسم اللجنة، ثم
نشيد «الإباء»، ثم خطب باغوز باسم
الإدارة، وأثناء خطبته فرقت الجوائز
على المستحقين، وكان كلما ذكر اسم
طالب وقف وتقدم إلى تناول جائزته
بين التصفيق والسرور، ثم نشيد «نحن
شباب المغربي»، وفي ختامة تقدم الأخ
الطريس ورفع الراية المغربية ودفعها
لحامليها، ووقف الجميع لتحيتها وأنشد
التلاميذ نشيد «على قدم: حيو العلم»
وكان مظهرا لم يتقدم له نظير، وكان

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 62.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الناس خاشعين ومنهم من بكى، ثم انتهت الحفلة"¹.

ومن بين تلك الأناشيد، التي كانت
تؤجج حماس تلاميذ المدرسة الأهلية،
نجد نشيد الشباب المغربي الذي نظمته
ولحنه محمد داود في يناير 1931،
والذي جاء فيه:

نحن الشباب المغربي الناهض
الحر الأبوي
ما فينا إلا مخلص
لقطر المغرب
يحيا الشباب الناهض وليحيا
القطر المغربي...
حب المعالي شأننا
المعارف دأبنا
وأعو شيء ديننا
الإسلام دين المغرب
يحيا الشباب الناهض وليحيا
القطر المغربي
أوطاننا عز لنا
أخلاقنا حرز لنا
هيهات نخلف وعدنا ونخون
عهد المغرب

¹ - رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطيب، بتاريخ 28
يوليوز 1932، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، ص. 160.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يحيا الشباب الناهض وليحيا
القطر المغربي
نحي البلاد بالاجتهاد نلقي
الخطوب بالاتحاد
ونزيل أثواب الحداد عن كل
أرض المغرب
يحيا الشباب الناهض وليحيا
القطر المغربي¹

كما نظم ولحن محمد داود نشيدا
آخر، كان يردده تلاميذ المدرسة
الأهلية، وهو نشيد «إيه أمة المغرب»،
ومن بين ما جاء فيه:

إن نعيش عشنا كرام
أو نمت متنا كرمنا
همنا نهدي الأنمنا
همنا نردي اللئام
في السما العليا كنا أنجما
زهرا
قد عدلنا إذ ملكنا البر
والبحارا
إيه أمة المغرب
إيه دولة المغرب
يا بني الأوطان سيروا لا
تكونوا غافلين

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 67.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

جددوا عهدا عظيما
لجدود غابريــــــــــــن
أنقونا من حياة الفقر
والجهل
أيه أمة المــــــــــــغرب
إيه دولة المــــــــــــغرب
جددوا العهد القديم
ذلك العهد الجديد
واسلكوا النهج القويما
واتبعوا الرأي السديد
دولة المغرب دومي نحن أهلو
سوف نحميك وبالأرواح نفديك
أيه أمة المــــــــــــغرب
دولة المــــــــــــغرب¹.

وإلى جانب تلقين تلاميذ المدرسة
الأهلية للأناشيد الحماسية، قام
أساتذتها أيضا بتدريب التلاميذ على
وسائل المشاركة في الرأي العام، عن
طريق تمرينهم على كتابة المقالات
الاجتماعية، حيث يذكر امحمد بنونة
بأنه كان دائما يعطي لتلاميذه
بالمدرسة الأهلية "موضوعات يبحثون
فيها ويأتون (إليه) بنتيجة بحثهم"²،

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 68.
² - رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطيب، بتاريخ
أكتوبر 1932، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، ص. 173.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وقام محمد داود بالدور نفسه، إذ كتب
في مذكرته "في يوم الثلاثاء 13 رجب
1345=18 يناير أردت أن أشرع بحول الله
تعالى في تمرين تلامذتي بالمدرسة
الأهلية بتطوان، على كتابة ما يجب
بأفكارهم من المعاني"¹.

كما كان هؤلاء الأساتذة يشجعون
تلاميذهم على إلقاء الخطب أثناء
مختلف الاحتفالات والتجمعات التي كانت
تعقد داخل المدرسة أو خارجها²،
وخاصة في حفلات ذكرى تأسيس المدرسة
الأهلية التي كانت تقام في شهر جمادى
من كل سنة، وذلك ما يؤكد أمحمد
بنونة في إحدى رسائله لولد أخيه
الطيب، والتي جاء فيها: "يوم 27
جمادى الأولى الماضي أقامت المدرسة
الأهلية حفلة ذكرى مرور ثمان سنين
على تأسيسها بغرسة سيدي التهامي
الوزاني فخطب فيها الأستاذ داود
وتليه 25 خطبة من التلاميذ ! نعم 25

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 65.

² - داود، حسناء، "الأستاذ محمد داود..."، م. س، ص. 62-

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**خطب ! وكلهم لا بأس بهم من بينهم
أخوك عبد الكريم"¹.**

إن هذا التجديد في ميدان التعليم
الذي أحدثته النخبة المثقفة بشمال
المغرب، جعل المدرسة الأهلية تشكل
مهذا للنهضة الوطنية بمدينة تطوان
والمنطقة الشمالية، بل هي أيضا حسب
أحمد بن جلون الذي كان أحد تلامذتها
"منبع النهضة المباركة، ففيها نفثت
روح الوطنية في نفوس الشباب المغربي
الثائر، ومنها انبعثت أشعة النور
الأولى التي أضاءت السبيل لهذا الشعب
الضليل"²، ومنها أيضا انطلقت
البعثات التعليمية للمشرق، للكرع من
مناهل العلم والمعرفة والتشبع
بالروح الوطنية والاقتباس من النهضة
المشرقية التي كانت في أوجها إذ
ذاك، ولذلك يكفي المدرسة الأهلية
"فخرا أن يكون أغلب قادة ... الحركة
الوطنية بالعاصمة من متخرجيها أو من
الذين سبق لهم الدراسة فيها وتشبعوا
بروحها، فهي إذن أم الوطنية الحنون،
وإليها يرجع الفضل الأكبر في إخراج

¹ - رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطيب، بتاريخ
أكتوبر 1932، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، م. س، ص. 173.

² - الصفار، حسن، "الفقيه محمد داود ..."، م. س، ص. 12.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----
هذه المبادئ المقدسة إلى حيز
الوجود"¹.

3. البعثات الطلابية للمشرق أساس الحفاظ على الهوية المغربية والثقافة العربية الإسلامية

نتج عن ضعف التكوين العلمي الذي
كان يتلقاه الطلبة بالمغرب
ومحدوديته، تفكير النخبة المثقفة
بشمال المغرب في إرسال بعثات طلابية
إلى خارج المغرب وخاصة المشرق،
للنهل من المدارس والجامعات الحديثة
التي كان يدرس بها العلوم العصرية.

¹ - نفسه، ص. 12.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وراودت النخبة المثقفة هذه الرغبة
في بعث الطلبة إلى المشرق منذ وقت
مبكر، حيث كان السيد علال الخطيب هو
المحفز لابن عمه السيد محمد العربي
الخطيب للذهاب إلى القاهرة للدراسة
في دار الدعوة والإرشاد والأخذ عن
الشيخ رشيد رضا، كما أنه حاول أن
يرسل ولده السيد محمد الخطيب
لدراسة في بيروت في سنة 1914، غير
أن أحداث الحرب العالمية الأولى حالت
دون تحقيق ذلك¹.

كما نجد الحاج عبد السلام بنونة،
يفكر منذ نهاية الحرب العالمية
الأولى في أن يبعث إلى بيروت أخاه
امحمد وصديقه التهامي الوزاني، الذي
قال عن ذلك: "وضعت الحرب العالمية
1914-1918 أوزارها، وعادت الدنيا
إلى نوع من الطمأنينة... كان الحاج
عبد السلام بنونة يفكر في أن يبعثني
ويبعث أخاه محمد بنونة إلى الدراسة
في بيروت فإن مسألة التعليم الحديث

¹ - "الحديث الذي ألقاه الطيب بنونة في ندوة عقدتها
جمعية قدماء تلاميذ المعهد الحر بتاريخ 5 مارس 1979"،
أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ
الطيب بنونة، ج. 2، ملف إلكتروني مضغوط، ص. 322.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

كانت الشغل الشاغل للحاج عبد السلام بنونة¹.

ونظرا لعدم تحقيق هذه الأمنية سجد
بنونة "ينظم بعثة علمية إلى فاس
فصرف جهده لتنفيذ فكرته وذاكر في
الأمر أولياء نجباء التلاميذ فتألفت
بعثة، هي أول البعثات من تطوان إلى
فاس بعد الاحتلال الأجنبي"²، وذلك سنة
1919، والتي كان من أعضائها محمد بن
النبخوت ومحمد طنانة وامحمد بنونة
وعبد الرحمن اليعقوبي وعبد الكريم
الدليرو ومحمد القاسمي وأحمد بن
إدريس وعلي الذهبي وأحمد الفرطاخ
ومحمد الكحاك ومصطفى بن المفتي ثم
لحق بهم محمد داود³.

وبمجرد ما عاد امحمد بنونة إلى
مدينة تطوان في أواخر سنة 1922، حتى
وجد أخاه الحاج عبد السلام بنونة
يسارع إلى بعثه لمصر في شتنبر من
نفس السنة، التي أقام بها حوالي
سنتين، اتصل فيها بكثير من علمائها
وأدبائها⁴، وهو ما أكده الطيب بنونة
بقوله: "وبعد الحماية شجع الحاج عبد

¹ - الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 56.

² - نفسه، ص. 105.

³ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 180.

⁴ - نفسه، ص. 195.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

السلام بنونة أخاه محمد علي الذهاب
إلى مصر عندما عاد من فاس، فأقام
بها مدة وعاد يحمل روحا ونهضة كنا
في حاجة إليها في وسطنا الخامل"¹.

كما فكر محمد بن عبد الكريم
الخطابي، عند تأسيسه لحكومة الريف
الجمهورية في إيفاد بعثة تعليمية
سنة 1923 إلى الخارج لتكوين جيل من
الأساتذة والمعلمين، حيث يقول محمد
الرايس في مذكراته: "وفي سنة 1923
قرر الأمير إرسال بعثة تتكون من
أربعين طالبا إلى فرنسا ومصر، وكنت
من بين المرشحين ضمن البعثة، ...
ولأسف لم يكتب لهذه البعثة أن تتوجه
خارج الوطن، إذ تأزمت العلاقة بيننا
وفرنسا حول المسألة الحدودية وتحولت
لاحقا إلى حرب ضروس"².

نتج هاجس إرسال بعثات تعليمية إلى
الخارج، عن عدم اقتناع النخبة
المثقفة بشمال المغرب بما كان
يتلقاه الطلبة بجامعة القرويين،
التي كانت الدراسة بها في ذلك العهد

¹ - "الحديث الثاني الذي ألقاه الطيب بنونة بمكتبة
الطريس حول مرحلة ما بين سنتي 1925 و 1935"، بتاريخ 29
أبريل 1979، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الأستاذ الطيب بنونة، م. س، ج. 2، ص. 333.
² - الرايس، محمد، شهادات عن المقاومة ...، م. س، ص. 30.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

حسب محمد داود عبارة عن "فوضى، فلا
نظام ولا تنظيم، كل واحد يقرأ ما
يشاء على من يشاء متى شاء لا مراقبة
ولا امتحان ولا نقل ولا شهادة"¹، كما
لم يكن يُدرس بها آنذاك العلوم
الحديثة وإنما كان كل ما يتلقاه
طلبتها مرتبطاً بالعلوم الشرعية
والفقهية، ولا يتخرج منها إلا الفقهاء
والقضاة، في حين كانت هذه النخبة
ترى أن المغرب متوقف على رجال
متحصنين بالعلوم الحديثة. ولذلك لم
يكن بنونة مقتنعا بأن الدراسة في
القرويين مسايرة لذلك الوقت لما
ينقصها من منهاج تعليمي مبني على
هذا الأساس².

وهكذا فإن التفكير في تأسيس
المدرسة الأهلية سنة 1924، كان الهدف
منه هو تكوين النواة للبعثات
العلمية للخارج، ولذلك بمجرد ما
تخرج الفوج الأول من هذه المدرسة سنة
1927 بعد ثلاث سنوات من الدراسة بها،
عزم بنونة على إيفاد بعثة إلى
المشرق العربي. لكونه كان يرى أن
الدراسة الإسلامية والتزود بالروح

¹ - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 188.

² - بن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 1، ص. 259.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الدينية هي أساس لكل إصلاح، نجده
يبحث هؤلاء التلاميذ للدراسة أولاً
بالقرويين بفاس، ليستغل الوقت
الكافي لاختيار المدرسة المناسبة لهم
بالمشرق¹، وتشكلت هذه البعثة التي
توجهت إلى مدينة فاس من الطيب بنونة
وأحمد الخطيب ثم أحمد بن عبد الرحيم
مدينة، ثم عبد الخالق الطريس ومحمد
بن مصطفى أفيال وتبعهم أحمد بن علال
عزيما و أمحمد بن عبد السلام بن
عبود².

وكان بنونة يتردد على مدينة فاس
لتتبع الدراسة التي كان يتلقاها
أعضاء هذه البعثة بالقرويين، خوفاً
عليهم من أن تجرفهم "التيارات
الجامدة والأوساط الرجعية التي كانت
إذ ذاك لا تزال في سيطرتها
وغلوائها"، كما كان يلزمهم "بحضور
دروس العلامة المصلح الكبير سيدي
محمد العربي العلوي (الذي) كان مجلس

¹ - "الحديث الثاني الذي ألقاه الطيب بنونة بمكتبة
الطريس حول مرحلة ما بين سنتي 1925 و 1935"، بتاريخ 29
أبريل 1979، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الأستاذ الطيب بنونة، ج. 2، م. س، ص. 333.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 29.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

درسه معروفًا بأنه مجلس ثورة على الأوضاع في المغرب"¹.

وفي الوقت الذي كان فيه هؤلاء
التلاميذ يدرسون بجامع القرويين كان
بنونة يتراسل مع المعاهد والجامعات
المشرقية، ويبحث عن العلوم التي
تدرس بها، وشروط قبول التلاميذ
المغاربة للدراسة بها، حث نجله في
فاتح غشت 1927، يوجه رسالة للعالم
الشيخ عبد القادر المغربي يطلب منه
معلومات حول إمكانية التحاق الطلبة
المغاربة بالجامعة السورية²، ومن
الأسئلة التي جاءت فيها:

"هل يقبل من سنه بين 20/15 سنة.
ماذا يشترط في قبوله من المبادئ
وهل يقيد من لا مبادئ عنه
وما هي العلوم التي تدرس بالكلية
هل بهذه الكلية قسم داخلي
وإذا وجد فما قيمة صوائره الشهرية
وبالجملة إن كان هناك بروجرام
وجهوا لنا مع زيادة إيضاح"³.

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ
الطيب بنونة، ج. 2، م. س، ص. 333.

² - بن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، ج. 1، م. س، ص. 257.

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 29.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وبعدما أحال الشيخ عبد القادر
المغربي هذه الرسالة على رئيس
الجامعة السورية، قام هذا الأخير
بالإجابة عن كل تلك الاستفسارات في
رسالة مؤرخة ب 10 شتنبر 1927¹، وبَيَّنَ
أن الالتحاق بمعهدى الطب والحقوق
بهذه الجامعة يشترط أن يكون التلميذ
قد أنهى "دراسته الثانوية وحائزا
على شهادة البكالوريا"، أما إذا
"كان التلميذ دارس الدروس الابتدائية
فقط فبإمكانه الدخول في إحدى
المدارس الوطنية التي تدرس العلوم
الابتدائية والثانوية"².

كما طلب الحاج عبد السلام بنونة من
محمد بن الحسن الوزاني الذي كان
يتابع دراسته بفرنسا، أن يستفسر
زملاءه الطلبة العرب الموجودين
بباريس عن المدارس العربية، فاستطاع
بنونة بواسطة الوزاني أن يحصل على
تقرير مفصل بعثه له سنة 1928 السيد
فريد زين الدين، الذي كان يدرس
بباريس آنذاك، يحتوي على أهم
المدارس الموجودة في سوريا

¹ - بن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، ج. 1، م. س، صص. 257 - 258.

² - "رسالة جوابية من رئيس الجامعة السورية بتاريخ 10 شتنبر 1927"، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب...، م. س، ص. 30.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وفلسطين¹ ، والعلوم التي تدرس بها
ونوع الشهادات التي تمنحها وآفاقها
بالجامعات، ومن أهم هذه المدارس
التي وردت في التقرير "مدرسة
النجاح" بنابلس، و"مدرسة روض
المعارف" بالقدس، وكذلك مجموعة أخرى
من المدارس الدنية، وغير الدينية في
سوريا².

وعندما حصل بنونة على ما يكفي من
المعلومات حول المدارس الشرقية،
بعد طول بحث وتحري³، وقع اختياره
على مدينة نابلس بفلسطين "لكون
مدرستها (النجاح) مبنية على أساس
ديني"، وكانت غاية بنونة هي التحاق
التلاميذ "بالمدرسة النظامية التي
يشمل برنامجها الدين الحنيف"⁴.
ولذلك قرر في سنة 1928، أن يرسل أول
بعثة تعليمية لمدة تجريبية تستغرق
سنة، مكونة من التلميذين محمد بن

¹ - "الحديث الذي ألقاه الطيب بنونة بمكتبة عبد الخالق
الطريس حول مرحلة ما بين سنتي 1925 و1935، بتاريخ 2 أبريل
1979"، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الأستاذ الطيب بنونة، ج. 2، م. س، ص. 334.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، صص. 31-36.

³ - عزمان، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،
م. س، ص. 42.

⁴ - رسالة من الحاج بعبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
24 أكتوبر 1928، أنظر: بن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 268.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مصطفى أفيلال والطيب بنونة¹، وذلك ما
أشار إليه هذا الأخير بقوله: "وفي
صيف سنة 1928 عزم والدي على تنفيذ
فكرة البعثات فاستدعاني (من فاس)
للحضور إلى تطوان للتهيء للسفر إلى
المشرق وكان المرحوم سيدي مصطفى
أفيلال يؤازر والدي في هذه المحاولات
الجريئة بالنسبة لذلك الوقت فقرر
أيضا أن يصاحبني ولده صديقي المرحوم
سيدي محمد الذي كان إذ ذاك يدرس
بفاس"².

وغادرت هذه البعثة مدينة تطوان في
اتجاه مدينة نابلس الفلسطينية
بتاريخ فاتح أكتوبر 1928³، إذ يقول
الطيب بنونة: "وفي أواخر سبتمبر
1928⁴ كان الوالد رحمه الله يودعنا نحن
الاثنين أفيلال وعبد ربه في ميناء جبل

¹ - KHTIB, Toumader, Culture et Politique dans le
mouvement nationaliste marocain au Machreq,
Publication de l'Association Tétouan Asmir, 1996, p.
13.

² - "الحديث الذي ألقاه الطيب بنونة بمكتبة عبد الحالق
الطريس حول مرحلة ما بين سنتي 1925 و1935، بتاريخ 2 أبريل
1979"، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الأستاذ الطيب بنونة، ج. 2، م. س، ص. 334.

³ - بن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 1، صص. 257 - 258.

⁴ - أغلب الدراسات تشير إلا أن تاريخ مغادرة هذه البعثة
لمدينة تطوان كان بتاريخ فاتح أكتوبر 1928، وليس كما
ذكر الطيب بنونة.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

طارق وقد رافقنا على ظهر الباخرة
أخونا الحاج أحمد بلافرج الذي كانت
وجهته مثلنا ولكن بقصد الدراسة
بمصر"¹.

ووصل أعضاء هذه البعثة إلى
القاهرة يوم 12 أكتوبر² ، التي
تأخروا بها أزيد من عشرين يوما ،
نظرا لعدم حصولهم على تأشيرة الدخول
إلى فلسطين إلا بعدما جاء تعهد من
مدرسة النجاح يثبت قبولهم للدراسة
بها وتضمن وجودهم بفلسطين³ ، وفي هذه
المدة التي قضاها الطيب بنونة ومحمد
بن مصطفى أفيال وصلت بعثة أخرى من
تطوان لمتابعة دراستها بمصر وكان من
أعضائها محمد الطنجي وعبد الخالق
الطريس، الذي كتب في مذكرته بتاريخ
5 أكتوبر 1928 "غادر الطريس مسقط
رأسه متوجها إلى القاهرة للمرة
الأولى فكان حلولة بالعاصمة المصرية

¹ - "الحديث الذي ألقاه الطيب بنونة بمكتبة عبد الخالق
الطريس حول مرحلة ما بين سنتي 1925 و1935، بتاريخ 2 أبريل
1979"، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الأستاذ الطيب بنونة، ج. 2، م. س، ص. 334.
² - بن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية الحاج ...،
م. س، ج. 1، صص. 257-258.

³ - "الحديث الذي ألقاه الطيب بنونة بمكتبة عبد الخالق
الطريس حول مرحلة ما بين سنتي 1925 و1935، بتاريخ 2 أبريل
1979"، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الأستاذ الطيب بنونة، ج. 2، م. س، ص. 335.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يوم 17 من نفس الشهر. وفي 22 منه
التحق بجامعة الأزهر الشريف حيث ظل
إلى أن التحق بالجامعة المصرية يوم
18 مارس 1929¹.

أما الطيب بنونة وصديقه محمد بن
مصطفى أفيلال، فلم يصلا إلى نابلس إلا
بتاريخ 31 أكتوبر من سنة 1928²،
وكانا يحملان معهما رسالة من الحاج
عبد السلام بنونة إلى مدير مدرسة
النجاح السيد محمد درزه يطلب منه
فيها أين يكون لهم "أبا شفوفا" وأن
يخبره بأحوالهم وسيرتهم واجتهادهم
في دراستهم³، وقد أجاب مدير مدرسة
النجاح عن هذا المرقوم برسالة تحمل
تاريخ 7 نونبر 1928، يطمئن فيها كل
من بنونة ومصطفى أفيلال عن ابنيهما⁴.

كما توصل بنونة برسالة أخرى
بتاريخ 1 نونبر 1928، من وكيل مدرسة
النجاح بنابلس السيد أديب مهيار جاء
فيها: "فالحمد لله على وصولهما
بالسلامة وسيجدون إن شاء الله في

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، ج. 1، ملف إلكتروني مضغوط، ص. 6.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ...، م. م. س،
ج. 1، صص. 257 - 258.

³ - نفسه، ص. 266.

⁴ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ
الطيب بنونة، ج. 1، م. م. س، ص. 25.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مدرستنا ما يحقق آمالكم بهما. بعد
الاختبار تبين أن السيد الطيب ورفيقه
أقوياء في التعليم الديني واللغة
العربية، بالنسبة للصف الثالث
الاستعدادي، الذي اخترناه لهما حسب
مقدرتهما وبما أنهما ضعفاء بعلم
الحساب قد اخترنا لهما معلما خصوصيا
غير معلم الصف، واخترنا معلما آخر
لتعلم اللغة الانجليزية بصورة خصوصية
وأما سائر العلوم التي تدرس في الصف
فيمكنهما الاستفادة منها في نفس الصف
المخصص لهما، وأملني بهما وطيد بأن
يواصلوا الجد ليحوزا على درجة مرضية
ويكونا في مقدمة رفاقهما"¹.

ونظرا لهاجس النخبة المثقفة في
تكوين جيل من الأساتذة والأطباء
والمحامين والمهندسين، وغيرها من
المهن التي كان المغرب في أمس
الحاجة إليها لبناء نهضته، نجدها
تتابع خطوات هؤلاء الطلبة وتقوم
بإرشادهم ونصحهم²، لحمايتهم من أي
انزلاق في ملامهي الحياة المختلفة ببلاد
المهجر، أو انشغالهم بالسياسة
والتخلي عن الغاية الأولى التي

¹ - نفسه، ص. 27.

² - عزيमान، محمد، "عمل الحاج عبد السلام بنونة ..."، م. س، ص. 33.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

هاجروا من أجلها والمتمثلة في
التعليم وتلقي العلوم العصرية¹ ،
ولهذا نجد بنونة يقول لولده الطيب:
"واجتناب التداخل في السياسة
والتعرف برجال الأحزاب إلخ إلخ مما
يشغل الوقت ويضيع فيه عمر الطالب
وقد دعوت لك بما أرجو قبوله لما قمت
به من تعاطي الدروس العلمية في
الأيام القلائل، التي حكمت الأقدار
عليك أن تفهمها بالقاهرة، فالوقت يا
ولدي ذهب، فإما ادخرت منه لمستقبل
حياتك أو أنفقتة في الملاهي فمضى عنك
وذهب"² ، والشيء نفسه أكده عليه عمه
امحمد إذ قال له: "لا أريد أن تشتغل
بغير العلم الذي هجرت مضجك بين
إخوانك لأجله إذ يا أخي حياة المدرسة
معدودة دقائقها وحياة السياسة
والنهضة والجرائد وغيرها لا تفوت بعد
قضاء الوطر ونيل الشهادات... وعليه
فإني أحرص عليك بكل تأكيد أن تجتهد
وتحث رفيقك على الاجتهاد في دروس

¹ - نقلا عن: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....،
م. س، ج. 1، ص. 268، الهامش 111 مكرر.

² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب، بتاريخ
29 أكتوبر 1928، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من
أعلام تطوان الحاج عبد السلام بنونة، ج. 1، م. س، ص. 114.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العلم الصحيح الذي به تكون النهضة وبه يكون كل شيء"¹.

إن هذه النصائح للابتعاد عن
السياسة التي كانت تسديها النخبة
المثقفة لأعضاء البعثة التجريبية،
جاءت بناء على بعد نظر، ورؤية عميقة
لسياق الأحداث التي كان يعيشها
المغرب في عهد الحماية، فكانت هذه
النخبة تخشى أن تكون أنشطة هؤلاء
التلاميذ السياسية ضد الاستعمار سببا
في منع بعثات تعليمية أخرى إلى
الخارج، ولذلك عندما أخبر الطيب
والده بأنه سيقوم بإلقاء محاضرة
بنادي جمعية الشبان المسلمين حول
التعريف المغرب يوم 27 مارس 1929²،
وجد بنونة يقول له: "كن حذرا في
خطابك من تنقيص دول الاستعمار قبح الله
سعيهم، إذ لا يخفاك أن الإعلان
بالحقائق يؤلمهم، ويحسبون له ألف
حساب، وربما نتج عن ذلك منع سفر
التلاميذ للخارج، ونحن نرغب بكل
قوانا أن ييسر لنا الله بعثة حسنة
لمدرستكم ولغيرها، تهيئة لرجال

¹ - رسالة من امحمد بنونة للطيب بنونة بتاريخ 23 أكتوبر
1928، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، صص. 35.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س،
ج. 1، ص. 288.

المستقبل، ولأجل هذه العلة، خذ من
التقارير ما تراه غير مضر لك إن
صرحت به، واعلم أن الجسوسية ربما
كانت معكم في داخل المدرسة، ولست
أخوفك بهذه العبارات، فأنت تعلم عدم
اكتراثي بحياتي أمام الواجب القومي
والديني، لكني أريد أن تكون أنت
سياسيا أكثر منك صريحا، وربما كان
التلويح في عدة مسائل أبلغ من
التصريح"¹. كما يقول له في رسالة
أخرى "نسأله الله جل شأنه أن يعمي عيون
الإسبانيين عن شبيبتنا الناهضة حتى
نرى جما وافرا منهم يدرسون العلوم
والمعارف بالخارج"².

وجاء هذا التخوف من منع بعثات
أخرى إلى الخارج، في الوقت الذي كان
فيه هاجس النخبة المثقفة هو زيادة
عدد المستفيدين من هذه البعثات، عن
طريق القيام بحملة واسعة للترويج
لمدرسة النجاح بنابلس وأهمية
الدراسة بالخارج، حيث نجد بنونة

¹ - رسالة من بنونة لولده الطيب بتاريخ 13 مارس 1929،
أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب....، م. س، صص. 83-84؛ ابن عزوز حكيم،
محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1، ص. 289.

² - رسالة من بنونة لولده الطيب بتاريخ 14 فبراير 1930،
أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م.
س، ج. 1، ص. 311؛ وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام
الحركة الوطنية بشمال المغرب....، م. س، ص. 112.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يقول لولد الطيب: "لا يخفاك أني أريد
أن أهني أخاك المهدي لتوجهه للمدرسة
في سن أصغر من سنك وعليه، فأطلب من
فضيلة الأستاذ السيد محمد عزة درزة
الإرشادات ووجه لنا كتب الدروس
الأولية التي يمكنه قراءتها بهذه
الديار، لعله يفوز بنقص بضع سنوات
كما أنني أرغب في نسخة تامة من جميع
الكتب التي تدرس بها شهادة
الباكلوريا بمدرسة النجاح"¹.

ولم يكن بنونة يفكر فقط في تعليم
أبنائه، وإنما "كان يسعى إلى غاية
كبرى، وهدف سام لأحداث تطور يعود
بالنفع على هذا الشعب الغافل
المتقاعس"²، عن طريق تكوين نخبة
مقتدرة يعهد إليها تكوين أجيال
المستقبل، ولذلك طلب من ولده الطيب
أن يرسل له عدة نسخ من برنامج مدرسة
النجاح ليوزعها على الآباء في شمال
المغرب وجنوبه، القادرين على إرسال
أبنائهم إلى الشرق، وذلك ما أشار

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 48.

² - "الحديث الذي ألقاه الطيب بنونة بمكتبة عبد الخالق
الطريس حول مرحلة ما بين سنتي 1925 و1935، بتاريخ 2 أبريل
1979"، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الأستاذ الطيب بنونة، ج. 2، م. س، ص. 334.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إليه في إحدى رسائله¹ لولده الطيب:
توصلت بخمس نسخ من برنامج المدرسة،
ولقد أحسنت كل الإحسان لأن الأحياء
أكثرنا علينا من طلبه، ولنا أيضا
رغبة في نشر الدعوة لمدرستكم
الإسلامية المطهرة²، كما يقول في
رسالة أخرى³ "أظنني أخبرتك قبل هذا
بكون عبد الرحمن برادة الذي كتب لك
من فاس عازما على التوجه لمدرستكم
وصحبته أخوه العربي، وربما توجه
غيرهما من الشبان، فإني قائم
بالدعاية في مجالس الأفاضل من
إخواننا المغاربة"⁴، والشيء نفسه
تؤكدده رسالة أخرى بتاريخ 12 أبريل
1929، والتي جاء فيها: "أكد علي
السيد محمد الحلو أن أسألك إذا كان
في الإمكان قراءة ولده بمدرسة النجاح
اللغة الفرنسية زيادة على الانجليزية
حيث لا يخفأك أن أهل فاس والمنطقة
الفرنساوية عموما تهمهم جدا اللغة
الفرنسية، فتذاكر في الموضوع مع

¹ - رسالة بتاريخ 22 يناير 1929.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 1، ص. 310.

³ - رسالة بتاريخ 9 فبراير 1929.

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 1، ص. 310.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

سيادة المدير وأجبنا عاجلا لنخبره
بما يكون"¹.

فرغبة بنونة الكبيرة في إرسال
بعثة أخرى تتكون من أكبر عدد من
التلاميذ، جعلته لا يكتفي فقط بالقيام
بالدعاية لمدرسة النجاح، بل إنه
"فرض على البعثة الأولى أن تغادر...
وتعود إلى تطوان بعد سنة دراسة وهي
محافضة على مظهرها في اللباس
التقليدي، فالجلاب والطربوش
التقليدي"، وذلك حتى لا يبدون أنهم
"تفرنجوا" وخرجوا "على حدود الشريعة
والأعراف"، كما أوصاهم "بعدم التعرض
لأفكار تكون في نظر الجماعة تطرفا
وخروجاً على المألوف"².

وسيسدي الطيب بنونة النصيحة نفسها
لزميله عبد الخالق الطريس قبل عودته
من مصر إلى تطوان في 7 يونيو 1930 ،
حيث قال له: "إياك أن تجهر بأفكارك،
تعلم أنهم لا يفهمونها ولا يعلمون
القصد منها، وليكن حديثك دائماً حول
العلم وفضائله (وبالأخص العلم

¹ - نفسه، ص. 311.

² - "الحديث الذي ألقاه الطيب بنونة بمكتبة عبد الخالق
الطريس حول مرحلة ما بين سنتي 1925 و1935"، بتاريخ
2 أبريل 1979، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الأستاذ الطيب بنونة، ج. 2، م. س، ص. 335.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحديث)، وشرح أحوال الأمم الراقية،
مع مقارنة بنا بالغير فإنك تجد أنصاراً
إذا كان هذا حديثك. ولا تفهم من كلامي
أنني أخاف من أن نجهر بأفكارنا. كلا
ثم كلا، وإنما أحب أن نؤجل ذلك لوقت
آخر، أما الآن فلنمش بطريقة نقوي بها
سوادنا ونجلب بها قلوب الناس. وأما
إذا حاولنا من الآن معارضتهم في
النقط المهمة الكبيرة. فمن المستحيل
أن ننجح في المستقبل لأنهم لا يفهمون
شيئاً من الحياة والأمر لله¹.

وعند رجوع أعضاء هذه البعثة
التجريبية إلى تطوان في صيف 1929
لقضاء عطلة نهاية السنة، كانت
النخبة المثقفة تجري على قدم وساق،
من أجل تجهيز بعثة علمية جديدة،
تنطلق إلى المشرق في بداية الموسم
الدراسي الجديد، وبالفعل تكونت هذه
البعثة بفضل مجهودات النخبة المثقفة
في إقناع مجموعة من الآباء، وكذلك
بفضل النجاح الذي حققه أعضاء البعثة
الأولى التجريبية، وهو ما عبر عنه
علال الفاسي في رسالة منه إلى صديقه
في الدراسة الطيب بنونة بتاريخ 9

¹ - رسالة من الطيب بنونة إلى عبد الخالق الطريس في
منتصف سنة 1930، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من
أعلام تطوان الأستاذ الطيب بنونة، م. س، ص. 39.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

شتنبر 1929، والتي جاء فيها: "أتعلم
أيها الأخ أنك منذ سافرت إلى مدرسة
النجاح، ونحن نعلق عليكم من الآمال
في توجيه شطر البعثات التطوانية.
إلى تلك الناحية المشرقية ليستفيدوا
من المعارف، ما يكون لهم عوناً في
المستقبل على خدمة هذه¹ الأمة
المنكودة الحظ، وهل تدري أننا اليوم
نرى تلك الآمال تحقق شيئاً فشيئاً بإذن
الله؟؟ .. وقد رأيناك ورفيقك -أفيلال-
ذلك المثال الذي استطاع أن يقوي
جانب البعثات المغربية في البلدان
المتعلمة. فكن يا أخي وجميع رفقاءك
الجدد أن يكونوا دائماً خير مثال
صالح تقتدي به الأمة. حتى نرى
البعثات المغربية منبثة في أنحاء
العالم وأصقاعه المهدبة. وحي تجني
البلاد من تلك الثمرات ما هي محتاجة
إليه منذ أزمان"².

وتكونت البعثة الثانية من ثمانية
أعضاء جدد، حيث انضاف إلى البعثة
النابلسية الأولى كل من المهدي
بنونة، وعبد السلام ابن جلون، ومحمد
بن عبد السلام الحلفوي، ومحمد بن عبد

¹ - في الأصل كتبت هكذا: هاذه.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب.... م. س، ص. 96.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

السلام الخطيب، في حين توجه محمد
الطنجي لمتابعة دراسته بالقاهرة،
كما لحق بهم عضو آخر من مدينة سلا
وهو عبد المجيد حجي، وعن هذه البعثة
يقول محمد بن محمد الخطيب الذي كان
أحد أعضائها: "وما أن دار الحول
وعادت البعثة الأولى في إجازتها
السنوية، حتى انضم إلى تلك البعثة
عدد آخر من الأفراد وكنت ممن ساعدهم
الحظ بالانضمام لتلك البعثة"¹.

وانطلقت هذه البعثة الثانية من
مدينة تطوان، في شهر شتنبر من سنة
1929، وكان وصولها إلى نابلس بتاريخ
24 من الشهر نفسه²، وعن تسجيل أعضاء
البعثة الجدد بمدرسة النجاح يقول
بنونة: "بشرتمونا بحسن سيرة المهدي،
وكون الأساتذة تبينت لهم نجابته،
ورقوه للصف الأول الاستعدادي. فلا تسأل
عن سروري العظيم بهذا الخبر... كما
علمت بانخراط بقية الإخوان في الصف
الثالث الاستعدادي أعانهم الله"³.

¹ - نقلا عن: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية
....، م. س، ج. 1، ص. 307.

² - نفسه، ص. 308.

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب....، م. س، ص. 98.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أما عن محمد الطنجي الذي توجه
لدراسة بمصر، فنجد بنونة يكتب لعبد
الخالق الطريس قبل انطلاقة البعثة
الثانية من مدينة تطوان، يخبره بأمر
قدومه، حيث يقول له: "لقد يسر الله
الأسباب لأخيكم الفقيه السيد محمد
الطنجي، بعد سلامه عليكم، وتراه
يبارج المغرب في الأسبوع الداخل إلى
مصر القاهرة، لطلب العلم الشريف ولا
ريب أن مقامه يكون معكم، فكن له خير
معين ومساعد"¹.

ونظرا لانقطاع الأخبار عن الطنجي،
نجد بنونة يقول لولده الطيب: "لقد
كنت منزعجا كثيرا على السيد محمد
الطنجي، لأنك لم تتعرض له في المكاتب
السابقة ولا بكلمة وأرجو أن يكون
وصله كتاب الضمانة من سيدي إبراهيم،
ودخل القطر المصري على أحسن حال
وغدا أو بعده، أوجه له الدراهم ليد
سيدي إبراهيم المراكشي"².

¹ - رسالة من بنونة إلى عبد الخالق الطريس بتاريخ 7
شتنبر 1929، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية ...، م. س، ج. 1، ص. 309.

² - رسالة من بنونة إلى الطيب بنونة بتاريخ 20 شتنبر
1929، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة
الوطنية بشمال المغرب...، م. س، ص. 99.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كان هذا التقدم الملموس في إرسال
البعثات إلى الخارج الذي حققته
النخبة المثقفة بشمال المغرب، لابد
وأن يثير حفيظة إدارة الحماية
الإسبانية، التي كانت متوجسة من هذه
الخطوة، ولم يكتف بعض رجال الإدارة
الإسبانية ذلك الشعور، فعلى سبيل
الذكر لا الحصر، عندما كان بنونة
يودع تلاميذ البعثة الثانية بميناء
سبته إلتقى هناك برئيس اللفيف
الأجنبي الإسباني الجنرال **ميان
أسطراي**، الذي سأل بنونة عن موضوع
ذلك الوداع فأخبره هذا الأخير بأمر
إرساله لبعثة علمية إلى نابلس، فلم
يستطع هذا العسكري أن يخفي تأثيره
بالأمر وقال لبنونة: **"ها إنك تهين
الجيل الذي سيطردنا من المغرب"**¹.

وسيزداد هذا التخوف الذي كان قد
بدأ ينتاب الإدارة الاستعمارية
الإسبانية من أمر البعثات إلى
الخارج، بعدما فكر الطلبة المغاربة
بنابلس في تأسيس جمعية للدفاع عن
القضية المغربية، ولقد تنبأ بنونة
بخطورة الأمر على مستقبل البعثات إلى

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 1، صص. 307-308.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الخارج، حيث نجده منذ أن أخبره ابنه
الطيب بأمر هذه الجمعية، حتى بعثه
له رسالة بتاريخ 7 مارس 1930 جاء
فيها: "أرجو أن لا يعود أحد منكم
لذكر أعمال جمعيتكم التنفيذية، بل
حتى ولا يسميها أبدا، لأن خبرها قد
شاع هنا وأنتم تعلمون حالة قومنا،
فلربما تسببتم في ضرر أهلكم إذا صعب
الوصول إليكم، والحق أنكمم الآن في
الحياة المدرسية لا في المرافعة
السياسية، فتنبه يا ولدي ولا تعتقد
أن كل الآباء مثلي يرتاحون لأعمالكم
هذه. أو يعلمون حقيقة هذه الدراسة
والتدريب، وعلى كل حال، الأولى ترك
هذه الأفكار التي يجب أن تنفذ في يوم
من الأيام إلى أن تنتهوا من دراسة
العلوم"¹.

ولم يخطئ ظن بنونة، في شأن خطورة
خوض الطلبة الذين يدرسون بالخارج في
الأمر السياسية، حيث بعث القنصل
الإسباني بالقدس إلى وزارة خارجية
بلاده، مباشرة بعد تأسيسها، رسالة
مؤرخة ب 20 مارس 1930، يقول له
فيها: "بلغني أن طلبة تطوان الذين

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب....، م. س، ص. 116.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يتابعون دراستهم بإحدى مدارس نابلس،
يفكرون في تأسيس جمعية سياسية سرية،
بهدف الدفاع عن المغرب بالخارج،
وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على
أنهم لم يأتوا إلى هنا من أجل
الدراسة، بل لأغراض سياسية خصوصا بعد
أن أصبح عددهم ينمو يوما بعد يوم"¹.

وبناء على هذه الرسالة، وجه مدير
إدارة المغرب والمستعمرات بمدير
إلى المقيم العام بتطوان رسالة
بتاريخ 6 أبريل يقول له فيها: "يجب
تنبيه بنونة على ما يقوم به الطلبة
التطوانيون، الذين يوجدون بمدينة
نابلس الفلسطينية، من أعمال تتنافى
والشروط التي على أسساها سمحنا لهم
بمتابعة دراستهم هناك"².

وبالفعل بعث بنونة رسالة مطولة
لولده الطيب بتاريخ 2 أبريل 1929،
ينصحه فيها مرة أخرى، هو وأصدقاؤه
بعدم الخوض في السياسة، حتى لا يكون
نشاطهم سببا في منع طلبة آخرين من
متابعة دراستهم بالخارج، حيث جاء في
هذه الرسالة: "ولدي العزيز ... إن

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 1، ص. 368.

² - نفسه، ص. 368.

ما ذكرتموه بشأن جمعيتكم، إلخ...
كله أعلمه وإني على يقين من ثباتكم،
وعدم تهيبكم حتى من الموت في سبيل
الصالح العام للوطن والإسلام؟ والمراد
بل الضالة المنشودة يا عزيزي هي
خدمة الوطن والإسلام حتى يوجد عندنا
بالمغرب عدد وافر من أمثالكم، الذين
لا يهابون المنون، وعندما يكثر عددكم
بحول الله وقوته وتربون شبيبة صالحة
مهذبة... حينئذ يحق لكم أن تجهروا
بالحق، وإن كان مرا وتدافعون عنه
بالنفس والنفيس... أما أعمالكم الآن
وأنتم تعدون على الأصابع، فتعد من
الطيش والمجازفة في الإلقاء بالنفس
إلى التهلكة، ولا نتيجة إلا وقوفكم
حجرة في سبيل من يريد دراسة العلوم
والمعارف خارج القطر، وإني وإن كنت
أعلم طفرة الشباب وصعوبة ردع فرسها
الجامح، وخصوصا بسهول الحرية التي
تمرحون على بسيتها، أقول لكم على
سبيل النصح، وما علمتني الأيام بعد
تلاطم أمواج السياسة الخبيثة... إن
الأمر الواحد الذي يجب عليكم الاهتمام
به، هو التخصص في المعارف على
اختلافها فتأتون بحول الله وقوته إلى
هذه الديار وهمكم الوحيد إخراج
بنيها من مخالب الجهل والفتنة،

والعلم كفيل بحرية الأوطان متى ساد
بين أهلها، فالأولى والأجمل بكم الآن
إذا أردتم التمرن على تأليف
الجمعيات وتنظيم المذاكرات وتأسيس
المهمات، أن تستبدلوا اسم جمعيتكم
باسم «جمعية نهضة العلوم والمعارف»
أو ما يكون هذا معناه، حتى لا يعكر
جو السياسة، ولا يكون عقبة في سبيل
غيركم، ويمكنكم الجهر به هنا
وهناكم، ولتكن في ذلك وصلة بينكم
وبين التلامذة الوطنيين بمصر، بصفاتهم
أعضاء للجمعية، ولكم أن تسألوا تحت
هذا الاسم نخبة المفكرين من جهابذة
العالم الإسلامي عن الطرق الناجحة
والأدوية الناجعة لإصلاح بلاد كبلادنا
المنكوبة، وتربية أبناء وطن ضرب
الجهل عليه أطنابه، وخيم العدو بين
أرجائه، وإذا توصلتم يا ولدي العزيز
بحل هذه المشكلة، فكل ما سواها من
النتائج يسقط مع الأيام بوزنه
الطبيعي... يا ولدي: لا تلم كفي إذا
السيف نبأ + صح مني العزم والدهر
أبى¹ - أيها العزيز. حياتنا الآن بين
المستعمرين، هي عبارة عن حرب بدون

¹ - بيت شعري لحافظ إبراهيم

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

سلاح والحرب خدعة فتنبه حفظك الله ورعاك" ¹.

ورغم عدول طلبة نابلس عن فكرة تأسيس الجمعية ²، شاع خبر بين ساكنة تطوان مفاده أن الإدارة الإسبانية ستمنع بعثات أخرى للخارج، مما جعل الطيب بنونة يسأل والده عن صحة الخبر، فأجابه بتاريخ 11 أبريل قائلاً: "لا حقيقة لما أخبركم به بعض الإخوان ... من تظاهر الحكومة بمخالفتكم، أو منع غيركم من السفر إلخ ... وفي الأسبوع الماضي سألني عنكم المقيم نفسه، وأخبرته بأحوالكم وبدروسكم العلمية، وبعزمكم على التخصص في الفنون المختلفة، وأخبرته بعزم أفراد آخرين على التوجه لهنالك، فكان جوابه ما ترجمته «ما أحسن هذه الفكرة وما أجل تضحيتكم الأموال وفراق الأولاد في سبيلها ...».

وعندما قبضت كتابك أمس، اجتمعت بالقنصل، ومن جملة الحديث معه طلبت منه باسبورط لولد أو اثنين يريدان التوجه لدراسة العلم في الخارج

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ الطيب بنونة، م. س، ج. 1، صص. 44 - 45؛ بن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، صص. 367 - 368.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 369.

=وذلك على سبيل التجربة فقط= فقال
آتني بصورتكما، وموافقة أوليائكما،
كما هي العادة، وأمر الكاتب بإنجاز
العمل مهما أتيت به بذلك، فتيقنت أن
هذه الإشاعات لم تصدر إلا عن الخراب
العزوزي المعارض لكل إصلاح. وكل رقي
أو سبيل للنجاح. والله الأمر من قبل
وبعد، ونطلب المولى جل شأنه خذلان
ذلك المخرب المتعصب للجمود"¹.

كل هذه العراقيل والإشاعات، لم تكن
لتثبط عزيمة بنونة، بل إننا نجده
مستمرا في توسيع دائرة دعايته بين
الآباء في جميع أنحاء المغرب، من أجل
إرسال أبنائهم للدراسة بالشرق، حيث
يقول لولد الطيب في رسالة بتاريخ 12
يوليوز 1930: "إننا لا زلنا نمدح لكل
سائل أحوال مدرسة النجاح. وترد
علينا أسئلة من كل الجهات بمغربنا،
ونجيب عنها بالتفصيل، وغالب الظن أن
عدد تلامذة هذه السنة سيكون من
الرباط والدار البيضاء وسلا
وتطوان"²، كما قال بنونة ولده
المذكر في رسالة أخرى: "أبشرك بسفر

¹- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج. 1، م. م. س، ص. 136.

²- وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب....، م. م. س، ص. 131.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الشريف سيدي الحسين بن عبد الوهاب
إلى مصر في أواخر هذا الشهر، وهذا
محقق عندي، وربما تبعه أخوه سيدي
الحسن وها نحن نعمل المجهود في سفر
امحمد عزيमान إلى مصر أيضا¹، وهناك
العديد من الرسائل الأخرى التي تؤكد
ما بذله بنونة ورفاقه من أجل إرسال
أكبر عدد ممكن من التلاميذ إلى
المشرق.

ولم يكتف بنونة فقط بإرسال هذه
البعثات، بل إننا نجده يتتبع جميع
خطواتهم، ويحرص على إرشادهم
وتوجيههم، ويحضهم على الحفاظ على
دينهم، والاجتهاد في دروسهم، وهكذا
نجده يكتب للطالب عبد الخالق الطريس
يقول له: "إني لمسرور جدا بما أسمع
عك من الاجتهاد في الدروس، ووثاق
بحول الله من نجاحك لما أعلمه من ذكائك
ونباهتك، فلا خيب الله لنا فيكم أملا²،
كما نجده يقول لولده الطيب: "أحسن
غاية في حضورك الدرس الديني على
الشيخ عبد الحميد .. وأخبرني عن
أخيك، هل يقرأ القرآن ويمكنه ختم ما

¹ - نفسه، ص. 165.

² - الطريس، عبد الخالق، من يوميات الطريس، م. س. نقلا
عن: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ
الطريس، ج. 1، م. س، ص. 7.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بقي له من القرآن، أم ما هو مرسوم
ببرنامج المدرسة في هذا الموضوع
مجرد خبر على ورق...؟"¹، كما قال
في رسالة أخرى لولده الطيب "يسرني
كثيرا ما تخبر به دائما من اجتهاد
رفقائك الأمثال، مع قيامهم كما يجب
بالشعائر الدينية، أعانهم الله، وبارك
فيكم جميعا، وجعلكم أجمع مثالا
للفضيلة في الدين والدنيا، وأرانا
فيكم ما يسرنا ويثلج أفئدتنا، وإني
دائما مشغول البال بشأن أخيك محمد
الخطيب بعد سلامي عليه أتم السلام،
وأنظر بفارغ البر وصول الامتحان،
وما أسمع عنه فيه، فأكيد أن يكون
عند الظن"².

ولعل أبرز شهادة في حق الاهتمام
الذي كان يبديه الحاج عبد السلام
بنونة بأعضاء هذه البعثات، هي
الشهادة التي دونها عبد الخالق
الطريس في يومياته والتي جاء فيها:
"حررت جوابا على بطاقة الحاج عبد
السلام بنونة أشكره على التذكرة التي
بعثها لي، وهي ذات ألفاظ معدودة،

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 102.

² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة إلى الطيب، بتاريخ 9
يناير 1930، وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة
الوطنية بشمال المغرب...، م. س، ص. 109.

وتأثير لا أستطع تصويره، كيف وقد
تجلت فيها الأبوة بحنانها، والأخوة
بنضرتها، والصدقة بعطفها وإخلاصها،
مما يجعلني أعتقد يقينا أن لي أبا
نصوحا يتتبع أعماله بدقة وإمعان،
فيقوم معوجها، ويطرب لقويمها"¹.

هذا علاوة على حرص بنونة على معرفة
نتائج هؤلاء الطلبة ومدى اجتهادهم،
حيث نجده يقول في إحدى رسائله لولده
الطيب "سلم منا على جميع رفقاءك،
خصوصا أخيك محمد الخطيب وها أنا في
انتظار نتيجة امتحاناته وامتحان
الطالب المهدي²، ولا أكره أن أعرف
نتيجة جميع الرفقاء، وأخبرنا عن
أحوال السيد عبد المجيد بن أحمد بن
بعد الله حجي وأخلاقه، وأي صف هو...؟"³،
كما يقول له في رسالة أخرى "أخبرت
أنكم أنهيت من الفحوص النصف
السنوية، فنسأل المولى تعالى أن
يكون النجاح حليفكم، وإني في انتظار

¹ - الطريس، عبد الخالق، من يوميات الطريس، م. س. نقلا
عن: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ
الطريس، ج. 1، م. س، ص. 7.

² - يقصد ولده المهدي بنونة.

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 110.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

معدل النتائج بالتفصيل عنك وعن أخيك
بالخصوص وعن الجماعة ولو بإجمال"¹.

كما كان بنونة ينصح هؤلاء الطلبة
بالتخصص في العلوم والفنون التي كان
المغرب في أمس الحاجة إليها حيث
يقول لولده الطيب: "بلادنا فارغة من
كل الفنون، فيا حبذا لو يتوجه كل
فرد منكم إلى شيء مخصوص، فليس لنا
طبيب، ولا صيدلي، ولا كيماوي، ولا
مهندس طرق أو معادن أو بناءات أو
فنون ميكانيكية أو أو... إلا جميع
أقسام الهندسة وغيرها من الفنون"²،
كما يقول له في رسالة أخرى "وأنت يا
عزيزي تعلم أن بلادنا لا تزال تتخبط
في قيود جهلها، فالرأي عندي أن تتبع
ميولك الرياضيات، وتخصص في نوع من
الهندسة مثلا كمهندس الفنون
والصنائع، أي ما يسمونه الإسبان
مهندس «إندس تريال» لتملاً فراغا عظيما
من اقتصاديات البلاد بإنشاء المعامل
المختلفة لضروريات الحياة، ولا يمنعك

¹ - نفسه، ص. 112.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج. 1، م. س، ص. 217.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ذلك من أن تكون سياسيا في آن
واحد" ¹.

إن هذا التشجيع الذي كانت تقوم به
النخبة المثقفة، وعلى رأسها الحاج
عبد السلام بنونة، كان لابد وأن يكون
له أثر إيجابي على نتائج هؤلاء
الطلبة، واجتهادهم أكثر في دروسهم،
وحصولهم على درجات جد مشرفة، هو ما
تؤكدده مجموعة من الرسائل، حيث يقول
بنونة لولد الطيب: "أمسه وصلني كتاب
من محل أخيك السيد محمد الطنجي،
يهنئني فيه بنجاحك في الامتحان،
وفوزك بالدرجة الأولى في صفك، وقد
تبدلت لهجة الطنجي وتحسنت عبارته،
وصار ينسج على منوال جديد في خطابته
أعانه الله" ²، الملاحظة نفسها أبداهها
امحمد بنونة حول تحسن مستوى الطالب
محمد الطنجي، حيث قال في إحدى
رسائله للطيب: "والذي ألفت نظرك
إليه، هو أن الطنجي... ليس هو
الطنجي القروي الذي تعلم بل إنشاء
بليغ ومعاني عامرة متمكنة وأفكار
سامية فله ذر مصر كم أخرجت من

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 158.

² - رسالة بتاريخ 14 فبراير 1930، من الحاج عبد السلام
بنونة لولده الطيب: أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف
اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب...، م. س، ص. 113.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ناهضين وعلماء نابغين، فيا ليت لو
ذهب كل الإخوان الذين كانوا على وشك
السفر"¹.

كما قال بنونة عن عبد لقادر
الرباحي في رسالة بتاريخ 12 يونيو
1930: "أمسه وصلني جواب من السيد
الحاج عبد القادر الرباحي فتعجبت من
حسن خطه، وإنشائه، وأخبرني عنه
الطريس خيرا، فسررت كثيرا، زاد الله في
معناه وأعاناه وكثر من أمثاله"²، أما
عن النتائج الجيدة التي حصل عليها
ابنه المهدي، قال بنونة للطيب:
"نشطي عظيم بشهادتك لأخيك المهدي...
فلقد حقق بغيتي، وصار الأول في صفه
وأسأل الله أن يكون التوفيق حليفه في
كل امتحان، ليبقى دائما حائزا على
الأولية. ولست بأقل نشاطا من عمل
أخيك الخطيب، حفظه الله كما لا شك في
نجاحه التام آخر السنة، بارك الله فيه،
وزاده ثباتا، ولو علم ما أدخل من
الفرح والسرور على والديه في هذا
الشهر المبارك، وما زودوه به من
صالح الدعاء لزاد قوة في اجتهاده،

¹ رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
1 يناير 1930، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام
الحركة الوطنية بشمال المغرب...، م. س، ص. 109.

² ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 316.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

حتى يحقق فيه آمالنا جميعا لما نعلم
من نباهته"¹.

كما وصف امحمد بنونة لولد أخيه
الطبيب اجتهد طلبة مصر بقوله:
"الإخوان فكلهم مجتهدون فالأخ أفيلال
في تجارته يطير...! والأخ عبد
الخالق الطريس" أو تلميذ طه حسين"
أو مغرم العقاد" في جامعته وأدبه
يطفح ويفيض...؟! والأخ الطنجي فحدث
عن الفلسفة ولا حرج... أما الأخ
الرباحي فهو في القسم النظامي في
الأزهر، وهو مجتهد وإننا نؤمل أن
يحوز أية شهادة، تخوله الدخول إلى
مدرسة الصنائع الفنون"². كما كتب
محمد الطنجي رسالة لبنونة بتاريخ 20
يناير 1932 يقول له فيها: "وقد رأيت
أن أظل بمصر لآخر السنة... إذ في
رجوعي للمغرب من غير شهادة العالية
عار كبير"³.

¹ - رسالة بتاريخ 4 فبراير 1931 من الحاج عبد السلام
بنونة لولده الطبيب، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف
اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب...، م. س، ص. 174.

² - رسالة من امحمد بنونة لولد أخيه الطبيب بتاريخ 2
يناير 1931، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام
الحركة الوطنية بشمال المغرب...، م. س، صص. 170-171.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 2، ص. 167.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

هذا النبوغ الذي بدا على تلاميذ
البعثات المغربية إلى المشرق، كان
لابد أن يحظى أيضا بتشجيع أساتذتهم
وزملائهم في الدراسة، الذين استغلوا
مناسبة رجوعهم إلى المغرب في يونيو
1931، وقاموا بتنظيم حفلة وداع
الطلبة المغاربة باسم **"جمعية الشبان
المسلمين"** بنابلس، ألقى فيها
أساتذتهم كلمات تشجيع وتنويه
باجتهادهم وخصالهم الحميدة، ولعل
أبلغ ما قيل في حقهم، هو ما قاله
مدير مدرسة النجاح السيد محمد علي
درزة الذي وصفهم بكونهم **"نجوم
متألئة في سماء المغرب ... امتازوا
بأنهم نشأوا على تربية صحيحة إسلامية
لا هي بالرجعية البالية ولا بالمتطرفة
الهدامة"**¹.

وعند رجوع هذه البعثة إلى المغرب
بتاريخ 17 يوليوز من سنة 1931، تم
استقبالهم من طرف أهاليهم وأصدقائهم
بمينااء مدينة سبتة بفخامة، احتفالا
بعودتهم إلى أرض الوطن، وتقديرا
للمجهود الذي يبذلونه في سبيل
وطنهم²، كما أصبح أعضاء هذه

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 254.

² - CAGNE, Jacques, « Un exemple de mission
Estudiantine en Orient dans les années trente : des

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

البعثات، نماذج لغيرهم من الشباب،
من حيث الثقافة والفكر والشخصية
الإسلامية الحداثية المتنورة، الأمر
الذي زاد من تشجع العديد من الآباء
الآخرين إلى بعث أبنائهم للدراسة
بالمشرق، حيث ستعزز هذه البعثة عند
رجوعها إلى نابلس في شتنبر 1931،
بعناصر جديدة وهم أحمد بن عبد
الوهاب، ومحمد عزي مان الذي توجه
لدراسة بمصر¹.

وهكذا سيستمر هؤلاء الطلبة في
متابعة دراستهم بالمشرق، وسيلتحق
بعضهم للدراسة في أوروبا، حيث يقول
داود في مذكرة بتاريخ 15 شتنبر
1931: "التلاميذ الذين يدرسون
بالخارج الآن هم : بمصر: الطنجي
(محمد)، بنونة (أحمد)، عزي مان
(محمد)، الركيك، الرباحي (عبد
القادر)، الحسين بن عبد الوهاب.
بنابلس: بنونة المهدي، بنونة الطيب،
بن جلون عبد السلام، بن جلون محمد،
الخطيب محمد بن عبد السلام، الخطيب
محمد بن محمد، الخطيب عبد الله، الفاسي

Lycéens Tétouanais a Naplouse », in **tétouane a**
l'époque de protectorat 1912-1956, rabat, 1992, p.
306.

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 77.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

محمد بن عبد السلام، أحمد بن عبد
الوهاب. بفرنسا: عبد الخالق الطريس.
بإسبانيا: محمد بن محمد أفيلال،
وسيد هب قريبا ج أحمد بوهلال، وأحمد
الدليرو¹، وفي سنة 1933، التحق
بمدرسة نابلس مجموعة جديدة من
التلاميذ، هم عبد الكريم بن عبد
السلام بنونة وأخوه إدريس وأحمد
مدينة ومحمد بن حساين وعبد الله
حسي².

ولم تنحصر مهمة هذه البعثات فقط
في تلقي أعضائها العلوم العصرية،
وإنما تجاوزت ذلك لتلعب دورا أكبر،
حسب الطيب بنونة، الذي قال: "إن
مهمتنا في البعثة والبعثات التي
توالت بعد ذلك، لم تكن مجرد التزود
بالمعرفة العربية الإسلامية من
منابعها فقط، بل كانت هناك مهمة
ثانية سامية قمنا بها كسفراء لبلادنا
ودعاة لأمتنا. وهذه المهمة ابتدأت
أولا بالتعرف بالمغرب... لقد كان
إخواننا العرب يجهلون كل شيء عن

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 77،
الهامش 94.

² - CAGNE, Jacques, « Un exemple de mission
Estudiantine en Orient ... », Op. Cit, p. 30.7

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

المغرب، عن ماضيه وحاضره وجغرافيته وطبيعته وشعبه وأوضاعه السياسية"¹.

وحتى يتمكن هؤلاء الطلبة من
التعريف بالمغرب وقضيته على أكمل
وجه، كان عناصر النخبة المثقفة،
يبعثون لهم عبر الرسائل، كل تفاصيل
الأحداث التي كانت تجري بالمغرب، من
أجل إذاعتها بالمشرق²، وكذلك حتى
يتزود هؤلاء الطلبة بالمعلومات
الكافية، يستطيعون من خلالها التعريف
بالمغرب في المشرق، حيث يقول بنونة
لولد الطيب في رسالة بتاريخ 13 مارس
1930: "وقدمت لك منذ يومين كتابا
مسجلا في البريد الإنجليزي، محتويا
على ثلاث ورقات بها معلومات متقطعة
عن المغرب وأحواله، كما قدم لك عمك
قبل بنحو أسبوعين، إحصاء عن المدارس
الحكومية المسماة عندهم بالمدارس
الأهلية، وواعدتك أن أجمع لك معلومات
أخرى من الأستاذ داود، فليلة اليوم
قدم عندي للدار ومعه تلك البطائق

¹ - "الحديث الذي ألقاه الطيب بنونة بمكتبة عبد الخالق
الطريس حول مرحلة ما بين سنتي 1925 و1935، بتاريخ 2 أبريل
1979"، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الأستاذ الطيب بنونة، ج. 2، م. س، ص. 335.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ...، م. س،
ج. 1، ص. 313.

التي تعلم وصار يسرد¹ علي منها،
وأنا أكتب حتى حصلت منه علي ما
يوافيك درج هذا. إني أعلم أننا
أكثرنا عليك وربما لا يكون لك غرض أن
تتعرض لموضوعات شتى في خطابك عن
المغرب، ولكن رأيت أن أفيدك بما
سطرناه أوله وثانيا لتكون على بينة
من بلادك ومسقط رأسك، حتى يكون في
مقدورك وكذلك في مقدورة رفيقك²
العزيز أن تحدثا الناس عن بلاد
يجهلون عنها كل شيء"³.

وعموما فقد ساهمت هذه البعثات
الأولى المنظمة نحو المشرق، إلى جانب
التعريف بالمغرب والقضية المغربية،
(ساهمت كذلك) في ترسيخ الهوية
المغربية والحفاظ على القيم
الإسلامية، والتشبع بالروح الوطنية
والقومية، نظرا لانفتاح هؤلاء الطلبة
في تلك العوالم الجديدة على آفاق
واسعة وميادين متنوعة للدراسة
والتحصيل، مما ساعدهم على تكوين
شخصياتهم العلمية والثقافية

¹ - في الأصل كتبت هكذا: يصرد.

² - يقصد، رفيقه في البعثة الأولى إلى نابلس، السيد محمد
بن مصطفى أفيلال.

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب....، م. س، صص. 83 - 84.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والسياسية¹ ، نتيجة تأثر أفراد هذه
البعثات بالجو القومي والثوري، الذي
كان سائدا بالشرق العربي حينئذ،
والذي ترك بصماته الواضحة في
أذهانهم² ، مما أهلهم بعد إنهاء
دراستهم إلى أخذ زمام المبادرة
للنهوض ببلادهم وإخراجها من التخلف
ورفع مستواها الثقافي والفكري، ونشر
الوعي بين المواطنين، وإعدادهم
للكفاح الوطني في سبيل تحرير البلاد
واسترداد حريتها وسيادتها³.

¹ - عزيमान، محمد، "البدايات الأولى للحركة ..."، م. س،
ص. 42.

² - السعود، عبد العزيز، "مسألة التربية والتعليم ..."،
م. س، ص. 32.

³ - عزيमान، محمد، "البدايات الأولى للحركة ..."، م. س،
ص. 42.

المبحث الثاني: مشاريع ومبادرات وطنية على المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

1. دور النخبة المثقفة في نشر الوعي وترسيخ ثقافة القراءة وتقدير العلماء

إن اقتناع النخبة المثقفة بشمال المغرب بأن الأمة المغربية لا يمكنها أن تنهض بالاعتماد فقط على الدعوة والإرشاد، جعلها تعتمد في مشروعها النهضوي على تقديم المثل والنموذج والقدوة الحسنة بنفسها، في كل البرامج التي كانت تنشدها، وهو ما عبر عنه علال الفاسي في رسالة لصديقه الطيب بنونة بقوله: "إن المسائل

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والمقاصد لا تكفي في خدمتها - وخصوصا
عند أمتنا المغربية - ووسائل الدعاية
والنشر، ولا يجدي فيها إيقاظ الهمم
وتحريكها بالأناشيد والأغاريذ التي
تهيج بلابل الشاعرين. ولكن المثال
الصالح وحده هو الذي يتكفل بالإنجاح
وهو الذي يضمن البلوغ إلى حيز مقصود
وأجمل مطلوب¹.

ولذلك كانت النخبة المثقفة تقوم
إلى جانب دعوتها إلى تمجيد وتقدير
العلماء، بتكريس ثقافة الاهتمام
بالعلم، وإجلال العلماء والمفكرين،
عن طريق حضور المحافل العلمية،
وتنظيم أخرى، والاحتفاء بالعلماء
والمشاركة في المسابقات الأدبية،
وكذلك تتبعها لجديد إصدارات الصحف
والمجلات والكتب وإعادة توزيعها فيما
بينهم وبين كل المهتمين.

ترويج الصحف المشرقية بين الساكنة

أدركت النخبة المثقفة بشمال
المغرب، أن توعية الشعب المغربي،
تتطلب منهم فتح آفاقه على أفكار
جديدة ومتنورة، ومن ثم باتت مسألة

¹ - بنونة، أبو بكر، اهتمام الحركة الوطنية بشمال
المغرب.... م. س، ص. 96.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الاعتماد على الصحف في التوعية
والتبشير بالروح الإصلاحية، ركيزة
أساسية في مشروعات النهضة، غير أن
الإقدام على هذه الخطوة لم يكن بالأمر
السهل، على اعتبار أن معظم المغاربة
كانوا في تلك المرحلة لا عهد لهم
بالصحافة ولا رغبة لأكثرهم في
قراءتها، هذا علاوة على الموقف
السلبى للفقهاء والعلماء التقليديين
منها، حيث نجد مثلاً محمد بن الصديق
الغماري يحذر من قراءة الجرائد
"ويستهجن إضاعة الوقت في الاشتغال
بها"¹، حيث كان يقول "ما ضل العالم،
وانتشرت الأخلاق الفاسدة، ومعتقدات
المبتدعة والمتفرنجة فيه إلا بواسطة
الجرائد، فهي والمدارس الإفرنجية
العامل الوحيد في إفساد المسلمين"²،
بل الأكثر من ذلك وصل ذمه للجرائد
إلى درجة قال عنها: "لو كنت أكتب
لألفت كتاباً في ذم الجرائد والتحذير
من قراءتها، تأليفاً جيداً أسميه
الضرب بالحدائد لقراءة الجرائد"³.
كما أفصح محمد داود بأن العلامة

¹ - ابن الصديق الغماري، أحمد، التصور والتصديق بأخبار
الشيخ سيدي محمد بن الصديق، مطبعة السعادة، محافظة مصر،
1366هـ، ص. 51.

² - نفسه، صص. 65 - 66.

³ - نفسه، صص. 65 - 66.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحاج أحمد الزواقي كان "لا يطمئن
لما تذكره الصحف"¹.

فهذه النظرة السلبية اتجاه
الجرائد، دفعت عناصر النخبة المثقفة
للتوعية بأهمية الصحف في المجتمعات،
والدور الذي تلعبه في تقديمها
ورقيها، وفي هذا السياق كتب محمد
العربي الخطيب مقالا بجريدة الإصلاح
يعرف فيه الجريدة بكونها: "عبارة عن
صحيفة تنشر بين العموم، لتبين لهم
حالهم ومستقبلهم وما هم عليه من
الرقى أو التدهور، منفرة من الثاني
ومحرضة على الأول، تأخذ بيدهم أخذ
الرؤوف المشفق، فتبين لهم خطتهم
التي اختطوها لسيرهم وطريقهم التي
سلكوها في مشيهم، ثم تحكم على ذلك
بأدلة قاطعة الحجة والبرهان من
التاريخ لأن التاريخ، يعيد نفسه إما
بالصحة أو الفساد، مستندة في ذلك
على نتائج تلك الأعمال. فهي للأمم
كالمنار في الليلة المظلمة، ترى بها
الأخطار المحدقة بها، والمصائب
الموجهة سهومها نحوها وتهتدي بها
إلى ضالتها المنشودة وبغيتها

¹ - "الفتح وشيوخ المغرب"، مجلة الفتح، عدد 433، 10 ذي
القعدة 1353، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المرغوبة" ¹. وبناء على هذا التعريف نجد محمد العربي الخطيب يعتبر: "قراءة الجرائد اليومية لدى العقلاء من الأمور اللازمة، مثل الأكل والشرب والنوم، فلا يطيب لهم العيش بدونها، ولا يجدون راحة إلا بالاطلاع عليها، حيث يعملون بها سير العالم وحركته، في ذلك اليوم، لأن مبنى حركاتهم على حركات العالم بأسره اقتصاديا وسياسيا" ².

ووصف محمد داود كذلك الجرائد بكونها "أساس كل المبادئ" ³، وانتقد كل من يعتبر أن الكتابة في الصحف أمر ناقص حيث كتب قائلا: "ولينبذ الخوف أو الخجل كل من لا يزال يحسب أن الكتابة في الصحف السيارة نقيصة أو خروج عن العادة المألوفة. وليعلم أن ذلك يتردد عند الشعوب الحية بين أصغر طالب وأعظم عالم بشري، وبين أحقر موظف وأكبر رأس في الحكومة. فإن هي إلا فائدة ينشرها من عرفها. وأن هي إلا لحكمة يلتقطها المؤمن إنني وجدته" ⁴. لأن مقام "المحرر"، بمثابة

¹- الخطيب إسماعيل، محمد العربي الخطيب ... ، م. س، ص. 66.

²- نفسه، صص. 69-70.

³- تطواني، حول الشبيبة ... ، م. س، صفحة بدون رقم.

⁴- فتى المغرب، حول المعارف ... ، م. س، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

"رجل مخلص لأمته رؤوف على وطنه وأهله
... لا تقوى عنده المنفعة الخاصة قوة
المنفعة العامة، ولا يهتم بنفسه مثل
ما يهتم بأمته. سلبت الوطنية شعوره
نحو شخصه، وحالت بينه وبين نفسه. فلا
تراه في ليله إلا ساهرا، متفكرا فيما
يقي أمته من المهالك، وفيما يعود
عليها بالخيرات والمصالح"¹.

وواظنت النخبة المثقفة هذه الدعوة
لقراءة الجرائد، بعملها على استقطاب
الصحف المشرقية وترويجها بين
المغاربة، حيث كان يتوصل العديد من
عناصر هذه النخبة منذ وقت مبكر
بالصحف المشرقية، ومن أبرزهم علي
السللاوي، وعلي الخطيب الذي كان يتوصل
باستمرار بـ "العروة الوثقى" وبعدها
بـ "مجلة المنار"، والشيء نفسه
بالنسبة لمحمد بن العربي الخطيب²،
كما كان كذلك محمد بن عبد الكريم
الخطابي يتوصل بالجرائد وخاصة
الجزائرية منها³.

¹ - الخطيب إسماعيل، محمد العربي الخطيب ... ، م . س ، ص .
66.

² - نفسه ، ص . 64.

³ - الطيبي، عبد الرحمان؛ الإدريسي، الحسين، التربية
والتعليم ، م . س ، ص . 140.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

لكن يبقى كل من الحاج عبد السلام بنونة ومحمد داود والتهامي الوزاني، من أبرز عناصر النخبة المثقفة التي عملت على ترويج الجرائد المشرقية بشكل كبير بين الأوساط المغربية¹. وهو ما تثبته بطاقة استخبارية أعدتها نيابة الأمور الوطنية بتاريخ 7 يناير 1929، والتي ورد فيها: "من الملاحظ أن دائرة الانتشار بين الأهالي للصحافة العربية، التي يتوصل بها كل من الحاج عبد السلام بنونة، ومحمد داود من الشرق بواسطة البريد الإنجليزي، قد ازداد توسعها بسرعة بين العناصر المثقفة الأهلية بهذه المدينة بفضل النشاط الدؤوب الذي يقوم به الشاب الشريف من الأسرة الوزانية المسمى سيدي التهامي بن عبد الله الوزاني، الذي له علاقة متينة مع بنونة وداود"².

وكانت النخبة المثقفة كلما توصلت ببعض الأعداد من الجرائد المشرقية، سارعت إلى عقد اجتماعات لقراءتها جماعة أو توزيعها على العناصر

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س، ج. 1، صص. 243-244.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، "سيدي التهامي من خلال الوثائق"، جريدة الحياة، عدد 86، 22 دجنبر 1994، ص. 3.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوطنية وقراءتها بالمناوبة ، حيث
يقول التهامي الوزاني: "طفق الحاج
عبد السلام بنونة يستدعينا ليعرض
علينا أهم الأنباء في الداخل
والخارج ، فكان يجتمع بنونة و طنانة
والتهامي الوزاني وباغوز. وكان
الإخوان بالشرق يبعثون إليه زيادة
على الصحف الكاملة بقصاصات الصحف
فكان بنونة يعطينا إياها لنقرأها
بالمناوبة"¹.

وبفضل هذا الإجراء الذي أقدمت عليه
النخبة المثقفة بشمال المغرب، صار
العديد من المغاربة تستهويهم مطالعة
الصحف، ويتتبعون ما كانت تنشره من
أخبار حول المشرق، وذلك ما عبر عنه
التهامي الوزاني بقوله: "فرغم أن
المغرب كان في حالة اضطراب، وخصوصا
في منطقة الشمال التي احتلها
الإسبان، كانت هذه الأخبار (أخبار
المشرق) أقوى تأثيرا علينا مما
نشاهده بأعيننا، فإننا إذ ذاك لم
نكن نعتني بأخبار المغرب، مثل ما
نعتني بأخبار المشرق، نظرا لأن أخبار
المشرق تصلنا مكتوبة في الصحف

¹ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية
....، م. س، ص. 108.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والنشرات، زيادة على الرسائل الخصوصية" ¹.

وهكذا بدأت تتسرب الأفكار الوطنية والإصلاحية شيئاً فشيئاً إلى عقول المغاربة، ولذلك اعتبر التهامي الوزاني بأن الصحافة المشرقية كانت مصدراً لليقظة الفكرية بالمغرب إذ يقول: "إذا رجعنا لمصدر اليقظة الفكرية بالمغرب، فإن على رأسها إقبال الناس على مطالعة الصحف، وحتى الذين كان لهم الوقت متسعاً للبطالة والتسكع، وكان لهم من حياتهم الفارغة ما جعلهم يحفظون النكت والمستملحات، فترغب الجماهير المغربية في الاستماع إلى نكتهم الباردة الغثة، حتى هؤلاء شعروا بأن بضاعتهم العتيقة البالية، لم يبق لها مجال في سوق المستطرفات، التي تشتمل عليها الصحافة من جرائد ومجلات، ونشرات ثقافية فانصرفوا إلى الاستماع إلى جرائد الشرق، التي كانت متفرغة للتنديد بالاستعمار، وتصوريه كما هو عليه" ².

¹ - الوزاني، التهامي، الزاوية، م. س، ص. 59.

² - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية م. س، صص. 3-4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

غير أن هذا الإقبال الذي أبداه
المغاربة على الجرائد المشرقية، كان
لا بد وأن يثير حفيظة المستعمر،
وخاصة الفرنسي، الذي أقدم على منع
دخول العديد من الجرائد المشرقية
إلى المغرب، وتضييقه الخناق على
مروجيها، وذلك ما تؤكد رسالة من
الطيب بنونة لمحمد داود جاء فيها:
"تأسفت والله عندما سمعت منع دخول
الجرائد والمجلات لوطننا المحبوب،
لما نعلم فيهم من النفع العميم، ولا
أظن أنه يوجد سبب غير إرسالها
لفاس"¹.

والموضوع نفسه أشارت إليه رسالة
أخرى موجهة من امحمد بنونة لداود،
ورد فيها: "لقد أرجعت الحكومة دور
منع الجرائد والمجلات فمنعت جريدة
الفتح وقد كان يباع منها في الرابط
150 وفاس 200 وبمراكش 50، وهناك
بالدار البيضاء وبعض الأسواق
والجهات، قالوا وحتى النجاح ويظن أن
كل جريدة تنتشر في المغرب ستصادر
حتى لا تكون عقبة في طريق انتشار
الثقافة"². كما يقول له في رسالة

¹ - رسالة من الطيب بنونة لمحمد داود مؤرخة 3 غشت 1928،
أنظر: داود، حسناء، مراسلات وطنية... م. س، ص. 53.

² - داود، حسناء، مراسلات وطنية... م. س، ص. 125.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أخرى: "تأسفت بمعنى الأسف على منع
دخول الفتح إلى المغرب فعلى كل
علائها، كانت نافعة للأوساط العامة
ومنهضة للطبقات الجاهلة"¹. ووصل عدد
الصحف المشرقية التي منعتها الحماية
الفرنسية من الدخول إلى منطقتها حتى
حدود سنة 1948، ما يزيد عن 1400
صحيفة².

لكن هذا المنع لم يكن ليثبط عزيمة
عناصر النخبة المثقفة، التي استمرت
في تداول الصحف المشرقية فيما
بينها، حيث ورد في البطاقة
الاستخبارية الفرنسية المؤرخة ب 6
دجنبر 1930 بأن: "أغلبية الصحف
الممنوعة خاصة 'الفتح' التي تصل
إلى المنطقة الإسبانية موجهة إلى
الحاج عبد السلام بنونة بتطوان الذي
يرسل أعدادها إلى ... طنجة ... ومن
المحتمل أن يكون الحاج عبد السلام
بنونة والكتبي محمد داود وسيطين

¹ - نفسه، ص. 137.

² - حزب الاستقلال، المغرب الأقصى، القاهرة، 1951، ص. 162.
نقلا عن: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ...،
م. س، ج. 1، الإحالة 47. ص. 243

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

لإدخال الصحف الممنوعة إلى المنطقة الفرنسية"¹.

ولترويج هذه الصحف كان يتم
الاعتماد على البريد الإنجليزي غير
الخاضع لمراقب الفرنسيين
والإسبانيون²، وهو ما أشارت إليه
البطاقة الاستخبارية المؤرخة ب 30
شتنبر 1930، والتي ورد فيها: "إن
البريد الإنجليزي هو الوسيلة التي
يستعملها الحاج عبد السلام بنونة
وصديقه داود للتوصل بالجرائد
العربية، التي ترسل إليهما من
الشرق، وخصوصا من مصر ونفس الطريقة
يستعملانها لإرسال نفس الصحف إلى
المنطقة الفرنسية المجاورة. هذا ما
يفسر وجود جرائد مصرية بكثرة في
تطوان في الوقت الذي لم يسجل في
بردينا الرسمي أي طرد قادم من مصر
منذ أكثر من سنتين والسبب في ذلك هو
استعمال البريد البريطاني"³، ولقد
كانت النخبة المغربية تستغل هذا
الامتياز الانجليزي، لتوزيع الجرائد
والمجلات والكتب المشرقية، التي كانت

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان محمد داود،
ملف إلكتروني مضغوط، ص. 32.

² - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 154.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 243-244.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تصل إلى تطوان فيقوم بنونة وداود
بإعادة إرسالها بواسطة البريد
الإنجليزي إلى فاس والرباط أو غيرها
من المدن¹. ولذلك يقول التهامي
الوزاني أنه "كان للبريد فضل كبير
في تفتح الأذهان، فقد أخذ يحمل إلى
المغرب صحف الشرق فأقبل الناس عليها
يقرؤونها بكل تلهف"².

وهناك العديد من المذكرات
والرسائل المتبادلة بين النخبة
المغربية المثقفة تؤكد ما بذلته هذه
الأخيرة من مشاق، وما أنفقتة من
أموال في سبيل ترويج الصحف المشرقية
بين المغاربة، وعلى سبيل الذكر لا
الحصر، نجد امحمد بنونة الذي كان
يدرس بمصر يخبر داود في رسالة مؤرخة
14 ماي 1924، بأنه بعث له العدد
الأول من مجلة "النيل المصور"³، كما
نجد في رسالة أخرى بعثها عبد الله كنون
لمحمد داود بتاريخ 19 ماي 1929،
يقول له فيها: "أرجوك أن ترسل لي
العدد الأخير من الزهراء الذي به
مقال أخيننا المكي عن حياة سقراط"⁴.

¹- بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 154.
²- الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة
الوطنية...، م. س، ص. 119.
³- داود، حسناء، مراسلات وطنية...، م. س، ص. 114.
⁴- نفسه، ص. 289.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وقال له أيضا في رسالة مؤرخة ب 7
يوليو 1930: "بينما كنت في انتظار
أجزاء "الشهاب"، الواصلة إلي عن
طريقكم، إذ أخبرني الأخ الحداد أنكم
ترددتم في كونها لي أم لا، حيث إن
مرسلها لم يعين صاحبها، ولذا فإني
أمل أن ترسلها إلي عاجلا وكذلك بقية
الأعداد التي تصلكم من بعد"¹، كما
قال له في رسالة مؤرخة ب 3 شتنبر
1930، "هل لم يصلك عدد "الشهاب"
الأخير وهل يمكنك أن تخبرني عن "صبح
الأعشا" أتوجد منه نسخة عندكم"².

وتوجد أيضا رسالة أخرى بعثها
امحمد بنونة لداود بتاريخ 20 يناير
1931 يقول له فيها: "أظن أن الجرائد
تصلكم بانتظام، وإذا قلت تصلكم
فالمراد لك وللأخ³ وقد أرسلت لك في
الأسبوع الماضي -أي أمس- يوم الاثنين-
لغة جرائد بها 12 عدد مختلف من
الجرائد اليومية، كما أرسلت لك
غيرها بواسطة الأخ أرجو الله أن يصل
الجميع سالما، كما أنه لدي ما يفوق
لغة سأوجهه في هذا الأسبوع بحول الله"⁴.

1- نفسه، ص. 291.

2- نفسه، ص. 293.

3- يقصد أخاه الحاج عبد السلام بنونة.

4- داود، حسناء، مراسلات وطنية....، م. س، ص. 133.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كما نجده يقول له في رسالة مؤرخة ب
1 نونبر 1931 "أرجوك أن تعمل على
تعميم مجلة المعرفة، لأنها مجلة
راقية كما تعلم، وقد تركزت الآن فلا
خوف منها، وإن صاحبها من أخص
الأصدقاء، وفيه روح طيبة ونشاط
مستمر، ولتعلم أن المعرفة أصبحت في
موضوعاتها أحسن من الهلال بكثير، أضف
إلى ذلك أن صاحبها مسلم، وأي خدمة
تقدمونها له فإنما ينالكم بها الأجر
من الناحية الروحية، وتعميم الأفكار
النقية بالوطن، فأشر على الأخوان
بالاشتراك فيها، وفي العدد المقبل
ستخرج مقالة الأخ المكي"¹.

وفي رسالة بتاريخ 31 مارس 1932
يقول بنونة لولده الطيب: "وصلني مع
البريد جريدة فلسطين والجامعة
العربية، ودفعت ما كان عليه أسماء
الغير... وردت أعداد كثيرة من
الفتح، فوجهنا منها للداخلية"²³، كما
قال له في رسالة مؤرخة ب 25 نوفمبر
1932: "وصلني من المهدي حفظه الله
جرائد منها الجامعة الإسلامية، وقرأت

¹- نفسه، صص. 149-150.

²- كان في شمال المغرب يطلق على منطقة الحماية الفرنسية
بالداخلية.

³- وثائق أبو بكر بنونة، ملف أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 2، ص 152.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ما دبجه براعم الخطيب، الذي ما كنت
أظن أن قلمه كما رأيت زاد الله في
معناه¹.

ولقد وردت في مذكرة لمحمد داود
ترجع لسنة 1933، أسماء الصحف التي
كانت ترد عليه من المشرق ليعيد
بيعها في مكتبته، إذ يقول: "الصحف
التي تأتي للبيع هي الهلال (5)،
المعرفية (5)، المنار (5)، نور
الإسلام (5)، الفتح (30)، الإسلام (10)،
الصراط (5)، كل شيء والدنيا (15)،
المصور (5)، الفكاهة (3)، الكواكب
(3)، الأبطال (3)، اللطائف (15)
السعادة (5)، وكل هذه تأتي من
إدارتها رأساً"².

ولم تكن عناصر النخبة المثقفة
تقوم فقط بإقتناء الصحف المشرقية،
وإنما كانت تشترك في العديد منها،
وذلك ما تؤكد عدة رسائل، حيث يقول
المكي الناصري لداود في رسالة
بتاريخ 13 مارس 1928: "أما ما كنتم
أرسلتموه من الاشتراك، وفوضتم الأمر
فيه إلي، فقد أديته عنكم لجريدة
«الكشاف» واقترحت على مديرها أن يعد

¹ - نفسه، ص. 187.

² - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 106.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

اشتراكم من أول نشأتها، حتى تكون
مجموعة عندكم مستوفاة، من الأول إلى
الأخير، ولعل مجموعة الأعداد الأولى
تكون وصلتكم وسررتكم بها، وقد ذكرت
له إمكان مراسلته منكم وإمكان نشر
الجريدة عندكم، فسر بذلك وأمل
تحقيقه في القريب العاجل"¹، كما قال
الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب
في رسالة مؤرخة ب 20 دجنبر 1928،
"سؤالك عن مجلة العرفان، فقد أديت
للأستاذ داود واجب الاشتراك بعد سفرك،
وحتى الآن ما توصلت إلا بعددين لتكون
على بال"².

وكانت النخبة المثقفة حذرة في
اختيار الصحف المناسبة، التي لا
تعارض مع مبادئ الإسلام والهوية
المغربية، حيث كان يتم رفض كل
الجرائد التي لا تخدم أهداف النخبة
المثقفة، وتتنافى مع مبادئها، ولهذا
نجد المكي الناصري يقول لمحمد داود
في رسالة 3 أكتوبر 1927: "كنت عزمت
ذات يوم مع الشيخ الحسن بوعياد على
إرسال تلغراف مستعجل إلى طرفكم،
مضمونه إغرائكم على رفض جريدة

¹ - داود، حسناء، مراسلات وطنية....، م. س، ص. 376.

²، ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س،
ص. 242، أنظر الإحالة 45.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

«السياسة» بتاتا بنوعيتها، لما تشمل
عليه من المفاسد، ولا سيما بعد ثبوت
نشرها لمبادئ المبشرين، والدعوة
الصهيوية وإعانتها لمبدأ الاستعمار
الإنجيلي، وغير ذلك من دعواتها
المختلفة التي تتنافي مع مبادئنا
تمام التنافي.... ورأيي الخاص أن
تعتمدوا على مجلة «الفتح» الدينية
و«الزهراء» العلمية والأدبية،
والأخبار الجامعة بين الدين الطاهر
والسياسة المخلصة»¹

كما يقول له في رسالة ثانية مؤرخة
ب 15 أكتوبر 1927، "ألم أَلح عليكم
كل الإلحاح في إلغاء «السياسة»
بنوعيتها؟ أليس عندكم تفكير في
مدلولاتها ومضامينها؟ ألا يكفيكم في
إهمالها محاربتها لله ورسوله علانية
ورؤوس الأَشهاد؟ إخواني
التطوانيين، ها هي مجلة الزهراء،
ومجلة الفتح، وجريدة الأخبار تكفيكم
عن كل شيء وتفيدكم بالأحوال العامة
والخاصة، تستفيدون منها في الدين
والأخلاق والسياسة والعلم والأدب والفن
الحديث، ما لا يستفاد من غيرها أصلاً.
وخدمة لكم سعت لدى محررهما - أي

¹ - داود، حسناء، مراسلات وطنية... م. س، ص. 365.

محرر الزهراء والفتح- الفاضل
المتدين الحكيم محب الدين الخطيب في
تخفيض ثمنها على طلبتكم، فأجاب بأن
اشتراك الزهراء الخارجي سيخفض ثمنه
إلى خمسين قرشا مصريا، ويسقط عنكم
عشرة قروش وهي تساوي نحو عشر
فرنكات، كما يخفض ثمن الاشتراك في
الفتح إلى 40 قرشا مصريا، وهو
لغيركم خمسون قرشا وغاية الأمر أن
تقدموا اشتراككم بهذه الصفة عاجلا
... وذكر أيضا أنه مستعد لإرسال
أعداد من كل شهر من غير ارتباط
باشتراك، ويجعل ثمن الزهراء له
أربعة قروش وثمان الفتح ثلاث مليمات،
ولكن أجرة البريد تكون عليكم، وهي
خفيفة إذا سعيتم لدى إخواننا الذين
تعرفونهم وأرشدتموهم إلى هذه
القضية، لأن الأعداد المطلوبة تكثر
فتخف أجرتها البريدية"¹.

الاهتمام بالكتب والإصدارات الجديدة

وإلى جانب الصحف المشرقية عملت
النخبة المثقفة بشمال المغرب كذلك
على ترويج العديد من الكتب فيما
بينها، وفي هذا السياق كتب محمد
داود في إحدى مذكراته التي تحمل

¹ - نفسه، ص. 367.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تاريخ 12 فبراير 1926: "في هذه
الليلة قبضت من مكتبة المحمودي
أربعة طرود بها كتب مختلفة" ¹، كما
كتب في مذكرة أخرى بتاريخ 20 يناير
1927: "ذهبت للبوسنة" ² وجاء أحمد
ومحمد مدينة وبنونة (محمد بنونة)
وأخذنا من البوسنة 27 باكيطة، منها
3 من المجلات، والباقي روايات... ثم
ذهبنا إلى دارنا حيث أخذ كل واحد
حقه من المجلات، وكان معها 50 يومية
للجيب، ... ونحو 300 رواية
مختلفة" ³. وورد كذلك في رسالة
بتاريخ 3 أكتوبر 1927، بعثها المكي
الناصرى لداود: "قد أرسلت لكم ثلاث
نسخ من كتاب «الدعوة والإصلاح» للشيخ
الخضر أطال الله بقاءه... وسيصلكم في
البريد المسجل أربعة طرود من الكتب
والجرائد والمجلات والصور،... ونسختان
من «نقض كتاب في الشعر الجاهلي»
للشيخ الخضر" ⁴.

وكتب الطيب بنونة لمحمد داود في
رسالة أخرى مؤرخة ب 3 غشت 1928،
يقول له فيها: "قد بحثت لكم عن

1- نفسه، ص. 106.

2- البريد La poste

3- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، صص. 105 - 106.

4- نفسه، صص. 365 - 366.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الكتب ووجدت بعضها، ولكني لم أستطع
أن آخذها قبل أن أخبركم بالثمن، لأن
بعض الأحباء قال لي إن هذه الأثمان
باهظة وقد تظهر في السوق بأقل من
هذا" ¹

كما نجد الحاج عبد السلام بنونة
يراسل المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان
يسأله عن بعض الكتب إذا كانت توجد
بين يديه، فأجابه هذا الأخير برسالة
مؤرخة ب 13 أكتوبر 1930 جاء
فيها: "الكتب التي سطرتم في ذلك
المرقوم فإنها لا توجد عندي ولا عند
غيري فيما أعلم، وسأبحث عنها في
المكتبة العلمية بالرباط وما أنتجه
البحث أعرفكم به بحول الله وقوته في
العاجل الممكن" ².

وعند صدور كتاب "إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس"، للعلامة
عبد الرحمن بن زيدان، سنة 1929،
أولاه الحاج عبد السلام بنونة اهتماما
بالغا، حيث نجده يقول عنه لولده
الطيب في رسالة مؤرخة ب 20
يناير 1930: "قبله بيومين وصلنا

¹ - داود، حسناء، مراسلات وطنية...، م. س، صص. 52 - 53.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج. 1، ص. 381.

الجزء الأول من تاريخ العلامة نقيب
الأشراف العلويين سيدي عبد الرحمان
ابن زيدان الذي سماه إتحاف أعلام
الناس في أخبار مكناس، ولقد حوى من
الفوائد ما لم يتيسر جمعه لغيره،
ورغما عن ارتكاب مؤلفه الصنيع
القديم لمؤلفي العرب جاء فريد بابه
بالنسبة لبلادنا ويا حبذا لو تأسى به
علماء البلاد ونقبوا على الحقائق
مثله جزاه الله خيرا¹.

كما بعث مؤلف الكتاب رسالة للحاج
عبد السلام بنونة، يطلب منه فيها
تزويده بعنوان ابنه الطيب بنابلس
لبعث له نسخة منه، حيث قال له: "وقد
رقت إهداء الجزأين اللذان تم طبعهما
من تاريخينا لإتحاف للنجل الطيب
أصلحه الله فعرفني بعنوانه"².

وعن هذه الرسالة قال بنونة لولده
الطيب: "قبضت جوابا من سمو الأمير
سيدي الكبير ابن زيدان وفيه سألني
عن عنوانك ليقدم لك الأجزاء، الأول
والثاني من تاريخيه النفيس، وقد تم
طبعهما، وسوف يطبع الثالث والرابع

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، صص. 379 - 380.
² - نفسه، ص. 381.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

من بعده، وإنه لتاريخ عجيب صرح فيه
بحقائق عن أسلافه لم يقدر غيره أن
يفوها بشيء منها¹. كما قال بنونة
لولده الطيب في رسالة جوابية أخرى:
"أحسنتم في مطالعة تاريخ المولى ابن
زيدان فإنها لا تخلو من فائدة لمعرفة
تاريخ البلاد المغربية"².

وأخبر بنونة الأمير شبيب أرسلان
بأمر صدور كتاب "الإتحاف"، حيث رد
هذا الأخير على بنونة برسالة مؤرخة ب
15 يناير 1931 يقول له فيها: "الجزء
الثاني من تاريخ مكناس وصل ودفعت
الجزأين للتجليد، وأرجو إهداء سلامي
واحترامي إلى ذلك الشهم الكريم
المؤرخ العظيم"³، كما كتب الأمير
لبنونة في رسالة أخرى جاء فيها:
"أرسلت إلى الشورى المقالة الأولى عن
«إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار
حاضرة مكناس» وموضوعها مؤرخو المغرب
وقد نقلت فيها المقدمة التي في
«الإتحاف» وأسفعتها ثانية عن ابن

¹ - رسالة من بنونة لولده الطيب، بتاريخ 20 يناير 1930،
أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، ص. 382.

² - رسالة من بنونة لولده الطيب، بتاريخ 14 فبراير 1931،
أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، ص. 384.

³ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي....، م. س، ص. 149.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

خلدون وأعززهما بثالثة عن المولى
ابن زيدان أطال الله عمره ¹. وردا على
هذه الرسالة كتب بنونة: "حسن ما
تفعلونه يا مولاي من تقرّيز كتاب
الإتحاف، فإن صاحبه أهل لكل مدح على
ما هو قائم به من البحث والتنقيب
لتحقيق القضايا التاريخية وسوف يطبع
جزءا ثالثا خاصا بجد المولى إسماعيل
أعانه الله وأخذه بيده" ².

كما أنه عندما أنهى شبيب أرسلان
مؤلفه الموسوم بـ "لماذا تأخر
المسلمون وتقدم غيرهم؟"، أخبر بنونة
بذلك ³ ووعدته بمنحه عدة نسخ منه بعد
طبعه بمجلة المنار، فأجابه بنونة

¹- رسالة من الأمير شبيب أرسلان لبنونة بتاريخ 10 مارس
1931، أنظر: بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص.
187.

²- رسالة من بنونة للأمير شبيب أرسلان مؤرخة بـ 15 مارس
1931، أنظر: بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، صص.
424 - 425.

³- بعث الأمير شبيب أرسلان لبنونة رسالة بتاريخ 31 أكتوبر
1930، يقول له فيها: "ما أمكنني ذلك النهار من إكمال
كتابي لكم تعب عيني من وفرة الكتابات وكنت على نية
إتمامه ثاني يوم إلا أنه كان على جواب السؤال وارد من
الجاوي وهو: هل يمكن أن يترقى المسلمون كما ترقى
الأوروبيون والأمريكيون واليابانيون؟ فظننت أنني أحرر
الجواب في ساعتين من الزمن لكني لما أخذت القلم وجدت
الموضوع أوسع من أن يحاط في أربعة أو خمس صفحات ومضيت
أحرره ثلاثة أيام بلياليها فأخذ 40 صفحة من قطع هذه
الورقة، وما انتهيت إلا أمس فأرسلت به إلى المنار، ومتى
طبع نرسل لكم عدة نسخ هدية" أنظر: بنونة، الطيب، نضالنا
القومي...، م. س، صص. 128 - 129.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بتاريخ 5 دجنبر 1930، قائلًا: "إنني
أنتظر بكل اشتياق أعداد مجلة المنار
المحتوية على جوابكم الأنيق للسؤال
الوارد من الجاوي، أما المقالة التي
نشرتها صحيفة الفتح، فقد أرسلنا
منها للداخلية نحو 20 نسخة ووجه،
ولدي داود بعد إهدائكم تحية لأصدقائه
مثلها"¹.

وبتاريخ 13 فبراير 1931 بعث الأمير
رسالة أخرى في شأن كتابه حيث قال
له: "من تسعة أيام أرسلت لك أربع
نسخ من رسالة «لماذا تأخر المسلمون»
ضمن ظرف واحدة لك، وواحدة لصهرك
الأديب محمد الداود، وواحدة لمولاي
المؤرخ،² وواحدة لبلافرج، وقد أرسلت
إلى السيد الرشيد رضا بمصر أن يبعث
إليك بمائة وعشر نسخ، عشر هدية
والمائة نسخة للبيع، ولا أعلم الحال
لكني أظن أن اشتياق المسلمين إلى
هذا الموضوع شديد، ولذلك يجوز أن
تروج هذه الرسالة في المغرب، وينفق
منها مئات من النسخ، ولكن هذا لا
يكون دفعة واحدة، إذ يجوز، بل يرحج
منع الفرنسيين لها من منطقتهم ومن

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 395.

² - يقصد المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

طنجة فيناسب توزيعها تدريجيا
وإرسالها بالبريد الإنجليزية. على كل
حال لنجرب أن تعملوا طريقة لإيصال
نسخة إلى الوزير المنبهي بطنجة
ونسخة للأخ أحرسان ونسخة للريسوني
الشاب ونسخة للسي إدريس الحرشي
ونسخة لأقلعي ونسخة للحداد الأديب
الكاتب .. ولا بد من نسخة للشيخ عبد
الهادي السلوي ومن نسخة للشيخ
المصمودي ونسخة لمحمد الفاسي بفاس
ومثلها للمهندس السي عبد الجليل
بفاس وهذه كلها هدايا¹.

وفي يوم 15 مارس كتب بنونة لأmir
البيان يخبر بوصول نسخ الرسالة من
مصر، إذ قال له: "منذ ثلاثة أيام
استلمت من البريد ثلاث لفات مسجلة
محتوية على 98 نسخة من رسالة لماذا
تأخر المسلمون ...؟ ولم يصلني معها
مكتوب من مصر ...؟ فوزعت في الحين
النسخ العشرة إشارة سموكم وبعث
الباقى 88 في يوم واحد ببسيتين
للنسخة"²، كما توصل بنونة كذلك في
دفعة أخرى تتكون من 150 نسخة، وذلك
ما أشار إليه في رسالة بعثها لشكيب

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، صص. 153 - 154.

² - نفسه، صص. 425 - 426.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أرسلان بتاريخ 14 أبريل 1931 والتي
جاء فيها : "أخبرتكم في آخر صحيفة
منه بحيازتي لمائة وخمسين نسخة من
رسالة "لماذا ... " حين وصولها
بالبريد وأن خمسين نسخة منها دخلت
للمنطقة الإفريقية رغم المنع
والمراقبة الشديدة"¹.

وعموما فإن توزيع كتاب "لماذا
تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟" بشكل
كبير بين المغاربة كان له أثر عميق،
في توعية الشعوب الإسلامية، وعلاج
النفوس الخاملة وشكل دعاية دينية
لدعاة النهضة والإصلاح والوطنية،
ولذلك قال عنه الطيب بنونة "إن
تأثير هذا الكتاب يلزم أن يذكر في
تاريخ الوعي الوطني بالمغرب"².

ونتج عن الإقبال الكبير الذي أبدته
النخبة المثقفة بشمال المغرب على
قراءة الجرائد والمجلات والكتب وتتبع
الإصدارات الجديدة، تفكير الحاج عبد
السلام بنونة في تأسيس مكتبة سلفية
بمدينة تطوان منذ سنة 1928، حيث
نجدده يقول لولده الطيب في رسالة

¹ - نفسه، صص. 436 - 437.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 2، ص. 111.

مؤرخة ب 24 أكتوبر 1928: "رأيت
بمجلة "الفتح" أن السيد محب الدين
الخطيب سيفتح فرعاً للمكتبة السلفية
بمكة المكرمة فنعم ما فعل، ويا حبذا
لو أراد أن يخدم هذه الأقطار
المغربية المغبونة الحظ بفتح فرع
آخر ولو صغيرة جداً حتى نرى بلادنا
فيها مكتبة عصرية راقية تقرب
لنا هذين ما يعوزهم الوصول إليه من
المواد العلمية والأدوات الفنية"¹.

وبناء على ذلك كتب بنونة لمحب
الدين بن الخطيب يطلب منه أن يعمل
على فتح فرع للمكتبة السلفية بمدينة
تطوان، وموازية مع ذلك قام بطلب
ترخيص إصلاح بعض الدكاكين كان يملكها
بشارع الطرافين، وهو ما تؤكد رسالة
توصل بها من المراقب المحلي بتطوان
بتاريخ 13 نونبر من سنة 1928، والتي
جاء فيها: "جواباً على طلبكم المؤرخ
في 31 أكتوبر الماضي يطيب لي أن
أخبرك أنه لا مانع في أن تقوم بإصلاح
الدكاكين الثلاثة التي تملكها بشارع
التجارة وتحولها إلى مكتبة"².

¹ - نفسه، ج. 1، ص. 276.

² - نفسه، ص. 277.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وحتى تتفادى النخبة المثقفة
التكاليف المرتفعة لاستيراد الصحف
والكتب المشرقية، وكذلك لجعل
البرامج والكتب الدراسية في متناول
الآباء، وتوفير الأرضية الملائمة
لتأسيس الجرائد الوطنية، بادر الحاج
عبد السلام بنونة لتمويل ' 'مطبعة
المهدية' ' التي تم تأسيسها على شكل
شركة مساهمة بتاريخ 21 نونبر 1928،
وأُسندت رئاستها للفقير محمد داود¹،
الذي باشر مهامه كرئيس لمجلس إدارة
المطبعة بروح يسودها الوفاء والإخلاص
للمبدأ الذي أسست من أجله، وهو بعث
النشاط في النهضة الوطنية والفكرة
والعلمية والأدبية في المغرب².

وشكلت مطبعة المهدية صلة وصل بين
النخبة المثقفة الهادفة إلى إيقاظ
روح النهضة بين فئات الشعب المتعطشة
إلى ما ينعشها من ثقافة وآراء، كما
كانت بمثابة متنفس للنخبة المتنورة
من مثقفي وأدباء كل من المنطقتين
الخاضعتين للحماية بالمغرب، لطبع
أبحاثهم وانتاجاتهم الوطنية،
والعلمية والأدبية، مما جعل هذه

¹ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح الوطني، م. س، ص. 18.
² - داود، حسناء، على رأس الثمانين، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2011. ص. 102.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

المطبعة تحظى بشرف إصدار الكثير من
الكتب النفيسة لكتاب وعلماء مغاربة
كبار¹.

وهكذا لعبت مطبعة المهدية دورين
أساسيين، أولهما يتجلى في فتحها
المجال لإمكانية الاتصال بين رجال
الفكر النهضة بشمال المغرب وعموم
الشعب المغربي، أما الدور الثاني
فتمثل في كونها كانت ذات فضل كبير
في طبع أهم الكتب العربية والمجلات
والصحف الوطنية، مثل: السلام والحياة
والريف والمغرب الجديد والأنوار
والأمة، وكذا العديد من الكتب
والنشرات التي كانت تصدرها الحركة
الوطنية².

تكريس ثقافة الاهتمام بالعلماء وتقديرهم

رافق اهتمام النخبة المثقفة
بالصحف والمجلات والكتب، اهتمامها
كذلك بالمفكرين والعلماء وتكريمهم
والتعريف بهم والرفع من مكانتهم بين
المثقفين والشباب، وهكذا عندما أقيم
بمصر سنة 1927 حفل لتكريم الشاعر

¹ - نفسه، ص. 102.

² - الصفار، حسن، حزب الإصلاح الوطني، م. س، ص. 18.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المصري أحمد شوقي، نجد محمد داود يساهم فيه، بإرسال محاضرة أدبية تمت قراءتها على مسامع الحاضرين، تمثيلاً للمغرب في هذا المهرجان¹، وذلك ما أشارت إليه جريدة البلاغ في عددها 1260، الذي ورد فيه "ألقيت محاضرة الأستاذ محمد أحمد داود من علماء المغرب الأقصى، وهي مبحث في الأخلاق والحرص عليه"².

كما أنه عندما قام الشاعر التونسي سعيد أبو بكر بزيارة مدينة تطوان قام بنونة باستضافته ببيته³. وعن هذه الاستضافة، كتب بنونة لولده الطيب يقول: "أمسه تشرفنا بضيف تونسي من نوابغ تونس الشعراء وله ديوان حسن طبع الجزء الأول منه تحت اسم السعيديات، والثاني وهو الزهروات لا زال تحت الطبع، ودرج هذا تحت اسم الشاعر وورقة الاشتراك باسمك في ديوانه حتى يوجهه لك إلى نابلس بعد رجوعه لمسقط رأسه، وسيقضي عندنا بضعة أيام، وقد سهر معنا الليلة الشريف الوزاني والأستاذ داود بعد

1- داود، حسناء، على رأس الثمانين... م. س، ص. 88.

2- نفسه، ص. 89.

3- رسالة من امحمد بنونة للطيب بنونة، بتاريخ 8 دجنبر 1928، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، ص. 40.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

سلامهما عليك¹ ، وتزامنت زيارة
الشاعر التونسي أبو بكر مع ازديان
فراش بنونة بمولد ذكر، فسماه على
اسم الشاعر المذكور، وهو ما أشار
إليه امحمد بنونة في رسالته إلى
للطيب بقوله: **'ولا يخفى ما في اسم**
الشاعر التونسي من الفال الحسن'².

أما عند زيارة الشيخ أبو شعيب
الدكالي لمدينة تطوان في ماي 1929،
"بعد جولة في القطر الجزائري
فابتهجت هذه المدينة بهذا الزائر
... وأدت النخبة النبيلة مزيد
سرورها وفرحها بمقدمه³ ، إذ بمجرد
ما علم امحمد بنونة بقدوم الشيخ إلى
تطوان حتى سارع لالتقائه بمدينة
سبتة⁴ ، وذلك ما أشار إليه في إحدى
رسائله للطيب بقوله: **"يوم الثلاثاء**
قبضت تلغرافا من ابن الحداد لوالدكم
يعلمه بسفر الشيخ شعيب الدكالي من
مليلية إلى تطوان على طريق سبتة

¹- رسالة من بنونة لولده الطيب بتاريخ 6 دجنبر 1928،
أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج
عبد السلام بنونة، م. س، ج. 1، ص. 119.

²- رسالة من امحمد بنونة للطيب بنونة، بتاريخ 8 دجنبر
1928، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، ص. 40.

³- المرير، محمد، النعيم المقيم...، م. س، ج. 7، ص. 91.

⁴- "الشيخ أبو شعيب الدكالي ولا حاجة إلى التعريف به"،
جريدة الإصلاح، عدد 313، 17 ماي 1929، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ويوم 8 منه (ماي) سافرت صباحا مع
القطار الأول فقابلته في سبتة وصحبني
إلى تطوان ونزل عندنا بداركم ...
وبعد الغذاء أرسل له أبو النواظر
«إبن عزوز» يعلمه أنه هيا له دارا
لمدة إقامته فيها هنا بتطوان ولكن
الشيخ أبي إلا أن يبقى في دارنا"¹.

وما أن شاع خبر وصول الشيخ إلى
مدينة تطوان، ونزوله ببيت الحاج عبد
السلام بنونة، الذي كان بإشبيلية²،
حتى سارع خواص مدينة تطوان وطلبتها
"للسلام عليه وتهنئته بسلامة
القدوم"³. وكان يوجد بتطوان الكثير
من التلاميذ الذين درسوا علي يده
بمدينة فاس، وحتى العلماء الذين
كانوا في سنه، سارعوا للاتصال به
والأخذ عنه، ومن بينهم الوزير العلامة
أحمد الرهوني⁴، والشيخ محمد المرير
التطوان⁵. كما تلقاه كذلك "الحكام
الإسبانيون بكل حفاوة واحترام"،

¹- رسالة من امحمد بنونة للطيب بنونة، بتاريخ 25 ماي
1929، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، ص. 52.

²- "الشيخ أبو شعيب الدكالي..."، م. س، صفحة بدون رقم.

³- المرير، محمد، النعيم المقيم...، م. س، ج. 7، ص. 91.

⁴- الوزاني، التهامي، وصف زيارة الشيخ أبي شعيب الدكالي
...، ضمن كتاب: رياض، محمد، شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي
...، م. س، ص. 282.

⁵- المرير، محمد، النعيم المقيم...، م. س، ج. 7، ص. 91.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

واستضافه كذلك الخليفة السلطاني
بشمال المغرب الحسن بن المهدي،
وأصدر أمره بحضور درس الشيخ، وكانت
العادة بالمغرب إذا زار عالم كبير
بلدا غير بلده "يقوم بإلقاء درس أو
أكثر يدعى لحضوره حكام المدينة"¹.

وألقى الشيخ أبو شعيب الدكالي
سلسلة من الدروس بمدينة تطوان²،
أشار إليه امحمد بنونة في رسالته
لولد أخيه الطيب بقوله: "ويوم
الخميس قرأ الحديث الأول من صحيح
البخاري بالجامع الكبير، حضره جميع
العلماء والطلبة والأعيان وغيرهم،
حتى كانت المسجد كيوم الجمعة، بل
ربما أكثر، ويوم الجمعة قرأ الحديث
الأخير من صحيح البخاري بالزاوية
الريسوني، فكانت عامرة أكثر من جامع
الكبير حتى وقف الناس بالزقاق ويوم
السبت قرأ الحديث الثاني من البخاري
بقصر الخليفة بمحضره"³.

¹ - الوزاني، التهامي، وصف زيارة الشيخ أبي شعيب الدكالي
...، م. س، ضمن كتاب: رياض، محمد، شيخ الإسلام أبو شعيب
الدكالي ...، م. س، صص. 282 - 283.

² - داود، محمد، على رأس الأربعين، م. س، ص. 228.

³ - رسالة من امحمد بنونة للطيب بنونة، بتاريخ 25 ماي
1929، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، ص. 52.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ونظرا للحفاوة التي حظي بها الشيخ
أبو شعيب الدكالي بمدينة تطوان.
قررت وزارة العدالة وعلى رأسها وزير
العدلية الفقيه العلامة أحمد
الرهوني، إقامة حفلة لتكريم الشيخ،
يساهم فيها العديد من العدول وطلبة
العلم. فأقاموا حفلا مهيبا على شرفه
بغرسه السلوي، قال عنه التهامي
الوزاني و"حضر في هذا الموسم الفذ
في حياة تطوان نحو مائة مدعو من
العلماء والعدول ودام نهارا كاملا،
... وكان الرهوني رئيس لجنة الاحتفال
فعرف كيف يجعلنا نستفيد من هذا
اليوم أكبر وجوه الاستفادة، ودارت
أحاديث شتى والشيخ شعيب منبسط طيب
النفس، يتعمق في الفهم والتفهم
والتفهم بعباراته الواضحة وحجته
الدامغة"¹.

كما أشار امحمد بنونة لحفلة
التكريم في رسالته السابقة الذكر
بقوله: "يوم الأحد احتفل به (أبو
شعيب الدكالي) جميع طلبة تطوان
بغرسه السلوي، فكان يوما مشهودا
ودرة يتيمة في جبين تاريخ تطوان،

¹ - الوزاني، التهامي، وصف زيارة الشيخ أبي شعيب الدكالي
.... م. س، ضمن كتاب: رياض، محمد، شيخ الإسلام أبو شعيب
الدكالي م. س، صص. 284 - 285.

وبعد الظهر حضر الوزير لوداع الشيخ
إذ سافر في ذلك المساء... ثم أعلمك
أن الأخ سيدي محمد الناصري كان قدم
علينا قبل ذلك التاريخ، فحضر هذه
الاحتفالات وكان نزوله أيضا عندنا
وبعبارة فكل ما يمكن أن أشرحه لك في
هذا المرقوم هو غير كاف للبيان
التام"¹.

أما العلامة محمد المير التطواني
فقال عن هذه الزيارة: "ومن عظيم
الأسف، أن هذا الشيخ الكبير لم يقم
بين أظهرنا بتطوان إلا أياما معدودة،
إذ ما سلم حتى ودع، ورغما عن قلة
إقامته وقصر مدتها (كانت) كلها مآدب
وحفلات خاصة وعامة وفي بعضها أسعدني
الحظ بلحظات خاصة مع سيادته كنت
أعدها من أحسن ما تمتعت به من عمري،
إذ اقتطفت من ثمرات معارفه ما رق
وراق وسر الخواطر وأقر الأحداق"².

وحضي يونس بحري المعروف بالسائح
العراقي عند زيارة للمغرب ومروره
بمدينة تطوان، بالاهتمام نفسه، حيث
نزل ضيفا ببيت الحاج عبد السلام

¹- رسالة من امحمد بنونة للطبيب بنونة، بتاريخ 25 ماي
1929، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، ص. 52.

²- المير، محمد، النعيم المقيم...، م. س، ج. 7، ص. 91.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بنونة فيما بين 9 و 14 فبراير من
سنة 1930، وهو ما أشار إليه هذا
الأخير في رسالة بعثها لولده الطيب،
قال له فيها: "هذه نحو الخمسة أيام
ونحن نتمتع بالذاكرة والاستطلاع مع
يونس بحري البغدادي الذي يكتب في
الجرائد بامضاء «السائح العراقي»
وهو شاب ناهض مشارك وطني غيور رحالة
جال أقطار المعمور وله خبرة
واسعة"¹.

كما أنه عندما زار الأمير شقيب
أرسلان مدينة طنجة خلال غشت سنة 1930،
سارع امحمد بنونة، للسفر للمدينة
المذكورة يوم 11 غشت للتعرف على
الأمير، والترحيب به، ودعوته لزيارة
مدينة تطوان، بينما لحق به أخوه
الحاج عبد السلام بنونة في مساء
اليوم نفسه، وذلك ما أشار إليه
امحمد بنونة في رسالة بعثها للطيب
بتاريخ 2 شتنبر، حيث قال له: "يوم
14 ربيع الأول (موافق 10 غشت) قبضت
تلغراف من الأخ أ قلعي، يخبرني فيه
بوجود الأمير شقيب أرسلان بطنجة، وفي
ذلك اليوم اتفقنا أنا ووالدك على

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، ص. 362.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الذهاب إلى طنجة واستدعائه إلى
تطوان وإلى النزول بدارنا، وفعلا
سافرت يوم 15 (موافق 11 غشت) إلى
طنجة في أول سيارة، فاجتمعت بساتته
وحدي، بدون أن يقدمني إليه أحد
بفندق فيلا ذي فرانس حيث كان نازلا.
عرّفته بنفسه واستدعيته إلى تطوان
وعرضت عليه النزول ببيتنا باسم
العائلة، فوجدته يعرفنا بواسطة
السائح العراقي، وتذاكرنا كثيرا في
مواضيع مختلفة، وفي الساعة 11 من
ذلك اليوم قدم أيضا والدك المحترم،
وكان قد قابل القنصل الإسباني وتذاكر
معه في أمر هذه الزيارة، فأجابه بأن
لا مانع منها. ولذلك أكد على سموه
زيارة تطوان، وتغدينا سويا بدار
السيد عبد الهادي السلاوي واستدعى
الأمير والدك للعشاء معه، وفي الغد
رجع والدك إلى تطوان ليهيئ ما تحتاج
إليه الضيافة إلخ، وبقيت أنا مع
الأمير"¹.

وحل الأمير شبيب أرسلان بمدينة
تطوان يوم 14 غشت 1930، فنزل ضيفا

¹ - ابن عزيز حكيم، محمد، وثائق سرية حول زيارة الأمير
شبيب أرسلان للمغرب أسبابها أهدافها نتائجها، مطابع
شويخ، تطوان، 1980، ص. 26.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ببيت الحاج عبد السلام بنونة¹، وذلك
ما أكده محمد داود الذي كتب في
مذكرته لنفس اليوم قائلاً: "قدم مساء
هذا اليوم الأمير شبيب أرسلان من طنجة
صحبة ج محمد بنونة، الذي ذهب للإتيان
معه. وأتى معه أحمد بلافريج، ومحمد
الفاسي، ومحمد بن عباس القباچ،
ومحمد الزبدي، ولحقهم مساء ج عمر بن
عبد الجليل، ونزل الجميع بدار الحاج
عبد السلام بنونة. وقد سلمنا عليه
وهناك تعشنا معه وقصرنا"².

وبمجرد ما علم ساكنة تطوان بخبر
نزول الأمير شبيب أرسلان ضيفا ببيت
الحاج عبد السلام بنونة، حتى بدؤوا
يفدون للتعرف عليه، وعن ذلك قال
امحمد بنونة: "ولم يكد الأمير يستريح
حتى جعل أهالي تطوان يفدون إلى
دارنا للسلام على عطوفته من شبان
وكهول وشيوخ (من غير الموظفين) حتى
كانوا يضطرون في الأوقات أن يجلسوا
مزدحمين بالغرفة الكبيرة"³، وكان كل
يوم يعزمه أحد الوطنيين إلى بيته.
حيث أقام عبد الخالق الطريس على شرف

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، ص. 433.

² - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 122.

³ - ابن عزيز حكيم، محمد، وثائق سرية، م. س، ص. 31.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأمير وجبة الغذاء يوم 16 غشت، وفي
اليوم نفسه نظم كذلك امحمد بن جلون
حفلة شاي لأجله، كما أقام محمد داود
وجبة غذاء على شرف الأمير في يوم 17
من نفس الشهر¹.

ونظرا للمكانة التي كان يحظى بها
الأمير شكيب أرسلان بين النخبة
المثقفة المغربية، أقاموا على شرفه
يوم 17 غشت حفلة عمومية كبرى
لتكريمه، حيث تألفت لأجل ذلك لجنة
وطنية²، وهي التي وضعت برنامج
الحفلات والمأدبات التي أقيمت على
شرف الأمير، وتكلفت بتوزيع
الاستدعاءات لحضور الحفلة العمومية
الكبرى التي تم تنظيمها بدار محمد
الحاج بحي الجامع الكبير³، وانطلقت
فعاليات حفلة تكريم الأمير شكيب
أرسلان على الساعة الرابعة مساءً،

¹ - داود، حسناء، **على رأس الثمانين**، م. س، صص. 122-123.
² - تألف هذه اللجنة بتاريخ 13 غشت 1930، وتكونت من
السادة: التهامي الوزاني (الرئيس) - محمد داود - عبد
الخالق الطريس - محمد المصمودي - محمد الوزاني - عبد السلام
الطنجي - محمد باغوز - الحسين بن عبد الوهاب - عبد السلام
الحاج - محمد عزيما - محمد ابن عبود - (أعضاء - والحاج
امحمد بنونة (كاتب). أنظر: ابن عزيز حكيم، محمد،
وثائق سرية م. س، ص. 37.
³ - ابن عزيز حكيم، محمد، **وثائق سرية** م. س، ص. 41.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

واستمرت حتى ما بعد الساعة السادسة،
والتي حضر فيها أزيد من مائتي شخص¹.

هذا الاهتمام الكبير الذي أولته
النخبة المثقفة للجرائد والكتب،
وتقديرها العلماء والمفكرين
والاقتداء بهم، كان لابد وأن يدفع
مجموعة من الشباب المثقف لخوض تجربة
الكتابة والإبداع الأدبي والفكري،
وبدأت تجليات هذا الإبداع تظهر من
خلال مشاركة بعض عناصر النخبة
المثقفة في الأسواق الأدبية التي كانت
تنظم بمدينة سبتة²، وقد سبقت الإشارة
إلى أنه في سنة 1918م، شاركت في هذا
المهرجان لجنة من المجمع العلمي
المغربي مكونة من رئيسه الحاج أحمد
الطريس ونائبه الفقيه أحمد الرهوني
والحاج عبد السلام بنونة³.

وفي دورة سنة 1923م، شارك محمد
داود في هذا المهرجان الأدبي وفاز
بجائزتي الشعر والتاريخ، إذ قدم
بحثا تاريخيا في موضوع: "الشخصيات

¹ - نفسه، ص. 41.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، ص. 179.

³ - نفسه، ص. 179.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

البارزة بسببة في عهد الحكم الإسلامي¹.

كما شارك العديد من المغاربة في
دورة سنة 1928م، فنال الفقيه عبد
الكريم الحداد²، على الجائزة الأولى
في النثر عن موضوع كتبه حول شخصية
"القاضي عياض"، ونال أيضا على جائزة
في النثر كل من أحمد بن الفقيه أحمد
الرهوني، الذي كتب عن "موافقة الأخلاق
والأطباع بين
الإسبانيين
والمغربيين"، ومصطفى بن يعيد ش³
وامحمد بن العربي بنونة اللذان كتبا
عن "القواعد والأنظمة المخزنية
القديمة - البرطوكول"، بينما حاز
محمد داود على الجائزة الأولى في
الشعر بقصيدة تحت عنوان "مجد المغرب
ونهوضه"⁴.

وكان من جملة أفراد لجنة التحكيم
في هذا المهرجان الأدبي، الحاج عبد
السلام بنونة، الذي أشار إلى نتائج
هذه المسابقة في إحدى رسائله لولده
الطيب بتاريخ 3 غشت 1928، حيث قال
له: "أمسه اجتمعت لجنة التحكيم ونال

¹ - محمد داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 22.

² - كان يشغل إذ ذاك الكاتب الثاني للصدارة.

³ - كان يشغل آنذاك قائدا للمشور.

⁴ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 92.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الفقيه داود الجائزة الأولى في الشعر
العربي، كما نال عمك الجائزة عن
الأنظمة المخزنية، كما نال قائد
المشور السيد مصطفى ابن يعيش جائزة
أخرى في نفس الموضوع¹، كما قال له
في مرقوم آخر بتاريخ 12 غشت: "...
سوق سبتة وما راج فيه من الأدب
والاجتماعات الهائلة، وقد وقع
بالمسلمين اعتناء زائد فوق ما يظن
الإنسان، وكان إلقاء الفقيه داود -
بعد سلامه عليكم- لقصيدته الطنانة
شيء عجيب، وتليت أيضا ترجمتها
بالشعر الإسباني المطابق، فقبلت
بتصفيق حاد إلى الغاية، ونال جائزة
"مجانة (ساعة يد) ذهب" ... ووردة من
الذهب والبلاطين وهدية خاصة من
النائب العام، ونوهت به كل جرائد
إسبانيا زيادة على الجرائد المحلية،
وهو مسرور غاية، فلا بأس إن هنئته
بكتاب خاص²، وبالفعل هنا الطبيب
بنونة أستاذ داود في رسالة مؤرخة
11 غشت 1928م، حيث قال له فيها:
"أستاذي المحترم سيدي محمد داود
.... قد سررت كثيرا بنجاحكم على

¹ - بنونة، أبو بكر، اهتمام الحركة الوطنية بشمال
المغرب.... م. س، ص. 43.
² - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 94.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الأقران بتلك القصيدة التي لا شك أنها
فريدة في بابها، فأنهايكم وأرجو لكم
دوام الفوز والنجاح والإعانة على نشر
مبادئكم السامية"¹.

وإلى جانب مشاركة النخبة المثقفة
في الأسواق الأدبية أبدعت كذلك في
كتابة المقالات الصحفية، التي كانت
تنشرها على صفحات الجرائد المشرقية
والمغربية وخاصة بجريدة "تلغرام
الريف" و"الإصلاح" و"شمال إفريقيا"
ومجلة "الاتحاد"، ومن أبرز الأقلام
التي ذاع صيتها إذ ذاك محمد بن عبد
الكريم الخطابي، ومحمد بن العربي
الخطيب، ومحمد داود، ومحمد بنونة،
بالإضافة للحاج عبد السلام بنونة.

¹ - رسالة من الطيب بنونة لمحمد داود مؤرخة 12 غشت 1928،
أنظر: داود، حسناء، مراسلات وطنية...، م. س، ص. 53.

2. مشاريع ومبادرات وطنية للنخبة المثقفة على المستوى الاجتماعي

محاولات تأسيس الجرائد الوطنية

وإلى جانب المبادرات والأنشطة
الثقافية التي أبدعتها النخبة
المثقفة من أجل توعية الشعب المغربي
وزرع ثقافة القراءة بين الشباب
المغاربة، قامت كذلك هذه النخبة
بالعديد من المشاريع الاجتماعية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المتعددة ، والمتنوعة ولعل أبرزها هو
التفكير في تأسيس صحافة وطنية. وقد
سبقت الإشارة في الفصل السابق من هذا
الباب، إلى أن أول جريدة عربية
مغربية صدرت بالمنطقة الشمالية، هي
جريدة الإصلاح التي تأسست باسم المجمع
العلمي المغربي بتاريخ 29 يناير
1917¹.

كما أنه عند تأسيس الجريدة
الإسبانية "الشمال إفريقي **El Norte**
De Africa"، بمدينة تطوان في فاتح
ماي 1918، عرض بنونة على مديرها
الصحفي رافايل دي رودا أن يخصص
الصفحتين الأخيرتين من جريدته للأخبار
باللغة العربية²، فقبل هذا الأخير
طلب بنونة، حيث صدر في العدد الخامس
من الجريدة الإسبانية المذكورة قسم
"باللغة العربية بعنوان شمال
إفريقيا، وهذا القسم العربي يحتوي
على الصفحة الثامنة، أي الأولى من
جهة اليمين من الجريدة المذكورة،
ويعتبر كجريدة مستقلة عن الاسم

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج. 11، م. س، ص. 299.
² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية....،
ج. 1، صص. 244 - 245.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**الإسباني في تحريرها، وموضوعاتها وقد
كتب عليها جريدة يومية مستقلة"¹.**

وعمل الأستاذ محمد العربي الخطيب
محررا ومشرفا على الصفحة العربية،
فكان ينشر بها مواضيع اجتماعية
وثقافية متعددة وفق اختياراته²، غير
أنه لم يكتب لهذه النشرة حياة طويلة
لأن السلطات الإسبانية لم تتوان في
وضع العراقيل في وجهها إلى أن تمكنت
من توقيفها بعد أن صدر منها 51 عدد³.

وعن هذه النشرة العربية لجريدة
الشمال الإفريقي يقول محمد داود:
"استمرت هذه الجريدة تصدر بشبه
انتظام ما يقرب من العام، وتولى
الأستاذ الخطيب محمد العربي تحريرها
مدة من الزمن. وجل ما كانت تنشره
يومية تلغرافات تترجم من الإسبانية
عن الحرب الأوروبية مع أخبار محلية
مقتضبة، وأول عدد صدر من القسم
العربي هو عدد 5 بتاريخ 10 شعبان
عام 1336 الموافق 21 مايو 1918 وآخر
عدد وقفت عليه منها هو عدد 251

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج. 11، م.س، ص. 330.

² - الخراز، محمد الحبيب، الصحافة بشمال المغرب، م.
س، ص. 210.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية....،
ج. 1، م. س، ص. 245.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**بتاريخ 24 جمدى الأولى عام 1337
موافق 26 فبراير 1919 وكانت الجريدة
الوحيدة التي تصدر باللغة العربية
في منطقة الحماية الإسبانية في ذلك
التاريخ"¹.**

وبعد توقف كل من جريدة الإصلاح
والنشرة العربية بجريدة الشمال
الإفريقي، قامت السلطات الإسبانية،
سنة 1920 بإعادة إصدار جريدة الإصلاح،
وأصبحت تحت إشراف أنريكي أركس
فرنانديس²، الذي كان يساعده في
تحريرها اللبنانيان نعمة دحداح
والحبيب أبو سلمان، وأصبح شعارها
"جريدة سياسية اقتصادية أدبية علمية
إخبارية تصدر مرتين في الشهر"³، كما
تم تغيير حجمها كذلك حيث صار أكبر،
واقصر عدد صفحاتها على أربع صفحات
فقط⁴، وكانت بمثابة لسان حال الإقامة
العامة الإسبانية⁵، وانطلقت من العدد

¹ - داود، محمد، تاريخ تطوان، ج. 11، ص. 330.

² - من الأدباء الإسبانين والسياسيين المعروفين، عينته
المقيمة العامة الإسبانية بالإشراف على المطبوعات التي
كانت تصدر بمنطقة حمايتها. أنظر: الخراز، محمد الحبيب،
الصحافة بشمال المغرب...، م. س، ص. 207.

³ - نفسه، ص. 208.

⁴ - الخراز، عبد القادر، "تطوان وريادة الصحافة..."، م.
س، ص. 28.

⁵ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية...،
ج. 1، م. س، صص. 176 - 177.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

61 الصادر في فاتح مارس 1920، والذي
تم افتتاحه بمقال تحت عنوان: "الإصلاح
في شوطه الجديد"، جاء فيه: "كنا
نشاهد "الإصلاح" يتقلب في أطوار
الحركة والسكون والاختفاء والظهور،
فكان مجموع المؤسسين لوجوده كابن
للمجلس العلمي يعتبرون ظهور هذه
الأحوال منه كموجب لملاعبته ومداعبته.
أما اليوم فقد ترعرع ودخل شوط
التكلف وحس كاهله برفع أثقال
المسؤولية عليه"¹. واستمرت هذه
الجريدة في الصدور إلى غاية عددها
435، الذي صدر في متم دجنبر 1931².

وبالرغم من كون هذه الجريدة وجهة
عنايتها بالخصوص لتغطية الحملات
العسكرية الاحتلالية لقبائل الشمال،
وتغطية أهم المشاريع التي كانت
تنجزها الحماية الإسبانية، فإنها في
الوقت نفسه كانت منبرا للعديد من
عناصر النخبة المثقفة لنشر أفكارهم
وآرائهم ومقالاتهم وأبحاثهم الإصلاحية
الاجتماعية التنويرية. ومن أبرزهم
الحاج عبد السلام بنونة الذي انصبت

¹- الخراز، محمد الحبيب، الصحافة بشمال المغرب ...، م.
س، ص. 208.

²- الخراز، عبد القادر، "تطوان وريادة الصحافة ..."، م.
س، ص. 29.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مقالاته حول الإصلاح الاجتماعي، وكذلك
محمد داود الذي أولى اهتماما بالغاً
بالتعليم، كما كان امحمد بنونة من
أقلام هذه الجريدة كذلك، الذي ارتبطت
كتابته بالخصوص بموضوع النقد
الأدبي¹.

وحاول محمد داود سنة 1926، إصدار
صحيفة خطية بمدينة تطوان، حيث دون
في مذكراته بتاريخ 16 نونبر 1926،
بأنه قد خطرت له فكرة وبدأ في
تنفيذها وهي أن يؤسس جريدة تحت اسم
"فتى المغرب"، يصدرها لنفسه ولبعض
أصدقائه، وأنها ستكون **"سياسية أدبية
علمية إخبارية إسلامية مغربية"**، تصدر
مرتين في الشهر، وأصدر عددها الأول
بتاريخ 15 جمادى الأولى عام 1345
الموافق 21 نونبر 1926، وقد كتب
عليه: **"فتى المغرب -جريدة إسلامية
وطنية اجتماعية تصدر مرتين في الشهر
مؤقتاً"**. كما يحمل هذا العدد في
صفحته الأولى، مقالة، افتتاحية
بعنوان، **"مبدأنا وغايتنا"** ثم مقال
"حول المعارف العمومية". أما في
الصفحة الثانية، فقد جاء فيه أخبار
العالم الإسلامي، وفي الصفحة الثالثة،

¹ - نفسه، صص. 29 - 30.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

جاء باب أخبار أوروبا ثم باب في
رياض الأدب، وباب أخبار المغرب، أما
الصفحة الرابعة والأخيرة، فقد حملت
باب حوادث محلية ثم باب مقتطفات. إلا
أن داود توقف عن إصدارها، ولم يرجع
لإخراجها حتى سنة 1932¹.

وفي سنة 1927، قام الإسباني أنركي
أركس بتأسيس مجلة عربية "شهرية
مصورة علمية فنية أدبية"²، تحت اسم
الاتحاد"، صدر عددها الأول في فاتح
مارس 1927³. وبالرغم من كون
اهتمامها كان منصبا على تتبع نشاط
الحماية الإسبانية، والترويج لأعمالها
السياسية والاقتصادية والاجتماعية
والثقافية والفنية، ونشرها لصور
كبار الشخصيات من قواد وباشوات
والتعريف بهم. وبالرغم من ذلك كانت
أيضا تقوم بنشر الدراسات والأبحاث
القيمة والمقالات لكبار العلماء
والمثقفين بتطوان أمثال أحمد
الرهوني ومحمد داود⁴. وبالتالي فرغم

¹- محمد داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، صص. 86-
87.

²- الخراز، محمد الحبيب، الصحافة بشمال المغرب ...، م. س، ص. 218.

³- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، ج. 1، م. س، ص. 249.

⁴- الخراز، محمد الحبيب، الصحافة بشمال المغرب ...، م. س، ص. 218.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

النزعة الاستعمارية التي كان يتسم
بها مؤسس هذه المجلة، فإنها ساهمت
في نشر العديد من المقالات والدراسات
المفيدة في تاريخ المغرب وحضارته
خلال السنوات الخمسة التي عمرت
فيها¹.

كما أقدم بعض تلاميذ المدرسة
الأهلية في أوائل سنة 1927، على
إنشاء مجلة خطية باسم "أم عريط"²،
حيث قال عنها محمد داود "اتفق في
هذه الأيام كل من أفيال وأحمد مدينة
ومصطفى الخطيب ومحمد عزيما ومحمد
مدينة، على إنشاء جريدة يكتب فيها
الأربعة وينتسخها الخامس، واسمها أم
عريط، وهي انتقادية أسبوعية شعارها
كما كتبوا عليها (وجزاء سيئة سيئة
مثلها) وقد أصدروا أول عدد منها في
أربع صفحات صغيرة، وقد كتب فيها
الأربعة، وهي مصدرة بصورة لداود"³.

ونتيجة لإقبال العديد من المغاربة
على قراءة الصحف وبزوغ عدة أقلام

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، ج. 1، م. س، ص. 249.

² - نسب علال الفاسي هذه الجريدة الخطية، لمحمد بنونة،
أنظر: الفاسي، علال، الديمقراطية وكفاح الشعب من أجلها،
إعداد الحرشي، عبد الرحمن، مطبعة الرسالة، الرباط،
1990، ص. 161.

³ - محمد داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 66.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

صحفية وتألّفها، رأى الحاج عبد السلام بنونة أن الظروف صارت مواتية لتأسيس جريدة عربية حرة يسيرها ويمولها بنفسه، فقام بإعداد مشروع هذه الجريدة، والذي جاء فيه "مبدأ الجريدة السياسي: مع إسبانيا سياسة ودية- ومع فرنسا سياسة تحفظ- مع بقية الدول سياسة مطلقة- مع الحكومة المحلية سياسة تنبه واقتراح. مبدأ الجريدة الديني والأخلاقي: محاربة البدع والمنكرات- وبيان الحقائق الدينية بدون مس الأشخاص أو تعيين الطوائف إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، مع نشر طرق الإصلاح ونهج السلف الصالح. مبدأها الاقتصادي: الحض على الاستغناء بمصنوعات البلاد ومواردها الأولية عن المصنوعات الخارجية وبيان حقائق عن فن الاقتصاد مع إحصاءات شهرية وسنوية. النقل والترجمة: يمكن ترجمة كل ما ينشر بالجرائد الأوروبية وفيه منفعة أو تذكير للأهالي ويلزم أن لا يكون تلك الجرائد الممنوع دخولها لإسبانيا أو إحدى المنطقتين. المقالات العلمية: ينشر منها ما لا يمس بالعقائد الدينية"¹.

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وفي 29 يونيو 1927، تقدم بنونة
بتقديم طلب للسلطات الإسبانية، من
أجل الحصول على رخصة لإصدار جريدة
يومية باسم "النهضة"¹. وجاء في هذا
الطلب: "أنا الموقع أسفله الحاج عبد
السلام بنونة يطلب من سعادتكم
بكل احترام أن تفضلوا بإصدار ترخيص
له لينشر بهذه المدينة جريدة باللغة
العربية غير سياسية ومستقلة تصدر
مؤقتا كل أسبوع وتحمل عنوان
"النهضة" وستطبع بالمطبعة "الشمال
الإفريقي" بهذه المدينة ويتحمل
الموقع أسفله كل المسؤولية"². وإذا
كانت بنونة لم يتلق أي رد في
الموضوع، فإن نيابة الأمور الوطنية
أعدت تقرير 5 يوليوز جاء فيه: "إن
الطلب الذي تقدم به لهذه النيابة
المغربي الحاج عبد السلام بن العربي
بنونة وزير مالية المخزن سابقا
يلتمس فيه الإذن بإصدار جريدة
أسبوعية باللغة العربية تحت عنوان
النهضة، يطرح مشكلة لا يمكن البث
فيها إلا من طرف سعادتكم. ولم يكن
هناك لحد الآن إحساس بلزوم إيجاد

....، ج. 1، م. س، ص. 251.

¹ - ولف، جون، م. س، ص. 140.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، ج. 1، م. س، صص. 251-253.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

قانون للنشرات الدورية بمنطقة
حمايتنا كما هو الشأن في المنطقة
الفرنسية ... لقد اكتفى كل من قام
لحد الآن بنشر جريدة بالإسبانية أو
العربية بمجرد توجيه رسالة إلى هذه
النيابة أو طلب إلى سعادة المقيم
العام يعلن فيه نيته في إصدار جريدة
أو مجلة معينة دون أن يكون ملزماً
بأداء الضمانة ... لقد أصبح من
الضروري أن يوجد في هذه المنطقة
قانون ينظم صدور الدوريات ويحدد
الإجراءات التي يلزم أن تخضع لها¹،
وبالفعل صدر ظهير خليفى بتاريخ 22
يوليوز من نفس السنة خاص بقانون
الصحافة².

ونظرا لعدم توصل بنونة بأي جواب
عن طلبه الأول لتأسيس جريدة، نجده
يعاود المحاولة مرة ثانية بعد حوالي
سنة ونصف، حيث قدم في 25 أكتوبر
1928، لنيابة الأمور الوطنية طلبا
للترخيص له بإنشاء جريدة باسم
"البيان"³. وذلك ما أشار إليه تقرير
لنيابة الأمور الوطنية بتاريخ 30
نونبر جاء فيه: "الحاج عبد السلام

1- نفسه، ص. 253.

2- نفسه، ص. 256.

3- ولف، جون، م. س، ص. 140.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بنونة وزير المالية في الحكومة
الخليفية سابقا، قد تقدم إلى هذه
النيابة فعلا بطلب يرجو فيه الحصول
على الإذن لإصدار جريدة عربية بتطوان
تحت عنوان "البيان" والتي ستقوم
بطبعتها المطبعة التي أنشأها
الوطنيون أخيرا ... وسبق للمغربي
المذكور أن تقدم بطلب مماثل في
السنة الماضية قبل صدور الظهير
الخليفي الخاص بالمطبوعات الدورية
وقد قال حينئذ أن الجريدة المزمع
إصدارها ستحمل عنوان النهضة وهو
عنوان له مدلوله الخاص¹ . وسيلقى
هذا الطلب كذلك المصير نفسه الذي
لقيه طلبه الأول² . وعن مشروع هذه
الجريدة دون عبد الخالق الطريس في
مذكراته بتاريخ 11 نونبر 1928، "كتب
لي الحاج امحمد بنونة رسالة يخبرني
فيها بأحوال تطوان وقال لي أن الحاج
عبد السلام بنونة ينوي إحداث جريدة
عربية عنوانها البيان كلل الله مجهوده
هذا بالنجاح"³.

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج. 1، صص. 277-278.

² - ولف، جون، م. س، ص. 140.

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج. 1، م. س، ص. 118.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وبالرغم من عدم استجابة السلطات
الإسبانية لطلبات بنونة من أجل تأسيس
جريدة وطنية حرة، فإنه لم يفقد
الأمل. بل إنه قام في فاتح يناير
1930 بوضع طلب ثالث من أجل تأسيس
جريدة مغربية باللغة الإسبانية باسم
Gaceta de Marruecos (جريدة
المغرب)، غير أن هذا المشروع هو
الآخر لم ير النور لعدم قدرة بنونة
على توفير ميزانيته، حيث ورد في
تقرير نيابة الأمور الوطنية ليوم 31
يناير بأن "الحاج عيد السلام بنونة
لم يعد يذكر في إنشاء جريدة **la**
Gaceta de Marruecos وذلك لأنه لا
يتوفر على المال الضروري ومحاولته
من أجل الحصول عليه بالاككتاب لم
تسفر على أية نتيجة"¹.

وعندما فشلت كل محاولات بنونة
لإنشاء جريدة وطنية بالمنطقة
الخليفية، اضطر للاشتراك مع جماعة من
الإسبانيين الاشتراكيين، في تأسيس
جريدة باللغة الإسبانية بمدير
باسم Labor (العمل)، تدافع عن
القضية المغربية. وعن هذه الجريدة

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، ص. 359.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يقول بنونة لولده الطيب في رسالة
مؤرخة ب 10 فبراير 1932: "إنشاء
جريدة عربية حسبما أشرتكم لا قدرة لي
عليه لأسباب يطول شرحها. ومن أهمها
وأعظمها المالية الكافية مع هذه
الأزمة الاقتصادية ولا وجود لما نؤمله
من المعين بالمال، ومن أجل هذا
توافقت مع بعض الأصدقاء الإسبان
وأسسنا جريدة إسبانية تحت اسم Labor
(العمل) ستصدر عما قريب بحول الله،
وجعلنا لها رأس مال 50 ألف بسيطة
وأنا أحد المساهمين. وستكون هذه
الجريدة قائمة بالدفاع عن المغرب
وحقوق المغاربة حيث لنا فيها باب
مفتوح لهذا المبدأ إن شاء الله. وبعد
صدورها بمدة يكون لها فرع عربي
أسبوعي يلخص أخبار الأسبوع أما هي
فستكون يومية"¹. كما قال له في
رسالة أخرى: "ثم لنا يد أيضا في
جريدة ستصدر عما قريب بل ربما أول
مارس المقبل في باريس بالفرنسية تحت
اسم المغرب «le Maghreb» والقصد
منها أيضا الدفاع عن الإسلام
والمسلمين ونشر ما يقع من المصائب

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية...، م. س،
ج. 3، صص. 233-234.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالمنطقة الداخلية نسأل الله التيسير والتسهيل والإعانة"¹.

وفي ظل هذا الفراغ من حيث المنابر
لنشر الأفكار، نجد محمد داود يعود في
نهاية سنة 1932 لإصدار جريدته الخطية
"فتى المغرب" مرة أخرى، إلا أنها
سرعان ما ستتوقف من جديد بعد إصدار
ثلاثة أعداد فقط، حيث صدر العدد الأول
بتاريخ 8 ديسمبر 1932، والذي تصدر
بمقال افتتاحي بعنوان "افتتاحيتنا"،
بينما توجت صفحته الثانية بباب
"صفحة العالم الإسلامي والشرقي".
واشتملت صفحته الثالثة على الأخبار
الخارجية، وكانت صفحته الرابعة هي
صفحة العلم والأدب والنقد والفكاهة،
واشتملت الصفحة الخامسة على فقرات
منوعة: "كتاب مفتوح" و"سؤال وجواب"
و"يسرني ويسوؤني"، و"بين الشيخ على
والشاب مصطفى" وضمت الصفحة السادسة
أخبار البلاد العربية، والصفحة
السابعة محليات ومتفرقات، بينما
خصصت الصفحة الثامنة لاحتضان ما
ينتظر أن يثبت فيها من صور.

أما عددها الثاني فهو مؤرخ بيوم
الخميس 15 ديسمبر 1932، واشتمل على

¹ - نفسه، صص. 233-234.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأبواب نفسها، مع مقالة افتتاحية
بعنوان "لغتنا العربية في الإدارات
الرسمية"، ومقالة اختتامية في
الصفحة الأخيرة بعنوان، "النور
الوطني، شركة التعاون الصناعية". في
حين صدر العدد الثالث والأخير من هذه
الجريدة يوم 22 دجنبر 1932، والذي
تم افتتاحه بمقال "حول تدشين المدرسة
والمستشفى أي المدرسة الابتدائية
المغربية الإسبانية والمستشفى
الميداني"¹.

مشروع إنشاء كلية عربية بتطوان

وإلى جانب تفكير النخبة المثقفة
في إنشاء صحافة وطنية محلية، من أجل
نشر الوعي بين أفراد المجتمع
المغربي، كان كذلك تفكيرها منصب على
خلق أطر متخصصة في العلوم والفنون
والمهن المختلفة. وذلك ما كان يؤكد
بنونة على أعضاء البعثات الطلابية
بالمشرق، حيث نجده يقول لولده الطيب
في رسالة مؤرخة ب11 مارس 1931:
"بلادنا فارغة من كل الفنون فيا حبذا
لو يتوجه كل فرد منكم إلى شيء مخصوص
فليس لنا طبيب ولا صيدلي ولا كيماوي
ولا مهندس طرق أو معادن أو بناءات

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، صص. 86-87.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أو فنون ميكانيكية أو أو إلا جميع أقسام الهندسة وغيرها من الفنون"¹.

فهاجس تكوين جيل من الأطر، جعل
النخبة المثقفة لا تفكر فقط في إرسال
البعثات الطلابية نحو للمشرق ما دام
أنه أمر مكلف ماديا ومعنويا من جهة
وغير مضمون لتقلب السياسية
الاستعمارية من جهة ثانية، وإنما كان
تفكيرها يرمي إلى إنشاء كلية عربية
جامعة بمدينة تطوان، حيث نجد الحاج
عبد السلام بنونة يغتنم فرصة وصول
المقيم العام الإسباني الجنرال
خوردانا الابن **Jordana** في أواخر سنة
1928 إلى تطوان ليقتراح عليه إنشاء
كلية عربية جامعة بتطوان، غير أن
هذا الأخير لم يستدع بنونة للتباحث
في الموضوع إلا بعد ثمانية أشهر حيث
استقبله في مكتبه بتاريخ 14 شتنبر
1929، وعن هذا اللقاء قال بنونة
لولده الطيب: "يومه وجه علي المقيم
العام وطالت مقابلي معه 45 دقيقة
كلها مذاكرة في إنشاء كلية عربية
عصرية بهذه المنطقة تغني أهلها عن
القراءة في الخارج وقد انفصلنا على

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج.1، م. س، ص. 217.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تأليف لجنة مختلطة تقوم بالاهتمام
بالمعارف وتقدم للمقيم تقارير فيما
يجب اتخاذه من المدارس والدروس
والأساتذة ووو إلخ. ما يلزم؟؟ فاكم
هذا حتى أعلمك النتيجة بعد بحول
الله" ¹.

وبناء على اللقاء الذي تم بين
المقيم العام الجنرال خوردنا
وبنونة، قام هذا الأخير بتقديم تقرير
عام حول مشروع الكلية بتاريخ 29 من
نفس الشهر، والذي جاء فيه: "تلبية
للرغبة التي أبدأها لي سعادتك يوم
14 من الشهر الجاري حيث حصل لي
الشرف بأن عبرت لكم عن ضرورة وجود
كلية عربية عصرية بمنطقة الحماية
الإسبانية بالمغرب يكون مقرها تطوان
... هذه الكلية تكون اللغة العربية
هي أساس التعليم فيها وتكون اللغة
الإسبانية لغة مساعدة في المواد
التقنية التي لا يمكن تناولها الآن من
أساتذة العربية، زيادة على كون بعض
المواد سيكون تناولها إما باللغة

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية م .
س، ج. 1، ص. 342.

الفرنسية أو الإنجليزية حسب الضرورة¹.

وحاول بنونة في هذا التقرير
المطول أن يفصل في تخصصات وأقسام
هذه الكلية، كالآداب والفلسفة
والتعليم والدراسات الدينية
والتجارة والمعمار والفلاحة والطب
والبيطرة والإدارة والترجمة²، كما
أكد بنونة على أن تكون في كل قسم من
هذه الأقسام سنة نهائية خاصة
بالتدريب والتطبيق. ونظرا لعدم وجود
أساتذة مغاربة مؤهلين للتدريس في
أقسام الكلية المختلفة، اقترح بنونة
أن يتم التعاقد مع أساتذة عرب من
لبنان وسوريا ومصر يتم الاعتماد
عليهم في وضع المناهج الدراسية. كما
أشار بنونة في تقريره كذلك إلى
ضرورة إيراد الكتب المدرسية
الموجودة بجامعات البلاد المشرقية.
وألح كذلك على توفير قسم داخلي
للطلبة غير التطوانيين، مع تخصيص
منح لهم. ولم يفت بنونة الإشارة إلى
ضرورة إنشاء شواهد خاصة بكل قسم من
أقسام الكلية، وإصدار ظهير يحدد

¹ - نفسه، ص. 344.

² - نفسه، صص. 345 - 346 - 347 - 348 - 349 - 350.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بمقتضاه الوظائف والمهن الحرة التي
يمكن لكل حاملي تلك الشهادات أن
يزولها¹.

وعلى ما يبدو أن المقيم العام
الإسباني استهواه هذا المشروع فقام
برفعه إلى الحكومة الإسبانية بمديره²
بتاريخ 15 أكتوبر 1929، وعززه
بتقرير جاء فيه: "إنه من مصلحة
إسبانيا أن تكون لنا بتطوان مؤسسة
عربية خاصة بتكوين الشباب المغاربة
داخل المنطقة وذلك من أجل صرفهم عن
فكرة الذهاب إلى الشرق العربي زيادة
على كون التعليم في الكلية الني
يقترح الحاج عبد السلام بنونة
إنشاءها سيكون موجهًا من طرفنا"³. إلا
أن الحكومة الإسبانية لم تجب المقيم
العام على تقريره وعملت على إقبار
مشروع تأسيس كلية عربية بتطوان، لكن
رغم ذلك بقي بنونة يأمل في تحقيق
ذلك المشروع حيث نجده يقول لولده
الطيب في رسالة مؤرخة ب 9 غشت 1930:
"الرجاء في الله سبحانه أن يحينا حياة
طيبة حتى تكون لنا بتطوان الجامعة

¹ - نفسه، - ص. 350.

² - ولف، جون، م. س، 141.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية، م. س، ج. 1، ص. 351.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العربية تدهش الزائرين كما أدهشتك
الجامعة الأمريكية وتكون أنت ورفقائك
من أكبر العاملين في تأسيسها وإعطاء
أهم الدروس العلمية بها وما بذلك
على الله بعزیز" ¹.

تأسيس الجمعيات والأندية الرياضية والأدبية

إن عمل النخبة المثقفة بشمال
المغرب، لم يكن موجهًا فقط نحو
الطبقة المتعلمة، بل أولت اهتمامها
كذلك للقاعدة الشعبية عن طريق إحداث
المؤسسات الرياضية. حيث قام محمد
داود واما محمد بنونة في أواخر سنة
1928 بالاتصال بمجموعة من الشباب
التطواني من أجل تأسيس جمعية رياضية
لكرة القدم باسم جمعية "الاتحاد
المغربي"، وقام الحاج بعد السلام
بنونة بوضع قانونها الأساسي، وقدم
الشاب أحمد الزكاري طلب الإذن
بتأسيسها بتاريخ 2 دجنبر 1928 ².
وبعد موافقة ³ الإدارة الإسبانية قام

¹ - نفسه، ص. 351.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية، م.

س، ج. 1، صص. 279-280.

³ - أشار محمد بن عزوز حكيم في كتابه أب الحركة الوطنية
الحاج عبد السلام بنونة ... ج. 1، ص. 180 بأن أنه تم
تأسيس نادي جمعية الاتحاد المغربي قبل موافقة الإدارة
الإسبانية، وذلك ما تفننه رسالة بنونة لولده الطيب

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أعضاء الجمعية بتدشين ناديها بساحة
الفدان بتاريخ فاتح مارس 1929. وذلك
ما أشار إليه بنونة في رسالة بعثها
لولده الطيب بتاريخ 4 من الشهر
المذكور جاء فيها: "جمعية الرياضة
المسماة المغرب فتحت ناديا بموافقة
الحكومة ورئيس الجمعية أحمد الزكاري
وأمين صندوقها عبد السلام بن عبد الله
زوزيو"¹. كما قال بنونة كذلك عن
هذه الجمعية في رسالة أخرى لولده
الطيب: "جمعية الاتحاد المغربي فقد
فتحت ناديا بالفدان وكتب على بابه
(الاتحاد المغربي جمعية رياضية
أدبية) باللغتين الإسبانية
والعربية"².

وعن تفاصيل تأسيس هذه الجمعية
يقول امحمد بنونة للطيب في رسالة
تحمل تاريخ 8 مارس 1928: "لقد تجدد
تأسيس جمعية 'الاتحاد المغربي' لكرة
القدم وها سنؤلف قانونها الأساسي على

المؤرخة ب 4 مارس 1929، والتي جاء فيها: "جمعية الرياضة
المسماة المغرب فتحت ناديا بموافقة الحكومة"، أنظر:
وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية بشمال
المغرب، م. س، ص. 76.

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب، م. س، ص. 76.

² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
31 مارس 1929، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام
الحركة الوطنية بشمال المغرب، م. س، ص. 86.

أحدث طراز وستجعل مقصودها: الرياضة والأدب ولا يخفى ما يدخل تحت هذين اللفظين... من الجزئيات. وقد فتحت هذه الجمعية ناديا بالفدان وهي تجتهد ليل نهار في تنظيمه وإذا بقي الإقبال كما هو عليه الآن فسيتقمص حلة عظيمة يكون لها شأن في المستقبل بحول الله. وعدد المشاركين بلغ الآن نحو 200 من شبان تطوان وقد اشترك يتراوح ما بين 3 بسيطات و2 وأقله واحدة سكة إسبانية. اللجنة الآن مؤلفة من أناس لا تشبه فيهم الحكومة المغفلة فالرئيس: ج أحمد الزكاري 'كلامه' والأمين: سلام بن عبد الله زوزيو و بعض شبان لا ذكر لهم¹.

ولم تهتم هذه الجمعية فقط بالرياضة، بل اشتغلت كذلك بالتمثيل، إذ يقول امحمد بنونة في الرسالة السابقة الذكر: "وقد أسسنا أيضا جوقا تمثيليا إسوة بإخوتنا الشبان المغربي وقد اجتمعنا وفرقنا أدوار الرواية التي انتقيناها كما سترى ذلك حوله مسطرا وأنا سنجتهد أن يتكون بسبب هذا التمثيل جمعية خيرية

¹- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، ج.1، م. س، ص. 46

لأننا قد قررنا أن جميع المداخل بعد إسقاط الصوائر هي للضعفاء. ولا تعجب من كوني أجتهد بكل قواي في تنفيذ هذا المشروع (الذي يظهر صغيرا بل هو في الحقيقة فكاة أدبية) ذلك لأنني أرى أن التمثيل فن شريف إذا كان يقصد به الخير، وأن فيه مدرسة للامة لا تخفى نتيجتها وأن فيه تجريئا للشباب على الوقوف أمام الجمهور غير هيابين ولا وجلين. وتعويذا لهم على الخطابة بل فيه زيادة على ما ذكرناه تحطيم لتلك القيود الشديدة التي وضعها الجبن والخمول على حريتنا الشخصية وخطوة - ولو قصيرة - نحو الحياة الجديدة. وتعريف للجمهور أن الشباب العصر ليس هو ذلك الشباب 'المقرب' الذي عهدوه يذهب في الشوارع جنب الحائط خوفا من أن تدوسه الأقدام. ولا يرفع صوته أمام 'امي فلان' أو 'خالتي زردمانة' بدعوى أنه 'كيحشم' إلخ بل شباب العصر هو شعله في الذكاء والعمل فيه الشجاعة الأدبية التي يدعوها الجاهلون 'قلة الحياء' فعلى كل حال إن للتمثيل مزايا لا تنكر. ومع ذلك فإني أعيد على سمعك أنني أعتبره فكاة أدبية إذا لم يقف

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
 لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
 عاهد ازحيمي -----

الشباب معها كما وقع لإخواننا
 الرباطيين فإنهم اشتغلوا بالتمثيل
 وتركوا تلك الاجتماعات الوطنية
 الكبيرة التي تعلم فعفا الله عنهم
 وهدانا وإياهم سواء السبيل.

... أسماء الممثلين:

عبد السلام ابن ج أحمد بريشة =	جلون = صلاح الدين مارتين
أحمد بن عبد محمد بن محمد	الأيوبي
الرحيم مدينة =	أحمد بن عبد محمد بن محمد
عماد الدين	دي منسرات
سلام بن عبد الله	ج محمد بن أحمد
زوزيو = عامر	بوهلال = فليب ملك
(وزير صلاح الدين)	فرنسا
أحمد بن الأمين	عبد السلام بن
المعلم = بكر (..)	العربي إدريس =
(.. ..)	ملك النمسا
المكي العمراني	العربي السقا =
== حسان (.. ..)	الكونت دي مليون
(..)	
عبد الكريم بن أحمد	عبد الكريم بن أحمد
أحمد الصفار =	محمد داود = ضابط
خالد (.. ..)	إنجليزي
عبد الكريم بن أحمد	أحمد بن القائد
أحمد داود = زيد	الحسن = الملكة

(. . .)	
المغربي فريسة =	علال . . . = أوجين
قلب الأسد ملك	
إنجلترا	
محمد بن ج عبد	محمد الفخار =
السلام الفاسي =	جندي إنجليزي
ديفوندي . . .	ممتاز "1
محمد بن عبد	
السلام بن الأمين	
المعلم = جوليا	
محمد بن العربي	
بنونة = وليام	

وصارت هذه الجمعية تقوم بأنشطتها
 كما يجب إذ نجد أن امحمد بنونة يقول
 للطبيب في رسالة مؤرخة ب 4 أبريل
 1929: "أما جمعية الاتحاد المغربي
 فسائرة والله الحمد على أحسن ما يرام
 . . . أما جوقنا التمثيلي فسائر نحو
 الكمال والله الحمد. ولا تسأل عن
 اغتباطي بقابلية الشبان على اتفاق
 أدوارهم حتى كأنهم تخرجوا من كلية
 التمثيل "2 . وهكذا كانت جمعية
 "الاتحاد المغربي"، هي الأولى من
 نوعها في منطقة الحماية الإسبانية،

1- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
 بنونة، ج. 1، م. س، صص. 46-47.
 2- نفسه، ص. 50.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

غير أن الإقامة العامة الإسبانية لم
توافق على تأسيسها بشكل رسمي إلا
بتاريخ فاتح أكتوبر 1931¹.

وأشار كذلك امحمد بنونة في رسالته
المذكورة إلى تأسيس جمعية رياضية
أخرى بتطوان باسم الشروق، إذ يقول:
"وقد تأسست -أيضا- في الأسبوع
الماضي جمعية رياضية أخرى تحت اسم
الشروق ورئيسها الشريف... السيد
عبد السلام الحاج وقد اجتمعوا في دار
الحاج عبد الله الفاسي وهي الآن لازالت
في طور التكوين"².

كما حاول بعض الشباب التطواني في
سنة 1932 تأسيس نادي تحت اسم "نادي
للشبان المسلمين"، أشار إليه بنونة
في رسالة بعثها لولده الطيب بتاريخ
12 يناير 1932 جاء فيها: "أمسه
اجتمع نحو 25 من الشبان بدار عبد
السلام الحاج بقصد تأسيس مجتمع تحت
اسم نادي الشبان المسلمين وأخبرني
الأخ طنانة بعد سلامه عليكم أنهم
انتخبوني أيضا في لجنة القانون

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية...، م. س، ج. 1، ص. 280.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، ج. 1، م. س، ص. 50.

الأساسي بهذا النادي فأسال الله لهم النجاح والتوفيق"¹.

ثم عاد بنونة في رسالة أخرى تحمل تاريخ 11 فبراير 1932 يقول لولده الطيب: "شبان بلدتنا لا قدرة لهم على تأسيس نادي الشبان المسلمين ولا على غيره حتى يعلموا أو يتعلموا قبل كل شيء معنى التضحية ويصلون من أجلها إلى ما يفهمه معناها؟! أتظن أن ناديا تحت هذا الاسم يقوم بأشخاص لا يفوق عددهم الخمسين ولا يقدرّون على دفع أكثر من ريال واحد في الشهر...؟ وقد اجتمعت معهم أي مع بعضهم في روض عبد السلام بن عبود عند ولده محمد زعيم هذه الفكرة وطلبوا رأيي في المسألة إلخ ثم لم يقدرّوا على جواب السؤال الذي هو؟ هل أنتم مصممون على هذه الفكرة، ومستعدون لتنفيذها ولو عارضت الحكومة؟ هنا تلجلجت الألسن وبلغت القلوب الحناجر وصار كل منهم يقول إن الحكومة هينة لينة لا تعارض وسوف نأخذها بالحيلة إلخ فتركت هذا وسألتهم عن الميزانية المقدرة لإنشاء المحل وصوائره الشهرية فلم أجد من مبدأ ثابت ولا تقدير مناسب إلى غير

¹ - نفسه، ج. 2، م. س، ص. 358.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

هذا من التلاعب الذي لا يصلح أن يؤسس
عليه محل تحت هذا الاسم الشريف.
ونهاية اقترحوا علي أن أجعل لهم
نظاماً ليعرضوه على الحكومة طالبين
المصادقة عليه فأنعمت لهم بما رغبوا
فيه على شرط أن يشرعوا هم بالتقييد
المحتوى على قدر افتتاحي مع الاشتراك
الشهري وأدفع لهم الضابط متى تم
بيدهم دخول مائة شخص على الأقل مع
افتتاح لا يقل عن 2500 بسيطة وحتى
آلان ما رجعوا إلي بشيء وفقهم الله
وهداهم ويا حبذا لو ينجح هذا
المشروع الجليل. واعلم أن القانون
عندي موجود ولكن أين الأفراد الذين
ينهضون لأجله...؟"¹.

العمل الاجتماعي والخيري للنخبة المثقفة

وأولت النخبة المثقفة اهتمامها
كذلك بالضعفاء والفقراء، حيث قام
مجموعة من أعيان مدينة تطوان
ووجهائها أوائل سنة 1927 بتأسيس
لجنة للتعاون الخيري من أجل إعانة
الضعفاء والمعوزين، وذلك ما أشار

¹ - نفسه، ص. 361.

إليه محمد داود بقوله: "إن جماعة من
أعيان ووجهاء هذه العاصمة ... ضحوا
بشيء من مصالحهم الخاصة ابتغاء
مرضاة الله وأوقفوا جزءا من نفيس
أوقاتهم ملاؤوه تفكيراً في شأن
البؤساء والعاجزين. ... قاموا
يريدون تأسيس لجنة تخفيف من بؤس
البائسين. وإنها لمأثرة حميدة وفقهم
الله لها. وإنها لبشارة أزفها إليك
أيها المسلم الغيور على ملته الشفيق
على ضعفاء أمته ولا أخالك متلقيا لها
إلا بالقبول. لأن المشروع قبل كل شيء
عمل إنساني لم يقصد المفكرون فيه إلا
وجه الله تعالى وتخفيف آلام الإنسانية
المعذبة في أشخاص تحالف عليهم الزمن
والنكبات فسلطا على أجسامهم الذابلة
كل ما لديهم من صنوف البؤس والفاقة
وتركاهم مثالا للتعاسة والشقاء ...
فهناك شخص فقد بصره وآخر بترت رجله
أو ذراعه وثالث عدم قوته والكل لا
عائل له ولا معين وما من مورد للرزق
إلا ما يتفضل به عليهم ذوو الكرم
والجود وهناك أرملة حولها أولاد مات
أبوهم وعائلهم الوحيد ... وإذا أسست
اللجنة الخيرية فلمثل هؤلاء تؤسس ...
ماذا يضر الواحد منا معشر المتوسطين
والأغنياء لو جاد بخمسة بلايين أو

عشرة أو عشرين أو أكثر أو أقل شهريا
نودعها في يد جماعة من الفضلاء
الأتقياء ننتخبهم بكامل حريتنا ونضع
فيهم ثقتنا فينوبون عنا في تولي
البحث عن أولئك التعساء ويصلون كلا
بما يكفيه للعيش العادي ويجمعون
الضعفاء المتشردين في بقعة صالحة
يأكلون فيها ويشربون ويعبدون ربهم
حتى يأتهم اليقين... إن الكثيرين
منا ينفقون ما أوجبه الله عليهم وزيادة
ولكن¹ الكثير من ذلك يذهب في غير
محلّه وإن بين الذين نراهم في الأسواق
يستعطون... أفرادا ليسوا من الضعف
في شيء وإنما هم لصوص... إن لجنة
خيرية تُولفها تطرد أولئك اللصوص
والمموهين. وتنقذ من مخالب الموت
هؤلاء العجزة والمساكين"².

كما قال كذلك أحمد بن الحسن عن
هذه اللجنة: "تذكرت أولئك البؤساء
مضطجعين على الثرى واضعين أيديهم
تحت رؤوسهم... تذكرت صنع رجال
اللجنة الخيرية الكرماء في من
إطعامهم الطعام وكفايتهم مؤونة

¹- في الأصل كتبت لاكن.

²- فتى المغرب (محمد داود)، "لجنة التعاون الخيري
بتطوان"، جريدة الإصلاح، عدد، 215، 5 فبراير 1927، صفحة
بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

للجوع وصلتهم اليومية للعاجزين في
قعر بيوتهم ... وشكرت أعضاء اللجنة
على ما قاموا به"¹.

ولقد تكونت هذه اللجنة من محمد بن
عبد القادر الرزيني وامحمد بنونة،
حيث ورد في جريدة الإصلاح عدد 216:
"هذه أسماء السادات الأفاضل
التطوانيين الذين أشاروا وقاموا
بجمع الصدقات لأجل إطعام فقراء
ومسكين المسلمين في شهر رمضان
المبارك بينما يكون قد تم تنظيم
جمعية التعاون الخيرية التطوانية
المراد تأليفها"². كما نشرت الجريدة
نفسها لائحة "لاكتاب خيري لإعانة
الضعفاء المنكوبين بحومة واد مرتيل
الذين أصيبوا بحريق بيوتهم"³، ولائحة
ثانية "لاكتاب خيري لإعانة المنكوبين
في الناحية الشرقية وقت الزلازل
والإعصار"⁴.

ونظرا لما لقيته النخبة المثقفة
بشمال المغرب من عراقيل بخصوص تأسيس

¹ - ابن الحسن، محمد، "ضعفائنا والإحسان إليهم"، جريدة
الإصلاح، عدد 218، 30 مارس 1927، صفحة بدون رقم.

² - "الخير بالخير يذكر"، جريدة الإصلاح، عدد 216، 14
مارس 1927، صفحة بدون رقم.

³ - "لاكتاب خيري"، جريدة الإصلاح، ع. 222، 12 ماي 1927،
صفحة بدون رقم.

⁴ - نفسه، صفحة بدون رقم.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

جمعية خيرية إسلامية بمدينة تطوان،
اضطر الحاج عبد السلام بنونة لعرض
الموضوع على القنصل الإسباني بتطوان
المستعرب **أسيدورو ذي لاس كاخيكا**،
الذي قبل الفكرة واستدعى إلى مكتبه
جماعة من الأعيان الإسبانين واليهود
والمسلمين واتفق معهم على تأسيس
جمعية خيرية تعنى بشؤون الفقراء
والمعوزين من الديانات الثلاث بمدينة
تطوان، وبتاريخ 24 مارس 1930 انعقد
الجمع العام لتأسيس الجمعية التي
أطلق عليها "**جمعية العمل الاجتماعي
الخيرى**"¹.

وعن تأسيس هذه الجمعية كتب بنونة
لولده الطيب رسالة بتاريخ 11 أبريل
يقول له: "**غير خاف عنك أن ابن عزوز
عارض دائما ويعارض في تأسيس جمعية
خيرية إلخ تعلمونه في الموضوع ولأجل
فتح هذا الباب اتخذنا وسائل حتى
تأسست جمعية تحت رياسة صاحبة الفضل
كنديسة خردانه=زوجة سعادة المقيم=
أعضاء هذه الجمعية هم عبد رب ه²
والقنصل³ . وابن هروش⁴ والكموندار**

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، ج.1، م. س، ص. 371.

² - عبد السلام بنونة.

³ - أسيدورو ذي لاس كاخيكا

⁴ - اليهودي إسحاق ابن هروش.

باسكيس¹ أمين الصندوق، ولوبز² كاتب. وقد جلسنا في الأسبوعين الماضيين ثلاث جلسات وانتشر الخبر بالجرائد المحلية وغيرها ولم يقدر المعارض³ أن يفوه ببنت شفة ورغما عن كون أعمال هذه الجمعية منها ما يخالف شريعتنا المطهرة كسن ألعاب اليانصيب رأيتني مضطرا للدخول فيها رجاء فتح باب المساعدة لتأسيس جمعية خيرة إسلامية صرفة ولعلني أفوز بالمقصود في القريب العاجل إن شاء الله حيث تقرر بطلب مني في آخر اجتماع أن قسما من مداخل هذه الجمعية الحالية سيصرف على أبناء المسلمين الذين لا أشغال لهم إلا التكف بالأزقة بأن يجعل لهم محل للأكل مرتين في اليوم ودار يتعلمون فيها القراءة والكتابة وما تيسر من القرآن والحساب واللغة الإسبانية ومن ظهرت نجابته يتبع طريق العلم وغيره يرفع لمدرسة الصنائع أو لحوانيت الصنائع المغربيين إلخ وتكلف بالنظر في أحوالهم لجنة خاصة تنتخبها جمعيتنا وهذه الأمور تبرز للوجود بعد مدة شهرين أو نحوها إذ

¹- الكزمندار فاثكيث.

²- أنطونيو لوبيث.

³- يشير للصدر ابن عزوز.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يعلم قدر المداخيل وما يختص به منها
كل قسم من الجاليات الثلاث المسلمين
اليهود والنصارى¹.

لقد شكلت مسألة تأسيس جمعية خيرية
إسلامية بمدينة تطوان هاجسا يسكن
الحاج عبد السلام بنونة، الذي نجده
يقول لولده الطيب في رسالة مؤرخة
ب27 دجنبر 1931: "في القريب العاجل
أخبركم عن تأسيس جمعية خيرية للقيام
بضعفاء هذه المدينة وإذا نجحت
الأعمال التي شرعنا في تنظيمها بهذا
الصدق ورزقنا الله التوفيق والإعانة
فسوف يكون مدخول هذه الجمعية ما
يقرب من خمسين ريال سنويا في أول
نشأتها"².

ولم يمض عن تاريخ هذه الرسالة إلا
ثلاثة أيام حتى استدعى باشا مدينة
تطوان أعيان المدينة ودعاهم لتأسيس
جمعية خيرية وذلك ما أكده المحضر
الأول للجمعية الذي ورد فيه: "استدعى
باشا عاصمة تطوان السيد الحاج إدريس
الرفي جمعا من الأشراف والأعيان وذوي
المناصب، فلما تكامل جمعهم خاطبهم

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج.1، م. س، ص. 136.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج.3، ص. 134.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بقوله أيها السادات استدعيتكم لأمر
أحب أن تقوموا به هو تأليف جمعية
خيرية إسلامية بهذه العاصمة، فأجابه
السيد الحاج عبد السلام بنونة بقوله
يا سعادة الباشا إن هذا أمر يهمنا
جدا وطالما خامر أفكارنا وقد كنا
عازمين على أن نطلب منكم أن تمدوا
لنا يد المساعدة، وحيث كان مطلبنا
ومطلبكم واحد فما بقي إلا أن نفكر في
التنفيذ، وأول شيء يجب أن يكون هو
تأليف لجنة لهذه الغاية"¹، وهكذا في
اجتماع واحد يوم 30 شتنبر 1931 وقعت
مصادقة الأعيان على إنشاء الجمعية
الخيرية بمدينة تطوان، وأسديت
رئاستها للسيد عبد السلام ابن عبود²،
واتخذت الجمعية فندق الوسعة مقرا
لها³، ومن أهم المشاريع التي قامت
بها هذه الجمعية "هو المدرستان

¹- وثائق أبو بكر بنونة، ملف الجمعية الخيرية الإسلامية
التطوانية 80 سنة من الخدمات الخيرية 1931-2011، ملف
إلكتروني مضغوط، ص. 4.

²- عبد السلام بن عبود: ولد سنة 1873 كان من أكابر أعيان
تطوان انتخب لرئاسة أول مجلس إداري لشركة التعاون
الصناعية المغربية الإسبانية، إلا أنه استعفى بعد مدة ثم
انتخب كأول رئيس للجمعية الخيرية الإسلامية، وبقي بها إلا
أن توفي يوم 13 نونبر 1933. أنظر : وثائق أبو بكر
بنونة، ملف المجتمع التطواني، ج. 1، ملف إلكتروني
مضغوط، ص. 191.

³- الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية م. س،
ص. 22.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

اللتان فتحتهما للبنات والبنين بهذه
المدينة (تطوان) " ¹.

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف الجمعية الخيرية الإسلامية
التطوانية، م.س، ص. 27.

3. محاولة النخبة المثقفة تأسيس اقتصاد اجتماعي وطني وتحريره

تفردت النخبة المثقفة بشمال المغرب بتبنيها للعمل الاقتصادي في مشروعها النهضوي، واعتبرته لبنة أساسية من أجل بناء اقتصاد وطني قادر على تحقيق التنمية الاجتماعية والاستقلال عن الاقتصاد الاستعماري¹. وفي هذا السياق يقول محمد داود: "وتنظيم الحياة الاقتصادية من أكبر الموطدات للنهضة في الأمة، واعتقادنا أن الاقتصاد هو أساس السعادة المادية. فالبلاد التي ليس لديها القدر الكافي من المشاريع الاقتصادية، ولا ينهض أبنائها لتأسيس الشركات التجارية، وفتح الدور والمعامل الصناعية، ليست جديرة بأن تسمى أمة شاعرة بواجباتها، ناهضة للتمتع بحقوقها. فيجب أن نسعى مع الأمة لتكوين رؤوس أموال تستخدم

¹- المرون، مصطفى، "الحاج عبد السلام بنونة: مشاريع اقتصادية من أجل التنمية الاجتماعية (تطوان 1916-1935)", ضمن كتاب: المجتمع التطواني والتطور العمراني والمعماري، تنسيق امحمد بن عبود، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2009، ص. 103.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

للمصالح العمومية، وإيجاد الأشغال المختلفة للأيدي العاملة"¹.

ويعتبر الحاج عبد السلام بنونة
رائد هذا التيار، وصاحب أغلب
المبادرات الاقتصادية الوطنية التي
قامت بشمال المغرب على عهد الحماية
الإسبانية، ولخص الأمير شكيب أرسلان
التصور الذي كان يحمله بنونة بقوله:
"كان يعلم ... أن الأمة التي تبقى
عالة على غيرها في احتياجاتها
الاقتصادية فعثا تجاهد في تحقيق
استقلال سياسي وتَبَوُّوْ مقام أدبي في
الأرض"².

وبالفعل كان الحاج عبد السلام
بنونة مقتنعا بأن "احتلال المغرب نتج
عن تدهور اقتصادي وعلمي وثقافي،
وكان يرى بأن المغرب لن يساير
التطور العالمي إلا بنهضة اقتصادية
وعلمية وثقافية"³. وإيمانه بأن
الاقتصاد هو روح تقدم البلاد⁴، كان
يلح في خطابه على ضرورة بناء اقتصاد

¹ - داود، محمد، "مبدؤنا ..."، م. م. س، ص. 42.

² - أرسلان، شكيب، "لو كان مثل بنونة كثير لتحررت هذه
الأمة من زمن طويل"، خطاب الأمير شكيب أرسلان الذي ألقى في
حفلة تأبين بنونة، عن: بنونة، الطيب، نضالنا القومي...،
م. م. س، ص. 53.

³ - بنونة، المهدي، المغرب السنوات الحرجة، م. م. س، ص. 10.

⁴ - القادري، أبو بكر، م. م. س، ص. 9.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مغربي وطني وهو ما عبر عنه في إحدى
رسائله لولده الطيب والتي جاء فيها:
"لا شك أنك قرأت جريدة البلاغ المصرية
الخاصة بمشروع القرش¹ وعلمت
بالضرورة الفرق بين الأمة الصناعية
والأمة الزراعية...؟ فنحن أيها
العزيز في حاجة إلى أنواع الصناعات
بأسرها"².

وَقَرَنْتَ النخبة المثقفة بشمال
المغرب الازدهار الاقتصادي، بضرورة
توفر المغرب على أطر كفاءة قادرة على
تسيير الشركات والمصانع، إذ يقول
محمد داود: "يجب أن نهئى مهندسين
فنيين وطنيين يحفظون آثارنا،
ويحسنون زراعاتنا وصناعاتنا،
ويستخرجون بعلمهم الحديث المنظم ما
أودعه الله في أرضنا الكريمة من
الخيرات"³. والموقف نفسه عبر عنه
بنونة في رسالة لولده الطيب جاء

¹ - هو مشروع أطلقه الشاب المصري أحمد حسين سنة 1931،
والذي تمل في تبرع كل مواطن بقرش لإنشاء مصنع صري لصناعة
"الطرابيش"، بدلا من استيرادها من الخارج، رغبة في تنمية
الاقتصاد الوطني المصري، فلقبت هذه الفكرة إقبالا واسعا
من قبل المصريين، شارك فيها الآلاف من المتطوعين مما ساعد
على تأسيس المصنع، وافتتاحه سنة 1933، بتعاون مع إحدى
الشركات الألمانية.

² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
11 فبراير 1932، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من
أعلام تطوان الحاج عيد السلام، ج. 2، م. س، ص. 362.

³ - داود، محمد، "مبدؤنا..."، م. س، ص. 42.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

فيها: "اعلم يا عزيزي أنه إذا لم
يوجد بين ظهرانينا مهندس صناعي من
أبناء الوطن فلا نجاح ينتظر للمعامل
المكانكية من وجهة الاقتصاد ومن جهة
تلاعب أيدي الأغيار بنا فإننا الآن
نقاسي الشدائد مع المهندس بويرنرا
من تلاعبه وتهاونه بأمور شركة
ما جعلنا على يقين تام من المثل
الجاري. لا يحك لك مثل ظفرك ولا يبكي
لك غير شفرك"¹.

وبناء على هذه القناعة كان بنونة
يحرص على توجيه طلبة البعثات
المشرقية للتخصص في العلوم العصرية
إذ يقول لولده الطيب في رسالة
بتاريخ 20 غشت 1930: "وأنت يا عزيزي
تعلم أن بلادنا لا تزال تتخبط في قيود
جهلها فالرأي عندي أن تتبع ميولك
الرياضيات وتخصص في نوع من الهندسة
مثلا كمهندس الفنون والصنائع أي ما
يسمونه الإسبان مهندس "إندس تريال"
لتملاً فراغاً عظيماً من اقتصاديات
البلاد بإنشاء المعامل المختلفة
لضروريات الحياة ولا يمنعك ذلك من أن

¹ - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب 10
فبراير 1931، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج عيد السلام، ج.1، م. س، ص. 208.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تكون سياسيا في آن واحد"¹، كما قال
له في رسالة أخرى بتاريخ 11 فبراير
1932: "نحن أيها العزيز في حاجة إلى
أنواع الصناعات بأسرها وأنت اختر
لنفسك منها ما تريد التخصص فيه بعد
دراسة الفن إجمالا"².

فنزوع بنونة نحو تأسيس اقتصاد
وطني كان الغرض منه بالأساس هو
التخلص من الوصاية الاقتصادية
الإسبانية³. وهو ما أكده بقول في
رسالة لولده الطيب جاء فيها: "هذه
الأمر وما أشبهها هي التي تحذو بي
إلى اقتراحي عليك سابقا أن تدرس
هندسة الصنائع والفنون لتتفع
بمعارفك نفسك ووطنك وتفك عنه بعض
القيود والأغلال التي رزح فيها أمام
أوروبا ويعيش حالة على غيره رغم
أنفه"⁴.

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 158.

² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
11 فبراير 1932، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من
أعلام تطوان الحاج عيد السلام، ج. 2، م. س، ص. 362.

³ - REZETTE, Robert, **les Partis Politique Marocains**,
librairie Armand Colin, Paris, 2^{eme} édition, 1955, p.83.

⁴ - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب 10
فبراير 1931، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج عيد السلام، ج. 1، م. س، ص. 208.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وهكذا جعلت النخبة المثقفة من بين
برنامجها الإصلاحى إيجاد مؤسسات
اقتصادية تعاونية وطنية هدفها خدمة
مصالح الوطن والمواطنين حتى لا يتحكم
الرأس المال الأجنبي فيه وذلك بإحياء
وتجديد وحماية الصناعات التقليدية
وإحداث الصناعات الحديثة بواسطة
تكوين شركات تعاونية يمكن لجميع
المغاربة المشاركة في رأسمالها، حسب
إمكانية كل فرد¹.

إحياء الصناعة التقليدية وحفظها

وانطلاقاً من هذه القناعة نجد بنونة
يقترح على المجمع العلمى سنة 1916
تأسيس مدرسة للصنائع التقليدية
بتطوان²، لحفظ الفنون والصنائع
المغربية المحضة³، وإحياء الصناعات
التقليدية التي كانت سائدة بمدينة
تطوان⁴. كما ساهم في سنة 1917 في
شركة إسبانية لصناعة الخزف كان

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، ج.1، ص. 194.

² - للاطلاع على تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع يمكن الرجوع
لفصل الأول من هذا الباب.

³ - "أشغال مدرسة الفنون والصنائع ..."، م. س، صفحة بدون
رقم.

⁴ - الصردو، أنس؛ بوعبيد، بوزيد، مدرسة الصنائع ...، م.
س، ص. 14.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مقرها بطريق سبتة القديمة¹ ، ونظرا
لاهتمام بنونة بأمر الصنائع
التقليدية نجده يشارك في الأسواق
الأدبية لمدينة سبتة سنة 1918 بموضوع
**"تحفة الإخوان في الصنائع القديمة
بتطوان"** ، وهو بحث يتضمن معلومات
دقيقة عن أهم الصناعات التقليدية
بمدينة تطوان كحياكة الثياب
والدباغة والخرازة وصناعة الفخار
والأسلحة والصابون، كما وثق في هذا
البحث مواد ومكونات كل صناعة من تلك
الصناعات².

وكان يهدف بنونة من هذا البحث،
إلى توثيق وحفظ تلك الصنائع من
الضياع، وإبراز أهميتها في تنمية
البلاد، حيث نجده يقول في مقدمة
بحثه: **"فلما كانت الصنائع مما يعود
على البلاد بأكبر فائدة، وقد قضت
الأحوال بتغييرات صيرت أسواقها
كاسدة، وقام المجمع العلمي المغربي
التطواني باستنهاض الهمم للبحث عن
هذا المشروع إن من المعارف ما
يختص بالحواس والقوى الجسدية، وتدعى**

¹ - بن جلون، أحمد، "النشاط الاقتصادي في حياة الرائد
الوطني الحاج عبد السلام بنونة"، مجلة الإيمان، عدد 95،
ماي 1980، ص. 42.

² - داود، حسناء، تقديم كتاب: تحفة الإخوان في الصنائع
القديمة بتطوان، للحاج عبد السلام بنونة، صص. 7-9.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالمعارف الصناعية، ... ولها أعلى
رتبة في تشييد العمران، وهي أسبق
مطية في هذه الحياة بنوع الإنسان، ولا
ريب في حضارة بلد كثرت صنائعه وعظمت
مزارعه، وقد فهم الأقدمون من أهل
تطوان ... وأقاموا لها معامل تناسب
محيطهم وعضوا بالنواجز على ذلك
المثال السائر (صناعة اليدين أبقى
من مال الجدين) حتى كانت تطوان من
أهم مراكز الصناعة المغربية¹.

وإلى جانب رغبة بنونة في إحياء
الحرف التقليدية عن طريق تأسيس
مدرسة الصنائع والفنون الوطنية، عمل
كذلك على إحداث مجموعة من الشركات
والمعامل الصناعية العصرية بمدينة
تطوان، على شكل شركات مساهمة يتسنى
لجميع طبقات المجتمع من مسلمين
ويهود وأجانب المشاركة في
رأسمالها².

تأسيس شركة التعاون الصناعية

لم يتم ربط مدينة تطوان ونواحيها
بالطاقة الكهربائية إلا في عهد

¹ - بنونة، عبد السلام، تحفة الإخوان في الصنائع ...، م. س، صص. 18-19.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج. 1، ص. 196.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحماية، حيث كانت شركة "إلكتراس
مروكيس **ELECTRAS MARROQUIES**"، أول
شركة تأسست بمدينة تطوان سنة 1914
لإنتاج هذه الطاقة الكهربائية، على
يد التاجر الإسباني **أوريول**، الذي حاز
على ظهير¹ يأذن له بذلك بتاريخ فاتح
مارس 1914². غير أن احتكار هذه
الشركة الاستعمارية لإنتاج وتوزيع
الطاقة الكهربائية بالمنطقة، جعلها
تفرض رسوما مرتفعة على المستهلكين³،
فأصبحوا مستائين من رداءة خدماتها،
ويتجرعون مرارة أثماتها المرتفعة⁴.

وعن معاناة ساكنة تطوان مع هذه
الشركة كتب محمد العربي الخطيب

¹- جاء في هذا الظهير: "يعلم من كتابنا هذا رفع الله قدره،
وجعل على مركز اليمن والاسعاد مداره وفخره، وأسمى فوق
المعالي ذكره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته،
منحنا الوجيه المعتبر خوسي لويس وريول الإسبنيولي الإذن
الخصوص في إنشاء معمل كهربائي تمد منه الأسلاك التوزيعية
التي تصير القوة الناشئة عنها معدة للإنارة وتحريك الآلات،
ويسوغ بيع ما يريد من النوعين لكل طالب، وإيصاله لأي محل
يقصده الراغب، وفقا لما تضمنه الرسم الواصل لأعتابنا
الشريفة من الشروط المقررة، والقوانين اللازمة المحررة،
ومراعاة الملاحظات المعتبرة، وأن يبقى باب الامتياز
مفتوحا لمن يطلبه. فالواقف عليه من كافة الصدور، وولاة
الأمر، يتعين عليه العمل به، والتزام إجراء ما تضمنه
من مذهبه، والسلام. صدر به أمرنا السامي بالله قدره في
فاتح مارس سنة 1914 موافق 3 ربيع الثاني عام 1332"،
أنظر: داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 274.

²- داود، محمد، تاريخ تطوان، م. س، ج. 11، ص. 274.

³- الخطيب اسماعيل، محمد العربي الخطيب م. س، ص.
76-77.

⁴- بن جلون، أحمد، "النشاط الاقتصادي..."، م. س، ص. 39.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يقول: "أتيت أيتها الشركة إلى هذه
البلدة لا تملكين من الأدوات إلى
ماكينة صغيرة جدا لا تناسب العاصمة
فاحتكرت الناس جميعهم، وملكت رقابهم
وأموالهم فصرت تبيعين لهم الأدوات
الكهربائية كيفما تريدون لا يقدرون
أن يباحثوك في الأثمان، ثم اشتريت
الماكينة الثانية، وعندما سمن
جسمك بأكل أموال الناس بالباطل
اشتريت ماكينة عظيمة، نحن لا نحسدك
على ربحك وإنما نذكرك بفضل هذه
الحاضرة ورجالها حيث نسيت وصرت
تعاليمهم بحد معاملتهم"¹.

دفعت السياسة الاحتكارية التي كانت
تنهجها شركة "إلكتراس ماركيس"،
الحاج عبد السلام بنونة للتفكير في
تأسيس شركة منافسة لها. ورغم أن
المشروع كان في تلك المرحلة أكبر
من تطوان وإمكاناتها المادية، علاوة
على أن مستوى التفكير العام
للمواطنين لم يكن قد بلغ من النضج
ما يؤهله للاضطلاع بأعباء إنشاء معمل
لتوليد الكهرباء، إلا أن همة الحاج
عبد السلام بنونة وثلة من رفاقه

¹ - الخطيب، محمد العربي، "جريدة شمال إفريقيا"، عدد
211، 11 يناير 1919، منقول عن: الخطيب، إسماعيل، محمد
العربي الخطيب، م. س، ص. 76 - 77.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

جعلتهم يتحدون كل الصعاب، من أجل
تحويل تلك الفكرة إلى حيز التطبيق¹،
ابتداء من نهاية سنة 1927².

وعندما فكر بنونة في هذا المشروع
أراد أن يكون على شكل شركة مساهمة،
يتسنى لجميع الطبقات والفئات
الاجتماعية بمدينة تطوان ونواحيها
المشاركة في رأسمالها التأسيسي³،
الذي تم تحديده "مليوناً واحداً من
البسيطات ممثل في مجموعة بخمسة آلاف
سهم. قيمة كل واحد منها مائة بسيطة-
وبألف سهم. قيمة كل واحد منها
خمسمائة بسيطة"⁴.

وتم عقد أول جلسة عمومية لشركة
التعاون الصناعية بتاريخ يوم الخميس
28 دجنبر 1927، حيث بعث بنونة في
اليوم نفسه رسالة لولده الطيب في
رسالة جاء فيها: "يومه صباحاً كان
اجتماع عام بمرسح المصلى القديمة
لاستماع قوانين شركة المعاونة

¹- بن جلون، أحمد، "النشاط الاقتصادي..."، م. س، ص. 39.

²- وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 39.

³- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج. 1، ص. 196.

⁴- القوانين التأسيسية لشركة التعاون الصناعية الإسبانية
المغربية، مطبعة ايديوطورال اسبانو أفريكانا، تطوان، ص.
4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الكهربائية ووقعت مناقشة دامت ثلاث
ساعات أسفرت عن المصادقة على سبعة
وثلاثين فصلا منه، ويوم الاثنين المقبل
بحول الله وقوته يصير تتميم سرد
القوانين وتأسيس الشركة رسميا وقد
كنت المدافع عن القوانين بصفتي
رئيسا للجمعية المهنية فعانيت الكلام
بالعربية والإسبانية من الساعة 11
إلى الساعة 1 حتى خرجت من المسرح
منهوك القوى ولكن فائزا والله الحمد في
كل المحاورات نسأل الله إتمام المقصود
ونجاح الأعمال وبلوغ الآمال¹. كما
كتب امحمد بنونة للطيب بتاريخ 30
دجنبر يقول له: "الخميس... انعقدت
أول جلسة عمومية لشركتنا الكهربائية
الوطنية"².

وكان تاريخ التأسيس الفعلي لشركة
التعاون الصناعية هو يوم الاثنين 9
يناير 1928، حيث تمت المصادقة على
قوانين الشركة، وانتخاب أعضاء
مكتبها، وذلك ما أشار إليه محمد
داود في إحدى مذكراته بقوله: "ذهبت
... إلى تياترو رينا فيكتوريا
بالمصلى القديمة حيث كان الناس

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 39.

² - نفسه، ص. 26.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يحتشدون لانتخاب المجلس الإداري لشركة
التعاون الصناعية التي ستنشئ قوة
الكهرباء بتطوان، ... لم تصل الساعة
11 حتى كان التياترو عامرا كله حتى
اضطر بعضهم للطلوع إلى الدرجة
العليا، وأنذاك تقدم للمنصة ج عبد
السلام بنونة، ومحمد بن عبد الله زوزيو
وعبد السلام بن عبود وإسبانيون
وطليدانونا، وهم الذين كانوا مكلفين
بالقانون الأساسي ... شرع بنونة يبين
معنى (سوسييدا أنونيما) وأن معناها
أن المساهم غير مسؤول إلا عن قيمة
سهمه، ثم يرجع لاسم الشركة، ثم تكلم
على إصلاح بعض الفصول ... ثم قال إن
المقصود من الاجتماع هو تعيين 5 من
المسلمين و3 من النصرى و3 من
اليهود¹.

وعن تفاصيل هذا الجمع العام
لتأسيس شركة التعاون الصناعية كتب
بنونة لولده الطيب بتاريخ اليوم نفس
يقول له: "إن نهار الأمس وهو يوم
الاثنين كان يوما مشهودا بتطوان إذ
وقع فيه اجتماع هائل بمرسح فيكتوريا
لأجل تأسيس شركة الضوء الكهرباء كما
في علمك ووقع الاتفاق على القوانين

¹ - محمد داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 89.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ثم وقع الانتخاب السري بالبطائق وكان
في غاية الانتظام وفزت فيه بالأغلبية
الساحقة إذ كان حاضرا من أعيان
المسلمين 222 وخرج الأعضاء الخمسة
كما يأتي:

عبد السلام بنونة أصوات 204
ضد 17

محمد عبد الله زوزيو 167 ضد
54

سيدي عبد السلام بن عبود 140
سيدي عبد السلام الفاسي 109
سيدي محمد الرهوني 96

الخمسة فازوا بالعضوية في المجلس
الإداري للشركة

ثم هناك أشخاص آخرون يزيد عددهم
على 40 كلهم ذكر اسمهم في البطائق
أعلاهم السيد علي الخطيب عنده 63
ويليه السيد محمد الرزيني عنده
أصوات 44 والباقون كلهم دون ذلك.
أما الأعضاء الإسرائيليون فهم خسي
طلدانوا وموسيس بن هروش وموسيس
إسرائيل والأعضاء الاسبانيول فهم خوسي
أبانيس وخايمي جوريط ومنويل مونتييس
وقد اجتمع المجلس الإداري أمسه ليلا
ووقع التعيين علي رئيسا بأجمعية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأصوات فتنازلت عن الرياسة لسيدي
عبد السلام ابن عبود وقبلها بعد مشقة
عظيمة وتنازلي هذا لأمر لا يخفاكم
بعضها وخليفة الرئيس هو السنيور
أبانيس والكاتب ابن هروش وغدا إن
شاء الله سيقدم هؤلاء الثلاثة تحية
الاحترام للمقيم والنائب العام وابن
عزوز والناس هنا مسرورون كثيرا من
تأسيس الشركة ويرجون لها نجاحا
عظيما إن شاء الله¹.

وهكذا تكون المجلس الإداري للشركة
من عبد السلام بن عبود رئيسا، وخوسي
أيبانيس نائب الرئيس، وموسيس بن
هروش كاتباً، والأعضاء هم الحاج عبد
السلام بنونة، والحاج عبد السلام
الفاسي ومحمد زويزيو والحاج محمد
الرهوني وخيمي يوريط ومونطيس، وخوسي
طوليدانو وموسيس إسرائيل².

وبتاريخ فاتح مارس تم التوقيع على
قوانين الشركة بشكل رسمي أمام قنصل
إسبانيا³، وتم تسجيلها تحت اسم
"شركة التعاون الصناعية الإسبانية"

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 1، ص. 109.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، ج. 1، ص. 198.

³ - القوانين التأسيسية لشركة التعاون، م. س، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المغربية"، وحدد مقصدها في "توليد
السيال الكهربائي للإنارة والصنائع
... واستعمال الصنائع التابعة
لذلك"، وتم تحديد عمر الشركة في
خمسين سنة قابلة للتجديد¹.

ومباشرة بعد حصول الشركة على
صفتها القانونية، أعلن مكتبها
المسير لعموم المشتركين فيها بدفع
10% من الأسهم من أجل الشروع في بناء
معمل توليد الكهرباء، ونشر هذا
الإعلان بجريدة الإصلاح ومما جاء فيه:
"بما أن هذه الشركة أتمت تسجيل
قوانينها بالقنصلية الإسبانية من هذه
العاصمة التطوانية. واتبعت بتسجيل
اسمها في دفتر محكمة الصلح
القانونية حسبما تقتضيه القوانين
التجارية للشركات ذات الأهمية. رأى
المجلس الإداري أن يعلن لعموم
المشاركين الكرام أنه شرع في إجراء
ما يجب القيام به من تخطيط الرسوم
اللازمة والبحث عن الأدوات الضرورية
وفي القريب العاجل يستلم وظيفة
مهندس فني عارف بتطوان وأحوالها
ليقوم بمهمة إنشاء المعمل
الكهربائي. ولأجل ما ذكر تقرر طلب

¹ - نفسه ، صص. 3-4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المشتركين الأفاضل بدفع العشرة في
المائة 10 % من الأسهم التي تعهدوا
بها في الأوراق الأولية. ونظرا لما هو
مرسوم بتلك التعهدات اختار المجلس
الإداري أن تكون المعاملة المالية مع
بنك السنيرويس (سلبدور حسان وأولاده)
دار السنيور طلدانو بساحة إسبانيا
(الفدان) ... وعيله فنرجو من
مشاركينا أن يساعدونا بتعجيل الدفع
للبنك المذكور لنقوم بالواجب نحوهم
والمولى يوفقنا لما فيه صلاح الجميع
تحريرا بتطوان في 6 أبريل سنة
1928¹. كما تم نشر إعلان ثان
بالجريدة نفسها بتاريخ 15 شتنبر
يدعو المشتركين إلى دفع القسط
الثاني من أسهمهم².

وبالفعل انطلقت أشغال بناء معمل
الكهرباء، منذ أواخر سنة 1928، حيث
جاء في رسالة من بنونة لولده الطيب
بتاريخ 20 دجنبر 1928: "سألت عن سير
شركة التعاون الصناعية ... فهي
سائرة بانتظام ومنذ نحو الشهر شرعنا
في بناء المعمل بسانية الرمل قبل

¹ - "شركة التعاون الصناعية الإسبانية المغربية ش.م.م"،
جريدة الإصلاح، عدد 264، 30 أبريل 1928.

² - "إعلان من شركة التعاون الكهربائية الصناعية التجارية
الإسبانية المغربية"، جريدة الإصلاح، عدد 281، 15 شتنبر
1928.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوصول لميدان السباق (الايبيك) كما
طالبنا في الأسبوع الماضي عدة أدوات
ميكانيكية كهربائية كلل الله الأعمال
بالنجاح والرقى"¹. كما قال له في
رسالة أخرى بتاريخ 31 مارس 1929:
"شركة التعاون الصناعية قائمة على
أحسن ما ينبغي والبناء أشرف على
الإتمام والأدوات الميكانيكية مطلوبة
من معامل سويسرا وإنجلترا وأمسه
قررنا طلب القسط الثالث من واجب
الأسهم يسر الله الأمور وأعاننا على
القيام بما نحن مطوقون به"².

وبتاريخ 6 مارس تم عقد الجمع
العام الاعتيادي الثالث للشركة،
وتقرر فيه أداء المشتركين الثلاثين
في المائة من قيمة الأسهم المتبقية
في ذمتهم، وكذلك إخراج ما تبقى من
الأسهم المحتفظ بها للبيع³، وذلك ما
أشار إليه بنونة في رسالة لولده
الطيب بتاريخ 26 غشت 1930، جاء
فيها: "شركة الكهرباء أخرجنا ما كان
بقي من الأسهم بالمحفظة للبيع وقدره
بسيطات 400000 وأنجز منها حتى الآن

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 68.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، ص. 200.

³ - نفسه، ص. 201.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

50000 والمعلمون الألمان يشرعوا في
تركيب الماكينات بالمعمل فنسأل الله أن
يهدي بعض الأهالي الذين تأخروا عن
الأداءات لأننا في احتياج للمال ولا
زال لنا بالذمم نحو 100 ألف
بسيطة"¹.

ونتيجة تأخر بعض المشاركين في
أداء حصص أسهمهم اضطرت الشركة
للاقتراض من بعض ساكنة المدينة، وهو
ما أخبر به بنونة ولده الطيب في
رسالة بتاريخ 28 شتنبر بقوله: "في
هذا الأسبوع أقرض الأهالي 150 ألف
بسيطة لشركة التعاون الصناعية لنعجل
بإنجاز المعمل الكهربائي بآرك الله في
نهضتهم ووفقهم"².

ونظرا لما عناه أعضاء المكتب
الإداري للشركة من أتعاب في سبيل
تأسيسها، فكروا في الانسحاب من
مجلسها، حيث نجد امحمد بنونة يكتب
لأخيه الحاج عبد السلام بتاريخ 31
مارس 1931 يقول له: "قلتم أنكم
ستجتمعون في الجمعية العمومية لأجل
الانتخاب إلخ وأنكم ستخرجون من

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب.... م. س، ص. 161.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
.... م. س، ج. 1، ص. 201.

المجلس الإداري أنتم والفاسي وابن
هروش ومارلينس ثم رأيتمكم مسترحين
لخروجكم منها وتتمنون أن لا يجدد
انتخابكم. فاستغربت ذلك أيها الأخ
منكم. كيف تكون منشرحا لخروجك من
شركة وطنية كنت أول من بذر نواتها ؟
كيف تدع بنتك وقد بلغت من العمر
ثلاث سنين لغيرك؟ أعلم أن لك أشغالا
كثيرة لا يستطيع أن يقوم بها غيرك.
ولكنها يا أخي كلها لا تخرج عن كونها
شخصية أو عائلية أو على الأقل
منفعتها شخصية يعود على أفراد دون
آخريين. أما شركة النور فهذه مصلحة
ليس فقط عمومية بل هي وطنية ووطنية
كبيرة، فإن سقطنا فيها لا قدر الله يكون
سقوطنا القضاء المبرح على ضعاف
العقول وقليلي الأمل. وإن نجحنا وهو
المأمول بوجودكم فإن ذلك من باب
النجاح وأن ذلك نواة الإيمان والأمل
في قلوب اليائسين الجامدين الواقفين
حجرة عثرة في كل مشروع عمومي. أعلم
عزيزي أنني في اضطراب حتى أعلم أنهم
انتخبوك- لأنني أعلم أنه لا يوجد أقدر
منك بالقيام بهذه المسائل -ولا فخر-
فالله تعالى يوفقك ويؤيدك ويرزقك
الصبر -فإن حمل الوطن ثقيلا- وإننا لا
ننظر في تطوان لغيرك وقلوبنا لا تخفق

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إلا لك وعلوننا لا ترمق سواك والله شهيد
على ما نقول وكيل" ¹. وبالفعل أعيد
انتخاب الحاج عبد السلام بنونة، حيث
نجده يخبر ابنه الطيب بذلك في رسالة
بتاريخ 21 مارس 1931 جاء فيها: يوم
الأربعاء (19 مارس) الماضي كانت
الجمعية العمومية لشركة التعاون
الصناعية وأعيد انتخابي وانتخب الأخ
السيد عبد السلام الفاسي للمجلس
الإداري بأجمعية أصوات الحاضرين
الذين كان عددهم يقرب من 500 مساهم
نطلب الله الإعانة والتوفيق" ².

وهكذا استمر بنونة في إتمام مشروع
شركة التعاون الصناعية، متحملا كل
أتعابها، حيث نجده يقول لولده الطيب
في رسالة بتاريخ 21 نونبر: "قضيت
بمديرية بضعة أيام أنهيت فيها مسألة
الشبكة السلكية للإنارة الكهربائية
بتطوان تحت اسم شركة التعاون
الصناعية الإسبانية المغربية ش.م.
ففي يوم 11 الجاري ختمت العقد
المذكور مع شركة برينكمان الألمانية

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة، ج.1، م. م. س، ص. 117.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. م. س، ج. 1، م. م. س، ص. 201.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**بما قدره فرنك سويسري ذهب 440000
نسأل الله التوفيق والإعانة"¹.**

وابتداء من سنة 1932 بدأت عملية
مد الأسلاك الكهربائية بمدينة تطوان،
وذلك ما أخبره به بنونة ولده الطيب
بقوله: "شرعنا هذا الأسبوع في مد
الأسلاك الكهربائية بشوارع المدينة
فنسأل الله التيسير والإعانة وعما قريب
أتوجه إلى برلين لقضاء مهمة للشركة
وسيرافقني عضو المجلس الإداري السيد
محمد بن عبد القادر الرزيني"². وفي
السياق نفسه كتب امحمد بنونة للطيب
رسالة بتاريخ 15 يوليوز قال له
فيها: "لقد سافر شقيقي ومحمد
الرزيني يوم الأربعاء الماضي إلى
ألمانيا بقصد تصفية الحساب مع الدار
التي اشترت منها شركة النور
'البرم' وترى الناس هنا متحمسين
خصوصا حيث رأوا أن الأسلاك تمتد الآن
بجميع شوارع تطوان وتحققوا أن العمل
قائم على ساق الجد وتيقنوا أن الضوء

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي، م. س، صص. 440-
441.

² - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
5 يونيو 1932، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج عبد السلام بنونة، ج. 2، م. س، ص. 390.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**سيشغل في شهر سبتمبر. وفق الله الشركة
لما فيه خير الأمة"¹.**

وكانت أعمال الشركة كلما اقتربت
من الانتهاء إلا وازداد الضغط على
المشرفين عليها، حيث نجد بنونة
يعتذر لولده عن التأخر في الجواب
على رسائله بقوله: "وما ذكرته من
تأخر رسائلنا فقد أعلمتك قبل أنني
في شغل شاغل عملا لإنجاح المعمل
الكهربائي فأسأل الله الإعانة والتوفيق
زد على ذلك الأشغال الخاصة وجمعية
الملاك والحركة السياسية وووو إلخ"²،
كما قال له في رسالة أخرى بتاريخ 5
أبريل 1933 "مسألة شركة النور
الكهربائي قد تم معملها ويوم 9
أبريل سيكون الاجتماع العام ويكون
بحول الله وقوته النور موقودا بالمعمل
أما بالمدينة فبعد ذلك بأسبوع أو
أسبوعين لأسباب فنية"³.

وبالفعل تم تدشين معمل الكهرباء
وإيقاد النور به لأول مرة بتاريخ يوم

¹- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة، م. س، ج. 1، ص. 163.

²- رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
18 نونبر 1932، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الحاج عبد السلام بنونة، ج. 2، م. س، ص. 418.

³- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج. 3، ملف إلكتروني مضبوط، ص. 480.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأحد 9 أبريل 1933، حيث كتب عبد
الخالق الطريس في يومياته بتاريخ
ذلك اليوم: "جرت اليوم بمعمل
الكهرباء التابع للتعاون الصناعية
المغربية الإسبانية بالمكان المعروف
بسانية الرمل حفلة تدشين عملية
توليد الكهرباء للمرة الأولى، ويعتبر
هذا العمل تتويجا للمجهود الجبار
الذي بذله الحاج عبد السلام بنونة من
أجل إنجاح هذا المشروع الاقتصادي
الأول من نوعه بالمغرب"¹.

وبهذه المناسبة الوطنية غير
المسبوقة تقاطر مساهمو الشركة
والعديد من ساكنة مدينة تطوان على
معمل توليد الكهرباء بسانية الرمل
لحضور حفل التدشين، كما حضر العديد
من تلاميذ المدرسة الأهلية الذين
أنشدوا نشيدا خاصا بهذه المناسبة
كتبه محمد الطنجي ولحنه امحمد
بنونة، ومن بين كلماته:

كلننا هاتـف
الخفـا والعلـن
بحيـاة الألى
قد أضأؤوا الوطن

¹ - ابن عوز حكيم، محمد، يوميات زعيم الوحدة، مطبعة
الهلل العربية، الرباط، 1992، ج. 2، ص. 88.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

نزرنا ساطع
للعهدا قامع
سعدنا طالع
سعود الوطن
فليئر ضوؤنا
وليغظ خصمنا
قد بلغنا المنى
بضيء الوطن¹

وعن تفاصيل تدشين هذا المعمل كتب
بنونة لولد الطيب رسالة بتاريخ 14
أبريل جاء فيها: عقدنا الاجتماع
العمومي لشركة التعاون يوم الأحد
الماضي بالمرسح الإسباني وحضره ما
يقرب من 600 مشترك وبإشارة من
المقيم العام عرضنا عليهم الوفاق مع
الشركة القديمة والاتحاد معها فأجاب
الكل بالامتناع. ورغما عن مرور يوم
الاجتماع لم يتيسر لي من الوقت ما
أتفرغ فيه للكتابة حتى اليوم وإني
أبشرك الآن أن معملنا الكهربائي كان
عشية هذا اليوم مزدهرا بالنور
المولد فيه وكان عدد كثير من الأهالي
يتناوبون الدخول إليه لرؤية ما به
من الماكينات والأدوات النفيسة وبعد
التاريخ بأيام معدودات يكون المشروع

¹ - بن جلون، أحمد، "النشاط الاقتصادي..."، م. س، ص. 40.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

في تنوير المنازل بالمدينة إن شاء
اله ويكون يوم الاحتفال بتدشين
المعمل"¹.

ووصف التهامي الوزاني حدث إيقاد
النور لأول مرة بمعمل الكهرباء
الوطني بقوله: "واستطاع بنونة أن
يشتري قطعة من الأرض واستطاع أن يبني
مدخنة ساحة العلو، واستطاع أن يبني
البناية في شكلها الهندسي القائم
على فكرة أن تكون البناية معملا
لإنتاج التيار الكهربائي، معملا لا
يستفيد من طاقة تساقط المياه، ولكنه
يعتمد على بئر محفورة، ... وفي هذا
الجو من الأتعاب والصعوبات أصبح
المعمل قادرا على أن يوقد المصابيح
التي تنير جوانبه -ولكن في تعلثم
واضطراب، وانقطاع المرة تلو المرة
في كل ليلة، ورغم ذلك فإن الناس
فرحون مستبشرون، مندفعون في حذف
أسمائهم من قوائم الشركة ذات
الرأسمال الأجنبي"².

وعانت شركة التعاون الصناعية خلال
سنواتها الأولى العديد من العراقيل

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج. 3، م. م. س، ص. 482.

² - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية ...، م.
س، ص. 34.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والمناورات التي حيكت ضدها من أجل
إفشالها، وخاصة من طرف شركة
"إلكتراس مروكيس"، التي كانت تحتكر
إنتاج الطاقة الكهربائية بمنطقة
الحماية الإسبانية¹. وفي هذا السياق
قال محمد الخطيب: "لقد قامت السلطات
الإسبانية بدفع من حكومة مدريد وضغط
كبير من أصحاب الشركة إليكترواس
بأكثر من محاولة لعرقلة المشروع
المغربي، ولذا فإنجاز العمل الذي
كان لا يتطلب أكثر من سنة قد أبطأت
به مختلف الظروف والعراقيل أكثر من
أربع سنوات، وتلك مدة كانت في
تصورات الخصم كافية لاستنزاف أكبر
قدر من رأس المال المخصص للمشروع.
وبذلك تراكمت على الشركة عدد من
الديون أثقلت كاهلها فبرزت للوجود
مضغضة من الناحية المالية مثقلة
بتبعات كان صعبا تحملها"².

ومما زاد من صعوبة وضعية شركة
التعاون الصناعية، كونها لم تجد في
بعض المواطنين المغاربة الرغبة
المطلوبة في التعاقد معها على

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، ص. 198.
² نفسه، ص. 283.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تزويدهم بالكهرباء¹، الأمر الذي دفع
بعض عناصر النخبة المثقفة
باستفزازهم، حيث كتب عبد الخالق
الطريس في مذكراته بتاريخ 12 يونيو
1933: "اجتمعت هذه الليلة مع رؤساء
الشعب بهذه المدينة واتفق رأي
الجميع على تلطيخ دور ودكاكين
العناصر الذين امتنعوا عن فسخ
عقودهم مع الشركة الإسبانية
اليكتراس وذلك لأنه اتضح لدينا أن
العناصر المذكورة مدفوعة إلى ذلك من
طرف من يريدون إفلاس مشروعنا
الوطني"²، وعن نتائج هذه الخطوة
التي أقدمت عليها النخبة المثقفة
قال الطريس في مذكرته بتاريخ 22 من
نفس الشهر: "اجتمعت الهيئة وأطلعت
على نتائج أبواب الدكاكين والدور
حيث أصبح الجميع يفسخ عقده مع شركة
"إليكتراس" ويتعاقد مع شركتنا"³.

وأمام استمرار أزمة الشركة
المالية وتفاقم الديون عليها نجد
بنونة يتقدم للمقيم العام مباشرة
بعد تدشين معمل الكهرباء بطلب

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 4، ص. 298.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات زعيم الوحدة، م. س، ص.
165.

³ - نفسه، ص. 172.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مساعدة الحكومة للمشروع¹ ، فأشار عليه هذا الأخير بوضع اتفاق مع شركة "إلكتراس مروكيس" ، وعن تفاصيل النقاش الذي دار بين بنونة والمقيم العام كتب بنونة لولده الطيب رسالة بتاريخ 15 أبريل 1933 جاء فيها: "لا تظن أن إشارة المقيم العام كانت غلطا أو عبثا أو لسوء أريد بنا. فقد كان كلامه معي في ذلك وفحوى كلامه ما يأتي "بعد أن درس حال شركة التعاون" لأننا كنا طلبنا منه مساعدة الحكومة لنا إلخ. "اعلم يا فلان أن حالتكم المادية غير مرضية "وهذا صحيح" لأن الأهالي لا يوفون بما تعاهدوا به من الدفع. وعليكم من الديون ما يزيد على مليون من البسيطات تؤملون أداءها من المدخولات بالمشاهرة، وذلك بناء على كل الأهالي سيشعلون الضوء من معاملكم وهم لا يتأخرون عنكم ولو قاومتكم الشريكة القديمة بالمناقصة إلى ما لا قدرة لكم عليه. وإني أرى أن هذا من الغلط التجاري إذ أعلم علم يقين أن نفس المساهمين إذا عرضت عليهم الشركة القديمة القوة الكهربائية لمدة بضع

¹ - ابن عزوز حكيم ، محمد ، أب الحركة الوطنية المغربية
.... م . س ، ج . 4 ، ص . 298 .

سنوات بعشرين سنتيما مثلا وأنتم
تبيعون القوة ب 0.75 فلا يتأخر عن
العقد مع صاحب العشرين سنتيما ولو
أدى ذلك إلى خسارته إليهم الذي له
معكم إذا قابل الربح بالخسارة ووجد
النفع في جهة العقد. وعليه فإذا
أردتم وضع شروط لتأليف شركة جديدة
منك من الشركة القديمة بكيفية تضمن
لكم أسهمكم وربحها وثمر الضوء كما
تريدون فإني بصفتي مقيما عاما أتدخل
في القضية وأكون حكما بينكم وبين
الشركة القديمة وإذا وصلتكم إلى
النتيجة المرغوبة أخولكم الامتياز
إلى مدة ستين سنة إلخ إلخ إلخ"
فأجبناه بما يقتضيه المقام وعرضنا
الفكرة على العموم فلم تصادق قبولاً
كما ذكرنا سابقاً. ورأيي في القضية
هو أن الشركة القديمة ما دام لم
ينته لها أمر بناء شلال وداي لاو فهي
لا تضر بنا لأنها تحرق الزيت كمادة
أولى ونحن نحرق الفحم أما إذا أتممت
عمل شلال وادي لاو وذلك غير بعيد فإنه
يكون من الصعب علينا أن نقاومها
بالمناقصة حيث تصير تولد الكهرباء
بقوة الماء، ومن أجل هذا يجب علينا
أن نفكر من الآن. لأنني يا ولدي أخشى
خيانة قومي وهربهم عن معملنا إذا

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وجدوا القوة بأرخص من الثمن المحدد
عندنا...؟ وأنت تعلم أخلاق القوم
وتربيتهم وتقديرهم للمشروعات
الوطنية...؟ فما رأيك. إني حائر
وأفكر بالليل والنهار"¹.

ولم يكن تخمين المقيم العام
الإسباني خاطئاً عندما أشار على بنونة
بعدم الثقة في دعم المواطنين
المغاربة للمشروع، حيث نجد العديدين
كانوا بمجرد ما يتعثر المعمل يقدمون
على فسخ عقدهم مع الشركة الوطنية
والارتباط بالشركة الاستعمارية، وذلك
ما أشارت إليه جريدة الحرية في عدد
42 الذي جاء فيه: "لم يكن الإقبال من
المواطنين على هذا النور معادلاً لذلك
المظهر من مظاهر حماسهم ولم تكن
حركة الكثير منهم إلا فورة علت ثم
هبطت... ولم تسمح المدينة والحضارة
والفخخة لبعض مساهمي هذه الشركة -
الذين ينتظرون تقديمها ورقياً،
والذين يلزمهم قانونها بأخذ السيال
منها- أن يصبروا لحظات على انطفاء
النور وريثما يصلح ما فسد منه ونسوا
الغيرة ونسوا الواجب المقدس ونسوا

¹ - رسالة من بنونة لولده الطيب بتاريخ 15 أبريل 1933،
وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج.3، م.س، صص. 482 - 483.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المقارنة بين شركة تعاملوا معها
بالأمس وشركة يتعاملون معها اليوم.
فاندفعوا اندفاع السيل إلى باب
إدارة الشركة الأجنبية يطالبون نورها
وعملت أنه في يوم واحد بلغ عدد من
أدخلوا النور الأجنبي ثلاثة وسبعين
شخصا هذا نوع جديد (مودة آخر طراز)
من التقدير للمؤسسات الوطنية،
وللمجهودات التي بذلت في سبيل
تأسيسها وللمصالح القومية"¹.

وبالرغم من عدم إقبال المغاربة
على الشركة كما كان متوقعا نجد
بنونة يطمئن ابنه الطيب في رسالة 11
نونبر 1933، "شركة النور الكهربائي
أمرها كما تركته ونحن في تعب عظيم
مع الديون التي لولاها لما وصلنا
لإعطاء النور والآن كل أربابها
يتقاطرون على الإدارة ولا تسأل عن
الحالة من هذه الناحية أما من حيث
المشتركين في الضوء فقد وصلنا إلى
4600 مشترك ولا زال الإقبال متتابعا
والناس يأتون إلينا أفواجا ويتركون
الشركة الأخرى. ومدخول شهر أكتوبر
الماضي يفوق 30.000 بسيطة مع أن

¹ - "مودة وتقدير!"، جريدة الحياة، عدد 42، 27 دجنبر
1934، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

صوائر المعمل وفحمه والإدارة إلخ، لا
يفوق 22.000 بسيطة" ¹

واضطرت الشركة في نهاية سنة 1934
للاقتراض من الحكومة بعدما توالى
عليها الأزمات المالية نتيجة تراخي
العديد من المواطنين عن أداء فواتير
الاستهلاك حيث ورد في جريدة الحياة
عدد 63 "بأن الحكومة أسلفت الشركة
مليوناً ونصف مليون من البسيطات
وقدمت للشركة مليوناً، وتركت نصف
المليون معلقاً على تحسين حالة
الشركة. وتحسين حالتها مستوقف على
يسير من المال، لنقف ها هنا قليلاً حتى
نعلمك بحالة الاستهلاك. إن المستهلكين
أو عدد غير قليل منهم، أصبحوا
يعتقدون أن الشركة ملك خالص لهم،
فيجب عليها أن تقدم لهم السيال
مجاناً في مقابل أن يستفيدوه وكفى
وتراخوا عن أداء ما يلزمهم حتى توفر
على بعضهم عشرون شهراً وعلى الآخر
عشرة، وعلى المنصفين أربعة أشهر
وبهذه الأشياء كادت تشل حركة
الشركة" ².

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج.3، م. س، صص. 482 - 483.

² - "أزمة شركة النور"، جريدة الحياة، ع. 63، 23 ماي
1935، ص. 3.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وبالرغم من القرض الذي قدمته
الحكومة لشركة التعاون، فإن عدم
تشجيعها من طرف المغاربة بالشكل
المطلوب، جعلها عرضة للعديد من
الأزمات المتوالية، وصار "يهددها دين
الحكومة الذي يزيد بالفوائد التي
جعلت له في كل شهر، يهددها دين
أبركمان الألماني ... يهددها دين
الأهالي الخاص الذين ساعدوها به في
وقت حاجتها ... تهددها قلة الفحم
بسبب ... الحرب الأهلية الإسبانية أو
على الأقل غلاء الفحم بسبب انخفاض سعر
العملة الاسبانية"¹.

ولم يتمكن معمل توليد الكهرباء من
تجاوز أزمته، إلا خلال الحرب الأهلية
الإسبانية عندما لجأ أعضاء شركة
التعاون سنة 1939 إلى وزير الخارجية
الإسباني ثم المقيم العام لطلب
مساعدة الشركة في حله أزمته، وذلك
ما أكده عبد الخالق الطريس بقوله:
"جرت محادثة مع سعادة وزير الخارجية
الإسباني في بركوس ثم محادثة أخرى مع
فخامة المقيم العام هنا ... إن نبشر
جمهورنا الكريم بأن فخامته أعطى

¹ - الطنجي، محمد، "شركة التعاون الصناعية في خطر"،
جريدة الريف، ع. 111، 26 أكتوبر 1937، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أمره في الحال بحل الأزمة المستعجلة
فهيأ لنا الفحم والمواصلات، وأديت
الديون الحالية، وأكد أنه يريد أن
تبقى الشركة محتفظة بوجودها وسمعتها
حتى يتشجع الشعب على الإقدام على
المشاريع الاقتصادية الكبرى في
المستقبل"¹.

وبعد سبع سنوات على تدشين معمل
الكهرباء والتخبط في الأزمات
والعقبات التي حكت ضدها، وقعت شركة
التعاون الصناعية عقد اتفاق مع
"شركة إكطراس"، بتاريخ 11 أبريل
1940²، يخول لهذه الأخيرة منح التيار
الكهربائي لشركة التعاون الوطنية،
وذلك بأمر من فرانكو، ليبدأ بذلك
معمل الكهرباء الوطني مرحلة جديدة
من حياته، حيث ظلت تعمل على إنتاج
الطاقة الكهربائية، و"تعطي النور
لأكثر من 8000 مشترك، وتوزع الأرباح
السوية على أكثر من 1700 مساهم
طيلة خمسين سنة، إلى أن انتزعت
الحكومة منها حق توزيع الكهرباء في
سنة 1977"³، عند تأميمها بعد صدور

¹ - الطريس، عبد الخالق، "من شركة التعاون"، جريدة
الريف، ع. 19، 202 شتنبر 1939، ص. 1.
² - محمد داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 91.
³ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 48.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

قانون حكومي يقضي أن تكون الطاقة
الكهربائية ملكا للدولة¹.

وعموما كان تأسيس معمل وطني
لتوليد الطاقة الكهربائية، مخاطرة
لم يسبق لها مثيل، تمثلت في إقبال
المغاربة على استثمار صناعي ضخم،
واقترام التكنولوجيا الحديثة، الأمر
الذي جعل المشروع من أهم المبادرات
النهضوية التي عرفها المغرب على عهد
الحماية²، خاصة وأن النخبة المثقفة
بشمال المغرب كانت تهدف من إنشاء
هذا المعمل إلى وضع اللبنة الأولى
للاقتصاد الوطني، وذلك على اعتبار أن
الكهرباء هو أساس الصناعة الحديثة³،
ولقد أفصح محمد الطنجي عن هذه
الغاية التي كانت تسعى النخبة
المثقفة لتحقيقها بقوله: "ولأن
الأهالي يلزمهم تعضيد هذا المشروع
الوطني الاقتصادي الفريد من نوعه...
ونجاحه يكون أعظم مشجع لهم على
إنشاء معامل أخرى للنسيج وجميع
أنواع الألبسة مجهزة بكل الأدوات
الميكانيكية على أحدث طراز في

¹ - بنونة، المهدي، المغرب السنوات الحرجة، م. س، ص. 11.
² - المساري، محمد العربي، "عبد الخالق الطريس: أربعون
سنة من النضال"، مذكرات من التراث المغربي، ج. 6، ص. 72.
³ - بنونة، المهدي، المغرب السنوات الحرجة، م. س، ص. 11.

أوروبا، ولوجود المواد الأولية
ورخصها في المغرب، ستنزل أثمان
الثياب وغيرها بالطبع إلى النصف فما
دون، وستوجد أعمال متعددة لشغل اليد
المغربية، وكل هذه فوائد تعود على
المغرب والمغاربة بكل خير وسعادة،
ولا حياة للأمة بدونها ما دامت أوروبا
مزاحمة للمصنوعات المغربية، وما
دامت الروح الوطنية على شكلها
المزري من الضعف والتهلhel والانحلال،
وما دامت سياسة الباب المفتوح على
مصراعها. نعم كل ذلك يكون، وتتجه
النية إلى إنشاء معامل الزجاج
والورق والسكر والصابون وجميع
الحاجيات فتنهض البلاد بالاقتصاديات
التي هي حياتها الحقيقية، وتجد اليد
المغربية أنواعا من العمل، وتستثمر
الثروة المغربية فيحفظ أثمان جميع
المستهلكات التي من إنتاج المغرب
فيحفظ بذلك جزء كبير من ثروة المغرب
داخله وينتعث المغرب من هذا الخراب
المحقق الذي يسير في طريقه. هكذا
كان يحلم المفكرون في إنشاء المعمل
الكهربائي والمؤسسون لشركة التعاون
الصناعية"¹.

¹ - الطنجي، محمد، "شركة التعاون..."، م. س، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

تأسيس معمل بنونة للثياب الوطنية

ومن بين المشاريع الاقتصادية التي أنشأها بنونة كذلك "معمل بنونة للثياب الوطنية"، الذي بدأ العمل فيه منذ سنة 1929¹، بعد أن قام بزيارة العديد من المعامل الإسبانية لصناعة الثياب²، وكتب لولده الطيب في الموضوع بتاريخ 4 نونبر يقول له: "تجولت قليلا في بعض ضواحي برشلونة ومدن عمالتها، فعلمت أن بمقاطعات كطالونيا... نحو من 29000، معمل لمختلف الصناعات وهذا العدد لا يوجد ما يعادله في كل بقية عاملات اسبانيا... وتراني شرعت في إخراج فكرة ما كنا نريد تأسيسه بفاس من جلب المناويل للحياكة ميكانيكيا وعمما قريب برز ذلك بحول الله للوجود وسيكون المعمل بتطوان قرب معمل الكهرباء الجديد في قطعة أرض لنا هناك فنسأل الله الإعانة والتيسير"³.

¹ - المرون، مصطفى، "الحاج عبد السلام بنونة..."، م. س، ص. 106

² - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 215. هامش 5.

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد السلام بنونة، م. س، ج. 1، ص. 128؛ ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 214.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وكانت مجهودات بنونة لإنشاء معمل
الثياب الوطني مجهودات فردية، حيث
اقتنى مرماته ومناويله اليدوية من
إسبانيا¹، وعن ذلك قال لولده الطيب
بتاريخ 14 يناير 1931: "لقد قضيت
بهذه الديار (غرناطة) ثلاثة أيام
وكانت مهمتي تتعلق باشتراء مناويل
لصناعة الحياكة بالكيفية اليدوية
الميكانيكية، وبصحبتي اثنان من
معلمين، أحدهما حرار فاسي وآخر طرار
من صناع الجلابة التطوانية القديمة،
ونهاية اشتريت مرمه واحدة تكون
بتطوان في الأسبوع الأول من رمضان إن
شاء الله، وأديت ثمن اثنين آخرين
سيمنعان في مدة شهر بحيث يصل إلى
تطوان بحول الله أوائل شوال"².

وعن سبب اختياره للمناويل
اليديوية بدل الميكانيكة قال بنونة
في رسالة لولده الطيب بتاريخ 10
فبراير 1931: "ملاحظتك علي في جلب
مناويل اليد بدل المناويل
الميكانيكية للنسيج إلخ وأردت أن
تعرف السبب مع وجود الكهرباء عندنا

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 216. هامش
5.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 1، ص. 202.

فاعلم يا عزيزي أنه إذا لم يوجد بين
ظهرانينا مهندس صناعي من أبناء
الوطن، فلا نجاح ينتظر للمعامل
الميكانيكية من وجهة الاقتصاد، ومن
جهة تلاعب أيدي الأغيار بنا، فإننا
الآن نقاسي الشدائد مع المهندس
بويرنرا من تلاعبه وتهاونه بأمور
شركة التعاون، ... أما المناويل
اليدوية الأوروبية، فهي أشبه في
الجملة بمناويلنا وأسرع منها في
الخدمة، وأنقى صنعا والأصلح في مثل
هذه الأمور التدريج بدون طفرة، على
أنني طلبت من عدة دور للمعامل
الميكانيكية ميزانية معمل صغير
يحتوي على أربعة مناويل فقط بقصد
التجربة واعتقادي أن النبهاء من
أبناء الوطن يمكنهم تسييره وحتى إذا
تعذر عليهم يبقّى موقوفا¹.

وبدأ هذا المعمل عمله في مطلع سنة
1931، حيث نجد بنونة يقول لولده
الطبيب بتاريخ 2 مارس: "وجهت لك
مشتريات ثوب، أظنه صالحا حتى للباسكم
الأوروبي، فتأملوه وإذا وافقكم
أخبرونا نصنع منه لكم بهذه الكيفية"

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 1، ص. 202؛ ابن عزوز حكيم، محمد،
أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 215.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كما قال له في رسالة أخرى: "تجد
درجه نظائر الثياب المغربية
المصنوعة عندي بالمعمل، ومهما خرج
شكل آخر أولجه لك منه نظير لتنظره
من أخيك ورفقائك"¹.

و درس بنونة بنفسه كيفية تركيب
الخيوط في المناويل وطريقة وضع
تصميمات للأقمشة، وطبق ما وجد من
قواعد في الكتب الإسبانية الخاصة
بهذه الصناعة²، وذلك ما أكده في
رسالة بعثها لولده الطيب بتاريخ 5
أبريل جاء فيها: "وجهنا لكم نظائر
من الثياب التي ينتجها حتى الآن
معملنا التطواني ودرج هذا تجد نوعين
آخرين أما ثوب الحرير، فلا زال لم
يخرج من المنوال ومهما يفرضه المعلم
من عمل أوجه لك منه النظير. واعلم
أن الصنائع المستعملة في الزواق
وغيره كلها من عمل يدي، وأحررها من
رسوم هندسية على الورق أولا ثم أربط
للمعلم شرائط المreme على مقتضاها
فتخرج والله الحمد حسب المرام، وذلك
لأنني قدمت من برشلونة، وأنا أدرس

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 215.

² - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 216. هامش
5.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الفن في الكتب أتيت بها من البلدة
المذكورة، وكلما كان يتوقف لي أمر
في الدراسة أتوجه إلى غرناطة لدرسه
في نفس المرممة عند صديق لي هناك"¹.

ونظرا لتزامن تأسيس هذا المعمل مع
سياسة مقاطعة البضائع الفرنسية،
استطاع أن ينتشر صداه داخل المغرب
وخارجه، حيث أقبل الوطنيون المغاربة
على المنتجات الوطنية ومن بينها
الألبسة، وذلك ما أشار إليه بنونة في
رسالة لولده الطيب بتاريخ 8
نونبر 1930: "الدعاية لمقاطعة
البضائع الفرنسية تزداد انتشارا
بالداخلية، والإخوان يعملون في تحسين
مصنوعات الثياب لتقوم مقام
المجلوبات من أوروبا ويوجد الآن أفراد
من الأعيان ليس عليهم خيط واحد من
مصنوعات أوروبا ابتداء من الحذاء
إلى الطربوش والعمامة !!! فبالرباط
ثلاثة معامل أهلية للطربوش أنجح الله
أعمالهم وشكر سعيهم"² كما قال له في
رسالة أخرى بتاريخ 26 مارس 1936:
"اعلم أنني ليس علي من الملبوس

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 216؛ بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص.
216. هامش 5.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج بعد
السلام بنونة، م. س، ج. 1، ص. 189.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأوروبي إلا التوب الأبيض أما غيره
فكله وطني حتى الطربوش صنعته مثل
الطاقية مصبوغ أحمر وفقنا الله جميعا
لما فيه الخير رضاه"¹.

وهكذا ازداد الطلب على منتوجات
معمل بنونة حيث نجد رسالة بعثها عبد
القادر التازي لبنونة بتاريخ 30 ماي
1931 يقول له فيها: "إن الأمثلة التي
أرسلت إلي قد أخذت بلبي غاية ولب
غيري فهي في غاية اللطف والظرافة"²،
كما قال له في رسالة أخرى بتاريخ 16
يناير 1933: "قياس الطربوش لي 57.50
وآخر سنتم 58، ولا بد عجل لي بهما
بلون يروق ويكون علوهما من سنتيم
16. أرسل ثوب الجلابة فلا بأس بذلك
الثمن، قلا بأس بالشئ إذا قيل حسن.
لون الطربوش من الألوان الغامضة مثلا.
عرفني بما موجود عندكم من الملابس
الأخرى"³. كما كتب محمد بن الحسن
الوزاني لبنونة بتاريخ 6 يونيو 1931
يقول له: "أكتب إليك الآن طالبا...
أن تبعث إلي بنماذج من كل ما أخرجه

¹ - نفسه، ص. 223.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 217.

³ - نفسه، ص. 219.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

معملكم المبروك من أصناف الثياب لكي
أشارك في الفرع والداعية"¹.

ووصل صدى هذا المعمل كذلك إلى
خارج المغرب، حيث كتب عبد الخالق
الطريس في مذكراته بتاريخ 5 أبريل
1931: "أراني الحاج امحمد بنونة عدة
نماذج من الثياب التي ينتجها معمل
الحاج عبد السلام بنونة بتطوان،
ومنها ما هو منسوج من خيوط من حرير،
والحق يقال إنها ممتازة ولا تقل جودة
بالنسبة للثياب التي تنتج هنا بمصر،
نسأل الله أن يمد في عمر الحاج عبد
السلام ويعينه على تحقيق جميع
مشاريعه الاقتصادية التي سوف تعود
بالنفع الكبير على بلادنا"².

كما كتب امحمد بنونة عن الموضوع
نفسه في رسالة بعثها لأخيه الحاج عبد
السلام بتاريخ 9 أبريل جاء فيها:
"أمسه كنت عند محمد علي الطاهر وكان
هناك شاعر سوريا الكبير خير الدين
الزركالي وكنت لابسا الطربوش المغربي
الجميل، فتذاكرنا كثيرا في هذه
النهضة الجديدة السارية في الشرق

¹ - نفسه، ص. 220.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 1، ص. 228.

عموماً، وبعد الأخذ والرد أعلمتهم
أننا صنعنا بالمغرب القماش الصالح
للبديل، فتعجبوا جداً وفرحوا وهنأوني
على هذا التقدم الملموس، فلذلك أخي
يجب علينا أن نقدر هذا المنة لربنا
ونشكره بأن لا نلبس بوطننا غير
مصنوعات بلادنا مهما كانت خشنة
ومتقشفة التي يصنعها المؤمنون،
ولنحرم على أنفسنا ما استطعنا من
مصنوعات الكافرين الذين يأخذون
أموالنا في مقابل ملابسنا مثلاً
ويصنعون بها المدافع لتخريب أرضنا
وإخراجنا من ديننا يأخذون أموالنا
ويصرفونها على تشييد المدارس
الصليبية والكنائس الكاثوليكية، لا
أقدر أن أصف لك كيف أجيب السائلين
عن طربوشي المغربي... ولا أدري هل
ستصحبني هذه الفكرة في المغرب أم لا؟
وهل هي عقيدة راسخة أم فكرة تزول
وتتغير بتغير الوسط المحيط؟؟¹.

كما أن حرص بنونة على أن يرتدي
أفراد البعثات الطلابية بنابلس
منتوجات معمل الثياب الوطنية، جعل
العديد من الفلسطينيين يعجبون

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة، ج. 1، م. س، ص. 123.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بجودتها، وذلك ما تؤكد رسالة بنونة
لولده الطيب بتاريخ 16 نونبر 1931،
والتي جاء فيها: "سررت كثيرا بما
شرحته عن مصنوعاتنا في نظر إخواننا
الفلسطينيين بارك الله فيهم وأصلح
أحوالنا وأحوالهم وحررنا وإياهم من
ربقة الاستعباد"¹.

وأعجب كذلك الأمير شبيب أرسلان
بمبادرة تأسيس بنونة لمعمل للثياب
حيث قال له في رسالة بتاريخ 26
أبريل 1931: "كم سررت بقولكم إنكم
أنشأتم بتطوان معملا لتحسين الثياب
الوطنية لم يبق لنا يا أخي في الوقت
الحاضر إلا هذا السلاح: العمل في إصلاح
أمورنا الاقتصادية حتى نضارع بها
المستعمرين فهذا يكون له نتيجتان
عظيمنتان، إحداهما تخلصنا من الفقر
الذي نحن فيه، لأن الأمة الإسلامية من
حيث المجموع فقيرة جدا، والنتيجة
الثانية هي أن المستعمر عندما يرى
بضائعه كاسدة يزهد في الاستعمار ويقل
فيه هذا التكالب على امتصاص جميع
خيراتنا واستئصال جميع قوانا فلا
تأسوا واشتغلوا وواظبوا وإنها وإن

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 2، ص. 333.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كانت النتيجة في البداية ضئيلة فمع
الوقت تزداد وما من شجرة ارتفعت إلى
السماء إلا كان أصلها حبة"¹.

تأسيس شركة الزرابي الشفشاونية

ونظرا لما اشتهرت به مدينة شفشاون
في تاريخها بصناعة النسيج، وما
أصابها من كساد بعد دخول الاستعمار،
أراد بنونة إعادة إحيائها، فتقدم في
أوائل سنة 1928، بطلب إلى إدارة
الحماية الإسبانية من أجل تأسيس معمل
لصناعة الزرابي بشفشاون، غير أن
الإدارة المذكورة تبنت المشروع الذي
تم تدشينه في فاتح أكتوبر من سنة
1928²، وأشارت جريدة الإصلاح لتأسيسه
في عددها 260 الذي ورد فيه: "من
الأعمال الجليلة التي تقوم بها
الدولة الحامية هي أحياء الصنائع
والفنون المغربية التي كانت دعائم
أركانها تداعت للسقوط. ... وها هي
الآن شفشاون بدورها تتيه دلالة على
غيرها بالمعمل الجديد الذي أسس فيها
لخدمة الزرابي المغربية الثمينة.
وقد فتح بابه للعمل ... وها هي الآن

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، صص. 215 - 216.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ...، م. س،
ج. 1، صص. 222 - 223.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**أربعة من الزرابي على آلة العمل وقد
قاربت الانتصاف. فشكرا لرجال الدولة
ولمن سعى في هذا العمل الجليل"¹.**

وبالرغم من استحواذ المستعمر على
فكرة إنشاء معمل للزرابي، فإن بنونة
لم يتقاعس عن إنجاز مشروعه، حيث نجد
في سنة 1931 يخبر ولده الطيب بعزمه
على شراء "مرمة" لصناعة الزرابي في
رسالة بعثها له بتاريخ 14 يناير جاء
فيه: "أوصيت كذلك على مرمه لنسج
الزرابي ستكلف علينا بنحو 3700
بسيطة فادع الله لنا بالإعانة
والتيسير"²، غير أن تدشين "معمل
الزرابي الشفشاونية"، الذي اشترك في
تأسيسه العديد من أهالي مدينة
شفشاو ن³، لم يتم إلا بتاريخ 16
يوليوز 1934⁴، وعن انطلاق أشغال هذا
المعمل كتب بنونة لولده الطيب رسالة
بتاريخ 13 غشت جاء فيها: "معمل
الزرابي أول شهر شرع فيه العمل هو
شهر ربيع الثاني الماضي وقد وجدت

¹ - "معمل صناعة الزرابي المغربية بشفشاو"، جريدة الإصلاح،
عدد 260، 31 مارس 1928.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 1، ص. 202.

³ - المرون، مصطفى، "الحاج عبد السلام بنونة..."، م. س، ص.
106

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج.
1، ص. 223.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بعض الزرابي وأظن أنه يسير سيرا
حسنا بحول الله وقوته"¹. وكان يشتغل في
هذا المعمل عند تأسيسه أزيد 168 من
النساء والفتيات².

تأسيس صناعات وطنية أخرى

ومن بين مشاريع بنونة الاقتصادية
كذلك تأسيسه بتاريخ 30 يونيو 1931،
"جمعية أرباب الأملاك" بمدينة تطوان،
والتي حدد نظامها الأساسي اختصاصها
في "تكثير بنيان الديار البسيطة
المعمدة لسكنى الطبقة المتوسطة وإلى
سكنى العملة وكذلك المشاركة ببناء
الديار الرخيصة وإدارتها"³، وبالفعل
قامت هذه الجمعية ببناء مجموعة من
المنازل الاقتصادية، تم اقتناؤها
بالتقسيم من طرف ساكنة تطوان⁴. ولقد
أشار بنونة لهذه الجمعية في إحدى
رسائله لولده الطيب المؤرخة ب 18
نونبر 1932، والتي جاء فيها:
"أعلمتك قبل أنني في شغل شاغل عملا
لإنجاح المعمل الكهربائي فأسأل الله

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 3، ص. 565.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 223.

³ - نفسه، ص. 221.

⁴ - نفسه، ص. 221.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الإعانة والتوفيق، زد على ذلك الأشغال الخاصة وجمعية الملاك والحركة السياسية ووو إلخ"¹.

وقام بنونة كذلك بتأسيس شركة
تعاون لاستهلاك لحم البقر والغنم، كان
هدفه منها هو القضاء على مضاربات
بعض المستغلين لقطاع بيع اللحوم²،
والتي أشار إليها في رسالة بعثها
لولده الطيب بتاريخ 29 دجنبر 1933،
قال له فيها: "أنشئنا شركة تعاون
محدودة لاستهلاك لحم البقر والغنم
والانتفاع من منتوجاتها رأس مالها
50000 بسيطة، وشرعت في العمل من
أوائل هذا الشهر، رئيسها الفقيه
طنانة، الكاتب بنونة الأمين عبد
السلام الحاج المساهمون عددهم 50"³.
وعن نجاح أعمال هذه الشركة نجد
بنونة يقول لولده الطيب في رسالة
أخرى بتاريخ 13 غشت 1934: "شركة
اللحم سائرة في عملها وهي ناجحة في
الجملة"⁴.

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 2، ص. 418.

² - بن جلون، أحمد، "النشاط الاقتصادي..."، م. س، ص. 42.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 223.

⁴ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 3، ص. 565.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وساهم سنة 1930 في شركة تعبئة
وتوزيع مياه مولاي يعقوب وسيدي
حرازم¹، وذلك ما تؤكد رسالته لولده
الطيب المؤرخة ب 7 مارس 1930، والتي
جاء فيها: "تأسست شركة بفاس، نصفها
من المسلمين والنصف الآخر من
الفرنساويين، رأسمالها عشرة ملايين
فرنك، وطلبت الحكومة في الامتياز
بمياه "مولاي يعقوب وسيدي احرازم"
ومنحتهم الحكومة ذلك، وعما قريب يقع
الشروع في العمل من أبنية وتنظيمات
إدارية وطبية وقد اكتبنا في الشركة
المذكورة بمائة سهم قيمة الواحد
منها فرنك 500 أنجح الله الأعمال"².

وإلى جانب هذه المؤسسات الاقتصادية
الوطنية التي نشأت بمدينة تطوان،
حاول بنونة تأسيس عدة مشاريع أخرى،
إلا أنها لم تتحقق على أرض الواقع
ومن أبرزها محاولته تأسيس معمل
للسكر بمدينة تطوان، حيث نجده يقول
للأمير شكيب أرسلان بتاريخ 9 أكتوبر:
"سيدي: قضيت تسعة أيام بشبه جزيرة
إبيريا جلها بمدينة غرناطة ولم يكن
مقامي هناك فقط لتتبع المآثر

¹ - بن جلون، أحمد، "النشاط الاقتصادي..."، م. س، ص. 43.
² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 115.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العربية وما خلفته بتلك الديار
مدينة أجدادنا الراقية. بل مع ذلك
قمت بعمل أكاد أكون على يقين من
نجاحه وهو أنني تفاوضت مع رجال ذوي
مقدرة على تأسيس شركة لصنع السكر
بالمغرب يكون مركزها تطوان والمعمل
إما بنواحي مليلية أو ما بين سبتة
وتطوان وسيكون رأس مال الشركة
3000000 من البسيطة الإسبانية يتعادل
فيها المغاربة والاسبان ولم نرجع من
إسبانيا حتى تركت القضية تحت
المباشرة من الحكومة والمهندس الفني
يشتغل في رسوم المعمل ولوازمه
الميكانيكية وإذا تمت لنا هذه
البغية فإنها بحول الله على فرنسا ضربة
قاسية لأن المغرب حسب الإحصاءات
الرسمية يستهلك 90 في المائة منها
من معامل فرنسا والباقي من بلجيكة
وهلندا، والذي يهمنا الآن في المسألة
هو وجود المادة الأولية أي اللفت
السكري أو القصب وها نحن ندرس
القضية مع الممثل الاقتصادي لجمهورية
كوبا بإسبانيا والله الميسر سبحانه¹.

وباعتبار أن بنونة كان يعلم بأن
وادي مرتين وحوض وادي النكور كان في

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، صص. 389-390.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الماضي ينتج قصب السكر، قام هو
وشركاؤه بتجارب زراعة عينات من قصب
السكر ولفت الشمندر في السهلين
المذكورين، وذلك ما أكدته الرسالة
التي وجهها مراقب قرية مرتين إلى
النائب الأمور الوطنية بتاريخ 16
يناير 1931 جاء فيها: "وبخصوص مشروع
زراع قصب السكر أخبركم أن بنونة ولا
سكيطي قاما بزرع كمية هائلة من
القصب الذي استوردت جذوره من موطريل
ولم يكتفوا بزرع القصب في الأراضي
المخزنية الممنوحة لهم بل إنهم
استطاعوا الحصول على موافقة الخواص
من أجل زرع أراضيهم بقصب السكر
لدرجة أن هناك من سكان البادية
الذين شرعوا يستعملون قصب السكر
لإقامة زروب حول بيوتهم. ويبدو أن
بنونة وشريكه جادان في البحث عن أرض
تصلح لبناء معمل السكر هنا
بمرتين"¹.

وحاول بنونة إنشاء مشروع قطار
سلكي بين تطوان وجبل غورغيز الذي
وضعت له التصاميم النهائية، وتم
عرضه على اللجنة الرسمية للسياسة،

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، صص. 211 - 212.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

واحتوى المشروع على بناء فندق من 18
غرفة ومطعم فوق جبل بوزيتون. لكن أن
هذا المشروع لم يكتب له النجاح،
بحيث كان يشترط بنونة تفويته إلى
شركة مساهمة يشترك في رأسمالها كل
من أراد المساهمة، في حين كانت
السلطات الإسبانية تريد تفويته إلى
شركة إسبانية مركزها بغرناطة¹.

كما أشار بنونة إلى مشاريع
اقتصادية أخرى في رسالة وجهها لولده
الطيب بتاريخ 29 دجنبر 1933، جاء
فيه: "تحت التأسيس شركة عمل السجاد
المغربي بشفشاون وهي أيضا شركة
محدودة مشتركوها عشرون فقط، عشرة في
شفشاون وعشرة من تطوان رئيسها
بنونة، كاتبها أحمد بن المقدم، أمين
الصندوق عبد السلام ليسار، الأعضاء
أحمد بن الأمين الريسوني، وأحمد بن
محمد الركينة وأما مدير المعمل فهو
المكي بن يحيى. وتحت التأسيس أيضا:-
معمل للخبز المغربي الإفرنجي- مطحنة
للقمح"²، كما ساهم 1934 في تكوين
شركة تجارية أخرى جعلت اختصاصها
إيجاد مجموعة من سيارات الأجرة في

¹ - نفسه، صص. 221 - 222.

² - نفسه، ص. 223.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

تحسين النقل الحضري بتطوان¹، وأشار
الطيب بنونة كذلك إلى أن والده كان
عازم على تأسيس معمل للإسمنت بمدينة
ومعمل لصنع السماد من الأزبال².

الباب الثالث:

¹ - بن جلون، أحمد، "النشاط الاقتصادي..."، م. س، ص. 43.

² - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. س، ص. 48.

نتائج النهضة الوطنية وتجلياتها على المستويات الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية

الفصل الأول: مظاهر النهضة الوطنية بشمال المغرب على المستوى الفكري والثقافي الاجتماعي

المبحث الأول: تجليات النهضة
الوطنية بشمال المغرب على
المستوى الفكري والثقافي.

1. تكوين جيل جديد ونشأة الحركة الوطنية بشمال المغرب.

لم تكن لتذهب سدى، كل المبادرات
والمشاريع الاجتماعية والثقافية
والاقتصادية التي قامت بها النخبة
المثقفة بشمال المغرب على عهد
الحماية، بل إن تلك الجهود أتت

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أكلها وأفرزت نتائجها وأعطت ثمارها،
ببروز جيل جديد واع ومثقف، ومتسلح
بالثقافة والعلم الحديث، ومتشبع
بقيم الوطنية الصادقة، ومتطلع لمغرب
جديد، ومتحمس لحمل مشعل الإصلاح
وإتمام مشروع النهضة الوطنية التي
زرعت النخبة المثقفة بذرتها الأولى.

وبدت ملامح النبوغ لدى الرعيل الأول
لشبيبة الوطنية بشمال المغرب في
عهد الحماية، منذ نعومة أظافرهم،
حيث حملوا هموم الوطن وهم في ريعان
شبابهم. وكان غالبيتهم من تلاميذ
"المدرسة الأهلية"، التي تشبعوا فيها
بالنزعة القومية، والروح الوطنية،
التي لقنها لهم أساتذتهم وعلى رأسهم
محمد داود¹. فأصبحوا يهتمون ما
تحمله الكتب الإصلاحية والجرائد
والمجلات المشرقية من أفكار جديدة².

وزادتهم انتصارات حرب الريف
حماسا، حيث كان الشباب الوطني
يتابعون أصداءها بحرص ويقظة، فساهمت
نتائجها بدور كبير إلى جانب التعليم
والتوعية في إيقاظ هممهم. كما زرعت

¹ - BENJELLOUN, Abdelmajid, **Approches du colonialisme Espagnol ...**, Op. Cit, p. 94.

² - الدفالي، محمد معروف، "دور حرب الريف في يقظة نخبة المدن"، مجلة أمل، ع. 38، 2012، ص. 8.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

حلما سرعان ما تاق العديدون إلى
تحقيقه. وولدت عملية المتابعة
للحركة الريفية، لدى الجيل الأول
للحماية نوعا من التفاؤل النفسي.
واعتبر هؤلاء الشباب محمد بن عبد
الكريم الخطابي بطلا للتحرير من خلال
مساهمته في الكشف عن بدع الطريقة،
ووقوفه سدا منيعا في وجه الاستعمار¹.
وذلك ما عبر عنه عبد الخالق الطريس
عندما كان تلميذا بقوله: 'في هذا
اليوم شعرت أنني كبرت كنت أحس بنوع
من الزهو، ووعيت بطريقة غامضة
انتسابي إلى شعب يمكنه أن يكون
فخورا بنفسه. وفي مخيلتي، كان هذا
الرجل القصير القامة، والذي يظهر
كمخلص، كأنه يخطو خطوات العمالقة
ومنذ هذا الوقت، وأنا أكن له إعجابا
لا حدود له ومودة الابن لأبيه، وكنت
أدعو له في صلواتي وأقسمت أنني
سأذهب للكفاح إلى جانبه في الجبل
حينما أكبر. وكنت أحس بالحاجة إلى
فعل شيء ما من أجله'².

وهكذا عندما كانت ثورة الريف
تسجل انتصاراتها التاريخية، كانت

¹ - عمراني، محمد، جامعة القرويين والحماية...، م. س، ص. 126.

² - وولف، جان، م. س، ص. 117.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أحداثها تلهب وطنية الشباب
المغربي¹، الذي سيزداد نضجا ووعيا،
وتشبعاً بالفكر القومي والثوري، الذي
سيتلقونه من خلال دراستهم بمدينة فاس
وبعدها بالمشرق العربي²، مما زاد من
فتح آفاقهم بشكل أوسع³، ولذلك كان
طلبة هذه البعثات التعليمية النواة
الأولى للحركة الوطنية بشمال
المغرب⁴، لكونهم كانوا يعودون إلى
وطنهم وهم يحملون مفاهيم وطنية
ونزعة سياسية قوية نحو الاستقلال⁵.

وعن هذا التطور الفكري الذي بدا
على طلبة البعثات التعليمية قال
التهامي الوزاني: "قضى الطالب محمد
أفيلال مع زميله الطيب بنونة فترة في
ثانوية⁶ النجاح، وفي عطلة الصيف⁷...
ورداً على تطاون وقد تبدل فيهما كل

¹- برادة، عبد الرحيم، "الفعل الفردي وصيغة تعبئة لعمل
الجماعي في منطقة الحماية الإسبانية خلال العهد
الفرنكوي"، مجلة الذاكرة الوطنية، عدد 6، 2004، ص.69.

²- السعود، عبد العزيز، "مسألة التربية والتعليم
..."، م. س، ص.32.

³- نفسه، ص. 32.

⁴- نفسه المرجع والصفحة.

⁵- جون، ولف، م. س، ص.141.

⁶ - التحقا الطيب بنونة ومحمد أفيلال بإعدادية نابلس وليس
الثانوية كما ورد عند التهامي الوزاني.

⁷- عاد طلبة البعثة الأولى إلى نابلس إلى المغرب في صيف
1929.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

شيء ، وانقلب الفكر اليائس إلى فكر
تقدمي جريء"¹.

ووصف امحمد بنونة ارتقاء المستوى
الفكري للطالب محمد الطنجي في رسالة
لولد أخيه الطيب جاء فيها: "والذي
ألفت نظركم إليه هو أن الطنجي في
خطابه هذا ليس هو الطنجي القروي
الذي تعلم، بل إنشاء بليغ ومعاني
عامرة متمكنة وأفكار سامية فله ذر
مصر كم أخرجت من ناهضين وعلماء
نابغين فيا ليت لو ذهب كل الإخوان
الذين كانوا على وشك السفر"² ، كما
قال الحاج عبد السلام بنونة عن
اجتهاد محمد الطنجي وتحسن مستواه
المعرفي: "وقد تبدلت لهجة الطنجي
وتحسننت عباراته وصار ينسج على منوال
جديد في خطباته أعانه الله وأخذ بيده"³.

وأثار كذلك تطور أفكار طلبة بعثة
فاس انتباه الحاج عبد السلام بنونة،

¹ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية، م.
س، ص. 4.

² - حاشية لمحمد بنونة في رسالة بعثها الحاج عبد السلام
بنونة لولده الطيب بتاريخ 10 ماي 1930، أنظر: وثائق أبو
بكر بنونة، اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب....، م.
س، ص. 109.

³ - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
23 فبراير 1930، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف
اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب....، م. س، ص. 113.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الذي كتب لولده الطيب يقول له : "كل
الطلبة الذين يقرؤون بفاس قدموا
لتمضية أيام العيد مع أهلهم هنا
ويسرني جدا أن أخبركم بوجود الحركة
الفكرية فيهم واهتمامهم بالنهضة
العلمية وإصلاح التعليم وربما
اتخذناهم عضدا لنا قبل سفرهم في
تأسيس بعض المهمات وإني أتمنى أن
يسافر ما بقي من الطلبة النجباء
بتطوان إلى فاس على الأقل لتتغير
أفكارهم ويخرجوا من ربة الجمود
والتقليد الأعمى"¹.

وهكذا ساهمت هذه البعثات الطلابية
إلى فاس المشرق في تطور أفكار
الطلبة المغاربة، ونضج وعيهم
الوطني، فأخذوا يشاركون في تأسيس
الجمعيات ويلقون الخطب حول المغرب،
ويكتبون المقالات السياسية دفاعا عن
القضية المغربية. وعلى سبيل الذكر لا
الحصر، ألقى الطيب بنونة محاضرة حول
التعريف بالمغرب، بنادي جمعية
الشبان المسلمين بنابلس بتاريخ 27
مارس 1929، أي بعد أشهر فقط من
التحاقه بمدرسة النجاح بنابلس².

¹ - نفسه، ص. 125.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية، ج. 1،
م. س، ص. 288.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وذلك ما تؤكد الرسالة التي بعثها
بنونة لولده لطيب بتاريخ 27 مارس
1929، والتي جاء فيها: "سرنى كثيرا
ما اطلعت عليه من اعتقادات
الشرقيين في المغرب وأهله وقيامكم
بتمحيص الحقائق ومحو الخرافات من
الأذهان، ولا تظن أن الغربيين أقل
منهم جهلا بحال المغرب وقومه... إن
هذا اليوم فيما أظن هو يوم القائك
المحاضرة عن المغرب وأحواله فأسال الله
أن يوفقك ويعينك ويلهمك الصواب وإني
في انتظار نسخة من المحاضرة
المذكورة ولقد وجهت لك في كتابين
مسجلين عدة معلومات أطلب الله أن تكون
وصلتك وأحطت علما بها"¹.

كما ألقى المكي الناصري في نفس
الشهر محاضرة أخرى بالنادي الأدبي
بالجامعة المصرية، أشار إليه بنونة
في رسالته السابقة الذكر بقوله:
"وجه لي السيد المكي الناصري نسخة
محاضرة ألقاها في النادي الأدبي
بالجامعة المصرية موضوعها السمر
بالمغرب وصف فيها اجتماعات الشيوخ

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب...، م. س، ص. 31.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والشبان وغير ذلك ولم يذكر إلا الحسن
من الأحوال فنعم ما فعل"¹.

ونظرا للنجاح الذي حققه الطيب
بنونة في محاضراته السابقة، طلبت منه
إدارة جمعية الشبان المسلمين إلقاء
محاضرة أخرى عن قضية المغرب ووضعيته
السياسية، الأمر الذي جعله يستشير
والده في الأمر، فأجابه بتاريخ 3 ماي
1929، نصحا بقوله: "لقد علمت من
كتابك الأخير أن من جملة ما سألت عنه
سابقا هو رأينا في إبقاء محاضرتك
بجمعية الشبان المسلمين إجابة
لاقتراحهم، فنظري يا ولدي أن تجيب
دعوتهم على شرط أن تلقيها كمحاضرة
أخرى مستقلة عن الأولى وكل منهما
بشأن المغرب وابن في الجملة على
التقصير وكن سياسيا أكثر منك صريحا
وهذا لا يمنع قولك علانية مثلا الدول
الغاصبة أو تقبيح أعمال المستعمرين
وتضجر المستعمرين ولديك الآن من
المعلومات ما يكفي لمحاضرة لطيفة
محققة ومستقلة عن الأخرى بدون خروج
مبدئك القويم والرشيد"². ونظرا

¹ - نفسه، ص. 31.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية، م.
س، ج. 1، ص. 290؛ وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام
الحركة الوطنية بشمال المغرب....، م. س، ص. 89.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

للتتبع المخابرات الاسبانية لخطوات
طلبة البعثات المشرقية، أعدت نيابة
الأمر الوطني بتطوان بتاريخ فاتح
أبريل 1934 بطاقة استخبارية ورد
فيها: "في تاريخ يونيو من سنة 1929
ألقى بنادي الشبان المسلمين بمدينة
نابلس الفلسطينية محاضرة عن القضية
المغربية وضرورة الاهتمام بها من طرف
الشباب العربي باعتبارها قضية شعب
يعيش تحت نير الاستعمار، غير أنه لم
يذكر إسبانيا بسوء"¹.

كما أشار بنونة كذلك في إحدى
رسائله إلى عزم الطالب عبد السلام بن
جلون على إعداد خطاب حول بطل الريف
محمد بن عبد الكريم الخطابي، حيث
قال لولد الطيب: "أشرت إلى كون محل
أخيكم الطالب عبد السلام بن جلون بعد
سلامنا عليه يهتم بكتابة خطاب في
أحوال الزعيم الأمير محمد بن عبد
الكريم ويريد منا بعض المعلومات عنه
فذكره أولاً أن يكون سياسياً أكثر منه

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية، م.
س، ج. 1، ص. 290.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

صريحا وسوف أوجه لكم بعض إرشادات في الموضوع"¹.

وألقى الطيب بنونة خطابا آخر
بنادي جمعية المسلمين بنابلس،
بمناسبة حفل تكريم الزعيم الهندي
شوكت علي²، تحدث عنها بنونة في
رسالة مؤرخة ب 20 فبراير 1931،
بقوله: "وصلني جوابك المؤرخ 24
رمضان الفارط المحتوي على وصفك
لمقابلة زعيم الهند بطل الإسلام
المولى شوكت علي، زاد الله في عمره
وكثر بين أمتنا من أمثاله المجاهدين
بالنفس والنفيس في سبيل الإسلام
والمسلمين عموما. وأهم مقصود عندي
من تحرير هذه الأسطر تهنئة ولدي
البار الطيب بوقوفه على منصة
الخطابة أمام زعماء أمتنا الإسلامية
ورفعة لاسم قطره المغرب بين الأقطار
العربية وقبل تهنئتي لك هنأت نفسي
بك وشكرت الله جل وعز على ما أنعم به

¹ - رسالة من بنونة للطيب بتاريخ 14 فبراير 1930، أنظر:
وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية بشمال
المغرب....، م. س، ص. 112.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 2، ص. 186.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**علي. لقد وقف بي القلم وكادت
الدموع أن تكون له مدادا"¹.**

وشارك الطيب بنونة كذلك في حفل
تأبين البطل الليبي عمر المختار،
حيث نجد والده يقول له في رسالة
تحمل تاريخ 12 دجنبر 1931: "وصلت
نسخة خطابك يوم تأبين عمر المختار
فقيده الإسلام عليه رحمت الله فلقد أجبرت
حفظك الله وإني مستحسن لصنيعك وفقك الله
وزاد في معنالك كما وصل درج كتابك"².

وإلى جانب هذه الخطب، تألق الطلبة
المغاربة بالمشرق كذلك في تحرير
المقالات الصحفية المدافعة عن القضية
المغربية، إذ سيظهر قلم مغربي لافت
وهو قلم الطالب عبد الخالق الطريس،
الذي أخذت مقالاته تظهر في الصحف
المهمة وفي أماكن بارزة منها³. وذلك
ما أكدته بنفسه في مذكراته ليوم 2
دجنبر 1930: "كتبت اليوم موضوعا
سياسيا أنتقد فيه أعمال إسبانيا
الجديدة في المغرب بناء على الأنباء

¹ - رسالة من بنونة للطيب بتاريخ 22 فبراير 1931، أنظر:
وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية بشمال
المغرب....، م. م. س، ص. 176.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف أعلام تطوان الحاج بعد
السلام بنونة، ج. 2، م. م. س، ص. 111.

³ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة....، م. م. س، ص.
107.

التي وصلتنا حديثا وسأنشره من غير
توقيع أو بتوقيع مزور لأن الإسبانين
لو اطلعوا عليه لحقدوا علي لما
يضمنه من الفضائح التي يحسبون أنها
تنفذ سرىا من غير أن يطلع عليها أحد
من الناس. وقد كتبتة في وقت قصير
دون عناء فكري، ولعل ما يؤكد لي
القدرة على تحرير المقالات السياسية
التي إن أنشأنا المجلة التي اقترحت
على الإخوان إنشائها فسيكون لها شأن
يذكر، وأظن أني لو وجدت من الجرائد
المصرية ما ينشر كل مقالاتي من غير
تحويل أو تعديل لكتبت المقال أو
المقالين في كل أسبوع"¹.

ومن أهم المقالات التي نشرها
الطريس في هذه المرحلة بالجرائد
المصرية نذكر مقال "سياسة إسبانيا
في المغرب" الذي نشرته جريدة الشورى
بتاريخ 31 دجنبر 1930، وهو أول مقال
نشر للطريس في صحيفة²، وبتاريخ 10
ماي 1931 نشرت له جريدة "النهضة"
مقال موسوم بـ "التبشير بالمغرب"

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس ...، ج. 1، م. س، ص. 14.

² - الطريس، عبد الخالق، من تراث الطريس، وجمع وتقديم
المساري، محمد العربي، كتاب العلم رقم 8، مطبعة
الرسالة، الرباط ص. 25.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأقصى" ¹. وبتاريخ 29 يونيو نشر مقال
بجريدة (الضياء) تحت عنوان:
"إسبانيا الجمهورية ومطالب
الريفيين" ²، كما نشر بنفس الجريدة
مقال آخر بعنوان: "الصحافة في
مراكش" ³، هذا علاوة على العديد من
مقالاته التي نشرها حول قضية ظهير
ماي (الظهير البربري)، وذلك بمعية
ثلة من زملائه وعلى رأسهم امحمد
بنونة والحسن بوعياد والمكي
الناصرى، الذين تجندوا لهذه المهمة
طيلة إقامتهم بمصر سنة 1931، وذلك
ما أشار إليه امحمد بنونة في رسالة
مؤرخة ب 24 مارس 1931 بعثها لولد
أخيه الطيب جاء فيها: "المقالات
لا زالت تكتب وتنشر بنظام خاص تارة
باسم رسالة فاس وتارة باسم مراس من
تطوان وتارة وتارة ولا تسألني من
الكاتب أو أو الكتاب فإن لذلك
قانونا متبعاً يمنع أن يعرف الأجنبي
عنه مصدر شيء فسامحني وبالأخص
بالكتابة" ⁴.

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية، ج.
2، م. س، ص. 358.

² - نفسه، ج. 3، م. س، ص. 34.

³ - نفسه، ص. 229.

⁴ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب....، م. س، ص. 184.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كما ستسطع أقلام أخرى من بين طلبة
البعثة المشرقية مثل الطيب بنونة
ومحمد بن محمد الخطيب وعبد السلام بن
جلون والمهدي بنونة الذي تآلق في
كتابة المقالات السياسية رغم صغر سنه
إذ ذاك، وهو ما أكده والده في رسالة
بعثها للطيب بنونة بتاريخ 25 نوفمبر
1932، والتي جاء فيها: "وصلني من
المهدي حفظه الله جرائد منها الجامعة
الإسلامية وقرأت ما دبجه ... ما كنت
أظن أن قلمه كما رأيت زاد الله في
معناه"¹.

ولم يكن طلبة هذه البعثات يشتغلون
بمعزل عن بعضهم البعض، بل إنهم
بمجرد ما استقروا بالشرق حتى بدؤوا
التفكير في تأسيس جمعيات ينضون تحت
لوائها، ويتخذونها منبرا للدعاية
والدفاع عن القضية المغربية،
والاتصال بالأوساط العربية والإسلامية
والمنابر الصحافية، وهكذا نجد
الطريس مباشرة بعد وصوله لمصر سنة
1928 يشير في مذكرته إلى تأسيس
"جمعية للدفاع عن القضية المغربية"،
غير أن هذه الجمعية على ما يبدو

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 2، ص. 419.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بقيت مجمدة ، ولم يتم تفعيلها إلا بعد سنتين ، وهو ما تؤكدته مذكرة عبد الخالق الطريس ليوم 16 نونبر 1930 التي جاء فيها : "دعينا اليوم لحضور حفلة تأبين أحد رجالات فلسطين البارزين سعيد الشياو في بيت العروبة . وبعد أن خرجنا اقترحت على الإخوان إعادة تأليف جمعيتنا التي كنا ألفناها من قبل وقد سروا من الفكرة سروا أرجو أن يبقى ملازما لهم إلى أن يتم تأليف الجمعية فإن المغرب في هذا الطور يحتاج إلى مجهودات كبيرة من الأبناء النازحين عنه لأنهم هم الذين يمكنهم الجو الذي يعيشون فيه من العمل"¹.

وتأسست هذه الجمعية بتاريخ 30 نونبر 1930 ، بعد المصادقة على قانونها وإجراء انتخاب مكتبها ، ففاز الحسن بوعياذ بالسكترارية الدائمة والطريس بالرئاسة² ، ومن أهم الأنشطة التي قامت بها هذه الجمعية نذكر منها الاحتفال بالذكرى الأولى للظهير البربري بنادي الشبان المسلمين بمصر ، شارك فيها العديد من الزعماء

¹ - ابن عزوز حكيم ، محمد ، وثائق تشهد... ، م . س ، ص . 9 .

² - وثائق أبو بكر بنونة ، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد السلام بنونة ، ج . 2 ، م . س ، ص . 146 .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

من أجناس مختلفة، ومثل المغرب في
هذا اللقاء الحسن بوعباد¹. كما نظمت
كذلك جمعية الدفاع عن القضية
المغربي بالقاهرة بتاريخ 20 ماي
1930، ندوة حول "جامع القرويين"،
والتي شارك فيها الطالب عبد الخالق
الطريس بمداخلة تحت عنوان: "ترقية
القرويين وكيف يجب أن تكون"²، ومما
جاء فيها: "وهذا هو المعهد الذي
نريد إصلاحه ليسير مع العصر جنباً
لجنب وجعله كفيلاً بجلب السعادة
العلمية لأبناء الوطن... فالبلاد في
حاجة إلى طائفة القانونيين ينظمون
قضاءها ويشرعون لها ما تتطلبه من
تشريعات ويقنون لها ما تحتاج إليه
من قوانين، وفي حاجة إلى طائفة من
الأطباء يخففون عنها ما ترزح فيه من
أدواء وأمراض ويقومون بواجب
الإنسانية في نشر الصحة وتحسين
الأجسام وإلى طائفة من المهندسين
الذين ينظمون ريها ويقسمون مياهها
ويقدرون على مزاحمة الأجانب في
التصميمات المعمارية ومشاريع
المواصلات، وإلى طائفة من الفلاسفة

¹- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية...، م. س
ج. 2، صص. 377-379.

²- ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق تشهد...، م. س، ص. 9.

والأدباء يضعون لها المثل العليا
ويشرحون لها أدواءها النفسية
ويحللون مميزاتا ويتقنون بنعمها
ويدربون نشأها على حرية التفكير
وسمع الآراء، إلى ذلك من الطوائف
التي لست بصدد تعديدها. فهل في
مقدور القرويين أن تورد للأمة كل هذه
العناصر أم هل في مقدورنا أن نهيتها
لذلك. أظن إجابتكم تكون بالسلب
إجماعاً¹.

وبعث الطريس نسخة من هذه المداخلة
لزميله الطيب بنونة، الذي علق عليها
في رسالة بعثها له بتاريخ 6 يونيو
1931 قال له فيها: "وإنني أوافقكم
مما أوردتموه من الأفكار في كلمتكم
التي أقيمت في شأن القرويين فإن
ذلك مبدئي وكل ما أراه في أمر
القرويين وقد راجعت كلمتكم عدة مرات
فلم أجد فيها ما ينتقد لأنكم ذهبتم
مع الحقيقة فإنه لا معنى لقولنا يجب
أن نفعل كذا وكذا والحالة أننا نرى
دون ذلك عقبات وحواجز إننا لا ننكر
أن القرويين لو كان نطاق التعليم
بها أوسع مما هو عليه الآن لكانت

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية م .
س، ج. 2، صص. 393-394-395.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

فأدتها أحسن وأعظم ولكن من يساعدنا
على ذلك ومن أين لنا بالمادة اللازمة
وهل في طلبتنا استعداد؟؟؟ بدون شك
يكون الجواب عن هذه الأسئلة أننا
نكتفي بتنظيم القرويين على أنها
دينية محضة (وذلك باستطاعتنا إذا
أردنا) ونترك ما عدا الدين من
العلوم للمستقبل بحول الله بعد أن توجد
في البلاد مدارس ابتدائية واستعدادية
لتأهيل الطلاب للتخصص وبعد أن نرسل
بعثات علمية تدرس في الخارج وترجع
إلى الوطن خير عامل على ترقية
مستواه وتنوير أفكار الشعب"¹.

وحاول طلبة نابلس كذلك تأسيس
جمعية سرية للدفاع عن القضية
المغربية بتاريخ يوم 3 مارس 1930،
غير أن خوف بنونة من أن تكون أعمال
هذه الجمعية سببا في منع السلطات
الإسبانية إرسال البعثات الطلابية إلى
المشرق جعله ينصح ولده الطيب وزملائه
بقوله: "أما أعمالكم الآن وأنتم
تعدون على الأصابع فتعد من الطيش
والمجازفة ومن الإلقاء بالنفس إلى
التهلكة ولا نتيجة إلا وقوفكم حجرة في

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب....، م. س، وثيقة رقم 1082، ص. 38.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

سبيل من يريد دراسة العلوم والمعارف
خارج الوطن ... والأجمل بكم إذا
أردتم تأليف الجمعيات وتنظيم
المذاكرات وتأسيس المهمات أن
تستبدلوا اسم جمعيتكم باسم "جمعية
نهضة العلوم والمعارف" أو ما يكون
هذا معناه وهناك ولتكن في ذلك وصلة
بينكم وبين التلاميذ القاطنين بمصر
بصفتهم أعضاء للجمعية ولكم أن
تسألوا تحت هذا الاسم نخبة المفكرين
من جهايزة علماء العالم الإسلامي عن
الطرق الناجحة والأدوية الناجعة لإصلاح
بلاد كبلادنا المنكوبة وتربية وطن ضرب
الجهل عليه أطنابه وخيم العدو على
أرجائه. أعلموا أن حياتنا الآن بين
المستعمرين هي عبارة عن حرب بدون
سلاح والحرب خدعة، فتنبهوا حفظكم الله
ورعاكم" ¹. لكن هذا التحذير لم يثن
الطلبة المغاربة بنابلس من تأسيس
جمعية سرية تقوم بالدعاية للقضية
المغربية، والاتصال بزعماء العرب
والمسلمين، وكبيرات الصحف من أجل
نشر القضية المغربية والتعريف بها

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية م. س، ج. 1، ص. 368.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----
وخاصة بعدما أصدرت فرنسا ما سمي
بالظهير البربري¹.

كما كان الطيب بنونة فاعلا في
جمعيات أخرى، حيث نجد والده يقول له
في رسالة مؤرخة ب 16 مارس 1931:
"علمت ما أخبرت به من تأليف الجمعية
العربية لنصف السنة الأخير وانتخابك
كاتباً لها وخطيباً ببعض حفلاتها فنسأل
الله لك الإعانة والتوفيق وكذلك لرفيقك
السيد عبد السلام بن جلون حفظه الله"².

وعلى الإجمال فقد فتحت الأجواء
الفكرية والسياسة التي كان يعيشها
المشرق أمام طلبة البعثات التعليمية
آفاقاً واسعة، وميادين جديدة للدرس
والتحصيل، وإتمام تكوين شخصياتهم
العلمية والثقافية والسياسية وإعداد
أنفسهم للمعارك التي كانت تنتظرهم
في سبيل إخراج بلادهم من التخلف ورفع
مستواها الثقافي والفكري ونشر الوعي
بين المواطنين وإعدادهم للكفاح

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، لمحات من حياة المجاهد الأستاذ
الحاج الطيب بنونة، مطبعة الساحل، الرباط، 1981، صص.
14-15.

² - رسالة من بنونة للطيب بتاريخ 10 ماي 1930، أنظر:
وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية بشمال
المغرب....، م. س، ص. 182.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الوطني في سبيل تحرير البلاد
واسترداد حريتها وسيادتها¹.

ونظرا لوعيهم بجسامة المسؤولية
التي كانت تنتظرهم نجدهم متحمسين
للعمل وهم ما يزالون طلبية، فهذا
الطيب بنونة عندما قامت السلطات
الإسبانية بمنع المغاربة من تداول
الجرائد المصرية، نجده يقول في
رسالة بعثها لعبد الله كنون بتاريخ 23
يوليو 1928: "'متى ينفخ في الصور
فتصق أوروبا ومن عليها، أو متى
ينفخ الروح في هيكل أمتنا الرميم
فنحي؟ ... ما كان ينتابك قبل من
القنط حل بي في هذا اليوم ذلك أن
الحكومة... أوفدت بوليسيا يبحث عن
الجرائد المصرية التي تباع هنا وعن
الأشخاص الذين يبيعونها ولما سئل ذلك
البوليس أجاب بأن حكومة إسبانيا
تريد منعها لأن الناس لا يطالعون
'الإصلاح' و'الاتحاد'.... تريد أن
نقول بوحدة الوجود والوجود هو
إسبانيا... سحقا لها من دولة خبيثة
كاثوليكية جاهلة حمقاء. خسارة والله
خسارة أن تكون الأمة المغربية ...

¹ - عزيमान، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية
...."، م. س، ص 42.

مستعبدة لحتالة الحثالات القدرة .
تريد حكومة إسبانيا أن تضغط على كل
شيء لنا حتى على أفكارنا تريد أن
تحول بيننا وبين أناس نحبهم
ويحبوننا بل إخواننا في الدين
واللغة بل وحتى في الجنسية
باعتبارها انتشار الدم العربي فينا
وفيهم ، إن هذا لشيء عجاب. إذاً أفلا
يحق أن أغتبط أقنط وأمل الحياة ، أجل
أيها الأخ العزيز إني يئست الحياة في
هذا اليوم العصيب والذي يحزنني ليس
هو منع الجرائد بل سكوت قومنا وعدم
احتجاجهم على أمثال هذه
التصرفات¹ .

كما نجد الطريس وهو طالب بمصر
يقترح تنظيم لقاء فكري أدبي سنوي
بتطوان ، يحضره العلماء والأدباء
والطلبة ، وذلك ما عبر عنه في
مذكراته بتاريخ 10 ماي 1929 التي
جاء فيها : "وجهت رسالة إلى محل
والدي سيدي محمد السلاوي أقول له
فيها : أريد أن أبسط لك رأيا طالما
أقترحه على ذهني وهو أن يعقد في كل

¹ - العشاب، عبد الصماد، في قلب الحركة الوطنية مجموعة
رسائل موجهة إلى الأستاذ عبد الله كنون من زعماء الحركة
ومسيرها، مؤسسة عبد الله كنون والبحث العلمي طنجة، صص. 79-
80.

سنة مجتمعا عاما لجميع العلماء
والطلبة وأصحاب الرأي من تطوانيين
وغيرهم وأن تتبادل بينهم الخطب
والقصائد وأن يتداولوا فيما عساه أن
يعود على أمتنا المنكودة بالخير،
لأنك لو اطلعت على أفكار طلبتنا
وعلمائها لأسكنك العجب من ذلك، وإذا
كان الاختلاف الذي بين الطلبة
التطوانيين في فاس وعددهم لا يتجاوز
العشرين فما بالك بالتناقض الواقع
بين من في تطوان فضلا ممن في المغرب
كله. إذا نفذت هذه الفكرة وبدأ
المجتمع ينعقد كل سنة على الأكثر
فإنه بلا شك سيكون له الفضل الأكبر في
إزالة غيوم الخلاف والعداوات الناشئة
عن ذلك وستتحسن المعاملات وسيعرفون
بعد ذلك الواجب عليهم وعلى أمتهم
ودينهم. إذا رغبنا في مثل هذه
الكتلة وأردنا أن يكون لنا صوت عالي
فلا بد من توحيد هذه الصفوف المتباينة
الأفكار ولا بد من وضع حد فاصل لشيء
نسمه خلافا" ¹.

وعرض الطيب بنونة في رسالة أخرى
بعثها للطريس بتاريخ 18 غشت 1930

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس...، ج.1، م. س، ص. 7.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوسيلة الأنسب لنجاح حركتهم حيث قال
له: "إنني لا أرى طريقاً أقرب إلى
تحقيق مقاصدنا من اندماج الشباب
الناهض مع العلماء والوجهاء الكبار
مع ثباتهم على المبادئ ويمكنهم أن
يسيروا سادتنا في الوقت الحاضر طبق
مرادهم لأن حضارات الأفاضل فهموا حق
الفهم أن المستقبل سيكون للعاملين
المجدين المخلصين ورأوا أن العامة
أخذت روح تعظيم القبب والعمائم تقل
بينهم وستلاشى بين أصحاب الرأي منهم
. كل هذا يجعلهم يحبذون الانضمام إلى
صف الشباب وإذا فعلوا بها على
الطرفين تنظيم خطط نهضتنا ويمكنهم
أن يجبروا الحكومة على تعضيدهم
والأخذ بيدهم في التنفيذ"¹.

وعندما أصدرت فرنسا ظهير 16 ماي
بعث الطيب بنونة رسالة لمحمد داود
في غشت 1930، جاء فيها: "ما هذه
الأخبار المزعجة وهذا الصدى المؤلم
الذي رددته إلينا الرسائل عن تصرفات
المستعمر في بلادنا، وجوره في أمتنا،
وتعديده على الإسلام؟؟؟ حقيقة ومصيبة

¹- وثيقة 1193، رسالة من الطيب بنونة لزميله عبد الخالق
الطريس، بتاريخ 18 غشت 1930، أنظر: وثائق أبو بكر
بنونة، ملف من أعلام تطوان الطيب بنونة، ج. 1 م. س، ص.
47.

عظمى وداهية دهياء نزلت بنا. الله الله في
قوميتك يا مغرب. والله الله يحميك يا دين
الإسلام. أين أنتم يا أشبال المغرب؟
وأين تلك الهمم العربية التي كانت
تناطح الجوزاء؟ قد بلغ السيل الزبى،
وانتهكت حرمتنا، وأصبنا في أعز ما
بقي لدينا من الحياة. سلبت حريتنا،
وأخذت أموالنا وأرضينا، وبلينا
بسيطرة شر الخلائق، ووو، ولم يبق لنا
سوى شيئان: ذلك الدين الذي يضيء
نوره في سمائنا، والوطن بل القومية
التي تجمع شملنا وتضم شتاتنا. وها
نحن اليوم نصاب في ديننا الحنيف،
ونفقد جزءا من تلك القومية التي
كانت شررها تهدد العالم الأروبي
أجمع، يوم أبت أسودنا أن تعيش تحت
الذل والهوان"¹.

هذا الحماس الذي أظهره الشباب
الوطني، كان نتيجة حتمية للمجهودات
التي بذلتها النخبة المثقفة في
توفير الجو المناسب لتكوين جيل جديد
واع بمسؤوليته إزاء وطنه، ولعل أصدق
تعبير عن ذلك هو ما قاله التهامي
الوزني: "إن بنونة صنع الإنسان
لمساعدة الظروف، وكان يود إن لو

¹ - داود، حسناء، مراسلات وطنية أخوية، م. س، ص. 70.

احتفظ الشبان بما لا يضر من عوائدهم،
ثم أضافوا إلى ذلك ما أرادوه من
الجديد الطريف: لكن شبابنا بطول
هجرتهم -وقد خرجوا من دورهم قبل أن
يتغلغلوا في تقاليدهم- تكونوا
تكويننا مدرسيا منهجيا، خاضعا للمخطط
الغربي لا يأخذ بشرقيته إلا إذا لم
يكن له مندوحة ولا مناص: فهؤلاء
الرواد الأوائل. وجدوا بنونة أوجد
لهم رأس معبر ونقطة انطلاق: ... فلما
ورد الطلبة وقرروا الاستقرار بالمغرب
من أجل الكفاح والنضال، لم يجدوا
الأبواب مغلقة، ... هو الذي نقلهم من
أحضان أمهاتهم إلى الدراسة في
الخارج، ... فتحرروا: وكانت النماذج
الأصلية لهذا الرعيل تتركز في الطريس
عبد الخالق، وابن جلون عبد السلام،
وبنونة الطيب، وأفيلال محمد مصطفى،
والفاسي محمد عبد السلام، والخطيب
محمد محمد، ثم تأتي سلسلة مباركة
فيها سيدي الحسين بن عبد الوهاب،
والسيد محمد بغوز، والسيد محمد
أعميار، والشيخ محمد المصمودي
وغيرهم ممن يستحقون أن تكتب أسماؤهم
بحروف من ذهب. ... الشيخ محمد
الطنجي، والأستاذ محمد ابن البار،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إلى غير ذلك من رجال النهضة الذين
دعموها بسلوكهم ومالهم ونفسهم"¹.

ومن دون شك فبعد عودة هؤلاء الشباب
أو بعضهم إلى تطوان كان لا بد، من أن
يساهموا في خلق نهضة فكرية وثقافية
قوية بالمنطقة الشمالية، قال عنها
الأمير شكيب أرسلان عند زيارته لتطوان
سنة 1930: "شعرت وأنا بتطوان بنهضة
قوية فوق ما كنت أتصور، وقد لاحظت
تمكن الشباب من اللغة العربية، فإن
الخطب التي ألقيت أمامي كلها جيدة
حسنة اللفظ ولم أسمع من خطيب
لحنا"².

ودهش الطريس كذلك بعد عودته من
مصر من الازدهار الفكري الذي أصبحت
عليه مدينة تطوان، إلى درجة جعلته
يعبّر عنه في الخطبة التي ألقاها في
حفل تكريم وفد مطالب الأمة بتاريخ 19
يونيو 1931 حيث قال: "ما كنت أحسب
أنني سأجد تطوان كما وجدتها، ولم
يدر بخلدي أني سألقى الروح الوطنية
الخالصة دبت إلى النفوس فهزتها وإلى
الضمائر فأحيتها. وبين سنتنا

¹ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية...، م.
س، صص. 34-35.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق سرية...، م. س، ص. 19.

الحالية والسنة الماضية فرق ما
أعظمه. شباب يتقدم للعمل بنفس كلها
أمل ورجاء فَيَسْتَهْوُونَ المصاعب ويستهل
الأخطار في سبيل هدفه الأبعد وغرضه
الأسمي. وشيوخ قد حنكتهم التجارب
وخبرتهم الأيام يسرون مع الشباب في
المقدمة ويرشدونه فيحسنون الإرشاد
ويعاضدونه فيكونون أحسن من يعاضد
ويعين. دهشت في المقدمة وأيما والله،
فبعد أن كنت أخشى تسرب اليأس إلي
صرت أخاف نتيجة سرور الرجاء علي.
فإن نحن حافظنا على ما اكتسبناه
اليوم من الائتلاف فر الخوف على
مستقبلنا ووصلنا إلى النتيجة التي
نسعى إليها رغم كل العوارض
والعقبات. وليكن لنا في أحوال الأمم
الأخرى وخصوصاً الشرقية منها عبرة
نعتبرها وعظة نعتز بها. فإنها كلما
تضامنت خبطت إلى الأمام. وكلما تفرقت
شيءا انهدت قواها وتضعضت نهضتها
ووقف دولب العمل فيها. "1.

وهكذا ساعد التكوين الفكري
والسياسي الذي تلقاه الجيل الأول
للمحماية، على قيام حركة وطنية

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس ...، م. س، ج. 1، ص. 20.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ثقافية واجتماعية وسياسية منظمة
وقوية، ساهمت بشكل كبير في توعية
الشعب المغربي، وإعداده للمطالبة
بالوحدة والاستقلال¹. وذلك ما أكدته
التهامي الوزاني بقوله: "وما كاد
الريسوني وابن عبد الكريم يختفيان
من ميدان الجهاد، حتى تقدم الشباب
الوطني لإعلان الحرب من نوع آخر،
فتناولوا التفكير المغربي وهذبوه،
ومحوا منه فترة اليأس، ونفوا عنه
نقع الاستسلام للأوهام والأحلام، وصرخوا
بالحقائق العلمية، وأبانوا أن
الاستعباد لن يستحكم في أمة إلا
برضاها واختيارها. وأن المذلة
والهوان أمران لا يأتيان من خارج
النفس وإنما ينبعان من داخلها"².

¹ - الهبتي، محمد ياسين، الحركة الوطنية بشفشاون من
1930 إلى 1956، منشورات جمعية تطوان أسمير، مطبعة
الطوبريس، طنجة، 2002، ص. 37.

² - الوزاني، التهامي، الوطنية المغربية في طورها
الحاسم - الزيارة الملكية لطنجة-، مخطوط بالخزانة العامة
بتطوان، بدون رقم، ص. 4.

2. النشاط الثقافي للرعيل الأول للحركة الوطنية بشمال المغرب

كان لابد للتطور الفكري لطلبة
البعثات التعليمية، أن يساهم في
تنشيط الحياة الثقافية بمدينة تطوان
خاصة، ومدن المنطقة الخاضعة للحماية
الإسبانية بصفة عامة، حيث كانت
حركاتهم لا تفر، وأنشطتهم لا تتوقف،
عند عودتهم لمسقط رأسهم في كل عطلة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

صيفية، فكانوا "يكثرون من الاجتماعات والتجمعات، وكان الحديث يدور محوره حول ترك بئر الاستعمار، والاستمتاع بالحياة الحرة الرزينة الكريمة، وما يؤدي إلى هذه الكرامة وهذه العزة"¹، خاصة وأن هؤلاء الطلبة "لم يجدوا الأبواب مغلقة"، بل كانت النخبة المثقفة قد أوجدت "لهم رأس معبر ونقطة انطلاق"²، نحو العمل الوطني، إذ كانت توجد بتطوان عدة مؤسسات وطنية، كالمدرسة الأهلية، والشركة التعاون الصناعية ومطبعة المهدية والجمعية الخيرية والنادي الرياضي.

وتحدث بنونة عن نشاط طلبة بعثة فاس وحيويتهم، في إحدى رسائله لولده الطيب بقوله: "أخبرتكم من قبل بما ظهر من النهضة العلمية في الشبيبة التي وردت من فاس لقضاء أيام العيد بين أظهرنا وقد انتهزنا الفرصة للتوفيق بين الأفكار وساعدنا الحظ منذ ثلاثة أيام بأن اجتمعنا بدعوة من الطلبة المذكورة أسماؤهم طرته³ في

¹ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية...، م. س، ص. 40.

² - نفسه، ص. 34.

³ - هؤلاء الطلبة هم: التهامي الوزاني، الحسن بن عبد الوهاب، الحسين، محمد باغوز، محمد بن عبود، محمد

جنان العلوي بأبي جراح وافتحت
المذاكرة في مسألة التعليم وكنت أول
متكلم في الموضوع ... وطلبت من
السادات الموافقة على تعضيد الموجود
أعني المدرسة الأهلية خير من الاشتغال
بإيجاد المعدوم من تأسيس غيرها
وأفهمتهم أن الحكومة الحالية لا
تساعد الآن على إنشاء معهد جديد بهذه
الصفة فكان جواب الكل إيجابيا
وبتمام الموافقة برهنوا بلسان واحد
أنهم لم يكن قصدهم من هذا الاجتماع
إلا تعضيد المدرسة الأهلية نحو أبناء
البلاد ونحو الإسلام وفي تلك الساعة
قرأ الشريف سيدي التهامي الوزاني
خطابا أنيقا في التعليم وما يجب
علينا نحوه وشكر الله أخيرا على أن
مهد لنا السبيل لطريق تنظيمه بوجود
المدرسة الأهلية بين أظهرنا إلخ،
وقوبل بتصفيق حاد. ثم ألقى محاضرة
تاريخية فيما كانت عليه العلوم
والمعارف من الرقي في الصدر الأول من
الإسلام، وحينما كانت أوروبا تتخبط في
عصورها المظلمة إلخ الشاب المذهب
السيد محمد باغوز. وآخر محاضراته
تخلص للمقصد الذي هو وجوب النهوض

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالمدرسة الأهلية وقوبلت محاضراته بالتصفيق الحاد أيضا"¹.

كما ذكر التهامي الوزاني النشاط
الفكري والثقافي لطلبة بعثة نابلس
بمدينة تطوان، ودورهم في تحديث
مناهج المدرسة الأهلية، وتعزيز صفوف
أساتذتها بقوله: "وذات سنة توارد
أفراد بعثة مدرسة النجاح وكأنما
جاؤوا مخططين لعمل إيجابي لا يقف عند
حدود التوعية وإيقاظ الهمم: فقصدوا
جماعتهم 'المدرسة الأهلية' بتطوان،
وفي خلال بضعة أسابيع وضعوا للمدرسة
منهجاً جديداً للدراسة وزودوها
بأساتذة من العناصر الجديدة،
ولازموها بكرة وعشياً"².

وتحلى كذلك طلبة بعثة مصر بنفس
الحماس والنشاط، حيث يقول امحمد
بنونة في رسالة بعثها لولد أخيه
الطيب: "الأخ محمد المكي الناصري بين
أظهرنا هذه الأيام. وقد نزل ضيفاً على
الأخ عبد الخالق الطريس وترانا لا
نفترق غالباً إذ نجتمع معه في مختلف

¹ - رسالة من بنونة للطيب بتاريخ 22 ماي 1930، أنظر:
وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية بشمال
المغرب....، م. س، ص. 126.

² - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية....، م. س، ص. 5.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المحلات ونتذاكر في متنوع المواضع.
ويومه سيتناول العشاء عندنا بالدار
وستكون مواضيع المذاكرة إن شاء الله
(1) مسألة تنصير البربر بالمنطقة
الجنوبية من مغربنا وكيف يمكن أن
نحتج -نحن التطوانيين- على الدولة
الإفرنسية إلخ (2) البحث في أنفع
طريق يوصلنا إلى سماع الحكومة
الإسبانية احتجاجنا وتضجرنا من
المدارس التي فتحتها بالريف والجبل
وأوفت إليها جيشا من الرهبان
ليبشروا أبناء المسلمين الجهلاء
إلخ" ¹.

وكان أول ظهور علني لهؤلاء الشباب
الوطني خلال الحفل الذي نظمه طلبة
مدرس لوقش في يوليوز 1930،
واستدعائهم لطلبة البعثات المشرقية
وخاصة عبد الخالق الطريس وضيفه
المكي الناصري، فألقى الطريس في هذه
الحفلة أول خطاب عمومي ارتجالي في
حياته ²، فكان "يقطع الكلمات كأنما
يقتلعها اقتلاعا إذ لم يكن تمرن بعد

¹ - رسالة من الحاج عبد السلام بنونة لولده الطيب بتاريخ
14 يوليوز 1930، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام
الحركة الوطنية بشمال المغرب...، م. س، ص. 134.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج. 1، ص. 398.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

على الخطابة¹، كما ألقى كذلك المكي
الناصرى سلسلة من المحاضرات بهذه
المناسبة، قال عنها التهامي
الوزاني: "وأول درس ألقاه شاب في
تطاون بصورة لا ترجع إلى المتن
والشرح والحاشية، كان درس الشيخ
المكي الناصري في الجامع الكبير"².

ووصف امحمد بنونة فعاليات هذا
الحفل في رسالته للطيب بتاريخ 22
يوليوز جاء فيها: "الأخ محمد المكي
الناصرى ألقى عدة (4) محاضرات
بالجامع الكبير موضوعها العقيدة
الإسلامية بالطريقة السلفية وتبين
الفرق بينها وبين الطريقة الكلامية
سواء كانت بمذهب الأشاعرة أو مذهب
المعتزلة وترجيح الطريقة السلفية
القرآنية على الثنيتين. بعد ذلك
ألقى الأخ المكي المحاضرة الثالثة
فقام الأخ داود خطيبا في وسط الجمع
ليشكر الناس على ثباتهم ثم عرفهم
بقدر المكي وشكره بالنيابة عن
الناس. وبعد المحاضرة الرابعة قام
الأخ المكي وخطب أيضا شاكرا للناس

¹ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة...، م. س، ص. 110.

² - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية...، م. س، ص. 40.

عطفهم عليه ومواظبتهم على درسه وكان
حاضرا بالمسجد أكثر من ألف إنسان ثم
بين لهم مبدأه في الإصلاح إلخ ودعهم
فأجابه الأخ داود بأفصح بيان عن
التطوانيين وأطال وبعد تناول العشاء
اجتمعنا بمدرسة لوقش لتناول الشاي
عند الطلبة احتفالا بالمكي، حضر فيه
جميع طلبة تطوان من آفاقيين وأبناء
البلد فقام الأخ عبد الخالق الطريس
خطيبا لشكر الطلبة على إقامة هذا
الاحتفال وطلب منهم أن يكونوا دائما
شاعرين بأن هذا العصر غير العصر
الذي مازالوا قابضين على تقاليده
إلخ ثم قام بعده سيدي المكي وشكرهم
أيضا بنفسه مباشرة ثم اقترح عليهم
أن يقدموا إلى الحكومة عريضة يطلبون
فيها إصلاح التعليم بالمساجد ...
وبالجملة فقد كانت مدة إقامة الأخ
المكي بتطوان كلها مظاهرات ونهضة قد
جمعت بين الشباب والكهول والشيوخ من
الخاصة والعامة. لقد أصبحنا أخيرا
متصلي تمام الاتصال مع جميع الطلبة
المتنوريين نجتمع دائما وقد اقترح
بعضهم أن نجعل يوما خاصا نجتمع فيه
ونقرر ما نراه صالحا لمستقبلنا
وإلقاء المحاضرات في المواضع

المختلفة وإلى الآن لم تبرز الفكرة للوجود"¹.

غير أن ظهور هؤلاء الشباب للعلن كان لابد وأن يثير حفيظة بعض الفقهاء والعلماء التقليديين، حيث سيقوم الفقيه محمد الفرطاخ بحملة شعواء ضد المكي الناصري ومضيفيه بتطوان وكل من ساعده وبالأخص محمد داود وعبد الخالق الطريس والحاج عبد السلام بنونة، الذي قال عن هذه الضجة في رسالة بعثها لولده الطيب بتاريخ 20 يوليوز 1930، جاء فيها: "لا زال بهذه الديار العلامة الناصري وقد ألقى محاضرتين في التوحيد بالجامع الأعظم، الثانية ليلة أمس وقبل إلقائها أعني في العشية تصدى الفرطاخ الأخرق وبرح بجميع الأسواق والأزقة يقول: أيها المسلمون أيها المؤمنون امنعوا أنفسكم وأولادكم من الدخول للجامع الكبير فإن هناك الزواميل يقرون مذهب المعتزلة، وشوش العامة وصار الناس يتبعونه بالأزقة... ثم إن الفرطاخ لم ينته عند هذا الحد بل في السوق الفوقي أثناء تبريحه سب سبا

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، ج. 1، م. س، صص. 69-70.

ذريعا المساعدين في هذا وصرح باسم
داود وأبناء بنونة فرفعنا عليه دعوة
لابن عزوز الوزير وأحضره وما قصر معه
وحكم عليه بالسجن بعد أن قال له أنه
كان يستحق النفي الأبدي لكونه من
الذين يسعون في الأرض فسادا ...
وأخيرا آل الأمر إلى مسامحته من
السجن بعد أن ألزمه ابن عزوز بأن
يقوم في بنيقته أمام كل الكتاب
والسيد محمد أفيلال والسيد محمد
المؤذن اللذان حضرا لرغبتنا وأن
يطلب المسامحة ويقبل رؤوسنا فقام
يقول تائب إلى اله يطلب المسامحة
وقبل رأسي ورأس عمك ورأس داود
وسامحناه لرغبة الفقيه ابن عزوز في
ذلك"¹.

وعلق الشاب الطيب بنونة عن هذا
الحدث في رسالة لمحمد داود بقوله:
"إن سقوط الفرطاخ هذا السقوط
الفظيع وتدهور حجه أمام الشعب
والحكومة ... يجعلنا نتفاءل
بالمستقبل الزاهر، ونتذكر الحكمة

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 1، صص. 399 - 400.

المأثورة : الحق يعلو ولا يعلى عليه"¹.

لقد بدا هؤلاء الشباب في أول الأمر مثل الثوريين داخل المجتمع، لما كانوا عليه من شجاعة وجرأة، إلى جانب كونهم كانوا حداثيين، فاصطدموا مع العلماء والفقهاء التقليديين الذي أصبحوا يصفونهم بأبشع النعوت²، ويصور التهامي الوزاني هذا الاصطدام بين الشباب النهضة والمحافظين بقوله: "كان الكبار يخشون ويحذرون مجالسة الصغار لأن للكبار مصالح ليست (للصغار)، ... ولأن لغة المداولات عند الكبار غيرها عند الشباب؛ فإن صراحة الشباب قد تصل إلى درجة الهجوم، وحتى إلى قذف الكبار بأنهم عجعة ... لقد كانت هذه الازدواجية التي حالت بين جانب منها والجانب الآخر طريقة الدفاع والهجوم، فإن للهجوم والدفاع حدودا ومفاهيم يختلف بعضها عن بعض: ذلك أن الشبان كانوا مندفعين بحكم أعمارهم واتصالاتهم، وعناصر التثقيف الجديدة التي تكون سلوكهم، وتوجههم ...، ورغبتهم في أن

¹- داود، حسناء، مراسلات وطنية أخوية، م. س، ص. 71.
²- بن جلون عبد المجيد، "الوطنيين المغاربة في المنطقة الخليفية ..."، م. س، ص. 132. 133.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

يكون زمام الأمور بيدهم؛ كل هذه
العوامل كانت سدا بين الكبار
والصغار، إلا ما كان من بنونة فإنه
كان يحمل فكرة مقدرة على مسايرة
الكبار مع استعمال شيء من البطء،
وعلى مسايرة الشباب فحمله نفسه على
نوع من السير السريع: وحتى بنونة
كان في بعض الأوقات (يقف) موقف
الحياران، عندما يصادف الوقت أن يكون
التياران كلاهما في حالة امتداد¹.

لكن رغم ذلك فإن هؤلاء الشباب
الوطني بشمال المغرب استمروا في
إثبات شخصيتهم داخل المجتمع، حيث
نجدهم عند زيارة الأمير شكيب أرسلان
لمدينة تطوان يشاركون في حفلة
تكريمه يوم 17 غشت 1930 إلى جانب
الشيوخ والكهول والعلماء، وقاموا
بإلقاء العديد من الخطب، التي ذكرها
امحمد بنونة في رسالته لولد أخيه
الطيب بتاريخ 2 شتنبر 1930 بقوله:
"ابتدأت الحفلة بشرب الشاي المغربي،
وأثناء تناوله قام والدك (عبد السلام
بنونة) وقدم لسمو الأمير التكرم
باسم المغرب وقدم له أيضا الخطباء:

¹ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي م. س، ص.
9.

فتقدم أولا الشاب عبد الخالق الطريس فألقى خطبة بديعة كرم فيها الأمير من الوجهة الأدبية والتاريخية ورحب به وشكره على زيارته باسم تطوان وأخواتها مدن المغرب. وبعده قام الشاب محمد باغوز فألقى خطبة كرم فيها يموه من الوجهة العلمية والدينية. ثم قام الشاب التهامي الوزاني وألقى قصيدة هنا فيها تطوان بزيارته وذكر بعض مزياءه ورحب به. ثم قام الشاب محمد عزي مان وألقى كلمة بديعة كرم فيها عطوفته من الناحية العلمية والنهضة ومن جهة محاربته للمستعمرين وذكر بعض جملة وصيحاته سواء في الأمم الإسلامية أو الأوروبية. ثم قام الأستاذ داود فألقى خطبة وطنية طويلة، وكان يلقيها بحماس. وبعده قدم إلى الأمير جلابة بزوية وسلهام بزيوي أيضا هدية باسم المغرب. ثم قام سموه فدوى المكان بالتصفيق فحيا الناس أولا ثم شكرهم على تكريمهم إياه. وذكر إعجابه بالأمة المغربية الفتية، وأثنى على الشباب المغربي ثم أوصى الحاضرين بالنهضة الاقتصادية، وبالعمل لنيل حقوقهم... بعدما خرج غالب الناس وبقي بعض الشبان الناهضين وكثير من

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الطلبة اجتمعوا حول الأمير وجعلوا
يسألونه في مواضيع مهمة كرايه في
تركيا الحالية وأفغانستان والوهابية
وابن سعود واستقلاله واليمن
واستقلالها، وطرابلس ومصر وسوريا
وفلسطين والعراق عن المسلمين
والبلاشفة. وهو حفظه الله يشرح لهم ذلك
بأفصح بيان"¹.

وفي سياق الأنشطة الثقافية للشبيبة
الوطنية بشمال المغرب ألقى الشاب
عبد الخالق الطريس بتاريخ 21 يوليوز
1931، محاضرة في موضوع "الأدب وحظنا
منه" بمسرح المصلى القديمة، فحضرها
جم غفير من الناس من جميع مدن
المنطقة الشمالية².

واستغلت أيضا الحركة الوطنية
الناشئة بشمال المغرب مناسبة "عيد
المولد النبوي أيام إظهار وإعلام"³،
عن طريق تنظيم مظاهرات سلمية كبرى،
وتم تنظيم ذلك لأول مرة بتاريخ يوم 3
غشت سنة 1931، وألقيت فيها العديد
من الأناشيد الوطنية، وهو ما أكدته

¹ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي...، م. م. س، صص. 24 - 25.
² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس...، ج. 1، م. م. س، ص. 23.
³ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي...، م. م. س، ص.
35.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

جريدة ABC الإسبانية التي ورد فيها:
"كانت النقطة الرئيسية في برنامج
الاحتفالات بعيد المولد النبوي بتطوان
هو الاستعراض الذي قام به الشباب
التطواني وهو ينشد الأناشيد الوطنية
الحماسية التي تطالب بالحرية
والاستقلال، ويهتف بهتافات مقصودة لا
يمكن أن نغض النظر عنها... وما من
شك أن هذا الإشعاع يأتي من الشرق وقد
جاء به من هناك مجموعة المغاربة
الذين تابعوا دراستهم... وعادوا
متشبعين بالروح الوطنية"¹. كما تم
الاحتفال بهذه المناسبة كذلك في سنة
1932، حيث قال عبد الخالق الطريس
عنها: "وكان يوم سابع المولد النبوي
في شهر يوليوز 1932 يوما مشهودا في
تاريخ تطوان"².

هكذا أعطى توافد طلبة البعثات
المشرقية على مدينة تطوان دفعة قوية
للحركة الثقافية والفكرية بشمال
المغرب، وستزداد هذه الحركة نشاطا
وازدهارا بعد رجوع الطالب عبد
الخالق الطريس إلى مسقط رأسه بصفة
نهائية سنة 1932، وتأسيسه لجمعية

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 3، ص. 83.

² - نفسه، ص. 84.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الطالب المغربية، التي ستلعب دور
كبيراً في تنشيط الحياة الثقافية
بشمال المغرب.

كان هاجس تأسيس جمعية وطنية
بمدينة تطوان يسكن عبد الخالق
الطريس منذ أن كان طالباً بالقاهرة،
كما عبر عن ذلك لزميله الطيب بنونة
في رسالة بعثها له بتاريخ 7 مارس
1930 جاء فيها: "متى سيعلم الناس
قيمة التعلم والثقافة، فيمدون يد
المساعدة، ويقبلون على... تأسيس
جمعية وطنية"¹. ولذلك بمجرد رجوعه
من باريس بتاريخ 6 مارس 1932،
للاستقرار بمسقط رأسه بصفة نهائية،
أخذ يفكر في تأسيس صرح ثقافي، حيث
نجدته يدون في مذكرته ليوم 10 مارس:
"اتفقت مع الحاج عبد السلام بنونة
على موضوع جمعية التلميذ المغربي
على أن أقوم به وحدي معتمداً في ذلك
على جماعة من الإخوان الذين يرى فيهم
الاستعداد التام للمشاركة في المشروع
وتل² علي بعض الأسماء"³.

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 3، ص. 319.

² - في الأصل كتبت: تلى

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، ج. 1، م. س، ص. 28؛ ابن عزوز حكيم،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتنفيذا لهذه الفكرة عقد الطريس
يوم 23 مارس اجتماعا بداره حضره
العديد من الشباب¹، فعرض عليهم فكرة
تأسيس الجمعية، فلقى منهم الاستعداد
التام لخوض هذه التجربة إلى جانبه،
فتم الاتفاق على تكوين مجلس تأسيسي
للجمعية، ترأسه الطريس، وتم تحديد
أهداف هذه الجمعية في مجموعة من
النقطة وهي: "الدفاع عن حقوق الطالب
المغربي، وإرشاده أثناء دراسته،
وتهيئة العمل له عند الانتهاء من
حياة الطالب، وتوسيع ثقافة الطالب
وترقية فكره، وتأسيس مكتبة يستعان
بها، وفتح نادي أدبي يساعد على نشر
الآراء الصالحة ويربي في أفراد
الجمعية. بما يلقي فيه من محاضرات
ومناظرات وما ينظم فيه من مسابقات
علمية وفنية وأدبية"².

محمد، أب الحركة الوطنية المغربية م. س، ج. 3، ص. 319.

¹ - حضر في هذا الاجتماع كل من عبد الخالق الطريس ومحمد أحمد بوهلال وعبد السلام الحاج، محمد باغوز، الحاج امحمد بنونة، محمد البار، محمد الوزاني، محمد المصمودي، أحمد الطريس، حيث وقعت كل هذه الأسماء على محضر هذا الاجتماع، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية م. س، ج. 3، ص. 326.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية م. س، ج. 3، صص. 325-326.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ووضع الطريس لهذه الجمعية قانونها
الأساسي¹ ، حدد فيه الاسم والمقر
والأهداف وشروط العضوية بها، ومالية
الجمعية وعمل إدارتها، ثم عرضه على
المكتب التأسيسي للجمعية بتاريخ 2
أبريل 1932، فتمت المصادقة عليه
بالإجماع².

وبتاريخ 25 مارس 1932 تم تقديم
طلب تأسيس الجمعية، إلى المراقبة
المحلية بتطوان³، وهو ما أخبر به
بنونة ولده الطيب بقوله: "بعض
الشباب وفي مقدمتهم عبد الخالق
الطريس بعد سلامه عليك قدموا طلبا
للحكومة بتأسيس جمعية تحت اسم جمعية
الطلبة وأظن أنهم يحصلون على
المساعدة بعد مناقشات وتقييدات من
الحكومة والله المسير"⁴.

وقبل البث في طلب تأسيس جمعية
الطالب المغربية، نجد الطريس ينظم

¹ - للإطلاع على القانون الأساسي لجمعية الطالب المغربي
يمكن الرجوع إلى: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة
الوطنية المغربية م. س، ج. 3، صص. 327-331.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس م. س، ج. 1، ص. 30.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
.... م. س، ج. 3، ص. 332.

⁴ - رسالة بتاريخ 16 أبريل 1932، أنظر: وثائق أبو بكر
بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد السلام بنونة، ج. 2،
م. س، ص. 377.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

باسمها حفلة على شرف زوجة المقيم
العام **لوبيث فريير Lopez Ferrer**،
وعدة نساء كبار الموظفين الإسبان،
بضيعته خارج المدينة، فكانت هذه
الحفلة أول تظاهرة للجمعية والتي
حضرها عدد كبير من المدعوين¹.

ومن بين الأنشطة التي نظمها الطريس
باسم الجمعية قبل حصولها على ترخيص
تأسيسها، إلقاؤه لمحاضرة تاريخية
بعنوان: "دولة الموحدين وأثرها في
الفلسفة الإسلامية"، يوم 20 أبريل
ببيته، بعدما رفضت السلطة إلقاءها
بالمسرح الوطني الإسباني²، وبالرغم
من أنه لم يتم منع هذا النشاط، فإن
الطريس توصل في اليوم الموالي
برسالة من باشا المدينة يخبره بأنه
فُرضت عليه غرامة قدرها مائة بسيطة،
فقام بأدائها تجنباً لأي عرقلة في
تأسيس الجمعية³.

ونظراً لتأخر رد السلطات الإسبانية
على طلب تأسيس جمعية الطالب
المغربية، قام المكتب التأسيسي

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 3، ص. 337.

² - وكان يسميه الوطنيين بمسرح المصلى القديمة.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 3، صص. 340 - 341.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بتجديد الطلب بتاريخ 3 ماي من نفس
السنة. غير أنه سيلقى نفس الإهمال
واللامبالاة من طرف السلطات الإسبانية،
مما سيدفع المكتب التأسيسي إلى
تقديم طلب ثالث للمراقب المحلي
بتاريخ بيوم 8 يونيو¹، لكن من دون
جدوى، حيث نجد بنونة يقول لولده
الطيب بتاريخ 16 من نفس الشهر:
"المراقبة المحلية لازالت تتلاعب على
جماعتنا فلا إذن للجريدة ولا إذن
لجمعية الطالب ولا ولا والحقيقة
أنه مادام لوبيز فيرير الذي هو على
وفاق تام مع لوسيان سان فلا يسمح
بشيء فيه منفعة للأهالي"².

وعلى الرغم من كون نيابة الأمور
الوطنية راسلت المراقب المحلي
بتاريخ 25 يونيو للإذن بتأسيس جمعية
الطالب المغربية، فإن هذا الأخير لم
يصدر أمر ذلك، مما دفع بأعضاء
الجمعية، إلى تدشين المقر الذي تم
إعداده للجمعية داخل باب الرموز يوم
فاتح يوليوز، دون انتظار حصولهم على
الترخيص، ووصف امحمد بنونة نادي
الجمعية بقوله: "بما أن من مؤسسات

¹ - نفسه، صص. 343 - 344.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 3، صص. 346 - 347.

الجمعية نادي للمسامرة وهو طبعاً
مركزها اتفقنا على فتح النادي
وفتحناه قبل أن يصدر الإذن بالجمعية
وجعلنا تشجيع الشبان ونهون عليهم
المسألة حتى اشترك فيه عدد غير قليل
من الطلبة يفوق الخمسين، وسيتضاعف
هذا العدد بعد صدور الإذن ... وقد
أثناه بأثبات غير متواضع ولا بفخم
وإنما هو متوسط وجعلنا فيه صالة
للمطالعة وأخرى للإدارة والباقي
للتسامر والجلوس أما المحل فهو
يعجبك جداً لأنه في محل هادئ وجميل،
وهو الطبقة السفلة من دار الركينة
بباب الرموز. وفي كل مساء تجد تلك
الساحة التي عند بابه عامرة بشباب
تطوان، والأجمل من ذلك كله أن الإخوان
إذا اجتمعوا فإنهم يجتمعون غالباً
على نصف دائرة مشتركين في المذاكرة
كأنهم عائلة واحدة. أفليس في كل هذا
ما يبعث الأمل في الإنسان؟؟ ... وندأب
صباح مساء على ترغيب باقي الطلبة
الذين لم يشتركوا بعد، ولقد رأينا
أخيراً أن كل من يشترك معنا في
الجمعية ... جداً ويصبح لا يستطيع الآن
يتأخر عن الحضور. وذلك أن الناس
مفتقرون من زمان إلى محل يجمع
شعتهم، والنادي محل نظيف بل منتزه

جميل، منظره رائع، وأثاث بديع
"بالنسبة لعقول المغاربة" وفيه ما
يشتهون من المرطبات والشاي والقهوة
والمثلجات، أضف إلى ذلك الاجتماع مع
بعضهم وما يتخلله من أنواع الانبساط
تارة والمذاكرة تارة أخرى، فنحن
بسبب إقبال الناس على النادي تجدنا
أقوياء أمام الحكومة ... وذلك ما
يبعث فينا روح النشاط على العمل...
وعلى كل حال فنحن مؤمنون بمبادئنا
متحدون في وسائلنا مخلصون في أعمالنا
محقون في مشروعنا ومن كان الحي
رائده والإيمان قلبه والإخلاص متجليا
على أعماله فلا شك أنه ناجح بحول
الله" ¹.

ودشن الطريس نادي الجمعية بإلقاء
محاضرة في موضوع "اهتمام بني مرين
بالمعارف"، بتاريخ يوم 2 يوليوز
1932²، ثم توالى بعدها، "المحاضرات
والندوات الثقافية والتي لقيت إقبالا
كبيرا من الطلبة" ³، الأمر الذي أرغم
سلطات الحماية على إصدار أمر تأسيس
جمعية الطالب المغربية بتاريخ 4

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة ...، م. س، ج. 1، صص. 162-163.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج. 3، صص. 348 - 349.

³ - نفسه، ص. 352.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أكتوبر من سنة 1932¹، بعد مطالبتهم
بتعديل طفيف في قانونيها الأساسي²،
وبتاريخ 10 أكتوبر تم انتخاب مكتب
إداري جديد للجمعية تكون من: " (1)
الطريس رئيس (2) التهامي الوزاني
وكيل (3) محمد الناصر أمين (4) محمد
باغوز كاتب عام (5) عبد السلام ابن
عجينة مساعد الكاتب (6) محمد
الدليرو (7) عبد السلام الحاج (8)
محمد عمار (9) محمد ابن الأبار (10)
محمد بنونة أعضاء"³.

وبمجرد حصول الجمعية على الترخيص
من طرف سلطات الحماية الإسبانية، حتى
وَجَّهَتْ نداء إلى كل المثقفين المغاربة
لتعزيد عملها والمساهمة في أنشطتها
حيث جاء فيه: "أيها العلماء

¹ - نفسه، ص. 354.

² - علق امحمد بنونة عن هذا التعديل بقول: "هناك شيء
فسيؤلمكم عندما تطلعون عليه في القانون الذي تصلكم منه
نسخة درجه وهو أننا كان عندنا من شروط العضو أن يكون
طالباً مغربياً فزادتنا 'كل' 'الحكومة هذا القيد : (من
المنطقة المشمولة بنفوذ إسبانيا) وأنا قد كنا سنفرض
قبوله ولكن رأينا أن الحكومة ستستغل رفضنا وتحل
الجمعية، فقبلناه وأرجعنا حذفه للمستقبل في اجتماع
عمومي آخر حيث تكون الجمعية كبرت وتمركزت وربما تكون
الحالة السياسة تغيرت وعندئذ ندخل تعديل على القانون إن
شاء الله"، أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان
الحاج امحمد بنونة م. س، ج. 1، ص. 172؛ ابن عزوز
حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية م. س، ج. 3،
ص. 355.

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة م. س، ج. 1، ص. 172.

والمتعلمون أيها المثقفون
والمتأدبون، آن لزمركم أن تنظم
صفوفها وتوحد كلمتها... فالأمة في
حاجة إلى حياة جديدة في سائر
نواحيها، وليس بين عناصر الأمة من
يضمن لها هذه الحياة إن لم يكن
العنصر العارف لأنه وحده ذو القدرة
على اختيار السبيل الذي ينبغي للشعب
أن يسلكه في تدرجه وتطوراته، إن
أمتنا اليوم على عتبة نهضة واسعة
متشعبة فهل ستبقى عادية وجود منظمة
تأخذ بيدها وتنير لها دياجير
المستقبل... ها نحن قد أسسنا نادي
الجمعية حيث تجتمع طائفتنا اجتماعاً
ودياً يزيدنا نشاطاً في العمل ونتذكر
مذكرات طيبة تزيد العمل متانة
والقلب نوراً وأن فكرنا منذ تأسيسه
في تنمية معلومات رواده فلم ننس
تهيئة أسباب الراحة فجعلنا له من
المسليات والمنشطات ما يملأ به وقت
الفراغ، وعما قريب سنبدأ في إعطاء
الحياة الصحية لنادينا بتنظيم سلسلات
من المحاضرات وغيرها من الاجتماعات
العامة التي لا تخلوا من فوائد جمة
سيجنيها القائل والسامع. وهذا أقل
ما يقال عن غايات واسعة ستخدم بنشاط
وقوة، والذين يعوزنا هو تشجيع سائر

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأفراد المنتمين لرابطة العلم
فبمزيد مشاركتهم الفعلية في أعمالنا
ومناصرتهم لنا حتى يمكننا أن نخدم
من جهتنا هذه الأمة المغربية
الكريمة"¹.

وبتاريخ 17 نونبر استقبل المقيم
العام الإسباني أعضاء المكتب الإداري
لجمعية الطالب المغربية² ، الذين
استغلوا فرصة هذا اللقاء للمطالبة
بإصدار جريدة ينشرون فيها أفكارهم
ولتغطية أنشطتهم ، فأجابهم المقيم
العام بأنهم يمكنهم ذلك متى أرادوا
لكن شريطة أن تكون هذه الجريدة
"بانية غير هادمة ، ومدافعة غير
مهاجمة"³ ، كما حذرهم بلغة استعمارية
فضة بقوله : "إنكم الآن أصبحتم
مسؤولين أمام المخزن إن خرجتم عن
قانونكم . ويجب أن تعرفوا دائما أن

¹ - ابن عزوز حكيم ، محمد ، أب الحركة الوطنية المغربية
.... ج . 3 ، صص . 367-369 .

² - نفسه ، ج . 4 ، ص . 156 .

³ - وثائق أبو بكر بنونة ، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة م . س ، ج . 1 ، ص . 172 ؛ ابن عزوز حكيم ، محمد ،
أب الحركة الوطنية المغربية م . س ، ج . 4 ، صص . 362-
363 .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

هناك مخزنا شريفا وحكومة حامية وأنكم مقيدون بالطاعة"¹.

وعندما عازمت الجمعية على تنظيم
أربعينية الشاعر المصري أحمد شوقي
الذي توفي يوم 14 أكتوبر 1932،
استدعى المقيم العام الإسباني رئيسها
عبد الخالق الطريس، يحذره من الخوض
في السياسة، وطلب منه إطلاعه على
الخطب المبرمجة في الحفلة قبل
إلقائها، فأجابه الطريس بأن "ذلك
غير ممكن أبدا"². وفي نفس اليوم تم
استدعاء الطريس من طرف باشا مدينة
تطوان إدريس الريفى، الذي طلب منه
إطلاعا "سريا على الخطب ومن غير أن
يعلم أحد إلخ فأجابه الطريس بأنه
يعتبر هذه المعاملة ماسة بكرامته
لأنه يعد هذه مساومة في شرفه"³.

وجرت حفلة تأبين الشاعر أحمد شوقي
يوم 24 نونبر، فكانت "حفلة ناجحة

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة م. س، ج. 1، ص. 172؛ ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية م. س، ج. 4، ص. 156.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة م. س، ج. 2، ص. 182؛ ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية م. س، ج. 4، ص. 166.

³ - نفس المرجعين والصفحة.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

لـلـغـايـة¹، وصف تفاصيلها امحمد بنونة
بقوله: "كان ابتداء الحفلة في
الساعة 3 بعد ظهر الخميس 24 نوفمبر
وما كادت تزف هذه الساعة حتى كان
النادي غاصا بالجماهير من الأعيان
والطلبة والتجار وغيرهم لما يقرب من
200 نفس غير المشاركين، فابتدأت
الحفلة بأن قرأ بلبل تطوان الصارح
الأخ ابن الآبار آية "إن الأبرار
يشربون من كأس كان خراجها كافورا"
وبعد ألقى عبد الخالق الطريس كلمة
ارتجالية بالنيابة عن الجمعية ثم
بعده ألقى سيدي التهامي الوزاني
قصيدة في ستين بيتا في شوقي وبعده
ألقى السيد الغالي الطود بالنيابة
عن القصر الكبير"الذين حضر منهم جم
غير للمشاركة في ذلك اليوم" كلمة لا
بأس بها وبعده باغوز كلمة مضمنها
إسلامية شوقي، وتلاه محمد محمد الخطيب
"وهو سيد خطباء ذلك اليوم" وبعده
محمد المصمودي وبعده ألقى الطريس
خطبته الشخصية موضوعها شوقي في
طوريه وهي كلمة عالية جدا وختمت
الحفلة بالفاتحة في الساعة الخامسة
ونيف مساء، وذهب الناس مسرورين

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس ...، م. س، ج. 1، ص. 48.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

معجبين بما شاهدوه من النظام، والحق
أن الحفلة كانت على أبهج ما يرام،
ولقد كان بها العلم المصري معانقا
للعلم المغربي"¹.

ونظمت الجمعية كذلك سلسلة من
المحاضرات بناديهما في شهر رمضان
لعام 1351، افتتحها الطريس بمحاضرة
عنوانها "حياة وسطنا المثلى"،
ألقاها يوم 11 رمضان الموافق 8
يناير 1933، كما ألقى التهامي
الوزاني محاضرة ثانية يوم 15 رمضان
موافق 12 يناير، تحت عنوان "الإحسان
في مجتمعنا"، في حين ألقى محمد
الطنجي يوم 28 رمضان الموافق 25 يناير
محاضرة في موضوع "موقف الدين الإسلامي
إزاء العلوم العصرية"²، كما نظمت
سلسلة أخرى من المحاضرات أشار إليه
امحمد بنونة في إحدى رسائله بقوله:
"سألقي محاضرة في السلسلة الآتية
وسيكون موضوعها (قدماء المغاربة
والأجناس البشرية وتأثير الإسلام في
الوسط المغربي)، أما والدك فلازلنا
نحث عليه في إلقاء محاضرة في موضوع

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة ...، ج. 2، م. س، ص. 183؛ ابن عزوز حكيم، محمد،
أب الحركة الوطنية المغربية ...، م. س، ج. 4، ص. 167.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج. 4، صص. 219-220.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

اقتصادي ولكن الأشغال لا تتركه¹ .
وألقى الطريس محاضرة بعنوان "بلاسكو
إبانيث مثال الأديب الإسباني"، يوم
24 فبراير بمسرح إسبانيول² . كما
نظمت الجمعية كذلك سلسلة من
المحاضرات باللغة الإسبانية ألقاها
خلال شهري يونيو ويوليو مجموعة
الأساتذة الإسبان³ .

ولم تكن السلطات الإسبانية تسمح
بتنظيم جميع أنشطة الجمعية، بل كانت
تمنع بعضها أو تعرقلها، فعلى سبيل
المثال عندما حل الوطني الحسن
بوعباد إلى مدينة تطوان يوم 12 مارس
1933، رفضت السلطات الاستعمارية
الإسبانية طلب الطريس في إلقاء
بوعباد بنادي جمعية الطالب المغربية
محاضرة في موضوع "كتاب الحيوان"⁴ .

ومن بين أنشطة جمعية الطالب
المغربية كذلك، تبنيتها لاقتراح بنونة
للمطالبة بإنشاء مدرسة تجارية
بتطوان، حيث تقدم مكتبها الإداري

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة م. س، ج. 2، ص. 190.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
.... م. س، ج. 4، ص. 36.

³ - نفسه، صص. 302-303.

⁴ - نفسه، ص. 36.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

بطلب في الموضوع إلى المقيم العام
الإسباني بتاريخ 14 يناير 1933،
ووافقت الحكومة على إنشاء المدرسة
المذكورة بتاريخ 3 يناير 1934¹. كما
اجتمع المجلس الإداري للجمعية يوم 11
فبراير لدراسة حالة التعليم الديني
بالمنطقة، والنظر في وضعية طلبة
العلم الذين يفدون إلى تطوان²، فخلص
الحاضرون في الاجتماع إلى التبرع كل
حسب طاقته بقدر مالي لمساعدة الطلبة
الفقراء، هذا إلى جانب رفع مذكرة
باسم الجمعية لوزير العدالة
بالحكومة الخليفية أحمد الرهوني
باعتباره رئيسا لإدارة المعارف، دعوه
فيها إلى "السعي لتنظيم التعليم
الديني تنظيما يرضي الضمائر
المسلمة... والاهتمام بالطلبة
المعوزين"³.

ولتوسيع مجالات اهتمام جمعية
الطالب المغربية، تم تأسيس فرقة
تمثيلية تابعة لها، بمناسبة الذكرى
الأولى لتأسيسها⁴، وذلك بهدف تمثيل
المسرحيات الوطنية الهادفة، خاصة

¹ - نفسه، ص. 222.

² - نفسه، صص. 227-228.

³ - نفسه، ص. 229.

⁴ - نفسه، ص. 248.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وأن الطريس كان قد ألف قبل ذلك
مسرحية بعنوان "انتصار الحق
بالباطل"، والتي تم تمثيلها لأول مرة
يوم 10 يونيو 1936 بمسرح
إسبانيول¹.

ولكون الجمعية كانت تسعى لاستغلال
مختلف المناسبات الدينية لتنظيم
أنشطتها المتنوعة، نجدها في 20
أبريل من سنة 1933، تأسف لجنة خاصة
بتنظيم احتفال بالسنة الهجرية لأول
مرة بالمغرب، والتي تحدث عنها المكي
الناصر في رسالته للطريس بتاريخ 5
ماي، قال: "أم سير الجمعية بعد سفرك
فقد اجتهدت لتحقيق فكرة إقامة حفلة
"لذكرى الهجرة النبوية والاحتفال
برأس السنة الإسلامية"، وقد بذلت
الجهد لجمع المجلس الإداري ثاني يوم
سفرك فاجتمع وقرر إقامة حفلة نهائية
يوم الجمعة عاشر محرم الحرام (أي
هذا اليوم على الساعة 4) وكتبت
الإدارة تعلم المراقبة بالحفلة
وميعادها فكتبت حضرة المراقب يسأل
ما هي الأسباب التي دفعت الجمعية إلى
هذه الحفلة؟ فكتبت الإدارة تقول: إن

¹ - الفكيكي، عبد الرحمان عبد الوافي، مسرحية "انتصار
الحق بالباطل"، م. س، ص. 98.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**هذه السنة سنة دينية والعادة أن
جميع الطوائف الدينية تحتفل بمفتح
سنواتها المقدسة ونحن مسلمون سنحتفل
برأس سنتنا الإسلامية"¹.**

كما حاولت جمعية الطالب المغربي
تنظيم احتفال بالذكرى الخامسة
والأربعين لزيارة السلطان مولاي الحسن
الأول لمدينة تطوان، فتم طبع
البرنامج، وإرسال دعوات للمشاركة في
هذا الحفل، إلا أن الإقامة العامة
الإسبانية رفضت منح الجمعية الإذن
بتنظيم هذا النشاط²، الأمر الذي جعل
الطريس يرفع شكاية باسم الجمعية إلى
رئيس الحكومة الإسبانية يوم 21 يونيو
1933³.

ومن بين أنشطة الجمعية التي حققت
نجاحا كبيرا، المحاضرة التي ألقاها
الحاج عيد السلام بنونة بتاريخ 7
يوليو 1934 تحت عنوان **"واجبنا نحو
حركتنا الاقتصادية"**، حيث وقع عليها
إقبال كبير⁴، وذلك ما أكدته بنونة

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
...، م. س، ج. 4، ص. 277.

² - نفسه، صص. 300-301.

³ - نفسه، ص. 304.

⁴ - بن جلون، أحمد، "النشاط الاقتصادي..."، م. س، صص.
43-44.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بنفسه في رسالة بعثها لولده الطيب
حيث جاء فيها: "في الأسبوع الماضي
ألقيت محاضرة في الاقتصاد بنادي
جمعية الطالب المغربية وكان بها جم
غفير من أهالي فاس والرباط وسلا
وطنجة والعرائش والقصر حتى امتلأ
النادي وساحته الخارجية وما وراءها
إلى باب الرموز وألقيتها على
المكرفون لسمع الجميع"¹.

وعموما فجمعية الطالب المغربية
كانت "رمز من رموز الوطنية" واسمها
"يدل على الثورة الفكرية في شمال
المغرب"، كما كانت نتيجة للحركة
الأولى في تاريخ النهضة الحديث بهذه
المنطقة، حيث لم يكن يعرفه قبلها
شيء اسمه الخطابة ولا المحاضرة،
ولذلك وصفها التهامي الوزاني بكونها
كانت "بكورة لحرية الاجتماع... برهن
الشباب فيها على حيويتهم ونشاطهم
فأصبح منبرها منبعا فياضا تلقى منه
المحاضرات والخطب وكانت نعم المدرسة
لفتق وفك عقال الألسنة، وللجمعية
تاريخ وأي تاريخ يجب أن يكتب خصوصا
وأنها كانت المؤسسة الأولى من نوعها

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 3، ص. 564.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالمغرب طيلة عدة سنوات، فلم تنقطع
في يوم من الأيام، عن عملها الجبار
ولو أنها تعرضت من حين لآخر إلى
مضايقات الاستعمار"¹.

وتعززت هذه الانتعاشة الثقافية
التي عرفتتها مدينة تطوان بعد رجوع
شبيبته التي كانت تدرس بالمشرق
وفاس، بتأسيس الصحافة الوطنية،
بعدها أصدر الأستاذ محمد داود مجلة
"السلام" في فاتح أكتوبر 1933²،
فكانت مجلة جامعة مليئة بالروح
الوثابة والوعي الصحيح³، وملتقى
أفكار النخبة المغربية المثقفة⁴.
كما أن ارتباطها بالقضايا الوطنية
والقومية والعالم الإسلامي جعلها تحتل
مكانة خاصة لدى المهتمين سواء داخل
المغرب أو خارجه، حيث كانت تصل إلى
كبريات المدن المغربية، بل جل مناطق

¹ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة...، م. س، صص.
127-128.

² - الصفار، حسن، حزب الإصلاح...، م. س، ص. 37.

³ - الفاسي، علال، الحركات الاستقلالية...، م. س، ص. 177.

⁴ - عزيमान، محمد، 'ذكريات من تاريخ الحركة الثقافية
بتطوان'، مجلة المناهل، عدد 26، مارس 1983، ص. 342.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

البلاد، وتوزع عبر العالمين العربي والإسلامي¹.

وبذلك لعبت مجلة السلام دورا مهما في مسيرة الحركة الوطنية والثقافية بالمغرب، كما كانت منبرا معبرا عن رغبات الشعب المغربي، ومحلا لنشر عدد من العرائض الشعبية والاحتجاجات الوطنية والمظالم الاستعمارية، وبالتالي كانت باكورة حرية التعبير ومتنفسا للوطنيين للتعبير عن آرائهم كما أولت عناية خاصة لقضية الأمة الإسلامية ونهضتها وتوحيد صفوفها². وفي هذا السياق يقول عبد الخالق الطريس: "هنيئاً للشعب المغربي عامة ولحركتنا الوطنية خاصة بصدور أول مجلة عربية حرة ترى النور بأرض الوطن بعد مرور عشرين سنة عن فرض الحماية فمرحبا بمجلتنا المباركة السلام، وهنيئاً لمؤسسها ومديرها أستاذنا العزيز الفقيه سيدي محمد داود"³.

¹ - الخراز، عبد القادر، "تطوان وريادة الصحافة الوطنية مجلة السلام"، ضمن أعمال ندوة تطوان على عهد الحماية 1912-1956، مطبعة عكاظ، الرباط، 1992، ص. 203.

² - الصفار، حسن، حزب الإصلاح....، م. س، ص. 38.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات....، م. س، ج. 2، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وقد صدر الجزء الأول من مجلة السلام
في أكتوبر 1933، فقدمت المجلة نفسها
بالعبارات التالية 'السلام صحيفة
الشباب الحي الناهض، الشباب المفتخر
بإسلاميته المعتر بعروبته ووطنيته
المتشبع بعلمه وبثقافته العامل
لتوحيد صفوفه أمته المتحفز لقيادة
شعبه في نهضته المخلص لله ثم لوطنه
ودولته ... السلام صحيفة الكهول ذوي
النشاط والحمية، والشعور بالكرامة
القومية، والغيرة على المصالح
العمومية ... السلام صحيفة الأبرار
ذوي المهابة والوقار والعلماء
المهتدين المخلصين في حماية
الدين'¹.

كما سُمِحَ للأستاذ الطريس بإصدار
جريدة "الحياة"، التي صدر عددها
الأول في فاتح مارس 1934²، حيث قررت
كتلة الشمال أن تصدر جريدة لتكون
لسانها الناطق باللغة العربية³،
فكانت أول جريدة وطنية باللغة
العربية صدرت بالمغرب، وكانت لسان
حال الوطنية المغربية عامة، لكونها

¹ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح....، م. س، ص. 38.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات....، م. س، ج. 2، ص. 254.

³ - الفاسي، علال، الحركات الاستقلالية....، م. س، ص. 177.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كانت معبرة عن الرأي الوطني في
المشاكل السياسية والاقتصادية
والاجتماعية والثقافية، كما كانت
تعكس مطالب الشعب المغربي، وأفكار
الكتلة الوطنية في الشمال والجنوب¹،
مما جعلها تتعرض للعديد من
المضايقات حيث منعت الإدارة الفرنسية
دخولها إلى منطقة حمايتها².

ونظرا لصراحتها في انتقاد إدارة
الحماية، والمراقبين الإسبان، فإنها
تعرضت لسيل من الغرامات، وبالتالي
عجزها عن تأديتها، مما اضطر نائب
الأمر الوطني الكولونيل الكباس،
بسحب ضمانه الجريدة وبيع معدات
إدارتها لتسديد واجب الغرامات³، كما
أصبحت هيئة العمل الوطني خلال هذا
العهد تعمل في رابع النهار، فكانت
تعقد اجتماعاتها بكثير من الحرية
والاطمئنان⁴.

وتولى الأستاذ الطريس بنفسه رئاسة
تحرير الجريدة من عددها الأول لفاتح

¹ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح، م. س، صص. 41 - 42.
² - الوزاني، التهامي، تاريخ المغرب، م. س، ج. 3، ص.
235.
³ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح، م. س، صص. 41 - 42.
⁴ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة، م. س، ص.
131-132.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مارس 1934، إلى العدد الواحد
والثلاثين ل 11 أكتوبر 1934، حيث
تقلد في شهر أكتوبر مهام الإدارة
العامة لأحباس وآنذاك تخلي عن رئاسة
تحرير الجريدة للتهامي الوزاني،
الذي قام بهذه المهمة من العدد
الثاني والثلاثين الصادر بتاريخ 18
أكتوبر 1934، إلى العدد السابع
والسبعين وهو الأخير الصادر يوم 29
غشت 1935¹.

ومحاولة لتقوية الحالة القانونية
للجرائد الصادرة بتطوان، أنشأ
الطريس بمعية **روضا خمينيس** الصحافي
الاسباني، نقابة الصحافة الاسبانية
المغربية²، بتاريخ 11 نونبر 1934،
والتي انخرطت تحت لوائها، جل الأقلام
التي كانت تكتب في مجلة السلام
وجريدة الحياة³.

وأصدر كذلك الأستاذ محمد المكي
الناصري مجلة "**المغرب الجديد**"،
ابتداء من فاتح يونيو 1935، لتملأ

¹ - خليفة، ادريس، "الحياة الأدبية بتطوان: النثر الفني
(1912 - 1956)، ضمن أعمال ندوة: تطوان على عهد الحماية
1912-1956، منشورات المجلس البلدي لمدينة تطوان، مطابع
عكاظ، الرباط، 1992، ص. 90.

² - وولف، جان، م. م. س، ص. 178.

³ - "نقابة الصحافة"، جريدة الحياة، ع. 37، 22، نونبر
1934، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الساحة الثقافية بشمال المغرب، خاصة
بعد توقف مجلة "السلام"، فحملت مشعل
الرأي العام الوطني والعربي،
والتعبير الحر والتوجيه الحديث في
المقالة والقصة والشعر والأدب عامة،
وتوقفت مجلة المغرب الجديد بتاريخ
19 غشت 1936، بعدما صدر منها 17
عدد¹.

وفي سنة 1936 قام محمد داود
بتأسيس جريدة أسبوعية بمدينة تطوان،
صدر عددها الأول بتاريخ 15 مارس،
واهتمت هذه الجريدة بالقضايا
الوطنية والسياسية والاجتماعية بشمال
المغرب وجنوبه، وكذلك بالقضايا
الدولية، غير أن هذه الجريدة سرعان
ما توقفت بعدما صدر منها خمسة أعداد
فقط²، نتيجة الأزمة المالية التي
تلقتها خاصة بعد منع دخولها إلى
منطقة الحماية الإسبانية. وعدم
تلقاها أي دعمها من طرف نخبة الشمال
والجنوب³.

¹ - الخراز، محمد الحبيب، الصحافة بشمال المغرب، م.
س، ص. 242.

² - الصفار، حسن، "الفقيه محمد داود"، م. س، ص. 18.

³ - الخراز، محمد الحبيب، الصحافة الوطنية بالشمال،
صص. 249-250.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

هذا الجو الثقافي المفعم بالحيوية
والنشاط المتعدد المشارب كان لابد
وأن ترافقه نهضة اجتماعية موازية.
فما هي إذن أهم الأنشطة الاجتماعية
التي قام بها الرعيل الأول للحركة
الوطنية بشمال المغرب؟ وما هي
المبادرات التي قاموا بها على
المستوى الاقتصادي؟

المبحث الثاني: تجليات ومظاهر النهضة الوطنية بشمال المغرب على المستوى الاجتماعي والاقتصادي

1. عمل الرعيل الأول للحركة الوطنية في ميدان التعليم

وعلى مستوى التعليم، استأنف
الرعيل الأول للحركة الوطنية بشمال
المغرب، عمل النخبة المثقفة، وتابع
خطاها بصورة أقوى تضمن للأمة وجود
تعليم منظم، كفيل بتخريج طائفة من

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الشباب المتعلم والواعي¹ ، وذلك
لتشبعهم بالفكرة التي لطالما رددوها
على مسامعهم عناصر النخبة المثقفة،
والمتمثلة في كون المغرب لا يمكنه أن
يسترجع استقلاله "إلا إذا فاق الشعب
المغربي من جهله وأصبح بفضل انتشار
التعليم وتعميم المعرفة على جانب
كبير من الوعي واليقظة، فيكون على
علم وبينه من أمره معتزاً بماضيه
وواعياً بحاضره ومؤمناً بمستقبله"².

وكانت أول مشاركة لشبيبة الحركة
الوطنية بالشمال في عمل مرتبط
بالتعليم، عند انخراط بعضهم في
اللجنة الوطنية للتعليم العام، التي
تألفت على إثر المفاوضات التي قامت
بها اللجنة الوطنية للمطالب مع
المقيم العام الأسباني **Lopez Ferrer** يومي 25 و 27 أبريل
1932³.

¹ - بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟، ضمن كتيب:
سلسلة رجالات المعهد الحر: الأستاذ الطريس، مطبعة
المهدية، تطوان، 1972، ص.13.

² - "من مؤسساتنا الوطنية المعهد الحر، أول معهد للدراسة
العربية الثانوية العصرية الحرة بالمغرب (5 نونبر
1935)"، مجلة الوثاق الوطنية، عدد 5-6، مارس- يونيو
1990، ص. 122.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية م. س،
ج. 4، صص. 15-21.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتأسست هذه اللجنة يوم 6 ماي،
وتكونت من عدة أعضاء، ذكرهم امحمد
بنونة في رسالته المؤرخة بنفس
اليوم، والتي جاء فيها: "لقد تألفت
أمسه جمعية وضع التقرير للمعارف،
ليقدم إلى المقيم، وانتخب منها لجنة
لوضع مشروع القانون وهي مؤلفة: من
الطريس (عبد الخالق) وعبد الكريم
الدليرو والبشير أفيلال والتهامي
الوزاني وباغوز (محمد) وأحمد غيلان
وكاتب هذه السطور (امحمد بنونة).
أما اللجنة العامة فهي مؤلفة من:
الفقيه الصفار (محمد) وأحمد بن عبد
الكريم الصفار وج عبد السلام بنونة
والأستاذ داود واطنانة (محمد) ومحمد
بن محمد اللبادي والفقيه محمد بن
التهامي أفيلال وعلي الخطيب. إلا أن
هذين الآخرين أبيا الحضور معنا ولم
يبديا أي عذر لذلك إلخ وهذا من
مصائبنا"¹.

واجتمعت هذه اللجنة الوطنية
للتعليم أزيد من عشرين اجتماعا، ما
بين 3 ماي و 22 دجنبر 1932، حاولت

¹ - الوثيقة رقم 1725، رسالة من الحاج امحمد بنونة لولد
أخيه الطيب بتاريخ 6 ماي 1932. أنظر: وثائق أبو بكر
بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، م. س، ج.
1، ص. 159.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

خلالها دراسة وضعية التعليم بمنطقة
الحماية الإسبانية، فرفعت تقريرها
الأول¹ يوم 7 يوليوز، والذي أعطت فيه
صورة عامة عن طريقة إصلاح نظام
التعليم الأولي، وجعله إجباريا
ومجانيا، وأن لا تتعدى سنوات الدراسة
به أربع سنوات، يتعلم خلالها التلميذ
"التربية الدينية بجانب التربية
الحديثة"²، حتى يتمكن بعد تخرجه من
المدرسة الابتدائية، مزودا بقدر كاف
يمكنه من "اقتحام غمرات الحياة
مزودا بالمعلومات الضرورية التي
تفيده في دينه ودنياه"³. وكانت
الملاحظة الوحيدة التي لاحظها المقيم
العام حول هذا التقرير هو كونه "لم
يتعرض إلى تعليم الفتاة"⁴. وبتاريخ
25 شتنبر رفعت اللجنة الوطنية
للتعليم العام تقريرها الثاني⁵.

كما طالب الرعيل الأول للحركة
الوطنية بشمال المغرب يوم 18 غشت
1934، بملتقى إنشاء مجلس أعلى

¹ - للإطلاع هذا التقرير يمكن الرجوع إلى: ابن عزوز حكيم،
محمد، أب الوطنية المغربية، م. س، ج. 4، ص. 39-45.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية، م. س،
ج. 4، ص. 42.

³ - نفسه، ص. 43.

⁴ - نفسه، ص. 43.

⁵ - نفسه، ص. 48.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
----- عاهد ازحيمي

للتعليم بالمنطقة¹ ، حيث رفع عبد
الخالق طريس رسالة² في الموضوع
للمقيم العام الإسباني مانويل ريكو
أفيو **Mauel rico Avello** الذي قبل
الطلب³ ، وأمر بإصدارها ظهير خليف
بتاريخ 19 أكتوبر⁴ ، يقضي بتأسيس
"مجلس استشاري أعلى للتعليم
الإسلامي" ، حددت اختصاصاته في: "1-
تقديم الإرشادات التي يطلبها المخزن
عن تنظيم التعليم ومواد الدراسة؛ 2-
تقديم نفس الإرشادات إلى مراقبة
التعليم في هذه المسائل؛ 3- مراقبة
سلوك الأساتذة في المدارس المخزنية،

¹ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة
الوطنية...، م. م. س، ص. 133؛ ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق
تشهد، م. م. س، ص. 47.

² - جاء في هذه الرسالة: "سعادة المقيم العام لإسبانيا
بالمغرب: أتشرف بأن أؤكد لسعادتك ما سبق لي أن حدثتك
عنه شفويا بخصوص المؤسسة المسيرة التي تحتاج إليها
عملية إعادة تنظيم التعليم المغربي بجميع أنواعه
ودرباته: هذه المؤسسة التي يجب أن تكون في نظري هي مجلس
أعلى للتعليم المغربي يرأسه أبرز عالم بهذه المنطقة
بمساعدة كل من وزير العدل والمدير العام للأعباس ويتم
اختيار أعضائه من بين علماء النواحي الخمس للمنطقة على
أساس عالمين من كل ناحية. بالإضافة إلى عالم يمثل
التعليم الحر. هذا ما أتشرف باقتراحه على سعادتك أطل
الله عمركم سنوات عديدة. تطوان في 18 غشت 1934، الإمضاء عبد
الخالق الطريس"، ورد في: ابن عزوز حكيم، محمد، عيد
الكتاب العربي شمال المغرب أول من احتفل به في العالم
العربي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2000، ص. 10.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، عيد الكتاب العربي شمال المغرب
أول من احتفل به في العالم العربي، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2000، ص. 10.

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق تشهد، م. م. س، ص. 47.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتحديد مناهج الدراسة في المدارس
غير الرسمية؛ 4- تعيين أوقات
الدراسة، وتفتيش الحالة الصحية في
المدارس المخزنية وغيره؛ 5- ترشيح
شيخ العلوم وأساتذة المدارس
المخزنية، والمديرين لها وتقديم ذلك
إلى المخزن؛ 6- حل المشاكل الكثيرة
التي تعرض في قضية التعليم؛ 7- تقديم
اقتراحات إلى المخزن فيما يتعلق
بتوزيع المبلغ المخصص للمدارس
المغربية في الميزانية العامة،
والمبلغ المخصص لتعليم الصبيان من
ميزانية الأحباس، وتحمل المسؤولية في
صرف المبلغ المخصص من الأحباس كاملا
على التعليم¹.

وتألف هذا المجلس من وزير العدالة
محمد أفلال رئيسا، وشيخ العلوم
الإسلامية محمد المرير نائبا للرئيس،
ومدير الأحباس عبد الخالق الطريس
مقرر²، والعربي اللوه كاتباً،
بالإضافة إلى ثلاثة أعضاء آخرين هم

¹ - "المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي"، جريدة الحياة، ع. 39،
6 دجنبر 1934، ص. 1.

² - عندما استقل الطريس بتاريخ 2 شتنبر 1935 من منصب مدير
الأحباس، عوضه في المجلس أحمد الحداد، أنظر: داود،
حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 175

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----
المهدي الموفق والحسن أفيلال ومحمد
داود¹.

وحاول هذا المجلس أن يقدم فائدة
للتعليم بالمنطقة، في إطار ما أتيح
له من اختصاصات، بإعداد نظامه
الداخلي الذي يحدد فيه مهمته وشؤونه
الإدارية، كما أعد كذلك ضابطا آخر
تحت اسم "ضابط النظام الداخلي
للمجلس الأعلى للتعليم الإسلامي
ولمفتشية هذا التعليم". ومن بين ما
قام به هذا المجلس إعداده نظاما
للتعليم التمهيدي والابتدائي
والثانوي والعالي، مع تعيين الكتب
المقررة في مختلف العلوم
والمستويات، كما اهتم بشأن تهئي
مدرسة لوقش المعدة لسكنى الطلبة
الآفاقيين، وبأمر المنحة الخاصة بهم
وكافة شؤونهم².

ويبقى أهم إنجاز حققه هذا المجلس
هو تجديد بناية مدرسة لوقش، التي تم
تدشينها³ بتاريخ 7 أبريل 1937¹.

¹- Fernando Valderrama Martínez, **Historia de La acción cultural ...**, Op. Cit, pp. 125-126.

²- داود، حسناء، **على رأس الثمانين**، م. س، ص. 176.

³- للإطلاع على تفاصيل حفل التدشين يمكن الرجوع إلى جريدة
الحياة، ع. 57، 11 أبريل 1935، و عدد 58، 18 أبريل
1935.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بينما بقت معظم تقاريره وبرامجه
وخطته لإصلاح التعليم بالمنطقة مجرد
حبر على ورق، رغم ما كان يبذله
أعضاؤه من مجهودات لتنظيم التعليم
وتحديثه، نظرا لعدم منح هذا المجلس
السلطة التنفيذية وميزانية خاصة به
لتنفيذ برامجه². وذلك ما أكدته
التهامي الوزاني بقوله: "ونؤكد فوق
ما أكدنا ونذكر فوق ما ذكرنا، بأن
رجال الإدارة الإسبانية والحكومة
المخزنية لم ينشأ بهذه المنطقة
فيما يتعلق بالتعليم مدرسة ابتدائية
بإطلاق، ومن غير قيد ولا استثناء،
وبين حين وآخر، تأمر الحكومة أو
الإدارة بتشكيل هيئة للتعليم، ثم لا
تلبث أن تضيع مجهوداتها سدى، وتذهب
أدراج الرياح. وما نظن مؤسسة 'مجلس
التعليم الإسلامي الأعلى' إلا شكلا من
هذه الإشكال وتاريخا يكرر ويعيد نفسه
... بربك قل لي هل بهذا الشكل ستنهض
البلاد أم على هذه الطريق ستصل إلى
غاية الاستقلال والحرية؟؟"³.

¹ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة
الوطنية...، م. س، ص. 138.

² - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 177.

³ - التهامي الوزاني، "شبابنا والتعليم"، جريدة الحياة،
عدد 67، 13 يونيو 1935، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ولم تكن الحركة الوطنية بشمال
المغرب لتنتظر إنجازات الحكومة، بل
إنها سارعت لتأسيس "لجنة للتعليم
الخاص" في ماي 1934، كان هدفها جمع
تبرعات مالية لإنشاء مدرسة ثانوية
تسد حاجة البلد في تكوين الشباب¹،
وذلك ما عبر عنه الطريس بقوله: "هل
قضية التعليم قضية حكومة، لا مسؤولية
للشعب في إهمالها؟ كلا لم نكن نزن أن
هذه المسألة لا ارتباط لها إلا
بالحكومة، لأننا نعرف تمام المعرفة
أن الحكومة وحدها لا يمكنها أن
ترضيها كل الرضى في نشر التعليم في
الأوساط المغربية، بل لابد من تضافر
القوات الشعبية على العناية
بالتعليم، والإقبال على تعميمه في
الطبقات، لأن بلادنا في رقيها وتطورها
لا يسمح لها بالبطء في السير، فهي
مضطرة كل الاضطرار إلى الإسراع في
تنظيم شؤونها وإتمام شخصياتها، وهذا
لا يمكن إلا بالقضاء على الأمية
المنتشرة انتشارا فظيعا في البلاد
المغربية وإخراج أكبر قدر من الأكفاء

¹ - بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟"، م. س، ص. 16.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الذين في مقدورهم تنظيم أمور البلاد
والقيام بنواحي حضارتها المختلفة"¹.

وبناءً على هذه القناعة، قامت
"لجنة التعليم الخاص" بنشر بيان
بجريدة "الحياة" تدعو فيه المحسنين
والآباء إلى مساعدتها من أجل تحقيق
مشروعها، ومما ورد فيه: "إن الشعب
الذي يريد لنفسه الحياة والسيادة،
يعتمد قبل كل شيء على نفسه، ولا
يستطيع أن يرى ناحية ضعيفة فيه دون
أن يقوم لتقويتها، وأي ناحية أضعف
اليوم من التعليم؟ إننا مفرطون في
أقوى أساس تبني عليه صروح النهضة،
وإن استمررنا في تفريطنا، فسوف لا
ننجح في أي مسعى وأية غاية نقصدها،
فواجب المعرفة اليوم أكبر من كل
واجب، ومسؤولية أهمها أقسى من كل
مسؤولية. كانت قضية التعليم على
الدوام أهم شاغل يشغل فكر العاملين،
وقد بذلوا بعض الجهود لتأسيس
التعليم الوطني، ولكن تلك الجهود لم
تثمر الثمار الكافية، فرأوا
استئنافها بصورة قوية تضمن للأمة
وجود تعليم منظم كفيل بإخراج طائفة

¹ - الطريس، عبد الخالق، "مشكلة المشاكل"، جريدة الحياة،
ع. 18، 12 يوليوز 1934، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ممتازة من الرجال، فتأسست لذلك لجنة
مكونة من السادة: الحاج عبد السلام
بنونة والتهامي الوزاني وعبد الخالق
الطريس ومحمد أفيلال ومحمد طانة وعبد
السلام بنجلون، وستقوم بتنظيم
التعليم الخاص وجمع المال له ونشر
الدعاية الكافية لإفهام ضرورة انتشار
وتأسيس المدارس اللازمة... ولا شك أن
سائر المواطنين سيقدرّون أعمال
الهيئة المدفوعة بالشعور الحي للعمل
في سبيل مصلحة البلاد، وسيشدون أزرها
بالمساعدة المادية والأدبية لتحقيق
آمالها العظيمة، فليس صعبا على كل
فرد من أفراد هذه الأمة أن يقدم قسطا
بسيطا من ماله لتنفيذ هذا المشروع
الذي يعود بالنفع على الجميع"¹.

وفي إطار الدعاية التي كانت تقوم
بها "لجنة التعليم الخاص"، ألقى عبد
الخالق الطريس يوم 25 ماي محاضرة
بمسرح ناسيونال، تحت عنوان "التعليم
الخاص في هذه المنطقة"²، والتي تحدث
فيها عن التعليم الخاص واهتمام الأمم
به، ثم تاريخ التعليم وعناية الأجداد
به، وبين تقصير المغاربة في حق

¹ - "الاهتمام بالتعليم الخاص"، جريدة الحياة، ع. 12، 24

ماي 1934، ص. 2.

² - نفسه، ص. 2.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

التعليم، كما تحدث في هذه المحاضرة
عن أسباب تأسيس اللجنة والأعمال التي
تقوم بها¹.

ونشر الطريس كذلك بجريدة الحياة
مقالاً بعنوان "مشكلة المشاكل"، والذي
انتقد فيه إهمال الحكومة للتعليم
بقوله: "ومضى الآن أكثر من عشرين
سنة، على إعلان الحماية دون أن نشعر
برغبة أكيدة ترمي إلى إصلاح التعليم
من جانب الحكومة. عندما أعلمت
الجمهورية كان نشر التعليم في هذه
البلاد من أهم المطالب المقدمة لرئيس
الجمهورية، ومنذ ذلك الحين ونحن في
سماع الوعود لا غير. ويمضي الزمن كله
في تأليف اللجان من الوطنيين أو عرض
مشروع الإصلاح من الحكومة أما الخروج
لميدان العمل فلم نر له وجوداً"².

ونظراً لكون مسألة نشر التعليم في
الأوساط الشعبية كانت لا تتطلب
التأجيل أو انتظار وعود الحكومة دعا
الطريس في مقاله المذكور إلى:
"تأسيس بعض المدارس الوطنية في
تطوان وبعض مدن المغرب... للقضاء
على الأمية المغربية ونشر التعليم

¹ - بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟"، م. س، صص. 15-

¹⁶.

² - الطريس، عبد الخالق، "مشكلة المشاكل"، م. س، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بسائر درجاته بين مختلف طبقات الشعب المغربي"¹.

وبالرغم من الدعاية التي قامت بها
"لجنة التعليم الخاص"، عن طريق
إلقاء المحاضرات "في تطوان والقصر
والعرائش وشفشاون ونشر الإعلانات
عنها في الصحف"²، فإنها "لم تجد حتى
عشرين من الأشخاص تجعلهم أساسا
لقائمة المتبرعين"³. مما أكد
للجماعة الوطنية بشمال المغرب أن
التضحية المادية في جمهور الشعب
المغربي، وفي أواسط الأغنياء ما تزال
ضعيفة ودون المستوى المطلوب لتحقيق
مؤسسات ومنجزات ذات أهمية⁴.

لكن رغم هذه الصعوبات والعقبات
التي واجهتها الوطنية المغربية،
فإنهم لم يكونوا ليقبلوا ضياع أجيال
من الشباب غير القادر على متابعة
دراسته بالخارج، إذ يقول الطيب
بنونة بقوله: "وكان يشغل بالنا
مستقبل جماعة من الشباب أصبح
تكوينهم أعلى من المدارس الابتدائية،

¹ - نفسه، ص. 1.

² - "منشأ التقصير"، جريدة الحياة، ع. 41، 20 دجنبر 1934،
ص. 2.

³ - نفسه، ص. 3.

⁴ - بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟"، م. س، ص. 16.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

غير أنهم لا يجدون أمامهم معاهد
يلجؤون إليها لتكتمل ثقافتهم، وتحول
عوامل كثيرة دون خروجهم للخارج
للتعليم. دراسة دراستهم في أوروبا أو
الشرق... وهذا ما جعلنا نفكر في
إيجاد الحل السريع لهذا المشكل
بالوسائل التي في طاقتنا والإمكانات
التي في يدنا"¹.

وفي سياق الإعداد لتأسيس مؤسسة
تعليمية ثانوية، رفع عبد الخالق
الطريس بتاريخ فاتح يوليوز 1935،
ملتمسًا² للمقيم العام يطالب فيه

¹ - نفسه، ص. 17.

² - ورد في الملتمس الذي رفعه الطريس للمقيم العام
الإسباني ما يلي: "صاحب السعادة: منذ أن نشر ظهير سمو
الخليفة الإمبراطوري الملكي مولاي الحسن بن المهدي بتاريخ
26 يناير 1927 (الجريدة الرسمية عدد 4 صفحة 164)
والتعليم الحر الأسباني بهذه المنطقة يتوفر على نص
قانوني ينظم مزاويلته وبمقتضاه قد أحدثت عدة معاهد
للدراسة الابتدائية والثانوية بهذه المدينة. وبالعكس من
ذلك فإن إدارة الحماية لم تفكر في إيجاد نص مماثل يخص
التعليم المغربي، الأمر الذي جعلنا نجد صعوبات متنوعة في
تأسيس مدارس ابتدائية مغربية حرة، مما حال دون تعليم
الآلاف من الأطفال المغاربة الذين لا يجدون العدد الكافي من
المدارس الرسمية للالتحاق بها. وحيث إن تلك الصعوبات سوف
تكون أكثر في الوقت الذي سنفكر فيه في إنشاء معاهد
مغربية للتعليم الثانوي الحر، فإنني أتشرف باللجوء إلى
سعادتكم راغبًا في أن تفضلوا بنصح سمو الخليفة
الإمبراطوري الملكي بإصدار ظهير خلفي يقضي بتطبيق
مقتضيات الظهير المذكور الصادر سنة 1937 على التعليم
الحر المغربي بجميع درجاته. هذه مزية نرجوا أن تتحقق
على يد سعادتكم لخير الشباب المغربي المتكونة باللغة
العربية والذي لا يجد معهدًا للدراسة الثانوية يتابع فيه
تكوينه بلغته. تطوان في فاتح يوليوز، الإضاء: عبد

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بإصدار ظهير خليفى ينظم التعليم
المغربي العصري الحر في مرحلتيه
الابتدائية والثانوية¹. وبعدها بخمسة
أيام فقط كتب الطريس في مذكراته
بتاريخ 5 يوليوز: "أصبح من الضروري
أن ن فكر جدياً في إنشاء معهد للدراسة
الثانوية الحديثة، يتوفر على قسم
داخلي خاص بطلبة باقي مدن المنطقة،
فكيف يعقل أن يكون لأبناء الإسبان
بهذه العاصمة خمسة معاهد للدراسة
الثانوية وأبناؤنا ليس لديهم معهد
واحد"².

وبتاريخ يوم 12 يوليوز اجتمعت
الشبيبة الوطنية³ بدار مصطفى أفيلال
بزنقة الصفار، وقرروا إنشاء "معهد

الخالق الطريس"، أنظر: "من مؤسساتنا الوطنية المعهد
الحر، ..."، أنظر: مجلة الوثائق الوطنية، عدد 5-6، صص.
125-126.

¹ - "من مؤسساتنا الوطنية المعهد الحر، ..."، م. س، ص.
125.

² - نفسه، ص. 126.

³ - حسب الطيب بنونة فالوطنين الذين حضروا في هذا الاجتماع
هم: عبد الخالق الطريس و محمد مصطفى أفيلال والفقيه محمد
الطنجي، والمكي الناصري والطيب بنونة. أنظر: بنونة،
الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟"، م. س، ص. 19، في حين ورد
في بطاقة استخبارية أن الحاضرين في هذا الاجتماع هم:
الوطنيون المذكورين سابقا بالإضافة إلى صاحب البيت مصطفى
أفيلال ومحمد المصمودي و امحمد بنونة والتهامي الوزاني،
ومحمد بناني من العرائش، "من مؤسساتنا الوطنية المعهد
الحر، ..."، م. س، ص. 128.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ثانوي بتطوان¹ ، يدرس بها التلاميذ
الذين أتموا مرحلة التعليم
الابتدائي، لتزويدهم بثقافة إسلامية
عربية وتعرفهم بتاريخ بلادهم
ومقوماتها وتربيتهم تربية وطنية
واعية وتلقنهم العلوم الأساسية في
مرحلة التعليم الثانوي كالرياضيات
والعلوم واللغات الأجنبية² ، وذلك
"لتهيئ مجموعة من الرجال لهم ثقافة
عامة تخولهم الدخول لمعترك الحياة
لبث الروح الوطنية والشعور القومي
الصحيح ليصبحوا دعاة للنهضة
وللتحرر"³.

وتعهد الطريس بإعداد برنامج
للمعهد المزمع تأسيسه⁴ ، واختار له
اسم "المعهد الحر" ، لإعجابه وولعه
بالأحرار الإسبانين الذين تخرج
أغلبهم من «**Instituto Libre**»
بإسبانيا، فوافقت الجماعة الوطنية
على هذا الاسم لتطلعهم إلى كل ما

¹ - "من مؤسساتنا الوطنية المعهد الحر..." ، م . س ، ص . 130.

² - عزيमान، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..." ، م . س ، ص . 47.

³ - بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟" ، م . س ، ص . 20.

⁴ - "من مؤسساتنا الوطنية المعهد الحر..." ، م . س ، ص . 130.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----
يحررهم من الجمود والتقاليد البالية
والاستعمار¹.

ونظرا لتكليف بناء مقر خاص
للمدرسة، تم في أول الأمر كراء بناية
بساحة الفدان، وتم تزويدها بالأثاث
المدرسي المناسب²، وفي شهر ونونبر
1935 افتتح المعهد الحر أبوابه أمام
التلاميذ، فتجند لتدريسهم، نخبة من
الشباب الناهض، تلقى معظمهم تكوينهم
بالمشرق، فكانوا يعملون بدون مقابل،
ويذكر الطيب بنونة أسماء هؤلاء
الأساتذة والمواد الدراسية التي
كانوا يلقونها لتلاميذ المعهد في
مرحلته الأولى: "تاريخ المغرب
وجغرافيته، والتشريع الإداري،
والترجمة، وبعض مواد اللغة العربية
الأستاذ الطريس (عبد الخالق)،
والديانة والتشريع الإسلامي الأستاذ
الطنجي (محمد)، والتاريخ الإسلامي
الأستاذ الناصري (محمد)، واللغة
العربية الأستاذ ابن الآبار (محمد)،
والأدب العربي الأستاذ عزيما (محمد)،
 والرياضيات الأستاذ أفيلال (محمد)،
 والطبيعات والكيمياء والهندسة

¹ - بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟"، م. س، ص. 21.

² - "من مؤسساتنا الوطنية المعهد الحر، ..."، م. س، ص. 130.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأستاذ بنونة (الطيب)، والاسبانية
الأستاذ خيل بن أمية، كما انضم بعد
شهور إلى هيئة التدريس الأستاذ
المرحوم الحاج امحمد بنونة، وكانت
إدارة المعهد تحت إشراف الأستاذ
الطريس الذي كرس مواهبه وجهده لجعل
المعهد مركزا لتكوين الجيل
الجديد"¹.

وهكذا كان المعهد الحر أول مؤسسة
ثانوية عصرية وطنية عرفها المغرب²،
لذلك عرفت ازدهارا سريعا، وإقبالا
كبيرا من طرف التلاميذ، الأمر الذي
اضطرها لنقل مقره إلى بناية أوسع
بروض زوزيو بشارع القائد أحمد، كما
غيرت مقرها مرة أخرى عند تعيين
السينيور خوان بيكبيدير **Jun Luis**
Beigbeder بعد انقلاب فرانكو مقيما
عاما بتطوان، حيث سيتم في عهده منح
المعهد الحر بناية جديدة، أشرف
المخزن الخلفي على بنائها³، والتي
تم تسليمها بتاريخ 16 شتنبر 1936
لعبد الخالق الطريس، الذي وجه رسالة
شكر لبيكبيدير جاء فيها: "كلفني
إدارة المعهد الحر في اجتماعها

¹ - بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟"، م. س، ص. 21.

² - الصفار، حسن، حزب الإصلاح الوطني...، م. س، ص. 46.

³ - بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟"، م. س، ص. 22.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الأخير بإبلاغكم جزيل شكرها، على
مساعدةكم بهذه المؤسسة العلمية
بتسليم مدرسة الطالعة الفخمة،
وتخصيصكم خمسة آلاف بسيطة إسبانية
لأثاثها¹.

حقق المعهد الحر نجاحا كبيرا،
وشكل قفزة نوعية في المجال التعليمي
بشمال المغرب²، حيث توافد عليه
العديد من الطلبة من شفشاون والقصر
الكبير وأصيلا والعرائش، مما اضطره
لفتح القسم الداخلي³، كما تفرد
المعهد الحر بمجموعة من المميزات،
كالقاء تلامذته لتحية العلم الخلفي،
وتنظيم أحاديث الأربعاء، والاهتمام
بالرياضة البدنية، وتنظيم الرحلات،
والمشاركة في المخيمات، وتوفره على
مكتبة⁴، هذا علاوة على فتح المعهد
على مختبر للعلوم الطبيعية

¹-رسالة من رئيس المعهد الحر عبد الخالق الطريس للكاتب العام ونائب الأمور الوطنية الكولونيل بيكيدير بتاريخ 22 شتنبر 1936، وثائق أبو بكر بنونة، ملف اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب...، م. س، ص 213.

²- الصفار، حسن، حزب الإصلاح الوطني...، م. س، ص. 46.

³- بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟، م. س، ص. 22.

⁴- ابن إدريس العلمي، عبد الغفار، "الحركة الوطنية في شمال المغرب ومقوماتها للتأثير الإسباني في ميدان التعليم على عهد الحماية"، مجلة الذاكرة الوطنية، ع. 6، 2004، ص. 51

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

والكيماوية جلبت له أحدث الآلات
والمواد من مدريد¹.

واستطاع المعهد الحر بعد بضع
سنوات من افتتاحه، تكوين بعثة علمية
التحقت بكليات القاهرة وجامعتها، ثم
تبعتها بعد سنة بعثة ثانية إلى
مدريد، فتخرج من هذه البعثات الأطباء
والمهندسون والأساتذة ومجموعة متميزة
من القادة الوطنيين ورجال النهضة².

ومن أهم المكتسبات التي تم
تحقيقها خلال هذه المرحلة على مستوى
التعليم، تأسيس المدرسة الحسنية
بتطوان سنة 1933 من طرف محمد المؤذن
وأحمد البقالي. وأسندت إدارتها لكل
من عبد الكريم الدليرو ومحمد
الطنجي³. وافتتحت كذلك الجمعية
الخيرية أول مدرسة عصرية حرة للبنات
في شمال المغرب⁴. كما تم افتتاح عدة
مدارس ابتدائية سنة 1934، حيث تأسست
المدرسة الوطنية يوم 25 يونيو.
والمدرسة المحمدية يوم فاتح

¹ - بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد الحر؟"، م. س، ص. 23.

² - نفسه، ص. 23.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات زعيم الوحدة، م. س، ج. 2، ص. 66.

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية، م. س، ج. 4، ص. 304.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أكتوبر¹ ، والتي "عمل على إنشائها
نخبة من الشباب العامل"، وكانت فيها
"قراءة القرءان والدروس العلمية ...
مجانيا من غير الأجرة، بل المخلصون
تبرعوا بها لأجل غرس مبادئ الدين في
نفوس الأطفال الناشئين"². كما تم
أيضا تأسيس المدرسة الأهلية بشفشاو
يوم 15 أكتوبر. والمدرسة الأهلية
بالمضيق يوم 4 مارس 1935. كذلك
افتتاح مدرسة الجمعية الخيرية
للبنين بتطوان بتاريخ يوم 20
أبريل³.

وعندما تولى عبد الخالق الطريس
منصب مدير الأوقاف الإسلامية في
الحكومة الخليفية (16 أكتوبر
1934)⁴، اعتنى أكثر بأمر التعليم
الديني⁵، حيث وضع مشروعا لإحداث 15
مدرسة للتعليم الديني الثانوي في
جميع أنحاء منطقة الحماية الإسبانية.

¹ - "من مؤسساتنا الوطنية المعهد الحر، ..."، م. م. س، ص. 123.

² - "المدرسة المحمدية تحتاج إلى تشجيع"، جريدة الحياة ع. 27، 13 شتنبر 1934، ص. 3.

³ - "من مؤسساتنا الوطنية المعهد الحر، ..."، م. م. س، ص. 123.

⁴ - لم يكمل الطريس في هذه الوظيفة سنة كاملة، حيث سيقدم استقالته يوم 2 شتنبر 1935،

⁵ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية...، م. م. س، ص. 138.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ومدرسة للتعليم الديني العالي
بتطوان¹. إلا أنه لم يتمكن من تحقيق
سوى المشروع الخاص بمدرسة شفشاون
الثانوية، التي قام بتدشينها يوم 12
غشت من السنة المذكورة².

2. تجليات النهضة الوطنية على مستوى الاجتماعي والاقتصادي

زيادة على الحركة الفكرية
والثقافية والتعليمية التي شهدتها
شمال المغرب، تجلت كذلك مظاهر
النهضة الوطنية على المستوى
الاجتماعي والاقتصادي، حيث أولى
الرغيل الأول للحركة الوطنية لهذا
الجانب عناية كبيرة، لإتمام المشروع
المجتمعي الذي دشنته النخبة
المثقفة، من أجل تنمية أفراد عامة
المجتمع المغربي وخاصته، وتوعيته
بحقوقه وواجباته.

ومن أكثر الفئات المجتمعية التي
 حظيت باهتمام الرغيل الأول للحركة

¹ - "من مؤسساتنا الوطنية المعهد الحر، ..."، م. س، ص. 123.

² - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة
الوطنية...، م. س، ص. 138؛ "من مؤسساتنا الوطنية المعهد
الحر، ..."، م. س، ص. 123.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوطنية، هي فئة الشباب، باعتبارها
"رمزا للفتوة... التي لا تنال منها
الزوابع ولا تنفعل لإرهاب"¹، بالإضافة
إلى قدرتها على "التأهب للكفاح"²،
خاصة وأن البلاد كانت في أمس الحاجة
لطاقاتها. كما عبر عن ذلك أحد كتاب
جريدة الحياة بقوله: "ونحن الآن على
أبواب نهضة شاملة، نريد أن نرقى
بجميع مرافق حياتنا، ونريد أن تصل
بنا إلى التمتع بحقنا الكامل في
حياتنا الشريفة المنتجة، التي تليق
بماضيها والتي يتطلبها حاضرها، ونحن
في موقفنا الحاضر أحوج ما نكون إلى
الأكفاء الذين يستطيعون أن يخدموا
البلاد في مختلف ميادين النشاط
والإنتاج، والأمل كله منوط بهؤلاء
الشبان، منهم ينتظر الوطن جيلا جديدا
يتقدم إلى الميدان مستكمل لأبهة كامل
العدة"³.

ونظرا لدور الشباب في نهضة الأمة،
نجد عبد الخالق الطريس بمجرد عودته
إلى تطوان يعمل على توزيع منشور
بتاريخ 10 مارس 1932، بعنوان: "أين

¹ - الطريس، عبد الخالق، "الشباب والرجعية"، جريدة
الحياة، ع. 25، 30 غشت 1934، ص. 1.

² - "إلى الشباب"، جريدة الحياة، ع. 75، 15 غشت 1935، ص.
5.

³ - نفسه، ص. 5.

يقضي شبابنا وقته الثمين"، والذي
نبه فيه إلى ضرورة الاعتناء بالشباب،
وتوفير الأندية والمكتبات والميادين
الرياضية، الكفيلة بمساعدتهم على
إكمال تكوينهم وإعداد أنفسهم، لأداء
مهمتهم في الحياة، حيث يقول: "هذا
شبابنا هل له أندية يجتمع فيها
اجتماعا شريفا، يثقف نفسه بما يقرؤه
فيها من كتب أو مجلات، ويسمع ما يلقي
فيها من محاضرات قيمة. أم لديه
مكتبة عمومية تلخص الفكر الإنساني،
متردد عليها لإرواء غلة البحث
والاطلاع؟ أم لديه ميادين رياضية،
يمرن فيها جسمه ويقوي عضلاته حتى
يصبح نشيطا في عمله، قادرا على
المثابرة عندما يناط به شأن من
الشؤون. بلادنا عادمة هذا كله، فأين
يريد أن يقضي الشباب أوقاته، إنها
لمشكلة يجب على الآباء وولاة الأمر
والمفكرين من المواطنين الأعزاء
النظر إليها والاعتناء بها... وإن
لم نفكر في الأمر، فلن يكون أبنائنا
إلا مثالا سيئا في الجهل وسوء الخلق
لترددهم على مجتمعات السوء
ومخالطتهم لمن هم دونهم"¹.

¹ - ابن عزوز، حكيم، أب الحركة الوطنية م. س، ج. 3،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كما دعا التهامي الوزاني الشباب
إلى الإقبال على التعلم بأي وجه كان،
من أجل المساهمة في بناء وطنهم
وترقيته، إذ يقول: "أيها التلاميذ
ويا أيها الشبان، لا تظنوا أن
المسؤولية ستسقط عنكم بعدم قيام
الحكومة... بإنشاء المؤسسات
العلمية، فإن ذلك واجب عليهم تركوه،
أما الشباب فواجبه أن يتعلم من أي
طريق كان، فهذه البلاد بها من
الأساتذة ما يسد بعض الخلل، وفي
الإمكان، أن تأخذوا الدروس ببعض
المساجد، أو بعض الدور"¹.

كما انتقد الرعيل الأول للحركة
الوطنية بشمال المغرب انصراف بعض
الشباب لحياة الخمول والملذات،
فوصفتها بأنها طائفة "لا تقدر
مهمتها، ولا تدرك مقدار ما يعلق
الوطن عليها من الآمال، فتصرف شبابها
الغضب، وفتوتها النضرة في البطالة
والفراغ، وتبدد مواهبها
واستعداداتها في توافه الأمور. وهي
بعملها هذا تجني على الوطن، إذ
تفجعه في تلك الآمال الواسعة التي

ص. 320.

¹ - التهامي الوزاني، "شبابنا..."، م. س، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يعلقها عليها، وتحرمه الاستفادة من
مواهبها واستعداداتها، ... هي
بحياتها الفارغة هذه تجني على
نفسها، وتعرض صحتها وثروتها للتلف
والضياع إلى مستقبل قائم لا خير فيه
ولا غناء"¹.

ولتنبيه هؤلاء الشباب، كان
الوطنيون يحثونهم على إتباع خطاهم
من أجل إتمام بناء مشروع النهضة
الوطنية، إذ يقول التهامي الوزاني:
"لقد كنا قبل اليوم شبابا، فكنا
نؤدي واجبنا، لا نقول كما يجب، ولكن
كنا على كل حال، نعمل في حقل النهضة
بحسب المتيسر، وأثمرت مجهوداتنا
ثمارا لا بأس بها، أو قل إن تلك
المجهودات هي أم الحركة الحالية،
والمشتغلون إذ ذاك هم العاملون
اليوم، وعلى أكتافهم بنيت المشاريع
الوطنية، وهم الذين يعطون صورة عن
تقدم هذه البلاد وحيويتها"².

وفي إطار نهضته، أولى الرعيل الأول
للحركة الوطنية بشمال المغرب
اهتمامه بطبقة العمال المغاربة
الذين كانوا يعانون في صمت من وطأة

¹ - "إلى الشباب"، م. س، ص. 5.

² - التهامي الوزاني، "شبابنا ..."، م. س، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

واستغلال المعمرين، هذا علاوة على
التمييز بينهم وبين العمال
الإسبانيين من حيث الأجر وساعات
العمل، ورغم محاولتهم المتكررة
للمطالبة بحقوقهم بطرق سلمية، فإنهم
لم يلقوا أي تجاوب مع مطالبهم،
الشيء الذي دفعهم للتفكير في الإضراب
عن العمل، وذلك ما أشار إليه
الكولونيل كباس الذي كتب في مذكراته
ليوم 28 أبريل 1931: "إن بعض
العناصر المغربية المعروفة
بطموحاتها في أن تتزعّم الحركة
النقابية بين العمال المغاربة بهذه
المدينة بدأت منذ يومين تدعوا إلى
تنظيم إضراب من طرف العمال المغاربة
من أجل المطالبة بنفس الحقوق التي
يتمتع بها العمال في إسبانيا، ويظهر
أن اليوم المحدد للقيام بذلك الإضراب
هو فاتح ماي المقبل و... تلك
العناصر يحركها داود (عبد الكريم)
وغيلان (عبد اللطيف) والخمال (أحمد)
الذين لهم اتصال وثيق بالعناصر
الوطنية وخصوصا منها الشريف الوزاني
(التهامي)"¹.

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية م. س،
ج. 2، صص. 271-272.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وبالفعل استنجد هؤلاء العمال
بالعناصر الوطنية، لتبني قضيتهم،
وهو ما يؤكدته التهامي الوزاني
بقوله: 'أذات يوم استدعى الحاج عبد
السلام بنونة رفاقه إلى اجتماع
طارئ... حضر أعضاء الكتلة الوطنية
بدار بنونة، بعد قيام الجمهورية
بأيام معدودة، فذكر بنونة أن جماعة
من العمال وردت عليه مذكرة إياه بأن
لهم حقوقا في العمل، وأن قيام
الجمهورية بإسبانيا لا سبب له إلا
إهمال العمال وحرمانهم من الشغل ومن
كل مظهر من المظاهر الدالة على
اعتبارهم ناسا لهم قلوب تخفق، وأحلام
يودون تحقيق بعضها وأن اللغة
المفهومة في هذا الميدان هي لغة
الاجتماعات الصارخة، والقيام
بمظاهرات يعرف منها الجمهور أن
العمال غير ظالمين ولا متعنتين، وأن
السلطات التي تتلقى مطالبهم العادلة
بالسخرية والاستخفاف، لن تصدق أن
الناس محقون لا مبطلون، وأنهم جادون
غير هازلين، إلا إذا صرخوا صرخة تملأ
أركان الدنيا، وتنشرها الصحف
والمجلات بمختلف اللغات؛ وقال العمال
-حسب ما أبلغه بنونة لرجال الكتلة
الوطنية- سوف يقومون غدا بمظاهرات

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

تريد أن تحظى بعطف رجال الكتلة.
وعرض بنونة رأيه، وشرح الموقف
وخطورته، ثم ذكر أن الأحرار
الاسبانيين ورجال الماسونية العالمية
منهم. عازمون على إنصاف العامل
المغربي والعامل الإسباني في درجة
واحدة، حسب ما تفرضه الحقوق
الإنسانية¹.

وهكذا شهدت مدينة تطوان يوم 4 ماي
1931، مظاهرة عمالية كبرى، حيث خرج
العمال المغاربة ليعبرون عن
استيائهم من العنصرية والتهميش من
طرف الإسبانيد²، ويطالبون من
الجمهورية الإسبانية الاشتراكية
بالمساواة في الأجور مع العمال
الإسبانيد³، واستغلت الجماعة
الوطنية هذه الحركة العمالية، لضم
أصواتها إلى صوت العمال. وساهم كل
من محمد داود والتهامي الوزاني دورا

¹ - الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية بشمال
المغرب...، م. س، ص. 6

² - JULIEN, Charles André, **Le Maroc face aux
impérialismes de 1415 à 1956**, Edition Jeune Afrique,
Paris, 1978, p. 174.

³ - العربي المساري، محمد، 'الحقيقة العهد الجمهوري
الاسباني وعلاقته بالوطنية المغربية'، جريدة العلم، عدد
11324، سنة 35، 15 يونيو 1981.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كبيراً في هذه الحركة¹، التي
سیدعمونها ببعض الشبان من النادي
الرياضي²، خاصة وأن هذه المظاهرة
تزامنت مع تعنت الصدر ابن عزوز في
إرجاع عريضة مطالب الأمة للوطنين
المغاربة، لثنيهم عن رفعها إلى رئيس
الجمهورية الإسبانية، وذلك ما يؤكد
محمد داود بقوله: "قابل الأخ التهامي
الوزاني الوزير وسأله عن الرسالة³
فأجابه بجواب جاف، فذهب إلى المقيم
العام، فلم يجبه بجواب شاف، فخرج
إلى أنصار المبدأ - وكنا أعدناهم من
قبل لذلك - فأمرهم بالتظاهر فانظموا
إلى المتظاهرين"⁴.

والتحق بهذه المظاهرة جم غفير من
الناس⁵، حيث وصل عدد المتظاهرين حسب
بعض الجرائد الإسبانية إلى حوالي
الخمسـة آلاف شخص، فتضاعف الحماس
وبدأت الهتافات تصدح من كل جانب
فازداد الجو تكهرباً⁶. الشيء الذي
اضطر المقيم العام الإسباني إلى

1 - داود، حسناء، على رأس الثمانين....، م. س، ص. 142.

2 - نفسه، ص. 144.

3 - يقصد عريضة مطالب الأمة.

4 - داود، حسناء، على رأس الثمانين....، م. س، ص. 143.

5 - نفسه، ص. 142.

6 - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة....، م. س، ج. 2، ص.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

استدعاء الجيش¹، وأمره بنصب المدافع
بشوارع مدينة تطوان²، وحاولوا تفريق
المظاهرة وإبعادها عن باب الإقامة
العامة³، غير أن الجماهير كان قد
حمي وطيسها، فهاجمته وأهانته⁴،
وثبتوا مصريين على مواقفهم، وامتنعوا
وصمموا على عدم الاستجابة لأوامر
الجيش⁵، الذي اضطر لإطلاق الرصاص⁶،
فتحولت المظاهرة إلى معركة⁷، أسفرت
عن مقتل جند مغربي و22 جريحاً كان من
بينهم 4 ضباط إسبان⁸. وبعد ذلك أمر
المقيم العام بإعلان حالة الطوارئ،
وأخذ الجيش زمام المبادرة وأصبحت
القوات تحتل جميع مرافق المدينة⁹.
كما تم اعتقال أزيد من 27 شخصاً جلهم
من الكهول وبعضهم من الشبان¹⁰.

-
- 1- الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية، م. س، ص.7.
2- الوزاني، التهامي، تاريخ المغرب، م. س، ص.233.
3- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 2، ص. 311.
4- الوزاني، التهامي، مذكرات عن مؤسسي الوطنية، م. س، ص.7.
5- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س، ج. 2، ص. 311.
6- الوزاني، التهامي، تاريخ المغرب، ج. 3، م. س، ص.233.
7- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س، ج. 2، ص. 311.
8- داود، حسناء، على رأس الثمانين....، م. س، ص. 143.
9- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س، ج. 2، ص. 311.
10- داود، حسناء، على رأس الثمانين....، م. س، ص. 143.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ولم تتوقف هذه المظاهرة بشكل
نهائي إلا بعدما اتصل الكولونيل كبات
بالشريف التهامي الوزاني والفقير
محمد داود، وطلب منهما أن يتصلوا
بالعمال وتهدئتهم¹. فخطبا هذان
الوطنيان في جمهرة المجتمعين
وأقنعاهم بالعدول عن التظاهر، وتم
الاتفاق على وضع عريضة تضم المطالب
العمالية، كما تم إفراز لجنة لتحرير
هذه المطالب، تألفت من السادة: محمد
داود؛ التهامي الوزاني؛ عبد الكريم
داود؛ عبد اللطيف غيلان؛ محمد
زبيدة². الذين تمكنوا من إعداد
عريضة مطلبية تضمنت المطالب
التالية³:

- ✓ تنظيم العمل في المعامل
الأوراش بصفة رسمية.
- ✓ تحسين ظروف العمل بالمعمل.
- ✓ تحديد أوقات العمل اليومي في
ثمانى ساعات
- ✓ جعل يوم الراحة في الأسبوع
يوم الجمعة بدلا من يوم الأحد.

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 2، ص. 322.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 2، ص. 323.

³ - نفسه، صص. 323-324

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

✓ تسوية أجرة العامل المغربي مع
العامل الاسباني.

✓ إعطاء المغاربة الأسبقية في
إيجاد العمل قبل غيرهم .

وتم تسليم هذه المطالب للمقيم
العام، الذي قرر مساواة العمال
المغاربة بالعمال الاسبانيين في
ساعات العمل والأجور، وإدراج أسمائهم
في لائحة مكتب التشغيل لتوزيعهم على
الأورا ش¹، كما تم إطلاق سراح
المعتقلين². وبعد مرور أربعة شهور
عن هذه المظاهرة، صدر الظهير
الخليفي لتنظيم الشغل بالمنطقة
الخليفية بتاريخ 7 شتنبر 1931³،
والذي حدد أوقات العمل في ثماني
ساعات في اليوم، واعترف بحق العمال
في يوم الراحة الأسبوعية⁴.

وهكذا كانت هذه المظاهرة هي الأولى
من نوعها على عهد الحماية⁵، والتي

¹ - العربي المساري، محمد، "حقيقة النظام الجمهوري..."،
م. س، ص. 5.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س،
ج. 2، ص. 322.

³ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية
....، م. س، ص. 128.

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س،
ج. 3، ص. 114.

⁵ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق سرية حول زيارة الأمير
شكيب أرسلان، م. س، ص. 66.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أبانت عن بداية تفشي الأفكار الوطنية داخل المجتمع المغربي. وهو ما عبر عنه الكولونيل كبات بقوله: 'وأخيرا وقع هذا اليوم الشيء الذي كنا نخشاه، وهو أن تتسرب الفكرة الوطنية إلى عقول البسطاء والأميين من الأهالي، وخصوصا منهم العملة فتدفع بهم إلى قيام بأعمال الشغب، وهذا ما وقع اليوم بالفعل بتطوان، حيث نظم العمال المغاربة مظاهرة خطيرة أرغمت الإقامة العامة على استعمال الجيش، بعد أن فشلت الشرطة في محولتها من أجل تشتيت المظاهرة... وأمر المقيم العام بالإعلان عن حالة الطوارئ'¹.

كما أنه عندما حاول باشا مدينة تطوان إدريس الريفى تطبيق الظهير المذكور على التجار والصناع، بإصداره يوم 26 يناير 1932 قرار يحدد أوقات فتح وقفل دكاكين التجارة والصناعة التقليدية، جعل أصحاب الدكاكين التجارية والصناعية بمدينة تطوان، يحتجون ضده، واعتبروا أنفسهم غير ملزمين بتنفيذه، كما وضعوا عريضة بتوجيه من الحاج عبد السلام

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س، ج. 2، ص. 309.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بنونة، الذي رفعها يوم 4 فبراير
للمقيم العام، بعدما تم توقيعها من
طرف أزيد من خمسمائة (500) من
التجار والصناع، وبتاريخ 7 من نفس
الشهر تم إلغاء قرار الباشا بأمر من
المقيم العام¹.

وحاول مرة أخرى محتسب المدينة،
تطبيق قانون الشغل على التجار
والصناع، بأمر من المراقب البلدي
بتطوان، الشيء الذي جعل الحركة
الوطنية تتبنى قضيتهم، وتألّف "لجنة
للدفاع عن حقوق الصانع والتاجر
المغربي بتطوان"، وقام عبد الخالق
الطريس بتحرير عريضة² وقعها أزيد من
مائة وخمسين (150) صانع وتاجر
مغربي، تم تقديمها إلى نائب الأمور
الوطنية يوم 2 أكتوبر 1932³.

وحظي الفلاح المغربي كذلك باهتمام
الحركة الوطنية، باعتباره مكونا
أساسيا من مكونات المجتمع المغربي،
خاصة وأن غالبية ساكنة شمال المغرب

¹ - نفس، ج. 3، م. س، ص. 114.

² - للإطلاع على نص هذه العريضة يمكن الرجوع إلى: ابن عزوز
حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س، ج. 4، ص.
113.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س،
ج. 4، ص. 113.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

إذ ذاك، كانوا يقطنون بالبادية
ويمتهن أغلبهم الفلاحة، وهذا الاهتمام
عبر عنه عبد الخالق الطريس بقوله:
"نريد أن تخرج وطینتنا من ظل
الحيطان إلى نور الشمس ولا يخفاكم أن
سكان المدن ليسوا إلا سبع المغاربة،
ولا يمكن أن يقام بعمل حاسم إن لم
تشارك فيه القبائل، وهم ستة أسباع
المغرب، فكل من يريد إبعاد القروي
يريد أن يتركه جاهلاً فقيراً مظلوماً.
نريد أن يصبح مثلنا يتمتع بجميع
مظاهر الحضارة. القروي يلزم أن
يتعلم وأن تنظم قريته وأن يستفيد
ويعيش ويحيى"¹.

وبناء على هذه القناعة فإن عريضة
مطالب الأمة المغربية لفتح ماي
1931، خصصت أحد مطالبها للعناية
بالاهتمام بالفلاح المغربي ومساعدته،
والذي جاء فيه: "نلفت نظر الحكومة
إلى حالة الفلاح الأهلي وبؤسه فنرجوا
منها أن توجه له ما يتطلبه من
العناية بتسهيل وسائل العمل وتسليفه
ما يحتاج إليه من صناديق الاعتماد"².

¹ - الطريس، عبد الخالق، "لتخرج الوطنية إلى البادية
... إلى نور الشمس"، ضمن كتاب: من تراث الطريس، كتاب
العلم رقم 8، ص. 114.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق تشهد...، م. س، ص. 14.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

كما أنه عند تفاوض الوطنيين
المغاربة مع المقيم العام الإسباني
لوبيث فيرير Lopez Ferrer سنة 1932
حول قضية المطالب المقدمة للحكومة
الجمهورية، ألح مرة أخرى وفد
المفاوضات على ضرورة العناية بالفلاح
المغربي والعمل على تحسين وضعيته،
وذلك ما يؤكد محضر الجلسة الثانية
لهذه المفاوضات الذي ورد فيه: "بدأ
الحديث عبد الخالق الطريس بما في
المنطقة من صغار المزارعين وشدة
احتياجهم إلى مساعدة الحكومة،
ليتمكنوا من إصلاح حالهم حتى لا
يصبحوا عبيدا لقوم آخرين، وأن
المطلب الخاص بالاعتماد للفلاح كان ولا
يزال من الضروريات التي ينبغي
الاهتمام بها. فأجاب المقيم العام
بأن صندوق الاعتماد موجود في إدارة
الاستعمار، وأنه إن لم يكن اليوم
قائما على الوجه الأكمل فالسبب يرجع
إلى أن الذين يسلفون قلما يسددون ما
أخذوه. فراجعه عبد الخالق (الطريس)
بأن من لم يسدد لا يأخذ في أوان
الأخذ، وأن الحكومة إذا ساعدت الزراع
في الوقت المناسب لا يمكن لأحد منهم
أن يتأخر عن تسديد الدين، وفي
النهاية اتفق الطرفان على الاهتمام

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بصندوق التسليف الزراعي وأن يقوم بالإعانة في الأوقات المناسبة"¹.

وبعد هذه المفاوضات تم توقيع
اتفاقية بين الطرفين، وكان من بين
ما أكدت عليه، أن إدارة الاستعمار
ستهتم "بصندوق التسليف الزراعي
وستسعى الحكومة لتنظيمه على شكل
يبلغ بعض القرض إلى صغار المزارعين
في الأوقات المناسبة"².

وبتاريخ 6 يناير 1933 صدر ظهير
خليفي، تم بمقتضاه وضع مبلغ قدره
450 ألف بسيطة تحت تصرف الحماية من
أجل مساعدة الفلاح، غير أن الإدارة
الاستعمارية وزعت تلك الاعتمادات فقط
على المعمرين الإسبان، بينما استثنت
منها الفلاحين المغاربة، الأمر الذي
جعل الوطنيين المغاربة يرفعون مذكرة
احتجاج إلى الإقامة العامة الإسبانية،
وذلك ما أكده عبد الخالق الطريس
الذي كتب في مذكرته ليوم 20 يناير
1933: "علمت أن الإدارة الإسبانية
قامت بتوزيع الاعتمادات التي حصلت

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. م. س،
ج. 4، ص. 23.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، م. م. س، ص. 33؛ ابن عزوز حكيم، محمد،
أب الحركة الوطنية، م. م. س، ج. 4، ص. 29.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

عليها من الميزانية المغربية علي
المعمرين الإسبان دون الفلاحة
المغاربة، وهكذا لم ينتفع أي فلاح
مغربي من القروض التي منحتها الإدارة
من الاعتماد الذي صدر في شأنه الظهير
الخليفي ليوم 6 يناير الجاري بمقدار
450 ألف بسيطة، وقد أخبرت الهيئة
الوطنية¹ بهذا الأمر في الاجتماع الذي
عقدناه اليوم وتقرر رفع مذكرة
احتجاج إلى الإقامة العامة².

ولم يكن اهتمام الرواد الأوائل
للوطنية بشمال المغرب اهتماما فئويا
فقط، بل كان اهتمامهم موجها للدفاع
عن حقوق الإنسان المغربي بصفة عامة،
حيث سيقدمون لأول مرة في تاريخ
المغرب على تأسيس فرع لعصبة الدفاع
عن حقوق الإنسان بتطوان بتاريخ 21
دجنبر 1933، والذي تكون مجلسه
الإداري من الحاج عبد السلام بنونة
رئيسا والتهامي الوزاني وكيلا ومحمد
المصمودي أمينا، والإسباني خوسي

¹ - يقصد الهيئة الوطنية بشمال المغرب، والتي عرفت كذلك
بالهيئة الثانية التي عملت ما بين فاتح أبريل 1932 إلى
19 نونبر 1933، أنظر، ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق
الحركة الوطنية، م. س، ص. 21.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س،
ج. 4، ص. 224.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

البيرولا كاتب¹. واعترفت عصبة
الدفاع عن حقوق الإنسان بمديره بفرع
تطوان في اجتماعها يوم 11 يناير
1934. وهو ما تثبته الرسالة التي
بعثها رئيس هذه العصبة السينيور
كارلوس ملاكارىكا للحاج عبد السلام
بنونة بتاريخ 15 يناير، والتي جاء
فيها: "يسرني أن أخبركم بأن اللجنة
المركزية للعصبة الإسبانية للدفاع
عن حقوق الإنسان التي أتشرف برئاستها
قد وافقت في اجتماعها الأخير المنعقد
يوم 11 من هذا الشهر على تأسيس
اللجنة الفرعية بتطوان تحت رئاستكم
... واللجنة المركزية تنتظر الشيء
الكثير من نشاط لجننتكم الفرعية التي
عليها أن تدافع في حدود القوانين
الجاري بها العمل عن حقوق الإنسان
المغربي بمنطقة الحماية، وستجد منا
التأييد المطلق طبقا لما ينص عليه
النظام الأساسي للعصبة"².

وظل بنونة يرأس فرع تطوان لعصبة
الدفاع عن حقوق الإنسان حتى وفاته
يوم 9 يناير 1935، فخلفه التهامي

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات...، م. س، ص. 326.
² - ابن عزوز حكيم، محمد، "اللجنة الفرعية لعصبة الدفاع
عن حقوق الإنسان بتطوان"، مجلة الوثائق الوطنية، ع. 2،
يونيو 1988، ص. 91.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوزاني في رئاسة الفرع، بينما
انتخب عبد الخالق الطريس وكيلا له،
كما تم إقصاء الإسباني خوسي البيرولا،
بعدما ترأس فرعا آخر خاصا
بالإسبانيين تأسس بتطوان، فخلفه في
الكتابة محمد باغوز، فأصبح هذا
الفرع مغربي محض¹. ومع توالي الأيام
ازداد عدد المنخرطين، حيث وصل في
نهاية سنة 1935 عدد الحاصلين على
بطاقة العضوية 53 شخصا، كان أغلبهم
ينتمي إلى الهيئة الوطنية بشمال
المغرب².

وعموما فقد كانت مبادرة تأسيس فرع
لعصبة الدفاع عن حقوق الإنسان هي
الأولى من نوعها بالمغرب. وشكلت
وسيلة ضغط الحركة الوطنية بشمال
المغرب تجاه إسبانيا، التي طالما
تبجحت بتعاونها مع الجمعية العالمية
للدفاع عن حقوق الإنسان واحتضانها
لأحد أهم فروع هذه الجمعية³.

ومن بين الجوانب الاجتماعية التي
أولتها الحركة الوطنية بشمال المغرب

¹ - أشقرا، عثمان، "العمل الوطني والعمل المدني في
الشمال"، دفاتر الشمال، ع. 1، مارس 1996، ص. 175.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، "اللجنة الفرعية لعصبة الدفاع
..."، م. س، صص. 95 - 96 - 98.

³ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح الوطني ...، م. س، ص. 37.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

اهتمامها كذلك، الصحة العمومية،
التي طالبت بتعميمها وضرورة إصلاحها،
"لأن الأمة إذا كان أفرادها غير كاملي
العافية، لا تكون أمة قوية، لتستطيع
أن تنتج الأدمغة الصافية والعقول
الناضجة"¹، ولذلك انتقدت جريدة
الحياة الواقع الصحي بالمنطقة وعدم
عناية الحماية الإسبانية بهذا الجانب
رغم أهميته، إذ يقول محرر الجريدة:
"إن الاعتناء بالصحة في منطقتنا قليل
وقليل جدا ولولا رحمة الله لنا بطنجة
وما بها من مؤسسات خيرية، ومستشفيات
حكومية وغير حكومية، لكان لا يوجد
اليوم بهذه المنطقة عشرة في المائة
أصحاء ... لأن المنطقة فقيرة جد
الفقر من هذه الناحية كفقرها في
النواحي الاجتماعية الأخرى، وكل ما
فيها هو حوانيت صغيرة في بعض
القبائل، مجموع فيها الأدوية
العتيقة، حتى أصبح ضرره أكثر من
نفعه ... أما مستشفيات المدن، فهي لا
تقل عن هذه فوضوية وسوء نظام، وإنما
تمتاز ببعض البناءات الجميلة، وقد
كان المقيم العام السابق، ضون خوان
موليس يفكر في تأسيس مصحة لمرض السل

¹ - الوزاني، التهامي، "الصحة في المنطقة"، جريدة الحياة،
ع. 37، 22 نونبر 1934، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بجبل كتامة، كما كان يظهر الاهتمام
ببأقي الأمراض الأخرى، ولكن شيئاً من
ذلك لم يقع، والجراثيم الفتاكة تغدو
وتروح في الجسم المغربي آمنة
مطمئنة، هازئة من الطب والأطباء...
يا رجال الإدارة إننا نريد أن تتحسن
الحالة الصحية قبل كل شيء، وذلك
باتباع الطرق الحديثة في المسكن
والمطعم وفي السوق وفي كل شيء يكون
عرضة للإتيان بالمرض"¹.

كما دعت الحركة الوطنية إلى
محاربة العديد من الظواهر
الاجتماعية، الدخيلة على المجتمع
المغربي، ومن أبرزها ظاهرة الزنا،
فعلى سبيل المثال نجد عبد السلام
بنجلون يقول: "ولسنا في حاجة... أن
تثبت أن الزنى محرم شرعا على المسلم
والمسلمة... وإنما غرضنا أن نسأل
رجال الدولة المغربية ورجال الإدارة
الإسبانية في المغرب أسئلة، وننبه
إلى أخطار تحقق بالمجتمع المغربي من
جاء هذه الفاحشة المنكرة. أما
أسئلتنا فهذه هي:

1. ما الذي أسكت أصحاب الحل والعقد
من رجال الدول المغربية عن

¹ - الوزاني، التهامي، "الصحة في المنطقة"، م. س، ص. 1.

- الاحتجاج على المراقب السنيور
(خوليو بالينسيا) الذي تجرأ وألقى
القرار الوزاري، وأعطى لكل ساقطة
عديمة الشرف رخصة للمتاجرة بعرضها
في سوق الأعراض بين سمع الحكومة
المسلمة وبصرها، والطلب بتحديد
القرار الوزاري وتطبيقه بكل دقة؟
2. وما الذي منع العقلاء من رجال
الإدارة الإسبانية من أن يوقفوا هذا
الطيش عند حده، ويلقوا تلك الرخص
التي انتهك وينتهك بها حد من حدود
الإسلام، الذي التزمت دولة الحماية
في نفس المعاهدة باحترامه
والمحافظة عليه
3. ما سبب إغفال هذه المسألة بعد ما
أثيرت في الصحف ورفعت العرائض
بطلب إلغائها، ألم تقتنع الإدارتان
بأن هذه طعنة ... موجهة إلى قلب
الوطن المغربي الإسلامي؟
4. ما سبب عدم السماح للجنة التي
قدمت العريضة السابقة ... للصدر
الأعظم بمقابلة سمو مولانا الخليفة
المعظم" ¹.

¹ - بنجلون، عبد السلام، "الزنى- سوق الأعراض .. ؟"، جريدة
الحياة، ع. 33، 25 أكتوبر 1934، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ولمواجهة هذه الآفة، ألف رواد
الحركة الوطنية المغربية، "لجنة
لمقاومة الزنا العلني"، حيث كتب
الطريس في مذكرته ليوم 10 شتنبر
1933: "ألفنا اليوم لجنة لمقاومة
الزنا العلني المقنن من طرف إدارة
الحماية"¹، وقامت هذه اللجنة ببعث
رسالة للعديد من علماء المغرب
والعالم الإسلامي، لاستفتائهم حول
قضية الزنا، ومما ورد في هذه
الرسالة: "نحن معشر سكان منطقة شمال
المغرب الأقصى، قد همنا أمر الزنى
العلني الذي تفاحش وتكاثر في
المسلمات حتى تجاهرن به واعتمدن في
إظهاره على ما بأيديهن من الرخص
الرسمية، التي تبيح لهن تعاطيه،
ونحن نعلم أن هذا الفعل مناف للأخلاق
الشريفة، وهادم للمجتمعات، ومصادم
لروح الشريعة الإسلامية... رفعنا
استفتاءنا في هذه النازلة إلى
أمثالكم من أعلام الشريعة البارزين،
فليس ذلك عن جهل منا بحكمها، ولكن
لتكن فتواكم حجة على من يحاول تأييد

¹- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 3، ص. 503.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الباطل، ولتحتل مكانها في قلب شعبنا
المؤمن فيسعى بكل جهده لتنفيذها"¹.

ومن الظواهر الاجتماعية التي عمل
الرغيل الأول للحركة الوطنية بشمال
المغرب على محاربتها كذلك ظاهرة
القمار، التي اعتبرتها جريدة الحياة
"من الأشياء التي حرّمها الدين الإسلامي
تحريماً كلياً، وقامت شواهد العادة
على اعتباره مشيناً بكرامة الفرد
مخرباً لماليته، فيجمل بالمغاربة أن
يبتعدوا عن هذه الفاحشة التي لا تدعو
إليها ضرورة والتي لا تؤدي لنفع،
أبتعاداً كلياً عملاً بأوامر الدين
وتمسكاً بالحياة الجيدة المبنية على
العمل والتقدير الحقيقي لقسم الأشياء،
لا المبنية على الخيال والأوهام، وعسى
أن نسمع في هذا الموضوع صوت خطبائنا
الدينيين الذين هم ملزمون معالجة
الأمراض الاجتماعية والوعظ فيها من
الوجهة الدينية"².

وإلى جانب الاهتمام بالجانب
الاجتماعي، أولى الرغيل الأول للحركة
الوطنية بمنطقة الحماية الإسبانية

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات م. س، صص. 247-248.

² - لعب القمار"، جريدة الحياة، ع. 31، 11 أكتوبر 1934،
ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

اهتمامه بالميدان الاقتصادي، لوعيهم
بأهمية الاقتصاد في بناء النهضة
الوطنية، ولذلك اعتبره عبد الخالق
الطريس "من أهم الأركان التي يقوم
عليها صرح الأمة"¹.

ودعا هؤلاء الوطنيون المغاربة إلى
العمل لتحقيق التنمية الاقتصادية
بشمال المغرب، التي كانت مصادر
الثروة بها "لا تزال مغلقة ولم تمد
اليدين إليها لفتحها والانتفاع منها"²،
ولذلك عندما تم تنظيم معرض للنماذج
بمدينة تطوان حول أيام 27 و 28 و 29
شتنبر 1934، وعقد مؤتمر اقتصادي حول
النظام الاقتصادي بمنطقة الحماية
الإسبانية، تقدم العديد من الوطنيين
بمجموعة من التقارير المختلفة "عن
الحالة الزراعية والصناعية
والتجارية في هذه المنطقة، وبحثت
حالة الموانئ والطرق والتعليم
والصحة والسياحة والصحافة، وقررت
قرارات هامة في تأسيس الهيئات
المنتجة وإصلاح الموجود منها
والمطالبة بإيجاد مجالس بلدية على

¹ - الطريس، عبد الخالق، "المصالح الاقتصادية معرض
النماذج"، جريدة الحياة، ع. 29، ص. 1.

² - الطريس، عبد الخالق، "المصالح الاقتصادية المؤتمر
الاقتصادي"، جريدة الحرية، ع. 27، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الطريقة المجموعية ومجلس شوري
للحكومة وحماية المصنوعات المحلية
وإصلاح حياة الفلاح، والمواصلات كما
عرضت مسائل حالية كقضية القمح
والدقيق وقضية البنك العقاري والسلف
والزراعة وغير ذلك من القضايا...
وقد كان من ضمن التقارير المرفوعة
للمؤتمر تقرير عن الحياة القروية
وحاجتها للإصلاح من الأستاذ الطريس
واثنان من الأستاذ بناني عن التعليم
الوطني والصناعات القومية وآخر من
الحاج عبد السلام بنونة عن النور
الكهربائي ووجوب ترخيصه، وتقرير آخر
من السيد حسن بن عبد الله عن قضية
الدقيق والقمح وتقرير من وفد
العرائش عن حاجات هذه المدينة وقد
ووفق بالإجماع عن كل ما جاء في هذه
التقارير"¹.

وكان هذا المعرض "خير صلة تربط
المنتج والمستهلك وألطف ما في هذه
الصلة أنها غير مبنية على استغلال
هذا الأخير لمصلحة الأول بل نتيجتها
الأولى والأخيرة أن يرى ما في إمكان
البلاد أن تنتج، وكيف يمكنها أن

¹ - "أعمال المؤتمر"، جريدة الحرية، ع. 30، 4 أكتوبر
1934، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تستغني على غيرها في المواد الأولية
والمنتجات الكاملة، وقد كان هذا
النوع من المعارض ولازال خير عون على
إلفات الناس إلى المحصول القومي في
الصناعة والزراعة وغيرهما من نواحي
الإنتاج"¹.

إلا أنه بعد انتهاء فعاليات
المؤتمر، تساءل عبد الخالق الطريس
عن مدى تنفيذ مقررات هذا المؤتمر،
وذلك بقوله: "هل مجهودات المؤتمر
ستستأنف وهل قرارته ستنفذ؟"². كما
انتقد الطريس مسألة فتح المعرض أمام
المنتجات الأجنبية، بقوله: "وحيث إن
المعرض مغربي وإسباني، كان لازماً أن
يستغني فيه عن عرض التوريد الأجنبي
بالكلية، لأن إلفات النظر إلى
المنتوج المحلي، والرغبة في توجيه
المستهلك نحو المواد الإسبانية أهم
بكثير الآن من المقارنة التي تطلب من
قبول مشاركة المحصول الأجنبي في
المعارض المحلية"³.

¹ - الطريس، عبد الخالق، "المصالح الاقتصادية معرض..."، م.
س، ص. 1.

² - الطريس، عبد الخالق، "نتائجنا من المؤتمر الاقتصادي"،
جريدة الحياة، ع. 30، 4 أكتوبر 1934، ص. 1.

³ - الطريس، عبد الخالق، "المصالح الاقتصادية معرض..."،
م. س، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وجاء هذا الانتقاد بناء على قناعة
الوطنيين المغاربة بضرورة حماية
المنتجات الوطنية من غزو البضائع
والمصنوعات الأجنبية، ولذلك كانوا
ينصحون المغاربة بعدم اقتناء
المنتجات السلع الأجنبية، ويحثونهم
على تشجيع المصنوعات الوطنية للإسهام
في إزالة الأزمة المستولية على
البلاد، لما في ذلك من قيام بالواجب
الوطني والديني¹، كما طالب الوطنيون
من الحكومة رفع الضرائب الجمركية
على السلع الأجنبية لحماية منتجات
الصناعة التقليدية².

وإلى جانب انتقاد الوطنيين ترخيص
إدارة الحماية الإسبانية إدخال السلع
الأجنبية، دعوا بالمقابل إلى خلق
اقتصاد وطني مستقل، "لأن الاقتصاد هو
عماد الحياة"، حيث يقول أحد كتاب
جريدة الريف (أبو عزة): "طالما
نوهنا على صفحات الجرائد وعلى
المنصات والمنابر بوضعية هذه
المنطقة الاقتصادية وكثر ما رغبتنا في
العمل على الاستقلال الاقتصادي...".

¹ - زيادي، أحمد، الاتجاهات الوطنية في النثر المغربي
الحديث على عهد الحماية (1912-1956)، مطبعة النجاح
الجديد، البيضاء، 1999، صص. 75-76.

² - "صراع اقتصادي"، جريدة الحياة، ع. 72، 25 يوليوز
1935، ص. 3.

وقديما كانت هذه البلاد مستقلة
بنفسها كامل الاستقلال، فلها فلاحتها
ولها صناعتها ولها تجارتها ولها غير
ذلك مما هو ضروري للحياة العامة ...
فبدلا من أن تتحسن الحال، أصبحت كل
يوم شرا من اليوم الذي قبله، ويكفي
أن يعلم أن نفس الغذاء الذي نتغذى
به من حب وثمار ونعم ونفس اللباس من
قطن وكتان وحرير كل ذلك مجلوب من
الخارج لم تعمل فيه يد مغربية ...
فيلزم أن نتعظ، وأن نأخذ للأمر عدته
بالإقبال على المفيد المنتج بالطرق
العلمية، والتضامن الوطني، وأن
تشجيع بعضنا البعض بالإقبال على
تنشيط كل شيء وطني تنتجه يد مغربية
... وإن في استطاعتنا أن نسترضي
الحكومة حتى تخصص في الميزانية
العامة قدرا مهما من المال بقصد
تأسيس مؤسسات اقتصادية من معامل
وغيرها وإذا صارت هذه المعامل تمد
البلاد بحاجياتها أو بعضها ... وحي
تجد اليد العاملة العاطلة شغلا تعيش
من العمل فيه ... فإن الماشية
الموجودة بالمنطقة يمكن أن نستغني
بها عن غيرها رغما عما هي عليه من
الإهمال وأما الفلاحة فإنما
يخصها شيء يسير من التحسين وإصلاح

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

طرق الري والبحث بالطرق الفنية عن
سقي الناحية الشرقية فإن هذه
الناحية إن وجدت الماء الكافي تقوم
بتموين المنطقة كلها من حيث الحبوب
والقطني ... ثم إننا نرى المغاربة
يستهلكون من السكر كمية هائلة ...
فيمكن أن تتخذ معامل للسكر ومزارع
للقصب واللفت"¹.

وإذا كان الرعيل الأول للوطنية
بشمال المغرب، قد حافظ على خطاب
النخبة المثقفة في الدعوة إلى
التنمية الاقتصادية، فإنهم لم يعملوا
على إنجاز مشاريع وطنية اقتصادية
شبيهة بتلك التي أسسها الحاج عبد
السلام بنونة في السابق، الأمر الذي
جعل جل الثروات الاقتصادية بيد
الإسبان واليهود، وذلك ما عبر عنه
الطريس بقوله: "إننا نرى في منطقتنا
اليوم حركة صناعية كبرى ... ولكن
يؤسفنا أن نرى هذه الحركة محصورة في
المحيط الأجنبي، أما المغاربة فلم
يساهموا فيها بأي نصيب ... فهل يا
تري سنترك الميدان فارغا للأجانب حتى
نصبح في يوم من الأيام أمة من العمال

¹ - أبوا عزة، "حالة المنطقة الاقتصادية"، جريدة الريف، ع. 6، 14 شتنبر 1936، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تأتمر بأمر مجموعة ضئيلة من السادة الأجانب"¹.

وبالفعل فبعد وفاة الحاج عبد
السلام بنونة، لم يجد شمال المغرب
رجالا يتابعون مشروعه الاقتصادي
ويقومون بمنافسة الاقتصاد الاستعماري،
وتأسيس شركات صناعية تعاونية وطنية،
قادرة على تحرير الاقتصاد المغربي،
وإنما كانت هناك بعض المحاولات
الفردية فقط، من أهمها تأسيس محمد
بن مصطفى أفيلال معمل للصابون بمدينة
تطوان. الذي وصفه أحد كتاب جريدة
الريف منذ أن كان فكرة حتى أصبح عملا
جاهزا مشتغلا بقوله: "عمد الأستاذ
محمد مصطفى أفيلال وسط المزاحمات
فتغلب على كل الصعوبات وتمكن من
تأسيس معمل للصابون، فقد عرف عن
أفيلال أنه مغامر مخاطر ومن لدن كان
بمدرسة النجاح بنابلس من القطر
الفلسطيني وهو مولع بصنع الصابون
فكان يقرأ الأشياء ومما يقرأ فيها
صنع الصابون... فطبقها فإذا هو به
يرى بين يديه صابونا كباقي صابون
العالم، فلما رجع إلى تطوان أخذ

¹ - الطريس، عبد الخالق، "النهضة الاقتصادية"، جريدة
الحرية، 9، يوليوز 1939، ص. 1.

يفكر في تأسيس شركة تجارية، ولكن المشروع أخفق فأخذ يفكر فيما يعمله من الأشياء المفيدة وأخيرا رجع لفكرة الصابون واشترى من الكتب الإسبانية التي تتناول صنع هذه المادة الأولية من ضروريات الناس ووجد الدار فارغة فاشترى عديدا من القدور وأخذ يقرأ النظريات ويطبقها في المختبر الذي هو مطبخ الدار وساحتها فكانت أغلب التجارب تسفر عن نتائج باهرة فصمم على تأسيس معمل للصابون وشاعت فكرته بين رفقاءه فأخذوا يهزؤون من فكرته ولكنه عزم نهائيا وعرض فكرته على مشجع النهضة المغربية أخ المغاربة ضون خوان بيكبيدير فرحب بالفكرة وشجع أفيلال على القيام بعمله ... فشرع في البناء ووضع تصميم معمله لنفسه بنفسه، وقد شرع ... وهو لا يملك خمسة آلاف بسيطة ولكن أباه سيدي مصطفى أفيلال فسح له المجال ثقة منه في نبوغ ولده فأخذ أفيلال يقوم بعمله في صمت وهدوء ... وها أفيلال اليوم قد أوجد الصابون المغربي وبنى معملا مشرفا حتى ولو كان شركة فضلا عن كونه مجهود فرد وها هو أيضا قد استفاد من تجاربه التي كانت كأنها ألعيب فأصبح في معمله مديرا فنيا ومديرا

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

اقتصاديا فقد جلب اختصاصيا إسبانيا
في صنع الصابون ولكن هذا الاختصاصي
أصبح يفرع في كل شيء إلى الشاب
المغربي لأنه أوفر منه علما وأكثر
إطلاعا"¹.

الفصل الثاني: تجليات النهضة الوطنية على المستوى السياسي والتنظيمي المبحث الأول: الحركة الوطنية السياسية بشمال المغرب: من المبادرة الفردية إلى العمل الجماعي

1. الإرهاصات الأولى للعمل السياسي بشمال المغرب

هذه النهضة الوطنية التي بدأت
تجلياتها تظهر على المستويات
الفكرية والثقافية والاجتماعية منذ
ثلاثينيات القرن العشرين. كان لابد
وأن توازيها نهضة سياسية أيضا،

¹ - التماضري، "معمل الصابون المغربي"، جريدة الريف، ع. 222، 4 يونيو 1940، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بالرغم من المحاولات التي بذلتها
الإدارة الاستعمارية الإسبانية من أجل
صرف الرعيل الأول للشباب الوطني عن
العمل السياسي، وتقييد اهتمامهم فقط
بالجوانب الثقافية والاجتماعية. وما
يدل على ذلك هو ما أفصح عنه المقيم
العام الإسباني **لوبيث فريير** عند
استقباله للمكتب الإداري لجمعية
الطالب المغربية لأول مرة بتاريخ 17
نونبر 1932، حيث لخص امحمد بنونة
كلامه بقوله: "وبعبارة كان المقيم
يختصر قوله: أن لنا قوانين (حرمانا
فيها الخوض في السياسة على أنفسنا)
فيجب أن نتبعها وأن نعترف في كل نفس
من أنفسنا أن الحكومة فوقنا"¹.

وكان الشباب الوطني على بينة من
أمر المستعمرين، فكانوا يُبذون
ظاهريا عدم خوضهم في السياسة، كما
يتجلى ذلك من خلال الفصل السادس من
الباب الخامس من القانون الأساسي
لجمعية الطالب المغربية، والذي نص
على أن "الجمعية لا تشتغل بالسياسة
بتاتا"²، لكن رغم ذلك فإن أعضاء

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 4، ص. 157.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية المغربية
....، م. س، ج. 3، ص. 360.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الجمعية كانوا ضمنيا يمارسون الأنشطة
السياسية، إما بشكل سري أو تحت غطاء
ثقافي أو أدبي، وهو ما تفتن له
المقيم العام الإسباني المذكور،
عندما أرادت جمعية الطالب المغربية
تأبين الشاعر المصري أحمد شوقي،
فاستدعى رئيس الجمعية عبد الخالق
الطريس وطلب منه إطلاعه على الخطب
قبل إلقائها، فامتنع الطريس على
ذلك، وتعهد "له بأن لا يذكر في
الحفلة شيء يتعلق بالسياسة فقال له
المقيم أن الوطنية من السياسة (؟)
وأن مما لاشك فيه أن مثل هذه الأمور لا
تخلو من الوطنية"¹.

وإذا كان الرعيل الأول للحركة
الوطنية المغربية لم يتبوأ مركز
قيادة العمل السياسية حتى تأسس
"الهيئة الوطنية بشمال المغرب"
بتاريخ فاتح أبريل 1932، فإنهم
ساهموا قبل ذلك في العديد من الأنشطة
السياسية السرية والعلنية التي كانت
تمارسها النخبة المثقفة بشمال
المغرب. فما هي إذن الإرهاصات الأولى
للعمل السياسي التي مهدت للنهضة
السياسية بشمال المغرب؟

¹ - نفسه، ج. 4، م. س، ص. 166.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

شكل العمل السياسي أمرا ثانويا في
برنامج النخبة المثقفة بشمال
المغرب، التي كانت تسعى من خلال
مشروعها النهضوي إلى تحرير المغرب
أولا من التخلف والاقتصاد الاستعماري،
قبل التحرر السياسي، "لأن الجهاد
السياسي وحده لا يغني أصحابه إلا إذا
جاء مقرونا بالجهاد العلمي والجهاد
الاقتصادي والجهاد الأدبي"¹. وبناء
على هذه القناعة كانت النخبة
المثقفة تحت طلبة البعثات المشرقية
على عدم الخوض في الأمور السياسية،
والتركيز فقط على دراستهم.

لكن رغم ذلك فإننا نجد هذه النخبة
قد خاضت غمار السياسة منذ وقت جد
مبكر على المستويين الداخلي والخارجي
للمغرب، حيث ترجع الإرهابات الأولى
للعمل السياسي بشمال المغرب إلى سنة
1926، وهو ما تؤكد المذكرة التي
كتبها امحمد بنونة بتاريخ 13 أكتوبر
1926، والتي جاء فيها: "اجتمعنا هذه
الليالية في بيت الأخ ج عبد السلام
بنونة كعادتنا كل يوم أربعاء. ودار

¹ - أرسلان، شكيب، "لو كان مثل بنونة كثير لتحررت هذه الأمة
منذ زمن طويل"، خطاب ألقاه في حفلة تأبين بنونة يوم
فاتح مارس 1935، أنظر: بنونة، الطيب، نضالنا القومي
....، م. س، ص. 53.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحديث حول أحوالنا الوطنية وكان
بعض الإخوان يرى أننا بعدما فشلت
الثورة الريفية واستسلام بطلها¹ في
مايو الماضي لم يبق أمامنا إلا طريق
المفاوضات والمفاهمة مع الدولة
الحامية في طرق الإصلاح التي يجب،
ونشر التعليم والعمل على الحصول على
نوع من حرية القول والعمل والصحف².

ونظرا لنزوع النخبة المثقفة بشمال
المغرب لموقف التعايش مع الحماية
الإسبانية، حاول بنونة منذ سنة 1927
إقناع العديد من الإسبانين الأحرار
المدافعين عن الحقوق المغربية
بضرورة تأسيس حزب سياسي يضم
المغاربة والاسبان للدفاع عن المطالب
المغربية³، ولتحقيق تلك الغاية سارع
لوضع القانون الأساسي لمشروع هذا
الحزب الذي اختار له اسم "حزب
الائتلاف المغربي الإسباني"، والذي
حددت مراميه في أن "لا تتجاوز غاية
التعارف والاجتماع والسعي لمصالح
وفوائد كل فريق من المؤتلفين ...

¹ - استسلم محمد بن عبد الكريم الخطابي بتاريخ 27 ماي
1926.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة، ج. 1، م. س، ص. 18.

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج. 1، م. س، ص. 83.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

(وأن) يتعهد الفريق الإصباتي
للمراكشي بالتعهدات الكفيلة بالعمل
سوية على الاشتراك في الحصول على
المقاصد الحميدة والتي لا تعارض
الحكومة في شيء غير جاحف لحقوق
الطرفين ... بكل معنى الإخاء
والمساواة والحرية ومراعاة تقديس
العوائد والديانيات¹ ، غير أن
السلطات الاستعمارية الإسبانية وأدت
هذه المبادرة في مهدها، بدعوى أن
الوقت إذ ذاك كان غير مناسب لانتماء
المغاربة إلى حزب سياسي، وانتظامهم
داخل هيئة سياسية².

وإذا كانت إسبانيا قد منعت العمل
السياسي العلني المنظم بمنطقة
حمايتها، فإن ذلك لم يمنع النخبة
المثقفة من ممارسة أنشطتها السياسية
السرية والعلنية، حيث سنجدها حاضرة
في أولى الأنشطة السياسية التي برزت
بفاس والرباط منذ سنة 1927، ممثلة
من طرف امحمد بنونة الذي حضي
بالتكريم من طرف شبيبة هذه المدن،
رغبة منهم في توحيد صفوف الشبيبة
المغربية، وذلك ما يؤكده امحمد

¹- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج. 1، م. س، ص. 105.

²- نفسه، ص. 105.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بنونة في رسالة بعثها لأخيه الحاج
عبد السلام بتاريخ 27 أبريل 1927 جاء
فيها: "سيدي قد حلت فاسا حلول يمن
وسعادة وهناك اجتمعت بكثير من
الإخوان وتعارفت مع نبغاء الشبان
وتذكرنا كثيرا وطويلا في حالتنا
الاجتماعية والإدارية والاقتصادية
فرأيت علو كعبهم وشمم أنفهم مما
تركني سكرانا وفرحت غاية بوجود
أمثالهم في قطرنا المحبوب ...
وبعبارة وجدت بفاس هذه المرة نهضة
ما كنت أحلم بها وخصوصا بعد اتحاد
شبيبة القرويين مع أختها المدرسة
الفرنسية وتعاهد الكل على الإصلاح ...
ماذا أنظر؟ أ إلى الاحتفالات
والتكريمات التي أقيمت لي بالرباط
وما ألقى فيها من الخطب والأناشيد
الوطنية؟ أم إلى ما ألقى فيه هنا بفاس
وما سيقام لي من التكريم؟ أم أنظر
إلى موقفنا نحن معشر التطوانيين
أمام الناهضين - ما شاء الله - لقد تكلم
معي كثير من الشبان في هذه المسألة
وهي - اتحاد الشبيبة المغربية
بشمالها وجنوبها ! ولكن¹ أين

¹ - كتبت في الأصل هكذا: لائن.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

شبيبتنا؟ وأين معارفها؟ وأين؟ وأين؟ أنا خجل جدا يا أخي"¹.

وتمخض عن هذه اللقاءات والاجتماعات تأسيس الجمعية الوطنية السرية الأولى بمدينة الرباط، تحت اسم "الرابطة المغربية"، واتخذت لنفسها اسما مستعاراً هو "أنصار الحقيقة"²، وذلك في ماي 1927³، وتعاهد الشباب الوطني أمام أحد المدافع المغربية التاريخية بمدينة الرباط، على العمل لتحقيق وحدة المغرب واستقلاله، حيث وقف امحمد بنونة في الجهة اليسرى للمدفع وأحمد بلافريج في جهته اليمنى وتصافحا فوقه⁴، إشارة إلى أن الوطنية المغربية بشمالها وجنوبها ستعمل على الدفاع عن المغرب توحيدة⁵.

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، ج. 1، م. س، ص. 19.

² - غلاب، عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية ...، ج. 1، م. س، ص. 360.

³ - يحدد عبد الكريم غلاب تاريخ تأسيس هذه الجمعية في 2 غشت 1926، أنظر: غلاب، عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية ...، م. س، ج. 1، ص. 360.

⁴ - أنظر الصورة: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، ص. 21.

⁵ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، م. س، ج. 1، ص. 21.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ولعب امحمد بنونة ممثلاً شمال
المغرب، دوراً كبيراً في تأسيس هذه
الجمعية السرية، حيث كتب في
مذكراته: "لم أزل أذكر تلك السكينة
التي أنزلها الله علينا وحلانا بها ورضي
عنا وتولانا سبحانه بهدايته وتوفيقه
فخشعت قلوبنا واطمأنت. لقد كنا على
موعد وكان بعضنا مشغولاً وكان البعض
الآخر مسوقاً لا يدري ماذا يفعل به،،،
ولكن الشيء الوحيد الذي نجتمع عليه
ونتحد فيه هو الوطنية... والمهم
أننا عقدنا على تلك الحشايان ندب
مجدنا الدابر وعزنا الدائر وننقم من
عبوديتنا الحاضرة ونمهد السبل
لفوزنا المأمول، وانتصارنا المنتظر،
وانبعاث الأمة من جديد ورجعة السيادة
التاريخية للدولة، ورأينا أننا إن
وحدنا الجهود وثبتنا في السير
ونبلنا في الوسائل فإن السائر على
الدرب لابد أن يصل. ولازلت أذكر...
أنني اقترحت على الإخوان تأسيس جمعية
وطنية يكون مركزها بالرباط وفروعها
بمدن المغرب وقبائله وقراه، وتكون
مهمتنا الأولى بثّ الشعور في الشعب
بواسطة المحاضرات والمقالات ونشر
التعليم والأناشيد الحماسية وتأليف
الفرق الرياضية والتمثيل، ثم ائتلاف

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الأفراد الذين يظهر عليهم الاستعداد
للعمل والقابلية للتضحية وانتقاؤهم
لانسلاك في عضوية الجمعية، ولقد كنت
أخذ للأمر عدته وأخرجت من جيبى خطبة
كنت انتقيت ألفاظها واخترت جملها
وأضرمتها نارا تلهب الحماس ووطنية
توقد العواطف وتسيل الدموع فوقفت
وكان ما كان ¹ . ومما ورد في هذه
الخطبة التي ألقاها امحمد بنونة:
"لهذا اقترحت عليكم تأسيس جمعية
وطنية تكون نواة لنهضة قومية مغربية
مباركة، تقلب الأوضاع في هذا الوطن
المحبيب وحتى يمكننا بواسطتها نشر
مبادئنا وبث دعايتنا ولنعمل لها
ظاهرا وباطنا، ظاهرا محاربة البدع
والخرافات والأوهام والتفرنج والانحلال
الأخلاقي، وباطنها محاربة الاستعمار
والعمل على استقلال الوطن وتحرير
الشعب المغربي من الاحتلال" ² .

ويشير عبد الكريم غلاب إلى أن هذه
الجمعية السرية تأسست لها فروع في
عدة مدن مغربية، ومن بينها فرع
تطوان، الذي أسسه الحاج عبد السلام

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س،
ج. 1، صص. 246 - 247.
² - نفسه، ص. 247.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بنونة¹، غير أن المؤرخ محمد بن عزوز
حكيم ينفي ذلك لعدم توفر أي وثيقة
تؤكد هذا الزعم، رغم إشارتها إلى
حضور امحمد بنونة في تأسيس هذه
الجمعية².

لكن مهما يكن فإن الغرض من تأسيس
هذه الجماعة كان هو تحريك شعب أمي،
دون أدنى تقليد سياسي، هدته الغزوات
والحروب والصراعات الداخلية
والانتفاضات، وعمليات القمع القاتلة،
والمجاعات المروعة، كما يتعلق الأمر
كذلك، بإيجاد نخب بمقدورها تنظيم
المسيرة الكبرى إلى الأمام من أجل
استعادة الكرامة والحرية، وتهيئته
ليستطيع المناقشة على قدم المساواة
مع المحتل، المصمم على أن لا يمنح أي
امتيازات للمغاربة ويعتزم الدوس
عليهم، ويتعلق الأمر في الوقت نفسه
بتقديم منشط يكون نموذجا لكل
البلاد³.

وتجلى كذلك عن هذا الاتحاد بين
الشبيبة المغربية في نهاية

¹ - غلاب، عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية م. س، ج. 1، ص. 360.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س، ج. 1، ص. 247.

³ - ولف، جون، م. س، ص. 142.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العشرينيات، تبادلهم للأفكار والآراء
حول واقع المجتمع المغربي الراجح
تحت نير الاستعمار، حيث سيعمل محمد
داود سنة 1927 على مراسلة مجموعة من
شباب مدينتي فاس والرباط، واستطلاع
آرائهم ومواقفهم في أهم المواضيع
والقضايا، التي كانت تشغل بالهم،
ومن أهمها الاستعمار والتجنيد في
صفوف الجيوش الغازية ومقاومة
الطرقية ونشر العلم. وتفاعل مع
أسئلة داود مجموعة من الشباب
الوطني، الذين أجابوه عنها تحت
عناوين مختلفة وهي **"نحن والطرق"**
والتي كتبها المكي الناصري، و**"نحن
والطفرة"** والتي كتبها محمد
اليازيدي، و**"نحن والاستعمار"** التي
كتبها عمر بن عبد الجليل، و**"نحن
والعلم"** والتي كتبها أحمد المؤذن،
و**"اتحاد الكهول والشبان"** التي كتبها
عبد الكبير الفاسي¹.

كما أنه عندما أسس شباب مدينة فاس
أول جمعية وطنية سرية لمقاومة
الاستعمار، بعث علال الفاسي لمحمد
داود يخبر بأمرها إذ يقول له في

¹ - أنظر الدراسة التي أعدها: زيادي أحمد تحت عنوان:
رسائل وطنية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،
2000.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

رسالة مؤرخة ب22 نونبر 1928: "أسسنا
جمعية سرية سنبعث لك برنامجها بعد
إنما الغرض منها مقاومة الاستعمار
ومحاربته بوسائل النشر والدعاية
وللجمعية فروع في جل بلاد المغربية
عدا الفروع الخارجية. وطيه تصلك
نسخة من الحروف التي تستعمل عندها
في المخاطبة. وسأكتب لك بعد مفصلا.
وإنما المقصود منك أن تبعث هذه¹
الرسالة طيه إلى الأخ ابن الحسن
(الوزاني) بباريس، وبعد قراءتها أنت
فقط وأن تكون بريدنا من هناك ومن
هنا. أرجوك أن تخبرنا عن الأخوين
محمد وعبد السلام (بنونة) من وجهة
كتمان السر ولا بد"².

ولم يكن النشاط السياسي للنخبة
المغربية المثقفة موجهها فقط نحو
الداخل، بل كان أيضا حتى على
المستوى الخارجي، إذ نجد بنونة عضوا
"بعصبة مقاومة الاستعمار"، منذ سنة
1929³، وكان يتوصل منها بالعديد من
النشرات، وكذلك مراسلاته مع بعض
أعضائها "من الأحرار الأوربيين ومن

¹ - في الأصل كتبت هكذا: هاذو.

² - داود، حسناء، الرسائل المتبادلة بين علال الفاسي ومحمد
داود، تقديم ومراجعة أحمد فطري، 2000. ص. 51.

³ - بنونة، الطيب، نضالنا القومي ...، م. س، ص. 45.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**البرلمانيين في كل من ألمانيا
وفرنسا وإنجلترا، و... كبار رجالات
الشرق مثل الزعيم نهرو من الهند
وواصف غالي من مصر"، وكانت هذه
المنظمة تناضل عن حقوق الشعوب
المحتلة¹.**

كما أنه عندما توجه بنونة إلى
إسبانيا في أكتوبر 1929، قام بعدة
اتصالات مع مجموعة من رجال الأعمال
الإسبانيين، وكبار رجال الدولة،
ورؤساء الأحزاب السياسية، تحدث معهم
في شأن القضية المغربية، كما استغل
بنونة رحلته هذه وقام بزيارة باريس
عاصمة فرنسا لأول مرة بتاريخ 12
نونبر، فقابل بها عدة زعماء من تونس
ومصر والشام وفلسطين والهند، وتذاكر
"مع كثير منهم في موضوعات مختلفة
أهمها ربط أواصر الوحدة الشرقية على
الإطلاق والعربية على الخصوص"².

واتصل بنونة كذلك عند زيارته
لباريس بالطلبة المغاربة بفرنسا،
وكان أغلبهم من أعضاء المكتب
التنفيذي "لجمعية طلبة شمال إفريقيا

¹ - نقلا عن: ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...،
ج. 1، م. س، ص. 305.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج.
1، صص. 352 - 353.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المسلمين"، التي تأسست بباريس بتاريخ فاتح يناير 1929، فتقرر على إثر ذلك تعيينه ممثلاً لهذه الجمعية لينوب **"عنها بتطوان"**¹، وأصبح هذا التعيين يتجدد له كل سنة².

وستزداد هذه الحركة السياسية نضجا بعد صدور ظهير 16 ماي 1930 المعروف **"بالظهير البربري"**، حيث ستنتقل الشرارة الأولى للحركة الوطنية المغربية، بعدما كانت من قبل دون **"اتجاه معين ولا جماعة تنطق باسم المغرب كله، وإنما هناك جماعات وأفراد ما يزالون يتلمسون طريقة للإعراب عما يساور أفكارهم وضمائرهم، وقد كان صدور الظهير البربري تفجييرا لهذه الطاقة"**³، حيث خرج آلاف المغاربة للاحتجاج ضده، وقراءة اسم اللطيف بمختلف مساجد وزوايا مدن جنوب المغرب وشماله، فبدأت هذه الحركة بمدينة سلا، ثم انتقلت لعدة مدن مغربية أخرى وخاصة بمدينة فاس، غير أن رد فعل الاستعمار الفرنسي كان عنيفا رغم سلمية المظاهرات التي قام

¹ - نفسه، ج. 1، صص. 364-365.

² - بنونة، الطيب، نضالنا القومي، م. س، ص. 45.

³ - غلاب، عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية، م. س، ج. 1، ص. 72.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بها المغاربة، الذين تعرضوا للعنف
واعتقال كل المتزعمين لهذه الحركة¹،
"وتوالت حوادث الاعتقال والتعذيب في
السجون والضرب بالسياط ومصادرة
الأموال والنفي من البلاد وتنفيذ
الأحكام العسكرية على الناس في جميع
المدن والقرى المشمولة بالحماية
الفرنسية"².

وعلى إثر هذه الحوادث، "تضامنت
المنطقة الشمالية مع أختها بقراءة³
اللطيف في المساجد"⁴، حيث أحدث ظهير
16 ماي بالمنطقة الإسبانية نفس
الاحتجاجات التي عرفتھا المنطقة
الفرنسية⁵، عن طريق الترويج بشكل
كبير بين ساكنة تطوان لمقاطعة
البضائع الفرنسية، وقراءة اللطيف
بالمساجد وزوايا المدينة هذا علاوة
على رفع برقيات الاحتجاج إلى السلطان
المغربي محمد بن يوسف والمقيم العام

¹ - نفسه، ص. 79.

² - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية
...، م. س، ص. 121.

³ - في الأصل كتبت هكذا: قراءة.

⁴ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية
...، م. س، ص. 121.

⁵ - REZETTE, Robert, les Partis Politique ... , Op. Cit,
p. 84.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الفرنسي ووزير خارجية فرنسا¹، وذلك
ما أشار إليه امحمد بنونة في رسالة
بعثها لابن أخيه الطيب بتاريخ 30
يوليوز 1930، والتي جاء فيها: "أمسه
تألفت لجنة هائلة وافرة العدد من
الكهول والشيوخ والشباب لمقاطعة
البضائع بتطوان فبدأوا بالسكر
والدقيق "الخالص" والغريب أن الفكرة
انتشرت انتشار البرق بين جميع
الطبقات وقد جعل الناس يتعاهدون على
التنفيذ الحالي وكثير منهم يقسم على
الدوام على هذه المقاطعة والناشرون
لفكرة كثيرون. واللجنة يرأسها
والدك (عبد السلام بنونة) بمساعدة
سيدي مصطفى أفيلال ومحمد السلاوي
ومحمد الدليرو والحاج عبد الله الفاسي
وسيدي التهامي الوزاني، وتألفت
لجته من الأستاذ داود والتهامي
الوزاني وأخيه محمد وأحمد بن تاويت
والشيخ المصمودي والحسين بن عبد

¹- جاء في البرقية التي تم رفعها إلى المقيم العام
الفرنسي ووزير خارجية فرنسا ما يلي: "باسم سكان هذه
المنطقة من الإمبراطورية المغربية الواقع تحت الحماية
الإسبانية نحتج ضد السياسة العنصرية والتمييزية التي
تنهجها الجمهورية الفرنسية في منطقة حمايتها، نطالب
بالغاء ظهير 16 ماي فورا لأنه ينتهك الحقوق المقدسة
للشعب المغربي المسلم وفيه خرق للتعهدات التي التزمت
بها فرنسا معه الدولة المغربية الإماءات: الطريس -
داود- الوزاني- المصمودي- بنونة"، أنظر: ابن عزوز حكيم،
محمد، أب الحركة الوطنية....، م. س، ج. 1، ص. 407.

الوهاب وكاتبه (امحمد بنونة) ومحمد
عزيمان ومحمد ابن عبود وعبد السلام
الحاج وعبد الخالق الطريس وقرروا ما
يلي: أولاً: نشر فكرة المقاطعة بين
الناس فعلا بحيث يذهب كل واحد منا
ويعرف البائعين والشارين بقضية
البربر وما يترتب عنها وحث المخاطب
على الحرب بالمقاطعة. ثانياً: إعلام
الناس بأننا سنقرأ اللطيف يوم
الجمعة (فاتح غشت) بعد الصلاة في
الجامع الكبير بالصيغة المعلومة كما
قرأه غيرنا في الداخلية، وننفذ
العمل ولو عملت الحكومة ما عملت
وندافع عنها بكل قوانا ولو أدى الأمر
إلى السجن أو النفي أو الجلد
والقتل، وقد أقسم بعضنا على ذلك...
ثالثاً: إعمال ثلاثة تلغرافات احتجاج
على الظهير واحد لجلالة ملكنا مولاي
محمد الخامس وآخر للمقيم الفرنسي
وثالثاً لوزارة الخارجية الفرنسية
والتنفيذ يوم السب ظهراً...
وسنواصل قراءة اللطيف في الأيام
التالية مهما استطعنا وخصوصاً أيام
الجمع¹.

¹ - نفسه، صص. 404 - 405 - 406.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وبتاريخ يوم الجمعة فاتح غشت قام
الوطنيون بشمال المغرب، بتنظيم حفل
ديني بالمسجد الأعظم بتطوان، تحت
إشراف الحاج عبد السلام بنونة ومحمد
داود وعبد الخالق الطريس، وتم في
الحفل قراءة اسم اللطيف لأول مرة
بتطوان تضامنا مع الحركة الوطنية
بالمنطقة الفرنسية¹. كما تمت قراءة
اللطيف أيضا في الأسبوع نفسه بتاريخ
يوم الأحد 3 أكتوبر بكل من مسجد
القصبة² والزاوية الريسونية، وهو ما
أثبتته امحمد بنونة في رسالة بعثها
لابن أخيه الطيب بتاريخ 6 غشت، والتي
جاء فيها: "يوم الأحد الماضي اتفقت
جماعتنا على القيام بإخراج اللطيف
في مسجدين بعد صلاة العشاء مباشرة
وفعلا نظمنا العمل من غير إعلام أحمد
إلا بعض المخلصين فذهب فريق إلي جامع
القصبة وهذا القسم لم يعارضه أحد بل
أتم اللطيف على أحسن ما يرام، أما
القسم الذي ذهب إلي الزاوية
الريسونية ... فقد كنا ستة من

¹-نفسه، ص. 404.

²- يقع هذا المسجد بحومة القصبة التابعة لحومة البلد،
ويعتبر أول المساجد بمدينة تطوان، حيث قام ببنائه
القائد أبو الحسن علي المنظري عام 889هـ / 1484م، أنظر:
داود، محمد، التكملة، م. س، ص. 98.

الأعضاء¹ وبعض من المدعويين ... وبعد تسليم الإمام من الصلاة افتتحنا اللطيف ... فقام (الإمام) قائلاً: أعباد الله ما يقرأ أحد اللطيف هنا، المخزن منع قراءة اللطيف بالجوامع". فلم نلتفت إليه وزدنا في رفع الصوت فزاد قوله: إذا مسكتوشي نجيب البوليس والمخازنية" فلم نلتفت إليه أيضا فأطفأ النور وتركنا في الظلام وهرب كثير من الناس. أما نحن فلم نتزعزع من مكاننا حتى أتممنا العدد الذي اتفقنا على ذكره ثم خرجنا كأنه لم يحصل شيء وبتنا تلك الليلة مهددين ولكن في الصباح طلع المبشرون والخائفون إلى الإدارة يتنصلون من أعمالنا وقيده خمسة أسماء وهم: التهامي الوزاني وأحمد ابن تاويت وابن عبود وابن عبد الوهاب وكاتبه لأجل التحقيق والمحاكمة بدعوى مخالفة أوامر الحكومة وحث الناس على الهياج. ودافع عنا الوزير ابن عزوز وقال للمقيم إن الشبان إنما ذكروا اسم اللطيف وهو شيء ديني لا دخل لكم

¹ - هؤلاء الأعضاء هم: محمد داود وعبد الخالق الطريس ومحمد الناصر وامحمد بن عبود امحمد بنونة والحسين بن عبد الوهاب.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

فيه ومن أخبركم بغير ذلك فإنما يريد
التقرب إليكم باذاية الناس"¹.

وصادفت هذه الحركة السياسية التي
عرفها المغرب، زيارة الأمير شكيب
أرسلان لمدينة تطوان بتاريخ 14 غشت
1930، والتي أعطاه رجال الوطنية
طابعا خاصا، من أجل توحيد صفوفهم
وإضفاء طابع الشرعية على حركتهم،
كما وقعت عدة عهود مع الأمير شكيب
أرسلان، الذي أصبح بعد هذه الزيارة
المرشد الروحي للعناصر الوطنية
بتطوان²، حيث صاروا يتراسلون معه،
ويستشيرونه في مختلف القضايا
الوطنية التي كانت تشغلهم³، وهو
بدوره لم يتوان في تنبيههم ومساعدة
حركتهم لشق طريقها سواء في العالم
الإسلامي أو بأوروبا، ونشر حول القضية
المغربية العديد من المقالات بجريدة
"**الأمة العربية La Nation Arabe**"،
التي كان يصدرها باللغة الفرنسية
بلوزان، كما أصبحت مدينة تطوان
بمثابة صلة الوصل بين الأمير شكيب

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية الحاج عبد
السلام بنونة...، م. س، ج. 1، صص. 407-406.

² - JULIEN, Charles André, Le Maroc face aux
impérialismes ..., Op. Cit, p. 25.

³ - غلاب، عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 79.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أرسلان والوطنيين المغاربة بمختلف
مدن المغرب¹، وهو ما أكدته جريدة "لا
أوبينيون" التي كانت تصدر بسبته،
والتي ورد فيها بأن "مصير الوطنية
المغربية تقررته تطوان منذ أن زارها
الأمير السوري شكيب أرسلان"².

ولقد أسدت زيارة الأمير شكيب أرسلان
لمدينة تطوان خدمة كبيرة للحركة
الوطنية المغربية، وأعطتها الانطلاقة
الحاسمة سواء بشمال المغرب أو
جنوبه³، حيث ستشهد مدينة فاس بتاريخ
23 غشت 1930 تأسيس أول جماعة سرية
للعمل الوطني تحت اسم "الحزب
الوطني"، أو "الطائفة"، والتي كان
من مبادئها: "المحافظة على الكيان
المغربي والعمل على تثبيت القومية
المغربية المتركة من الأقانيم
الثلاثة: الدين اللغة والمميزات
الشعبية. وغايته النهوض بالشعب
المغربي إلى أعلى درجات الحرية
والاستقلال"⁴، وقامت هذه الجمعية على
السرية التامة حيث "لا تذاع الأمور

¹- REZETTE, Robert, **les Partis Politique ...** , Op. Cit, p.72.

²- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية الحاج عبد
السلام بنونة...، م. س، ج. 1، صص. 406-407.

³- وولف، جان، م. س، ص. 157.

⁴- داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 112.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**المنفذة باسمه أو بأي شيء يشعر
بوجوده" ¹، و"أدى أفرادها يمين الإخلاص
لله والوطن والملك" ².**

وكان محمد داود والحاج عبد السلام
بنونة، وأخوه امحمد، وأحمد غيلان
ومحمد طنانة، من أعضاء هذه الجماعة
السرية التي تكونت بمدينة فاس ³،
وحضر محمد داود العديد من
اجتماعاتها خلال شهر دجنبر 1930، حيث
كتب في مذكراته بتاريخ 10 من نفس
الشهر: "وضم داود إلى أعضاء الحزب
وأعطي له اسم (الحسن) ⁴"، وأشار كذلك
في مذكرته لليوم الموالي أن الحاج
عبد السلام بنونة ⁵ كان من بين
الأعضاء المؤسسين للجمعية ⁶.

وقال داود عن الاجتماع الذي حضره
مع أعضاء الجمعية بتاريخ 8 دجنبر
"ثم ذهبنا لدار عبد القادر (التازي)
وبها علال (الفاسي) وابن الحسن

¹ - نفسه، ص. 115.

² - بوعباد، حسن، الحركة الوطنية والظهير البربري، دار
الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1979، ص. 20.

³ - عزيزمان، محمد، "البدايات الأولى للحركة الثقافية..."،
م. س، ص. 43.

⁴ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 111.

⁵ - كان بنون يحمل اسم العباس في هذه الجماعة.

⁶ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 111.

(الوزاني) وهو، فقررنا تكليف ج حسن
(بوعباد) وج محمد (بنونة) بمصر
للحضور بموسم الحج، وإلقاء محاضرات
وتوزيع منشورات¹. وقال امحمد بنونة
عن هذه المهمة التي كلف بها هو حسن
بوعباد في رسالة للطيب بنونة مؤرخة
ب15 أبريل لسنة 1931: "الحجاج كلهم
ذهبوا محقونين بميكروبات الوطنية
ولقد كنا نبحث عنهم أيام مرورهم
للحج ونقابل من نعرف ومن لا نعرف
ونفسحهم ونقض لهم كل ما يحتاجون
إليه، ... ذهبوا كلهم روح لم أكن
أفسحهم على ما يستحق أن يرى من
المساجد والآثار بل ألفت نظرهم ونحن
سائرون في الشوارع إلى اليافطات
المكتوبة على كل الحوانيت باللغة
العربية وأفهمهم معنى ذلك ومعنى
كونه ممنوعا عندنا في الجملة
بالمغرب بدعوى المحافظة على الأصل
إلخ كما ألفت نظرهم إلى الصيدليات
وعيادات الأطباء وإدارات المحامين
والمهندسين والمقاولين، وأتعمد
المرور بهم على المدارس ودكاكين
المحترفين المتنوعة وأنبهم إلى
المصنوعات البلدية وما رأيت أحد
لابسا منسوجات وطنية إل وأثنيت عليه

¹ - نفسه، ص. 111.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أضف إلى ذلك ما يصاغ من القوالب
التي تحشى بما تعلم"¹.

ونجم أيضا عن هذه الزيارة التي
قام الأمير شبيب أرسلان، تأسيس هيئة
وطنية سرية بمدينة تطوان بتاريخ 5
شتنبر 1930، على إثر مجموعة من
الاجتماعات التي عقدت ببيت الحاج عبد
السلام بنونة وبيت عبد الخالق
الطريس، ويقول امحمد بنونة عن
الاجتماع التأسيسي لهذه الهيئة: "في
الساعة الثامنة ليلا بدا الإخوان
يتوافدون على الدار التي أراد الله أن
تكون مقر الاجتماعات الوطنية فحضر
عبد الخالق (الطريس) وداود (محمد)
وسيدي التهامي الوزاني وأخوه محمد،
والشيخ المصمودي (محمد) والمؤذن
(محمد) والفقيه الصفار (محمد) وابن
اللبار (محمد) وبوهلال (محمد الطيب)
وسيدي أحمد غيلان وعبد السلام الحاج
وعبد السلام الطنجي والغالي الطود من
القصر وأحمد المقدم من شفشاون ومحمد
بناني من العرائش ومحمد الناصري من
أصيلا. وبعد أن تذكرنا في السياسة
الخارجية واستعرضنا الحالة الداخلية

¹ - بنونة، أبو بكر، من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، م.
س، ج. 1، صص. 130-131.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

عرضت المسألة الأساسية التي اجتمعنا
من أجلها وهي تأليف هيئة وطنية سرية
تتولى أمر حركتنا الوطنية في هذا
الجزء الغالي من الوطن وتم الاتفاق
على تأليفها بالإجماع وأسندت الرئاسة
الشرفية للفقير الصغار والرئاسة
العلمية لوالدك (عبد السلام بنونة)
حقق الله الآمال¹.

ولم تمر ستة أشهر على تأسيس هذه
الهيئة، حتى أتيحت لها الفرصة
للقيام بعمل إيجابي، عندما أعلن عن
إقامة الجمهورية بإسبانيا، حيث
سيعمل أعضاؤها على تحرير عريضة
مطالب الأمة المغربية² التي كانت
تحتوي على مطالب سياسية هامة،
وتقديمها بشكل مباشر إلى رئيس
الجمهورية الإسبانية بمدير يوم 8
يونيو من طرف وفد ترأسه السيد محمد
الطيب بوهلال³.

فشكلت هذه الخطوة، قفزة كبيرة في
الحركة السياسية بشمال المغرب،

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ...، م. س،
ج. 2، ص. 20.

² - تطرقنا لتفاصيل رفع هذه العريضة في الفصل الأول من
الباب الثاني لهذه الأطروحة

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق سرية ...، م. س، صص. 65-
66.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ودخولها إلى مرحلة جد مرموقة في
تاريخ المغرب المحمي، الذي بدأ يخطط
لنفسه طريقا جديدا، وفق الظروف
والمستجدات الداخلية والدولية¹،
وبذلك كانت وثيقة مطالب الأمة
المغربية لفاتح ماي 1931 أول عريضة
سياسية شمولية، تتقدم بها الحركة
الوطنية المغربية. إذ إن العرائض
السابقة كانت تتطرق إلى مشكل بعينه،
أما عريضة فاتح ماي 1931، فكانت
عريضة سياسية تتناول مطالب دستورية
وهيكلية²، تكفل تحقيق الخطوات الأولى
عن طريق النهوض والتطور، وتضمن لها
الاعتراف بذاتيتها كجزء من المغرب،
وحصر عمل الحماية في نطاقها
ومفهومها الحقيقي³.

¹ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح الوطني....، م. س، ص. 26.
² - العربي المساري، محمد، "حقيقة النظام الجمهوري
...."، م. س، 15 يونيو 1981، ص. 12.
³ - ابن عزوز، حكيم، أب الحركة الوطنية....، م. س، ص. ج.
2. ص. 250.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

2. الهيئات التنظيمية للحركة السياسية المغرب الأولى بشمال

شكلت الإرهاصات الأولى للحركة
السياسية التي قامت بها النخبة
المثقفة بشمال المغرب، لبنة أساسية
للنهضة السياسية، التي سيقودها
الرغيل الأول للشباب الوطني بشمال
المغرب خلال ثلاثينيات القرن العشرين،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ولذلك ستشكل سنة 1931، كتاريخ ذي
دلالة في حياة الحركة الوطنية بشمال
المغرب، حيث سينتقل العمل السياسي
من مرحلة المبادرة الفردية إلى
مرحلة التنظيم الجماعي، كغاية
لتوحيد الكلمة، والقضاء على التفرقة
التي برزت بشكل جد كبير خلال مرحلة
انتخابهم للوفد الذي حمل المطالب
إلى رئيس الجمهورية الإسبانية، هذا
إلى جانب رغبتهم في إثبات وجود
حركتهم بصفة علانية، في منظمة سياسية
تعمل في واضح النهار.

وهكذا بمجرد انتهاء وفد مطالب
الأمة من مهمته، ورجوعه إلى أرض
الوطن بتاريخ 17 يونيو، "حتى خرجت
مدينة تطوان عن بكرة أبيها ...
لاستقبال أعضاء الوفد المغربي الذي
عاد من مدريد"¹، واستغلت الهيئة
الوطنية الأولى هذا الحدث، لتنظيم
حفلة بتاريخ 19 يونيو على شرف
استقبال أعضاء الوفد بدار عبد السلام
الحاج²، وحضر في هذه الحفلة أزيد من
400 شخص من جميع أنحاء المنطقة،

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ... م. م. س،
ج. 2، ص. 469.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية ... م. م. س،
ج. 1، ص. 19.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وكان من بين الحاضرين كذلك المقيم
العام المؤقت **مونكتيسينوس Montesinos**،
وافتح السيد أحمد غيلان
هذه الحفلة بقراءة الرسالة التي
وجهها رئيس الجمهورية الإسبانية، إلى
أعضاء الوفد والتي جاء فيها: "باسم
الحكومة التي رأسها يطيب لي جدا أن
أعبر لكم بهذه المناسبة عن إرادتنا
الأكيدة والثابتة من أجل العمل على
ما يعود بالنفع العام لصالح المنطقة
وسكانها... كونوا واثقين من أن هذا
هو العمل الذي ستقوم به الدولة
الحامية بتلك المنطقة السعيدة مع
الاحترام اللازم لمؤسساتها الدينية
وتقاليدها الإسلامية"¹.

وخطب كذلك في هذا الحفل كل من
محمد داود رئيس لجنة الاستقبال، وعبد
الخالق الطريس الذي كان قد عاد من
القاهرة، في اليوم نفسه الذي وصل
فيه وفد مطالب الأمة، ودعا في خطابه،
الحاضرين إلى عدم التفرقة بقوله:
"بارك الله فيكم شبابا وشيба وحفظكم
لأمتنا نعم اليد ونعم السند وأبقاكم
الله على التضامن والتآزر حتى نضرب

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 2، ص. 463.

للأمم الأخرى خير مثال في الوحدة
... وإني أحذركم جميعا من التفرقة
وخطرها وأزيدكم على هذا التحذير أن
أساس التفرقة وسببها هو الغرض
الشخصي من المصلحة الذاتية فكل نفس
وسوس لها الشيطان فعملت لذاتها كانت
خطرا على الأمة وعلى النهضة، ...
اجتمعنا اليوم أيها السادة لنكرم
رجال وفدنا المحترم الذين قاموا
بالمأمورية خير قيام ولقد كان في
استقبال الأمة لهم أقوى دليل على أن
الوطنين الأعزاء يحملون لرجالهم كل
التقدير وإجلال. وهذا ما أراه واجبا
على كل فرد من أفراد أمتنا لأنهم لم
يفعلوا ما فعلوه إلا في سبيل بلادهم
المحبوبة وقد سمعتم الرسالة التي
حملوها ورأيتم أنها تفتح لنا باب
الأمل على مصراعيه وتبشرنا بمستقبل
زاهر لحركتنا الميمونة. إن حركتنا
اليوم طبيعية تماما ومن العار أن
يبقى مغربنا الأقصى بعيدا عن الحضارة
العالمية والمدينة الحديثة فقد
انتهى زمن السيادة وأتى عصر الأخوة
والصداقة، والإنسانية لا يمكن أن
تخطوا إلى أفقها الأعلى إن لم يتشبع
القائمون بها بروح العدل والمساواة
وأراني مستبشرا بأننا سنأخذ حظنا من

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

العدل الإنساني بفضل الجهود التي نبذلها"¹.

هيئة وفد مطالب الأمة

ولتوحيد صفوف الوطنيين بشكل عملي،
انعقد اجتماع في ليلة نفس اليوم (19
يونيو) الذي نظم به حفل استقبال
الوفد، ببيت عبد الخالق الطريس،
لوضع أسس حركتهم، فوقع الاتفاق على
تأسيس هيئة سياسية أطلق عليها اسم
"هيئة وفد مطالب الأمة"²، تتكلف
بالعلاقات مع الحكومة الإسبانية
والمقيم العام لوبيث فيرير³، وتكون
بجانبها لجنة سميت "باللجنة الفرعية
لتحقيق المطالب"⁴، التي كُلفت
بالاتصالات مع الجمهور وجمع
التوقيعات وتنظيم المظاهرات وتوزيع
الجرائد والمناشير⁵.

وتألفت هيئة وفد مطالب الأمة من
محمد بن الطيب بوهلال رئيسا وأحمد

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس....، ج. 1، م. س، ص. 20.

² - نفسه، ص. 9-10.

³ - REZETTE, Robert, **les Partis Politique ...**, Op. Cit, p. 85.

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية, م. س،
ج. 3، ص. 9-10.

⁵ - REZETTE, Robert, **les Partis Politique ...**, Op. Cit, p. 85.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

غيلان نائبا، والحاج عبد السلام بنونة
مستشارا، وأحمد عبد الكريم اللبادي
وعبد السلام الحجاج عضوين، أما
اللجنة الفرعية لتحقيق المطالب
فتألفت من الفقيه محمد الصفار
رئيسا، والتهامي الوزاني نائبا، أما
الأعضاء فهم محمد المصطفى أفيال،
ومحمد بوهلال، ومحمد باغوز، ومحمد
داود، وعبد الكريم الدليرو، ومحمد
الدليرو، والحسن ابن عبد الوهاب،
ومحمد طنانة¹. ورغم أن فضل تنظيم
هيئة وفد مطالب الأمة واللجنة
التابعة لها، يرجع لعبد الخالق
الطريس²، فإنه لم يَنْضَم إليهما،
لكونه كان عازما على السفر إلى
فرنسا من أجل متابعة دراسته بها³.

وكانت المرة الأولى التي ظهرت فيها
هيئة وفد مطالب الأمة، عندما أقدم
المقيم العام لوبيث فيرير على تعيين
ابن عبو الذي كان يحمل الجنسية
الإسبانية، كصدر أعظم جديد للحكومة

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، صص. 10-11.

² - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية
.... م. س، ص. 126.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، ص. 13.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الخليفية بعد وفاة ابن عزو ز¹ ،
فاعتبر المغاربة هذا التعيين إهانة
واحتقارا لهم² ، خاصة وأن هذه الخطوة
لم يتجراً على القيام بها لا الملكية
ولا الديكتاتورية ، في حين يتم ذلك من
طرف اسبانيا الليبرالية
والدستورية³ ، فكان رد فعل أهالي
تطوان تنظيم مظاهرة سلمية ، احتجاجا
على ذلك التعيين ، بحجة أن أهم منصب
في الحكومة الخليفة لا يكمن أن
يشغله شخص يحمل جنسية أجنبية⁴ . وشارك
في هذه المظاهرة نحو 3000 شخص
اكتسحوا ساحة اسبانيا بتطوان (ساحة
الفدان)⁵ . وبذلك اصطدم المقيم العام
لوبيث فيرير في بداية عهده بمعارضة
قوية من طرف الوطنيين⁶ ، الذين هددوه
بتنظيم مظاهرة أكثر عنفا إذا دخل
ابن عبو إلى تطوان⁷ . وأمام هذا
الضغط ، اضطر المقيم العام إلى

¹ - وولف، جون، م. س، ص. 167.

² - Tomas Gracia Figueras, **Marucos**, Ediciones FE, P. 250.

³ - مرتين، ميكل، م. س، ص. 94.

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، **أب الحركة الوطنية** ،...، م. س،
ج. 3، ص. 19.

⁵ - REZETTE, Robert, **les Partis Politique** ... , Op. Cit, p.86.

⁶ - العربي المساري، محمد، **حقيقة النظام الجمهوري**...، م. س،
28 ماي 1931. ص. 5.

⁷ - Tomas Gracia Figueras, Op. Cit P. 250.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

العدول عن رأيه والتخلي عن ترشيح
ابن عبو لهذا المنصب¹، وتعيين أحمد
الغنيمة، يوم 10 يوليوز 1931، الذي
كان يتمتع بشخصية مسالمة².

ولتظفر هيئة وفد مطالب الأمة
بالشرعية، نظم أعضاؤها بتاريخ 5
يوليوز 1931 حفلة شاي على شرف
المقيم العام **لوبيث فيرير**، الذي حل
بتطوان يوم 20 يونيو، فكانت الغاية
من هذا الحفل ظاهريا هي الترحيب
بالمقيم الجديد، لكن الهدف الحقيقي
الذي كان يسعى إليه الوطنيون هو
الحصول على صبغة المشروعية لهيئتهم،
وذلك ما أكده الكولونيل الكباش الذي
كتب في مذكراته: **'تبين لي من كلام
المقيم العام أنه مسرور بهذه
الالتفاتة... وكان بودي أن أقول له:
يا سعادة المقيم إنك لا تعرف المورو
حق المعرفة وسوف تتأكد عن قريب
مرارة الشاي الذي سيكرمونك به حق
المعرفة... خلفا لما كان يتصوره
السيد لوبيث فيرير فإن الغاية من
تنظيم الحفلة هو إضفاء صبغة
المشروعية على الهيئة الوطنية التي**

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، ص. 22.

² - وولف، جون، م. س، ص. 167.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تم تأسيسها يوم 19 من الشهر الماضي،
بدليل أن الجميع يعلم أن الهيئة
المذكورة هي التي أقامت بتكريم
المقيم العام¹.

وسعى كذلك أعضاء هذا الوفد من حفل
الترحيب بالمقيم العام لويث فريير
إلى تذكيره بأنه قد حان الوقت لإخراج
المطالب التي سبق تقديمها لرئيس
الجمهورية إلى حيز التطبيق²، وذلك
ما عبر عنه عبد الخالق الطريس بشكل
صريح في الكلمة التي ألقاها في هذه
الحفلة، والتي جاء فيها: 'بلسان
أهالي تطوان أشكر سعادة المقيم
مشاركته لنا في هذه الحفلة...
وليكن واثقا أننا سنساعده بكل قوانا
في هذا السبيل ولقد قدمنا البرهان
على هذه المساعدة وهي تلك المطالب
التي أجمع الشعب المشمول بحماية
اسبانيا على تقديمها لرجال الحكومة
الموقرة، ونحن مع تسجيل أسفنا لعدم
الشروع في تنفيذها نقدر للحكومة
المؤقتة عذرها ونرجو أن يظهر في
المستقبل عند استقرار الحال ما يدل
على أن الجمهورية الحرة تقدر رفيع

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، صص. 48-49.

² - وولف، جون، م. س، ص. 167.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المبادئ وتحترم للوعود التي يرجع الوفاء بها على الأمة بالخير والرفاهية¹.

ورغم هذا التذكير بالمطالب فإن
المقيم العام **لويث فيرير**، سيدلي
بتصريحات صحفية، يوم 31 يوليو نفي
فيها وجود أي حركة وطنية بمنطقة
الحماية الإسبانية، وأن الوفد الذي
ذهب إلى مدريد لم يحمل معه أية
عريضة تتضمن مطالب سياسية²، وأن
الزيارة كانت فقط من أجل تهنئة
الشعب الإسباني بتغير نظام حكمه³.
وجاءت هذه التصريحات نتيجة الضغط
الممارس على الحكومة الإسبانية من
طرف الفرنسيين، الذين كانوا متخوفين
من منح إسبانيا لشمال المغرب استقلالاً
داخلياً⁴.

ورداً على هذه التصريحات أصدر عبد
الخالق الطريس بلاغا بتاريخ 3 غشت
يفند فيه مزاعم المقيم العام ويذكره

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، ص. 49-50.

² - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة م. س،
ص. 127.

³ - ولف، جون، م. س، ص. 167.

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، ص. 77.

فيه بالحجج القاطعة بتقديم العريضة¹،
إذ يقول: '... إذا كان الراغبون في
الانسحاب لم يتركوا حيلة للتأثير بها
فإن الراغبين في البقاء أو بمعنى
أصح المغالين في هذه الرغبة ارتكبوا
خطئا عظيما وهو استهزائهم بعواطف
الجمهور استهزاء تخشى نتيجته ولم
يدعوهم له سوى شهوتهم الخاصة. فهل
هناك من ينكر أن الوفد الذي ذهب إلى
لاسبانيا لم يرحل للتهنئة فقط بل
ليقدم للحكومة أمانيا كثيرا ما
اشتتهتها الأنفس وتغنت بها الألسنة هذا
شيء الذي قامت الشواهد من كل حجم
على إثباته تحاول هذه الطائفة اليوم
إنكاره ولقد وجدت من الصحف التي
تصدر في المنطقة مساعدا على هذا
النكران، وآخر من أنكره صحيفة غرباء
تصدر باللغة العربية في تطوان ولقد
هاج لأقوالها القوم ولولا حكمة القادة
لحدث ما لم يحمد عقباه وإذا كانت كل
هذه الجرائد كلها قد بنت أقولها على
تصريح رسمي صدر في تلغراف الريف
فإننا نثبت على الرغم من كل ما
يخالف ذلك التصريح وتحت يدنا
الشواهد القاطعة على دعوانا. فالوفد
ذهب ليقدم مطالب موقع عليها

¹ - وولف، جون، م. س، ص. 167.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ثمانمائة عين من أعيان المنطقة واجب
من رئيس الحكومة لرئيس الوزارة
الاسبانية السينور الكلا ثمورة وصورة
الخطاب الذي قدمه للوفد جوابا على
الخطاب الأول وليس بعد ذلك لأحد أن
ينكر ما أنكر إلا من كان من الذين
ينكرون الشمس في كبد السماء¹.

وقاوم أعضاء هيئة وفد مطالب الأمة
واللجنة الفرعية لتحقيق المطالب
إجحاف المقيم العام لوبيث فريير،
بإصرارهم وإلحاحهم على الإدارة
الاسبانية بتعجيل تنفيذ المطالب
وخاصة مطلب تنظيم انتخابات بلدية
حرة بجميع مدن المنطقة، الذي تمت
الموافقة عليه قبل تقديم مطالب الأمة
لرئيس الحكومة الإسبانية، بإصدار
ظهير خليف بتاريخ 6 ماي 1931، حيث
اجتمع أعضاء هيئة وفد المطالب
بتاريخ 7 يوليو، ببيت عبد الخالق
الطريس، وتم الاتفاق على تكليف هذا
الأخير بأمر "المفاوضات مع المقيم
العام بخصوص الانتخابات البلدية
الحرة"².

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، ص. 89.

² - نفسه، ص. 53.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ودخل عبد الخالق الطريس في
محاادثات مع المقيم العام من أجل
متابعة تنفيذ المطالب الواردة في
العريضة¹ ، ودفعه للتعجيل بإجراء
الانتخابات البلدية ، ولم يتمكن من
إقناعه بذلك إلا بعد خمسة لقاءات
متتابعة جرت أيام 8 و 10 و 13 و 15
يوليو حيث كتب الطريس في يومياته
بتاريخ 17 يوليو: ' 'قبلت اليوم
المقيم العام للمرة الأخيرة وتذاكرت
معه في قضية الانتخابات البلدية وبعد
مناقشة طويلة وحادة حصلت على موافقة
على أن تجري تلك الانتخابات في شهر
سبتمبر المقبل'².

اعتبرت الحركة الوطنية إعطاء الحق
في تأسيس المجالس البلدية بطريق
الانتخاب الحر المباشر فوزا كبيرا
للجهد الذي بذلته لاستخلاص ذلك الحق³.
وبعد عدة اتصالات أجراها الوطنيون مع
ممثلي سكان حومات تطوان تألفت يوم 7
غشت "اللجنة الوطنية المكلفة
بالإشراف على الانتخابات البلدية

1- العربي، المساري، 'حقيقة العهد الجمهوري...''، م. س،
ص. 5.

2- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ..، م. س،
ج. 4، ص. 58.

3- ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ..، م. س،
ج. 3، ص. 82.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الحرية"، من عبد الخالق الطريس
رئيسا، ومحمد داود نائبه ومحمد
المصطفى أفيلال كاتباً، والتهامي
الوزاني عضواً¹. وفي يوم 17 شتنبر تم
الإعلان عن لوائح المرشحين للانتخابات
البلدية الحرة في جميع مدن ومراكز
المنطقة².

وجرت الانتخابات البلدية يوم 24
غشت بجميع مدن الشمال كما أراد لها
الوطنيون³، فكان "يوماً مشهوداً لم
يتقدم له نظير في تاريخ تطوان، حيث
ترى الكبار والصغار وجميع الطبقات
تزدحم لوضع ورقة انتخابها والدعاة
يوزعون أوراق الترشيحات والحرب
قائمة والأحزاب تنتظر النتيجة على
أحر من الجمر"⁴.

وبعد فرز النتائج، حازت اللوائح
التي قدمتها النخبة الوطنية على
الأغلبية العظمى وأصبح تسيير المدن
من طرف المجالس البلدية المنتخبة،
ولم تعد حكراً على الارستقراطية كما

¹ - نفسه، صص. 92-93.

² - داود، حسناء، على رأس الثمانين...، م. س، ص. 158؛ ابن
عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية...، م. س، ج. 3،
ص. 121.

³ - برادة، عبد الرحيم، اسبانيا...، م. س، ج. 2، ص. 250.

⁴ - داود، حسناء، على رأس الثمنين، م. س، ص. 153.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كان الأمر في السابق¹ . واحتفل
الوطنيون كثيرا خلال شهر أبريل
بانتصارهم في الانتخابات، مما أزعج
إدارة الحماية التي بدأت تُحضر لأخذ
الثأر² ، فصار المقيم العام **لويث
فيرير**، الذي تقبل هذه النتيجة على
مضض، يتربص ويتصيد الأخطاء التي يمكن
أن تسقط فيها المجالس من أجل حلها،
لأنها لم تكن في صالح المستوطنين
الإسبان المتشبهين بالامتيازات
الاستعمارية³ . لكن رغم كل ذلك فإن
الانتخابات البلدية شكلت فرصة مهمة
للوطنيين لتأكيد النزعة الوطنية،
واتصالهم بالجماهير لبث الوعي
الوطني، وكما أن تجربة التسيير
الوطني للمجالس البلدية نبهت
المغاربة إلى مصالحهم الحقيقية⁴ .

وعندما ألف **مانويل أثنيا Manuel
Azaña** الحكومة الجديدة بتاريخ 15
دجنبر 1931، وجهت له هيئة وفد مطالب
الأمة برقية تذكره فيها بمطالب الأمة
المغربية، جاء فيها: "بمناسبة تأليف
الحكومة الجديدة تحت رئاستكم، تتشرف

¹ - برادة، عبد الرحيم، اسبانيا.... م. س، ج. 2، ص. 250.

² - ولف، جون، م. س، ص. 168.

³ - برادة، عبد الرحيم، اسبانيا.... م. س، ج. 2، صص. 250-
251.

⁴ - نفسه، ص. 251.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الهيئة ووفد المطالب بتذكيركم
بالمطالب المقدمة إلى الحكومة
السابقة في شهر ماي الفارط". كما تم
توجيه برقية أخرى مماثلة لرئيس
البرلمان الإسباني¹.

غير أن التفرقة والاختلاف الذي أصبح
عليه أعضاء هيئة وفد المطالب الأمة
واللجنة الفرعية لتحقيق المطالب،
جعل أعمالهما الوطنية والسياسية
تفتر وتقل بشكل نهائي، وذلك ما
أكدته البطاقات الاستخبارية المؤرخة
ب 31 دجنبر التي جاء فيها: "إن
الهيئة الوطنية التي كانت تقوم في
الأشهر الماضية بنشاط كبير، لم تعد
تقوم الآن بأي عمل يستحق الذكر وكأن
الأمر الوحيد الذي كان يههما هو
الانتخابات البلدية حيث إنه ما أحرزت
العناصر الوطنية على أغلبية المقاعد
في المجالس البلدية يبدو وكأنها
اعتبرت مهمتها انتهت. هذا باستثناء
بنونة (الحاج عبد السلام) الذي يقوم
بنشاطه المعتاد"².

الهيئة الوطنية بشمال المغرب

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، ص. 187.

² - نفسه، ص. 152.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وننتج هذا الفتور بسبب عدم وجود
زعيم وطني متوافق حوله، قادر على
توحيد صفوف وكلمة الوطنيين، وخاصة
بعدهما سافر عبد الخالق الطريس إلى
باريس لمتابعة دراسته، وذلك ما أكدته
الحاج عبد السلام بنونة بقوله: 'إن
الناطقة عبد الخالق الطريس ترك هنا
فراغا كبيرا واليوم تؤكد لك أن عدم
وجوده بيننا يحول دون تحقيق عدة
مشاريع نحن بأشد الحاجة إليها
لنهضتنا'¹.

وبالفعل فإنه بمجرد عودة عبد
الخالق الطريس إلى تطوان، بشكل
نهائي، بتاريخ 6 مارس 1932، حتى
استأنف نشاطه الثقافي والسياسي،
 واجتمع بالوطنيين بشمال المغرب في
الشهر نفسه، واقترح عليهم حلا لتجاوز
مشكلة عدم التزام بعض أعضاء هيئة
وفد مطالب الأمة بالأعمال الوطنية،
وذلك بتكوين هيئة تتكون من عناصر
ملتزمة، وبجانبها هيئة أخرى تضم
عناصر غير ملتزمة. وذلك فقط لمدة
محدودة ولظرفية ناتجة عن ضرورة
إعطاء الهيئة الجديدة صبغة
الاستمرارية في المطالبة بتنفيذ

¹ - نفسه، ص. 152.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مطالب الأمة، إذ يقول الطريس: "أنني
أخالف رأي الذين يرفضون التعاون مع
من ليسوا ملتزمين بمبادئ حركتنا
الوطنية حيث إنني لا أرى مانعا في
التعاون معهم مادامنا في حاجة إليهم
لتحقيق المطالب التي كانوا قد
شاركوا في تقديم عريضتها ولكن على
شرط ألا يحضروا معنا في الاجتماعات
الخاصة بشؤون الحركة والتي لا يمكن
أن يشارك فيها سوى الملتزم الذي أدي
يمين الإخلاص لتلك المبادئ"¹.

وبناء على اقتراح عبد الخالق
الطريس، تأسست "الهيئة الوطنية
بشمال المغرب" بتاريخ فاتح أبريل،
والتي تكونت من جماعة سرية، كانت
تضم الأعضاء الملتزمين في الحركة
الوطنية²، وأخرى علنية تجمع بين
الملتزمين وغير الملتزمين الذين لم
يكن يتم إطلاعهم على القرارات
المتخذة في الجلسات السرية³.

وتألفت الجماعة السرية من السادة
الحاج عبد السلام بنونة ومحمد داود
ومحمد أفيال ومحمد باغوز والحسن بن

¹ - نفسه، ص. 152.

² - وولف، جون، م. س، ص. 169.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، ص. 400.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

عبد الواهب والحاج محمد بنونة ومحمد
طنانة¹، وانضم إليهم محمد الطنجي
بعد رجوعه من القاهرة في 20 دجنبر
1932². أما الجامعة العلنية فتضم
الأعيان الذين يمكن أن يكون موقعهم
الاعتباري نافعا في بعض الظروف،
وخاصة عندما يتعلق الأمر بتقديم
وثيقة المطالب، أو في المراسيم
حينما يحتاج لهم للقيام بالخطوات
الرسمية الضرورية³، وكانت تتكون من
السادة محمد الصفار رئيس (ملتزم)،
أحمد غيلان نائبه (ملتزم)، والتهامي
الوزاني كاتب (ملتزم)، والأعضاء هناك
محمد بوهلال (غير ملتزم)، عبد السلام
حجاج (غير ملتزم)، أحمد ابن عبد
الكريم اللبادي (غير ملتزم) وعبد
الخالق الطريس مستشارا (ملتزم)⁴.

وتشكل في اليوم نفسه إلى جانب هذه
الهيئة، "لجنة مطالب الأمة"، والتي
تكونت من الفقيه محمد الصفار رئيسا،
وأحمد غيلان نائبا، وعبد الخالق
الطريس مستشارا، والتهامي الوزاني

¹ - نفسه، ج. 1، ص. 21.
² - نفسه، ج. 3، ص. 399.
³ - وولف، جون، م. س، ص. 169.
⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،
ج. 3، ص. 399.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ومحمد بوهلال وعبد السلام حجاج وأحمد
بن عبد الكريم اللبادي أعضاء¹.

وكان أول عمل قامت "الهيئة
الوطنية بشمال المغرب"، باسم لجنة
المطالب الأمة بعد تأسيسها بأسبوعين،
هو رفع ثلاث برقيات² بتاريخ 14
أبريل، واحدة إلى رئاسة الجمهورية
الإسبانية والثانية لرئاسة الحكومة،
والثالثة لرئاسة البرلمان الإسباني،
تذكرهم بوثيقة المطالب، هذا بالإضافة
إلى رفع مذكرة³ في الموضوع إلى
المقيم العام الإسباني⁴.

وعلى إثر هذه البرقيات وجهت
مديرية المغرب والمستعمرات بمدير
إلى المقيم العام الإسباني بتطوان
لويث فريز رسالة مستعجلة بتاريخ 18
أبريل، تدعوه فيها للتفاوض "مع
اللجنة المهمة بقضية عريضة مطالب
... ويحدد معها بكل دقة المطالب

¹- نفسه، ص. 404.

²- للإطلاع على نصوص هذه البرقيات يمكن الرجوع إلى: ابن
عزوز حكيم، محمد، أب الحركة المغربية م. س، ج. 3،
صص. 412-413.

³- للإطلاع على نص هذه المذكرة يمكن الرجوع إلى: ابن عزوز
حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س، ج. 3، صص.
412-413.

⁴- ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية.... م. س،
ج. 1، ص. 21.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

التي يمكن قبولها والكيفية التي
يمكن أن يتم بها تطبيقها"¹. وبناء
على هذه الرسالة بعث الكاتب الخاص
للمقيم العام الإسباني بتاريخ 20
أبريل لعبد الخالق الطريس يخبره
باستعداده للتفاوض مع اللجنة
"المكلفة بقضية المطالب حول كيفية
تطبيق المطالب"، كما طالب منه
إخباره "بأسماء أعضاء الوفد الذين
سيتذاكر معهم"².

وبتاريخ 23 أبريل اجتمع أعضاء
الهيئة الوطنية بشمال المغرب، وتم
تأليف الوفد الذي سيتولى مهمة
التفاوض مع المقيم العام حول
المطالب، وبعث الطريس في اليوم نفسه
رسالة جوابية لكاتب المقيم العام
قال له فيها: "جوبا على رسالتكم
الموقرة ليوم 20 الماضي أتشرف
بإخباركم أن الوفد الذي عينته
الهيئة الوطنية للتفاوض مع صاحب
السعادة في قضية المطالب يتألف من
السادة: محمد الصفار ومحمد بن الطيب
بوهلال وأحمد غيلان والتهامي الوزاني
وعبد السلام حجاج وأحمد عبد الكريم

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. س،

ج. 4، ص. 10.

² - نفسه، ص. 11.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**اللبادي وعبد الخالق الطريس. هذا
ونحن تحت إشارة سعادة المقيم العام
للمثول بالإقامة العامة في الوقت
الذي يحدده لنا"¹.**

ومرت المفاوضات عبر ثلاث جلسات،
جرت الأولى بتاريخ 25 أبريل 1932
والثانية يوم 27 منه، بينما جرت
الثالثة والأخيرة بتاريخ 5 ماي،
تدارس خلالها الطرفان كيفية تنفيذ
المطالب المقدمة يوم فاتح ماي
1931²، وبعد انتهاء المفاوضات، أبرم
الطرفان اتفاقية وقعها الفقيه محمد
الصفار ممثلاً عن الجانب المغربي،
والمقيم العام ممثلاً لإسبانيا³.

لكن رغم ذلك فإن إدارة الحماية
الإسبانية لم تلتزم بالاتفاقية
الموقعة، لكونها لم تقم بتنفيذ
المطالب التي وردت فيها على أرض
الواقع، بل الأكثر من ذلك تراجعت حتى
حق الانتخابات الحرة للمجالس البلدية
الذي كان قد تم تنفيذه بتاريخ 24
غشت 1931، حيث سيلجأ المقيم العام
لوبيث فريير لحل المجلس البلدي

¹ - نفسه، ص. 12.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية....، م. س،
ج. 1، ص. 22.

³ - وولوف، جون، م. س، ص. 170.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بتطوان يوم 13 أكتوبر 1932، بعد أن
كان قد حل في الشهور السابقة كل
مجالس المدن الشمالية الأخرى، بدعوى
عدم توفر هذه المجالس على محاضر
جلستها، وسوء تسير ميزانيتها¹. الأمر
الذي جعل الطريس ينظم مظاهرة شارك
فيها شرفاء وعلماء وأعيان تطوان
احتجاجاً ضد حل المجلس البلدي
المنتخب والمطالبة بإجراء انتخابات
بلدية حرة في أقرب الأجل، وكانت هذه
المظاهرة هي سبب إعفاء لويث فريير من
منصب المقيم العام².

وشكلت كذلك ذكرى 16 ماي مناسبة،
للاحتجاج ضد السياسة الاستعمارية
الفرنسية، حيث نظمت الهيئة الوطنية
بشمال المغرب، بهذه المناسبة سنة
1932، مهرجاناً خطابياً ضد ظهير 16
ماي، كما تقرر اتخاذ هذا التاريخ
يوم **"حداد وطني"** بالمنطقة الخليفية،
هذا علاوة على رفع برقيات احتجاج إلى
كل من عصبة الأمم ورئيس الجمهورية
الفرنسية ووزير خارجيته، والمقيم
العام الفرنسي بالرباط³. كما تم رفع

¹ - نفسه، ص. 168.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية....، م. س،

ج. 1، ص. 23.

³ - نفسه، ص. 22.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

برقيات مماثلة من طرف فرع الهيئة
الوطنية بالقصر الكبير الذي تم
تأسيسه بتاريخ فاتح ماي 1932، والذي
رغم عدم حصوله على ترخيص السلطات
المحلية، أقدم على تنظيم مظاهرة
سلمية بالمدينة، مما عرض رئيس هذا
الفرع الغالي الطود للاعتقال¹.

ورغم محاولة السلطات الاستعمارية
الاسبانية منع الذكرى الثالثة لهذا
الظهير سنة 1933، فإن أعضاء الهيئة
الوطنية، اعتبروا "أنه لا حق لإدارة
الحماية في أن تتدخل في مسألة تتعلق
بدينهم وعقيدتهم، لأن التظاهرة التي
سيقومون بها ... هي من قبيل الاحتجاج
ضد الاعتداء على الإسلام من طرف
الاستعمار الفرنسي"². واستغلت الهيئة
في هذه المناسبة لتوزيع نداء "إلى
الشعب المغرب الكريم"، الذي طبع
بالقاهرة، كما أكد ذلك الحاج عبد
السلام بنونة في رسالة بعثها لولده
الطيب والتي جاء فيها: "ما يطبع
بشأن 16 ماي وجهوه كمطبوعات مع
البريد إلى هنا باسمنا فقط حتى لا

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية م. م. س،
ج. 3، ص. 436.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية ج. 4،
م. م. س، ص. 284.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**نؤذي أحدا ونحن عرفونا على هذه
الصفة، فليفعلوا ما أرادوا"¹.**

ومن الأنشطة السياسية الوازنة التي
قامت بها الهيئة الوطنية بشمال
المغرب سنة 1933، استغلالها لمناسبة
المولد النبوي الشريف، لتنظيم
مظاهرة شعبية بمدينة تطوان، وتجديد
مطالب الأمة لفاتح ماي، وإضافة مطالب
أخرى جديدة²، تم تقديمها على شكل
مذكرة إلى المقيم العام الإسباني،
وفد مؤلف عبد الخالق الطريس وأحمد
غلان ومحمد داود والحاج عيد السلام
بنونة³. ومن أهم المطالب الإضافية
التي وردت في هذه المذكرة نجد: "1-
إلغاء الظهير البربري؛ 2- وحماية
جميع سكان المنطقة... ضد إقطاعية
بعض رجال السلطة؛ 3- حرية الصحافة
والاجتماع والتعبير وتأسيس جمعيات
نقابية...؛ 4- تعميم التعليم
الابتدائي مع إحداث معاهد للتعليم
الثانوي وتكوين المعلم المغربي...؛
5- إصلاح النظام الضريبي...؛ 6-
الاستقلال التام للعدالة الشرعية

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 3، ص. 486.

² - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة...، م. س، ص. 130.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 25.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ولمؤسسة الحبوس عن مراقبة
إسبانية...؛ 7- الفصل بين السلطة
القضائية والسلطة التنفيذية...؛ 8-
قبول المغاربة في جميع الوظائف
الإدارية بالمنطقة دون تفرقة...؛ 9-
تجديد الصناعة التقليدية في جميع
فروعها لحمايتها من الزوال...؛ 11-
حماية العامل المغربي ضد استغلاله من
طرف المشغلين... 11- مساعدة الفلاح
المغربي... 12- مجانية المساعدة
الطبية والصيدلية... 13- إحداث
مراكز خيرية اجتماعية... 14 ضرورة
محاربة سياسية... تفضيل اليهود
على حساب مصالح المسلمين"¹.

وتم تقديم كل هذه المطالب،
بالإضافة إلى مطالب وثيقة الأمة
المغربية لفاتح ماي، لرئيس
الجمهورية الإسبانية "ألكلامورا
Alcalá-Zamora، يوم فاتح نونبر
1933، أثناء زيارته لمدينة تطوان،
وتنظيم الهيئة الوطنية على شرفه
حفلة استقبال شعبية بالغرسة
الكبيرة، وعن تفاصيل ذلك يقول الحاج
عبد السلام بنونة في رسالة لولده

¹- ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات زعيم الوحدة، م. س، ج.
2، صص. 192 - 193 - 194.

الطيب بتاريخ 3 نونبر 1933: "يوم 31
أكتوبر قدم رئيس جمهورية الإسبان
لهذه الديار ... وعشية أمس أمس قدم
له أهالي تطوان عموما مسلمين ويهود
أتاي شرف الزيارة بالغرسة الكبيرة
وهناك دفعوا له هدية لطيفة من
المصنوعات الوطنية ثم تقدمت لجنة
مؤلفة من السيد أحمد غيلان والطريس
وداود وطنانة والوزاني وحجاج وكاتب
هذه الحروف (الحاج عبد السلام بنونة)
وباغوز ودفعنا بيد المقيم العام
ليمكن ذلك للرئيس الذي كان بجيبه
نسخة المطالب المعلومة من كتاب
بشأنها وفي ظرف آخر كتاب ونسخة
ثانية للمقيم: فقبل ذلك بارتياح
وأجاب أنه هو المحامي الذي يدافع
عنا ... وختاما ارتجل الأخ الطريس
خطابا رحب فيه برئيس الجمهورية وقدم
له الأتي باسم تطوان وأجابه الرئيس
بجمل لطيفة ... قبل قدوم الرئيس كان
مراد الباشا والقونصل أن يمنعونا من
دفع نسخة المطالب فتوجهنا إلى
القنصل أنا وغيلان وكانت بيني وبينه
محاورة طويلة وبلهجة شديدة كان آخر
كلام سمعه مني أن قلت له أننا سنرفع
للرئيس نسخة مطالبنا سواء شئتم ذلك
أم لم تشاؤوا وبعد سفره افعلا ما

تريدون فإننا في استطاعتنا أن ندافع
على أنفسنا بطرق سيادتكم تجهلونها
حتى الآن: عند ذلك قام وقال يجب أن
تذهبوا الآن إلى سعادة المقيم فإنه
ينتظركم ويحنا ودعنها ذهبنا إلى
الإقامة العامة بعد أن أخذنا معنا
الطريس والوزاني اللذان كان
ينتظرانا بالفدان، وبمجرد وصولنا
إلى الإقامة العامة أمر المقيم
بدخولنا وقبلنا بنقيض ما قبلنا به
القونصل ومع المقيم توافقنا على ما
فعلنا"¹.

ومن بين الأنشطة السياسية للهيئة
الوطنية بشمال المغرب، استغلالها
مناسبة احتفال الجنوب المغربي لأول
مرة بعيد العرش بتاريخ 18 نونبر
1933، فقام أعضاؤها، برفع التهاني
مشفوعة بالولاء والإخلاص للسلطان محمد
الخامس، جاء فيها: "الهيئة الوطنية
بشمال مملكتكم تتشرف برفع تهانيها
إلى سدتكم العلية بعيد جلوسكم على
العرش العلوي المجيد وترجوا لجلالتكم

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، م. س، ج. 3، ص. 507.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ولسمو ولي عهدكم الأمير المحبوب مولاي
الحسن طول العمر وكامل السعادة"¹.

وردّ عن هذه البرقية، الصدر الأعظم
محمد المقرري بتاريخ 22 نونبر والتي
جاء فيها: "جوابا على برقيتكم التي
عبرتم فيها عن متمنياتكم للجلالة
الشريفة بمناسبة عيد عرشها فإن
سيدنا نصره الله كلفني بأن أشكركم على
مشاعركم الصادقة"².

وفي سياق التعريف بالقضية
المغربية بالخارج ألقى الحاج عبد
السلام بنونة محاضرة بعنوان "إسبانيا
والمغرب" أمام الرأي العام الإسباني
يوم 16 أكتوبر "بدار الشعب"، والتي
شرح فيها "السياسة الاسبانية في
المنطقة شرحا مستفيضا"، والتي قال
فيها: "إن المغربي سلمي وعامل
ويعترف بالجميل بكل ما في هذه
الكلمة من معاني ولكنه من أجل شعوره
بكرامته الإنسانية واستقلاله يقبل
الموت بسهولة متى ظلم أو وضع تحت

¹- ابن عزوز حكيم، محمد، "عيد العرش في عاصمة المنطقة
الخليفية"، مجلة الوثائق الوطنية، ع. 1، مارس 1988، ص.
45.

²- ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات زعيم الوحدة، م. س، ج. 2،
ص. 301.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

نظام جائر في وطنه الخاص¹ ، وقال
بنونة عن هذه المحاضرة في الرسالة
التي بعثها لولده الطيب في يوم
إلقائها: "صبيحة يومه أُلقيت محاضرة
في بيت الشعب Casa del Pueblo حضرها
جم غفير من النواب بالبرلمان وكان
التصفيق حادا في نهاية المحاضرة
وامتلاأ علي المسرح بالمهنيين
والصحفيين وقدم البعض الذين لم
يحضروا إلى المنزل ليهنئوني، وعلى
كل حال هذه أول محاضرة أُلقيت من
مسلم بإسبانيا الجمهورية بعد خروج
المسلمين من شبه الجزيرة الايبيرية.
وأما موضوع المحاضرة فقد كان في
النقط التالية: أسباب انحطاط
المغرب-موجب تدخل الأجانب في المغرب-
عقد الجزيرة الخضراء- أسباب
الحماية- معاهدة سنة 1912- كيف نفهم
الحماية- المغرب بعد الحماية- حالة
المغربي ونبذة عن أخلاقه خلقه- صلة
العرب بالاسبان- مستقبل المغرب ووجوب
انتهاء الحماية- مستقبل الجمهورية
الإسبانية مع العالم العربي والإسلامي

"².

¹ - علال الفاسي، حماية اسبانيا، م. س، ص. 58.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الحركة الوطنية، م. س،
ج. 4، ص. 129

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

هيئة العمل الوطني بشمال المغرب

وفي نهاية سنة 1933، قرر الوطنيون بشمال المغرب، إعادة تنظيم الهيئة الوطنية بشمال المغرب، وتوسيع نطاقها، وهو ما أكده عبد الخالق الطريس في مذكرته بتاريخ 16 فبراير التي كتب فيها: "اجتمعنا اليوم بالدار مع جميع الإخوان العاملين في الهيئة الوطنية بكل من تطوان والقصر الكبير والعرائش وأصيلا وشفشاون واتفقنا على إعادة تنظيم الهيئة وتوسيع نطاقها وقد اخترنا لها اسم هيئة العمل الوطني بشمال المغرب، وقد اتفقنا على أن يتم الاجتماع التأسيس يوم 20 من هذا الشهر"¹.

وبتاريخ 20 فبراير 1933، عقد الاجتماع التأسيس للهيئة الجديدة التي اتخذت اسم "هيئة العمل الوطني بشمال المغرب"، والتي تكون مكتبها التنفيذي من عبد الخالق الطريس رئيسا، والتهامي الوزاني كاتباً، وعبد السلام بن جلون أميناً، والمكي الناصري مستشاراً²، بالإضافة إلى 24

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات زعيم الوحدة، م. س، ج. 2، ص. 293.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، ص. 28.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

عضوا¹. وكان كل واحد منهم يحمل اسما
مستعارا².

وتزامن تأسيس هذه الهيئة مع تعيين
المقيم العام الجديد **ريكو أبيو**
Rico Avello بتاريخ 23 يناير 1934،
ولذلك قرر أعضاؤها، في جلستها
التاسعة المنعقدة بتاريخ 25 يناير،
إيفاد "وفد لمدير لرفع الظلم
للحكومة الجمهورية"³، وتكون هذا
الوفد من الحاج عبد السلام بنونة،
وعبد الخالق الطريس، اللذين سافرا
إلى إسبانيا بتاريخ 28 يناير، وقاما
باتصالات مكثفة⁴ مع رجال الحكومة
الإسبانية، وقادة الأحزاب السياسية
ورجال الصحافة والأعمال، كما تم
تسليم مذكرة إلى رئيس الحكومة عن

¹ - وهم: أحمد غيلان، الحاج عبد السلام بنونة، محمد الصفار،
محمد طنانة، محمد داود، محمد باغوز، محمد المصمودي،
محمد أعميار، عبد السلام الطنجي، عبد السلام بن عبد
الوهاب، محمد بن اللبار، محمد الطنجي، محمد بن عبود،
الحاج امحمد بنونة، الحسن الحراق، الحسين بن عبد
الوهاب، عبد الله البقالي، محمد أفيلال، أحمد أزرقان،
الحسين بن عبد الوهاب، أحمد أعميار، عبد الكريم داود،
محمد الخطيب، محمد الفاسي، أنظر: ابن عزوز حكيم، محمد،
يوميات زعيم الوحدة، م. س، ج. 2، ص. 298

² - ابن عزوز حكيم، محمد، **وثائق الحركة الوطنية...**، م. س،
ج. 1، ص. 28.

³ - نفسه، ص. 132.

⁴ - للإطلاع على تفاصيل هذه الاتصالات يرجى الرجوع إلى: ابن
عزوز حكيم، محمد، **من مذكرات الزعيم**، مطبعة الساحل،
الرباط، 1982، ج. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الحالة بالمنطقة ، ووجوب نهج سياسة
جديدة¹.

وعن الوعود التي حصل عليها وفد
هيئة العمل الوطني بشمال المغرب من
خلال رحلتهم إلى مدريد، يقول الحاج
عبد السلام بنونة لولده الطيب في
رسالة مؤرخة ب 8 فبراير 1934: "يظهر
أننا سنحول مجرى السياسة بتطوان إلى
طريق ترضي الأهالي في الجملة حيث
تقرر في الميزانية التي يجري بها
العمل ابتداء من أبريل المقبل
بسيطات 650 ألف لبناء مدارس لأهالي
كما تقرر نظام مدرسة ابتدائية
وثانوية بتطوان وتقرر إيجاد مدير
للمعارف مسلم ومدير للأشغال العمومية
أيضا وبعض تحويل في إدارة الوزارة
وكذلك في الشؤون الاقتصادية ووعده
مؤكد بإصلاح نظام البلدية وإعطاء حق
الانتخاب للأهالي فقط أما غيرهم
بالتسمية إلخ إلخ الحاصل كان جلوسنا
هنا الآن مفيدا جدا. يومه بحول الله
وقوته سنتوجه ليلا وغدا إن شاء الله نصل
تطوان مع سلامة. أما المقيم العام
الجديد منويل الريكو أبيليو فسوف

¹ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية
....، م. س، ص. 131.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يخرج من مدريد غدا ليصل لتطوان عشية
يوم السبت وسيبدل الكاتب العام
والنائب السياسي كما بدل أيضا مدير
لأشغال العمومية وربما يبدل القنصل
المراقب"¹.

ورغبة من المقيم العام ريكو أبييو
في احتواء الرموز الوطنية، عن طريق
جرهم وراء سراب من الآمال، شهد شمال
المغرب في عهده نوعا من الانفراج
السياسي. خاصة وأن الوطنيين كانوا
يطمحون لاستغلال فرصة وجود الجمهورية
في الحكم بإسبانيا لتحقيق مطالبهم²،
ولذلك بمجرد وصول ريكو أبييو إلى
مدينة تطوان بتاريخ 10 فبراير، حتى
سلمت له هيئة العمل الوطني يوم 28
منه، نسخة من مذكرة المطالب موقعة
من طرف محمد الصفار وأحمد غيلان
والتهامي الوزاني والحاج عيد السلام
بنونة، وعبد الخالق الطريس ومحمد
الطيب بوهلال وعبد السلام حجاج³.

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج. 3، م. م. س، ص. 529.

² - بويقران، محمد، المغرب والجمهورية الثانية في إسبانيا
1931-1936، منشورات المندوبية السامية لقدماء
المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة
والنشر، 2013، ص. 220.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية...، م. م. س،
ج. 1، ص. 30.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وكانت من بين النتائج المباشرة
لسياسية الانفراج التي عرفتھا
المنطقة، ترخيص إدارة الحماية
الإسبانية، لعبد الخالق الطريس
بتأسيس جريدة "الحياة" التي صدر
عددھا الأول بتاريخ فاتح مارس 1934،
وأصبحت لسان حال هيئة العمل الوطني
بشمال المغرب، حيث كانت كل المواد
التي تصدر بها، تعرض في جلسات
الهيئة قبل نشرھا¹.

كما قامت هيئة العمل الوطني بشمال
المغرب في عهد **ريكو أبييو** بالعديد
من الأنشطة السياسية، كان من أبرزھا،
إحياء سنة 1934 الذكرى الثانية
والعشرين لفرض الحماية، وقررت
اعتبار يوم 30 مارس من كل سنة يوم
حداد وطني، كما نظمت هذه الهيئة
الذكرى الرابعة لظهير 16 ماي، بباب
المقابر، حضر فيها وفود من جميع مدن
ونواحي المنطقة، وألقى الطريس خطابا
في هذه المناسبة، أكد فيه اعتبار
فرنسا العدو رقم واحد للمغرب
والمغاربة. وبناء على ذلك أنشأت
الهيئة لجنتين: الأولى باسم "لجنة

¹ - أنظر محاضر هيئة العمل الوطني، المنشورة، ب: ابن عزوز
حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية....، ج. 1، م. س،
صص. 119-257.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

**مقاومة فرنسا¹ ، والثانية تحت اسم
"لجنة مقاطعة فرنسا"² ، وقامت الأخيرة
بالترويج لحملة مقاطعة منتوجات
فرنسا داخل وخارج المغرب³.**

ووعيا من أعضاء هيئة العمل الوطني
بالوضعية الاستعمارية التي كان عليها
المغرب، وتجزئه لعدة مناطق، نجدها
تقرر في جلستها الواحدة والخمسين
التي انعقدت يوم 27 أكتوبر 1934⁴ ،
بضرورة **"الاحتفال بعيد العرش
المغربي، والمطالبة بتطبيقه في ...
المنطقة رمزا للوحدة المغربية
المقدسة"**⁵.

ولتحقيق هذا المراد، تم تأسيس
"لجنة الاحتفال بعيد العرش"⁶ ، كما
قام رئيس هيئة العمل الوطني عبد
الخالق الطريس بتاريخ 30 أكتوبر

¹- تألفت من: عبد الخالق الطريس، والحاج عبد السلام
بنونة، والتهامي الوزاني وعبد السلام بنجلون ومحمد
أفيلال.

²- تألفت من: الحاج عبد السلام بنونة، ومحمد بن اللبار
ومحمد بن عبود، وأحمد أعميار وعبد السلام بن عبد الوهاب.

³-جون، ولف، م. س، ص. 177؛ ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق
الحركة الوطنية...، م. س، ج. 1، صص. 31-32.

⁴- ابن عزوز حكيم، محمد، "عيد العرش..."، م. س، ص. 48.

⁵- عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية...، م. س، ج.
1، ص. 200.

⁶- تأسست بتاريخ 28 أكتوبر، وكانت تتكون من السادة: عبد
الخالق الطريس والتهامي الوزاني وعبد السلام بنجلون
ومحمد داود ومحمد أفيلال والحسين بن عبد الوهاب.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

برفع ملتمس إلى الصدر الأعظم في
الحكومة الخلفية، يطلب فيه من
ال خليفة أن يصدر ظهيرا لتطبيق عيد
العرش بشمال المغرب، وإنشاء عيد
جلوس الخليفة السلطاني¹.

وهكذا نظمت هيئة العمل الوطني يوم
18 نونبر سنة 1934 عيد العرش، لأول
مرة بشمال المغرب، تحت شعار "يوم
المغرب الموحد"، وجرت الحفلة بدار
عبد السلام الحاج بحومة الجامع
الكبير، وبالمناسبة تم رفع برقيتين
للتهانى إلى السلطان محمد الخامس،
واحدة باسم هيئة العمل الوطني،
والثانية باسم جمعية الطالب
المغربي². وأصدرت جريدة الحياة
بهذه المناسبة عددا خاصا، افتتحه
عبد السلام بنجلون بمقال جاء فيه:
"اليوم يوم الأحد، ويوم ملكنا الأحد،
ويوم المغرب الموحد، اليوم يوم
العرش المغربي ويوم الشعب المغربي
ويوم الراية المغرب ويوم الأمة
المغربية. اليوم تسخر الأمة المغربية
بكل تفرقة...، وتهزأ بكل حد من
حدود الجغرافية المصطلح على وضعه،

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، "عيد العرش..."، م. س، صص. 49-50.

² - نفسه، صص. 49-50.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

وتنادي بصوت جهوري تردد صداه جنبات
المغرب من أقصاه إلى أقصاه ان عاشت
الوحدة المغربية وعاش ممثلها في
الجنوب صاحب الجلالة، وممثلها في
الشمال صحاب السمو ... والشعب
المغربي من ورائهما مؤمن شيخه
وكهله، شبابه وطفله، نساؤه ورجاله،
فإن هذا القطر المغربي كالجوهر
الفرد لا يقبل التجزئة طولا ولا
عرضا" ¹.

كما أنه عندما قدمت كتلة العمل
الوطني بالجنوب "مطالب الشعب
المغربي"، بتاريخ فاتح دجنبر 1934،
رفع الطريس باسم هيئة العمل الوطني
بشمال المغرب بتاريخ 9 دجنبر مذكرة
السلطان محمد الخامس يعلن فيها
التأييد المطلق لساكنة شمال المغرب
لمطالب الشعب المغربي، كما تم رفع
مذكرة أخرى بتاريخ 22 من نفس الشهر
إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي ².

وإذا كانت هيئة العمل الوطني
بشمال المغرب، ارتقت بالعمل السياسي

¹ - ابن جلون، عبد السلام، يوم المغرب الموحد، جريدة
الحياة، ع. 36، عدد خاص بعيد العرش، 18 نونبر 1934، ص.
1.

² - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية
...، م. س، ص. 137.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

بشكل كبير في منطقة الحماية
الإسبانية، إلا أنها ستفقد أحد أبرز
أعضائها، ورائد النهضة الوطنية
بشمال المغرب، أب الوطنية المغربية
الحاج عبد السلام بنونة، الذي وافته
المنية بمدينة الرونده الإسبانية
بتاريخ 9 يناير 1935، فقررت هيئة
العمل الوطني في جلستها الخامسة
والستين المنعقدة بتاريخ 26 يناير
"تعيين لجنة...لتقوم...بتخليد
ذكرى الفقيه وتجمع لذلك الاكتابات
من سائر بلاد المغرب لتقام بذلك
الحفلة التأبينية الكبرى وتوضع
رخامة منقوشة بحياته المجيدة على
قبره وتهيأ صورة زيتية توع في مكان
مهم عام يكون للشعب به علاقة...
ويطبع كتابا يتضمن نبذة من تاريخ
الفقيه مع صور مواقفه الجليلة، ونشر
ما قيل فيه في الصحف وما ألقى يوم
الحفلة"¹. وبتاريخ فاتح مارس تم
تنظيم حفلة التأبين الكبرى بالمسرح
الوطني حضرها وفود من مختلف المدن
المغربية².

¹ - عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية...، م. س، ج.

1، صص. 220-221.

² - نفسه، ص. 36.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

لكن إذا كانت الحركة الوطنية
بشمال المغرب فقدت رائدها الحاج عبد
السلام بنونة، فإنه خلف بعده برنامجا
مسطرا وخطة عمل منسجمة، وحزبا وشيك
التأسيس، وجيلا متعطشا للعمل الوطني،
تحت قيادة خلفه عبد الخالق الطريس،
الذي كان آنذاك يشغل منصب مدير عام
للأحباس الإسلامية، والذي استقال منه
بتاريخ 2 شتنبر 1935، بعدما أقدمت
السلطات الاستعمارية على حجز ممتلكات
جريدة الحياة وسحب ضمانتها، بعدما
عجزت عن أداء الغرامات المتوالية
التي فرضت عليها. فتوترت على إثر
ذلك علاقة الحركة الوطنية بشمال
المغرب مع الإدارة الاستعمارية
الإسبانية¹، التي كانت تماطل
الوطنيين وتراجع عن وعودها، الأمر
الذي جعل هيئة العمل الوطني تحرر
مذكرة حول سياسة المقيم العام **ريكو**
أبيو، والتي رفعها عد الخالق
الطريس إلى الحكومة الإسبانية في
نونبر 1935. واغتتم الطريس وجوده
بمدريد، فأدلى بالعديد من التصريحات
لصحف الاسبانية، نبه فيها للمشاكل
التي تواجهها المنطقة الخاضعة

¹ - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية
...، م. س، ص. 139

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

للمحماية الإسبانية، وأعرب عن رغبة
المغاربة في التعاون مع الإسبان على
قدم المساواة، عن طريق التسيير
الذاتي للمنطقة، كلبنة أولى من أجل
تحقيق الاستقلال الكلي لجميع التراب
المغربي¹، كما ألقى الطريس بتاريخ
25 نونبر بنادي "الاتينتو Atenteo"،
محاضرة حول القضية المغربية².

كتلة العمل الوطني في شمال المغرب

وبعد رجوع الطريس من مدريد، قام
بإعادة هيكلة هيئة العمل الوطني،
وتغيير اسمها، إلى "كتلة العمل
الوطني في شمال المغرب"³، ابتداء من
فاتح فبراير، والتي تألف مكتبها من
عبد الخالق الطريس رئيسا والتهامي
الوزاني وكيلا، ومحمد داود مفتشا
خارجيا، ومحمد طنانة مفتشا داخليا،
وعبد السلام بن جلون كاتب عام،
وعبد السلام تمسماني مساعده، والحاج
امحمد بنونة أمينا، ومحمد أفيللا

¹ - وولف، جان، م. س، ص. 187.

² - الوزاني، التهامي، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية
.... م. س، ص. 140

³ - وولف، جان، م. س، ص. 188.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

محاسبا، أما الأعضاء فهم: الطيب
بنونة، أحمد غيلان ومحمد الطنجي
الحسن بن عبد الوهاب ومحمد بناني¹.
وكان الهدف من هذا التغيير هو إعطاء
دفعة قوية لعملهم الوطني وكفاحهم ضد
الاستعمار، كمرحلة في طريق الارتقاء
بذلك التنظيم إلى مستوى الحزب، لما
استبشروه خيرا في الجبهة الشعبية،
التي استلمت السلطة في إسبانيا في
شهر فبراير 1936².

وبمجرد تأسيس كتلة العمل الوطني،
سافر الطريس إلى مدريد لتقديم مذكرة
جديدة بتاريخ 29 فبراير 1936 لرئيس
الحكومة الإسبانية الجديد "أزانيا
AZANIA"، عن حالة منطقة الحماية
الإسبانية بالمغرب، والتي جاء فيها:
"يتم تجاهل الحقوق المقدسة للشعب
المغربي، فهو لا يمثل عند الحكومة إلا
قطيعا من البشر لا رأي له، وتحكمه عن
طريق القوة... لقد أخذت إسبانيا
على عاتقها... التزاما يقضي بأخذها
بيد الشعب المغربي نحو استقلاله، إلا

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية...، م. س،
ج. 1، ص. 39.

² - بوبكر، بوهادي، "كتلة العمل الوطني بشمال المغرب"، ج. 1،
المجلد 2، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش
التحرير، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين
وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2005، ص. 289.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

أن تصرفات السلطات الإسبانية في هذا
البلد تناقض مناقضة تامة هذا
الالتزام ... فلا يعترف لهيئة العمل
الوطني بحق الوجود، ولا بحق القيام
بدعايتها. ولا يوجد إثر لأبسط عناصر
الحريات العامة ... والحق في
التعبير مجهول وتزيد التشريعات
بالصحافة في تضيق مجال الحريات"¹.

غير أن الآمال التي عقدتها الكتلة
على حكومة الجبهة الشعبية سرعان ما
تبخرت عندما فوجئ الوطنيون بتعيين
خوان مولس Jun Moles مقيما عاما
للمرة الثانية، ولذلك عندما انطلقت
الحركة العسكرية بقيادة فرانكو من
شمال المغرب، وأطاحت بالنظام
الجمهوري، لم يتردد الوطنيون في
التفاوض معهم من أجل تحقيق مطالبهم
التي طالما ناضلوا من أجلها، فحصلوا
خلال الحرب الأهلية الإسبانية على
مجموعة من التنازلات، من أبرزها تمكن
التهامي الوزاني من إصدار جريدة
الريف في غشت 1936، وتنظيم مؤتمر
جمعية الطلبة المسلمين بشمال
إفريقيا في شتنبر 1936 بمدينة

¹ - وولف، جان، م. س، ص. 188.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تطوا ن¹ ، تحت رئاسة الخليفة
السلطاني، وبحضور جميع الوزراء
وأكابر موظفي الحماية الاسبانية².

ويبقى أهم مكسب حصل عليه الوطنيون
خلال الحرب الأهلية الإسبانية ، هو
السماح لهم بتأسيس حزب الإصلاح
الوطني، يوم 18 دجنبر 1936، الذي
قام محل كتلة العمل الوطني بشمال
المغرب، وأصبح منذ ذلك الوقت الهيئة
الوطنية التي استأثرت بالنصيب الأوفر
من نشاط الوطنيين بشمال المغرب³ .
إذن فما هي ظروف وحيثيات تأسيس هذا
الحزب؟

¹ - بوبكر، بوهادي، "كتلة العمل الوطني ..."، م. م. س، ص. 291.

² - عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية...، م. م. س، ج. 1، ص. 41.

³ - بوبكر، بوهادي، "كتلة العمل الوطني ..."، م. م. س، ص. 291.

المبحث الثاني: النضج السياسي والتنظيمي للحركة الوطنية بشمال المغرب

1. ظروف وحيثيات تأسيس حزب الإصلاح الوطني

شكلت فكرة تأسيس حزب سياسي وطني،
هاجسا قويا للرعييل الأول للحركة
الوطنية بشمال المغرب، منذ سنة
1930. وهو ما تؤكدته رسالة عبد
الخالق الطريس -الذي كان ما يزال
طالباً بالقاهرة- للطبيب بنونة بتاريخ
7 مارس 1930، والتي قال له فيها:
"كيف سنستطيع نشر أفكارنا في
التعليم والتوعية والإهداء والإرشاد
من غير أدوات النشر والدعاية مثل
المجلات والصحف والندوات والمحاضرات

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وهل في استطاعتنا إيجاد هذه الوسائل
في بلادنا ... متى سيعلم الناس قيمة
التعلم والثقافة، فيمدون يد
المساعدة، ويقبلون على إدخال أولادهم
بما ينشأ من المدارس الوطنية الحرة،
وعلى إنشاء صحيفة، وتأسيس جمعية
وطنية، تكون نواة لحزب سياسي يضم
جميع العناصر الحية في وطننا"¹.

وستزداد هذه الفكرة نضجا بعد رجوع
العديد من أفراد البعثات التعليمية
إلى مدينة تطوان، وهم يحملون معهم
زادا فكريا ومعرفيا جديدا، ووعيا
سياسيا كبيرا، سيؤهلهم للقيام
بالعديد من المبادرات الثقافية
والسياسية، التي ستنضج إلى مستوى
التفكير في تأسيس حزب سياسي منذ سنة
1932، حيث نجد عبد الطريس يستغل
لقاءه مع أحد البرلمانيين الإسبان
ليعرض عليه فكرة تأسيس الحزب بشمال
المغرب، وهو ما أشار إليه في
مذكراته بتاريخ 23 مارس 1932 بقوله:
"تناول معي طعام العشاء أمس
البرلماني الكاثوليكي خيل روبليس
وتذكرنا على أمور كثيرة، خصوصا منها

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، أب الوطنية المغربية ...، م. س،
ج. 3، ص. 319.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ما يهم حركتنا ... ولم يفتني أن
أعرض عليه الفكرة التي تراودني في
إنشاء حزب وطني على غرار الأحزاب
الأقليمية الإسبانية التي لا تمانع في
تأسيسها حكومة الجمهورية، وأظن أنه
كان صادقاً عندما قال لي بأنه سوف
يدافع عن الفكرة لأنه لا يرى فيها إلا
الخير للشعبين معا"¹.

وقام الطريس في نفس السنة بوضع
قانون أساسي لهذا الحزب، حيث كتب في
مذكراته بتاريخ 11 نونبر 1932
بقوله: "انتهيت من وضع مشروع
القانون لحزب الإصلاح وينقسم إلى ثلاثة
أقسام: الأول خاص باسم الحزب ومبادئه
وغاياته، والثاني خاص بإرادة الحزب،
والثالث يتعلق بالجمعية العمومية.
ويتكون في مجمله من 41 فصلاً"².

وأجمل الطريس غايات هذا الحزب في
مجموعة من النقط من أبرزها: "1-
تأسيس مجلس تشريعي ...؛ 2- فصل
السلطات مع تحديد اختصاصات السلطات
المغربية واختصاصات السلطات

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، الحاج عبد السلام بنونة...، م.
س، ج. 3، ص. 332.؛ وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الأستاذ عبد الخالق الطريس، م. س، ص. 29.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، م. س، ص. 48.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الإسبانية ...؛ 3- تنظيم القضاء
وإستقلاله ...؛ 4- وضع قانون عام
تسير عليه المحاكم العدلية ...؛ 5-
وضع نظام عام للإدارة المغربية ...؛
وضع نظام عام للمحاكم المخزنية ...؛
وضع نظام عام للبلديات ...؛ كفالة
حرية الاجتماع والرأي والصحافة
والنشر؛ إعادة النظر في تشكيل
الحكومة الخليفية"¹.

ولتنزيل فكرة تأسيس الحزب على أرض
الواقع اجتمعت الهيئة الوطنية بشمال
المغرب، بتاريخ 2 يناير 1933، وتم
الاتفاق "على تأليف هيئة وطنية يعهد
إليها أمر تحضير نظام أساسي لحزب
سياسي يتم الإعلان عنه طبقا لبرنامج
محدد تقوم بوضعه الهيئة المذكورة"².
وعن أمر هذا الاجتماع قال امحمد
بنونة لولد أخيه الطيب في رسالة
بعثها له بتاريخ 6 يناير جاء فيها:
"كنا نفكر ولا نزال نفكر في إنشاء
حزب سياسي أو جمعية سياسية علنية
وعندئذ يتسنى لنا إصدار جريدة أو

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات ...، م. س، ص. 17.

² - نفسه، ص. 13.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مجلة، ولكن هذا لم يتم بعد، قلت لك
إن قومك غير متفقين"¹.

ونتيجة عدم الوصول إلى قرار موحد
في الاجتماع المذكور، عقدت الهيئة
الوطنية اجتماعاً ثانياً بتاريخ 8
يناير "لدراسة مسألة تأليف هيئة خاصة
بوضع نظام الحزب الوطني"²، والذي
على أثره تأسست "الهيئة التحضيرية
لنظام حزب الإصلاح"، التي عقدت
اجتماعها الأول بتاريخ 16 يناير 1933
ببيت الحاج عبد السلام بنونة، بحضور
عشرة أعضاء هم المكي الناصري، وأحمد
غيلان والحاج عبد السلام بنونة، ومحمد
طنانة، ومحمد داود، والتهامي
الوزاني، ومحمد الطنجي، الحاج امحمد
بنونة، ومحمد أفيلال وعبد الخالق
الطريس. وتم الاتفاق على "تأسيس
الحزب العلني الذي يسمى «حزب
الإصلاح»"³، وهو ما أثبتته محمد داود
في مذكرته بتاريخ 16 يناير والتي
جاء فيها: "ليلته (أسسنا حزب الإصلاح
السياسي والاجتماعي)، وأعضاؤه عشرة

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد
بنونة، م. س، ج. 2، ص. 186.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، يوميات ...، م. س، ص. 13.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة ...، م. س، ص. 73.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أشخاص وقد شرعنا في وضع مبادئ الحزب"¹.

كما تقرر في هذا الاجتماع إفراز
مكتب لهذه الهيئة، لتسيير الجلسات
وكتابة محاضرها، فانتخب محمد الصفار
للرئاسة رغم عدم حضوره معهم
باعتباره الأكبر سناً، وأحمد غيلان
نائباً عنه، وعبد الخالق الطريس
كاتباً².

وتزامن تأسيس الهيئة التحضيرية
لنظام حزب الإصلاح الوطني، مع تعيين
خوان موليس خلفاً للمقيم العام
السابق لوبيث فريير، مما جعل
الوطنيين يعقدون عليه آمالاً كبيرة في
تأسيس هذا الحزب، ولذلك نجد بنونة
يقول لولده الطيب بتاريخ 16 يناير:
"ربما يأتي المقيم العام الجديد
خوان موليس في الأسبوع المقبل ولم
يسبق له أن عرف المغرب قبل، ويقال
أنه جمهوري حقا حر الفكر، وأنه كان
من المؤسسين للحزب الراديكالي
سسياليسست بقطلونية إلخ إلخ فسوف-
نرى³ ماذا يكون عمله مع حزب الإصلاح

¹ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 160.

² - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة م. س، ص. 78.

³ - في الأصل كتبت هكذا: نرا.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المغربي..؟"¹. كما قال له في رسالة
أخرى بتاريخ 1 فبراير: "وعلى كل حال
لقد زاد اهتمامنا بقضايانا الوطنية
وزاد عدد الذين يرغبون في التضحية
وعما قريب يكون لنا حزب الإصلاح
ونعلمكم بمبادئه وغاياته، ولزم أن لا
تذكروا هذا لأحد"².

وتوالت بعد ذلك جلسات الهيئة
التحضيرية لنظام حزب الإصلاح الوطني،
من أجل وضع قانون أساسي للحزب
وتحديد أهدافه وغاياته، التي تم
استنباط بعضها من قوانين الحزب
الاسباني الراديكالي الاشتراكي³، كما
طلب بنونة من الأمير شبيب إرسال
إمداده ببعض الآراء، فأجابه هذا
الأخير يوم 3 فبراير بقوله: "أنتم
تذكرون لي تأسيس حزب الإصلاح وتطلبون
مني إمدادكم بآرائي.... ليس لي رأي
عليكم سوى رأي واحد والباقي كله
تابع: جمع ما أمكن من المال
بالتبرعات وبكل وسيلة وتعويد الناس
أن يخصصوا 5 بالمائة على الأقل من كل
دخلهم لأجل القضية العامة، فإن تم

¹- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد
السلام بنونة، ج. 2، ص. 428

²- نفسه.

³- ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة....، م. س، ص. 94.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

معكم هذا وصار صندوق حزبكم ملآن قام
الجميل"¹. كما كتب الطريس في مذكراته
يوم 19 فبراير: "كتب لي الأخ بوعياد
(حسن) من ليزان يوم 9 يقترح علي بعض
غايات الحزب الوطني الذي نعمل على
تأسيسه وتتفق بعض اقتراحاته مع ما
قررتة الهيئة التحضيرية لنظام الحزب
المذكور"².

وبعد إحدى عشرة جلسة عقدتها
الهيئة التحضيرية لنظام حزب الإصلاح
الوطني³ ، تم الاتفاق في الجلسة
الأخيرة ، التي جرت يوم 11 فبراير
1933 ، على مجموعة من المبادئ
الأساسية ، تم إجمالها في الغايات
التالية :

1. "تأسيس مجلس تشريعي منتخب
انتخابا حرا عاما مباشرا للرعايا
المغاربة يكون من أهم أعماله وضع
دستور لنظام الحكم في المنطقة ؛
2. تعميم المجالس البلدية في سائر
نواحي المنطقة تكون منتخبة
انتخابا حرا ومستقلة عن نفوذ

¹ - بنونة ، الطيب، نضالنا القومي ... ، م . س ، صص. 316-317 .

² - ابن عزوز حكيم ، محمد ، يوميات ... ، م . س ، صص. 59 - 60 .

³ - ابن عزوز حكيم ، محمد ، وثائق الحركة ... ، م . س ، ص. 26 .

السلطة التنفيذية ويمثل فيها
السكان؛

3. تعميم التعليم على اختلاف طبقاته
وجعل التعليم الأولي إجباريا على
أساس اللغة العربية والدين
الإسلامي؛

4. تصيير الحكومة المخزنية حكومة
مسؤولة أمام المجلس التشريعي؛

5. حرية الاجتماع والنشر والصحافة
والرأي إلا في ما فيه طعن على دين
الأمة ونظام الدولة وضمانة التشريع
لهذه الحريات؛

6. تنظيم القضاء في المنطقة
واستقلاله عن السلطة التنفيذية؛

7. جمع قانون عمومي يشمل القضايا
المدنية والجنائية والشخصية
والتجارية يكون مأخوذا من الفقه
الإسلامي؛

8. تأسيس صحافة لخدمة مبادئ الحزب؛

9. مساعدة الفلاح المغربي من الوجهة
المادية والفنية وإمداده
بالمعلومات والأدوات الفلاحية
العصرية التي تأهله لاستثمار أرضه
استثمارا كاملا والدفاع عن ملكيته
الخصوصية وتنظيم حياته القروية
تنظيما صحيا عصريا؛

10. جمع العملة والصناع المغاربة
في نظام عام من النقابات لترقية
صناعاتهم للدفاع عن حقوقهم في
العمل وحماية مصنوعاتهم الأهلية
وكفالة مستقبل عائلاتهم من عوارض
الزمن ؛

11. تنمية التجارة الوطنية
وتنظيمها على أساس عصري وتوجيه
التجار في غرف تجارية تدافع عن
حقوقهم وتكون صلة وصل بينهم وبين
أسواق التجارة الدولية ؛

12. إنشاء مجالس مستقلة انتخابية
محلية من عموم المسلمين في كل
مدينة أو قرية لحماية أوقافهم
وإدارتها إدارة صالحة منظمة
ولرعاية جميع مصالحها الدينية
الخاصة ويراقب هذه المجالس
الحبسية المحلية مجلس إسلامي أعلى
لأوقاف يكون منتخباً من عموم مسلمي
المنطقة ؛

13. قبول المغاربة في كل الوظائف
الإدارية والمخزنية ، بشرط الكفاءة
والمساواة التامة في الأجور مع
أمثالهم من الأجانب ؛

14. مقاومة البغاء واستعمال
الكحول والمخدرات والسعي إلى

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

القاء ؟ عليها في المجتمع المغربي؛ 15. إبادة الاسترقاق من المجتمع المغربي" ¹.

وبعث الحاج عبد السلام بنونة في نفس اليوم (11 فبراير) ، الذي عقدت فيه آخر جلسة للهيئة التحضيرية لنظام حزب الإصلاح الوطني ، رسالة لولده الطيب يقول له فيها : "أشركم إلى حزب الإصلاح إلخ واستغربتم وجود أفيال به فقد توجه لإسبانيا ولم يكن معنا إلا مؤقتا ، أما غيلان فله قيمته ويجب أن ننتفع منها ومنذ مدة ونحن نرى ² منه الإخلاص في العمل للوطن ماديا وأديبا . والقضايا المهمة العامة يجب أن يكون بها أمثاله دخل في اللجنة المؤسسة محمد المصمودي ومحمد باغوز ومحمد عبد السلام بن عبود أخذ الله بيد الجميع" ³.

وكتب بنونة لولده الطيب عن أمر الحزب في رسالة بتاريخ 26 فبراير يقول له فيها : "الحزب لا زال في طور التكوين ويمشي بمهل وتأمل والله الموفق

¹ - ابن عزوز حكيم ، محمد ، يوميات . . . ، م . س ، صص . 53-54 .

² - في الأصل كتبت هكذا : نرا .

³ - وثائق أبو بكر بنونة ، ملف من أعلام تطوان الحاج عبد السلام بنونة ، ج . 2 ، ص . 433 .

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ولا نظن الحكومة تعارض المطالبة
بالإصلاح إذا كان ذلك بطرق رشيدة"¹،
كما قال له في رسالة أخرى تاريخ 19
أبريل 1933: "سألت عن الحزب وماذا
تم في أمره. لقد أنهينا مواده الأولى
ولم يبق إلا الأنظمة الداخلية وذلك
تحت يد الأخ الطريس للترجمة ولما كان
له من الأشغال تأخر ذلك في الجملة ولا
ريب أنكم علمتم ما كان من مرض
والدته وموتها"².

وأشار محمد داود في مذكراته أنه
بتاريخ 4 غشت 1933، تم تأسيس الحزب،
وأدى أعضاؤه القسم على مبادئه، حيث
قال: "التأسيس والقسم: في الساعة 7
مساء بدار الحاج عبد السلام (بنونة)
بالجامع الكبير، حضر هو والتهامي
الوزاني ومحمد الطنجي والحاج محمد
(بنونة) والطيب (بنونة)، والحسن
بوعباد، والطريس (عبد الخالق)،
وأحمد غيلان، ومحمد المصمودي، وحلف
الجميع وانتخب غيلان، وداود أمينا،
والطريس كاتبا، وتقرر إضافة طنانة
والصفار"³.

¹ - نفسه، ص. 434.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف محاضر حزب الإصلاح الوطني، ج. 1، ص. 10.

³ - داود، حسناء، على رأس الثمانين، م. س، ص. 161.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

غير أن أول محاولة رسمية لمطالبة
سلطات الحماية الاسبانية بتأسيس حزب
الإصلاح الوطني، كانت في نهاية سنة
1934، عندما عُرضَ على عبد الخالق
الطريس شغل منصب المدير العام
للأحباس في الحكومة الخليفية، حيث
عقدت هيئة العمل الوطني اجتماعا غير
عادي حول الموضوع، وتقرر قبول
الطريس للمنصب المقترح مقابل مجموعة
من الشروط¹، من أهمها ترخيص الحكومة
الإسبانية بتأسيس حزب الإصلاح
الوطني، وعرض الطريس هذا الشرط عند
تقابلته مع المقيم الإسباني ريكو أبيو
بتاريخ 9 شتنبر 1934، وأكدته مرة
ثانية في رسالة بعثها له بتاريخ 25
شتنبر أخبره فيها "موافقة الهيئة
الوطنية على مشاركته في الحكومة
الخليفية مقابل موافقة الحكومة على
تأسيس حزب الإصلاح"².

ونظرا للقبول المبدئي الذي أظهرته
السلطات الاستعمارية لهذا الشرط، تم
تعيين الطريس مديرا عاما للأحباس
الإسلامية بتاريخ 16 أكتوبر، وبعد

¹-BENJELLOUN, Abdelmajid, **Le Mouvement Nationaliste
Marocain dans l'ex-Maroc Khalifien (1930-56)**,

Imprimerie El Maarif Al Jadida, **Rabat**, 2011, p. 84.

²- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، م. س، ص. 87.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

ثلاثة أيام فقط من تعيينه، بعث رسالة
إلى المقيم العام الإسباني، يستفسره
عن مصير الحزب، والتي توصل على
إثراها برسالة جوابية بتاريخ 22
أكتوبر من الكاتب العام الملحق
بالإقامة العامة الإسبانية يطلب منه
فيها تسليمه نسخة من القانون الأساسي
للحزب¹.

وعندما توصل المقيم العام بنسخة
من القانون الأساسي للحزب المزمع
تأسيسه، طلب من الطريس عند مقابله
له يوم 10 دجنبر، أن يبعث بنسخة
مماثلة إلى نائب الأمور الوطنية
الكولونيل **كبات CAPAZ**، وهو ما قام
به الطريس بتاريخ 16 دجنبر².

وبعد إطلاع السلطات الاستعمارية
الإسبانية على القانون الأساسي للحزب،
طلب نائب الأمور الوطنية **كبات**، إدخال
بعض التعديلات عليه، فقبلها أعضاء
هيئة العمل الوطني، وبتاريخ 8 يناير
1935 وجه الطريس رسالة إلى نائب
الأمور الوطنية مرفقة بالنسخة

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف محاضر حزب الإصلاح الوطني،
ج.1، ص. 10.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، م. س، ص. 89.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

المنقحة لقانون الحزب كما اقترح
عليهم¹.

وفي ظل الانفراج الذي كان يعرفه
شمال المغرب في بداية عهد **ريكو
أفييو**، وجه نائب الأمور الوطنية
الكولونيل **كبات** تقريراً إلى المقيم
العام الإسباني بتاريخ 10 يناير جاء
فيه: "أنه لا يرى مانعاً من الترخيص
بتأسيس حزب الإصلاح الوطني، ليس فقط
لكون الحركة الوطنية أمراً واقعاً، بل
لتبرهن الجمهورية الإسبانية على أنها
تعامل الحركة الوطنية في منطقتها
خلافًا لما تقوم به الإقامة الفرنسية
في منطقتها، حيث تبدو مصممة في
القضاء على الحركة الوطنية هناك"².

غير أن تأخر السلطات الإسبانية في
الإفراج عن ترخيص تأسيس حزب الإصلاح
الوطني، اضطر الطريس لاستفسار المقيم
العام يوم 10 غشت عن سبب عدم التزام
الحكومة الإسبانية بما تعهدت به
مقابل مشاركته في الحكومة، كما سلم
له بتاريخ 14 من نفس الشهر نسخة
جديدة من القانون الأساسي لحزب

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف محاضر حزب الإصلاح الوطني، ج. 1، ص. 13.

² - نفسه، ص. 14.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الإصلاح، وبعد ستة أيام توصل الطريس
برسالة من المقيم العام، يشعره بأنه
سيدرس نظام الحزب باهتمام، وعرضه
على الحكومة المركزية عند سفره إلى
مدريد لتقرر بشأنه، وهو ما أكدته
كذلك نائب الأمور الوطنية الكولونيل
كبات في رسالة أخرى بعثها للطريس
يوم 29 غشت أخبره فيها أن المقيم
العام أحال ملف الحزب على الحكومة
المركزية بمدريد، وأن مصيره صار
بيدها¹.

بيد أن هذا الانتظار سينتهي عندما
توصل عبد الخالق الطريس من مستشار
نائب الأمور الوطنية الكولونيل
بيكبيدير برسالة تحمل تاريخ 25
شتنبر 1935، يخبره فيها بأنه ليس
هناك أمل في أن توافق حكومة مدريد
على تأسيس حزب الإصلاح الوطني². لكن
رغم ذلك، استمرت هيئة العمل الوطني،
في تنظيم هياكل الحزب، و"**الشروع في
وضع أنظمة الحزب**"، الداخلية³، ثم
قررت في جلستها الأخيرة (الجلسة 92)
المنعقدة بتاريخ يوم 11 نونبر:

¹ - نفسه.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، م. س، ص. 96.

³ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة م. س، ج. 1،
ص. 253.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

"أولا-قبل... اعتراف الحكومة برسمية
الحزب الوطني المقرر إعلانه، لا يمكن
أن تقبل المشاركة في الحكم ولا لأي
عضو من أعضائها أن يقبل وظيفاً من
الوظائف ما لم يكن ذلك الوظيفة وظيف
تعليم أو فيه تمثيل شعبي أو
احترافي، كالعضوية في مجلس التعليم
والبلديات أو الغرفة التجارية وما
إليها. ثانياً- عندما تقدم المذكرة
ويعترف بالحزب وتكون خطة الهيئة
تعاونية بحيث يمكنها أن تقبل الحكم
إذ عرض عليها جزئياً كان أو كلياً
وشروط التعاون أو المعارة تحدد في
برنامج الحزب"¹.

ولم يمض على هذا القرار إلا شهور
معدودة، حتى قام الجيش الإسباني يوم
17 يوليوز 1936 بانقلاب عسكري ضد
الجمهورية الإسبانية، انطلقت شرارته
من المنطقة الخليفية، وبالضبط من
مدينة مليلية، حيث شكلت تطوان مهذا
للحركة الوطنية الإسبانية، بعدما حل
بها **فرانثيسكو فرنكو** **Francisco**
Franco، زعيم الحركة الانقلابية يوم
19 يوليوز، ونصب نفسه مقيماً عاماً

¹- نفسه، ص. 256.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

لبلاده بالمغرب، ورئيساً أعلى للقوات
الإسبانية المرابطة في شمال المغرب¹.

ونظراً للعلاقات المتينة التي كانت
تربط عبد الخالق الطريس ببعض
الجمهوريين الإسبان، تم وضعه تحت
الإقامة الجبرية ببيته منذ اليوم
الأول للانقلاب، مما خلق نوعاً من الذعر
والخوف لدى الوطنيين المغاربة،
الذين اضطروا للتنكر من أجل عقد
اجتماع سري بدار الطريس، باسم كتلة
العمل الوطني بشمال المغرب يوم 22
يوليوز، والذي قرروا من خلاله اتخاذ
موقف الحياد من الصراع القائم بين
الإسبانيين².

لكن بالرغم من كل ذلك، فإن
السلطات الإسبانية الجديدة، حاولت
مباشرة بعد الانقلاب استقطاب رجال
الحركة الوطنية، حيث استدعى
الكولونيل بيكبيدير محمد داود يوم
24 يوليوز، وعرض عليه المساعدة من
أجل إعادة إصدار جريدته "الأخبار"،

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، "موقف الحركة الوطنية في شمال
المغرب من ثورة الجنرال فرانكو ومن تجنيد المغاربة في
جيشه ومشاركتهم في الحرب الأهلية الإسبانية سنة 1936"،
مجلة الوثائق الوطنية، ع. 5-6، مارس-يونيو 1990، ص. 50.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، م. س، ص. 108.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مقابل تأييد الحركة العسكرية الإسبانية، إلا أن هذا الأخير امتنع عن القيام بهذه المهمة، مما جعل بيكبيدير يطلب منه أن يقترح عليه اسم شخص آخر يقوم بذلك، فاقترح عليه عبد الخالق الطريس، لكن بيكبيدير ما أن سمع اسمه حتى قال له: "إن اسم الطريس أول من يتبادر للذهن لمثل هذا العمل، إلا أنه رجل يميل بعواطفه إلى جانب خصومنا (الجمهوريين) فلا يمكننا أن نطمئن إلى العمل معه" وطلب منه أن يعطيه اسم شخص آخر، فاقترح محمد داود عليه التهامي الوزاني¹.

واستدعى بيكبيدير هذا الأخير في مساء نفس اليوم، وعرض عليه التعاون مع الحركة الوطنية الإسبانية في المنطقة الخلفية مقابل أن توضع تحت تصرفه جميع الوسائل التي يحتاجها، لكن التهامي الوزاني رفض تقديم أي مساعدة دون أن يكون للطريس يد فيها باعتباره زعيم الحركة الوطنية بشمال المغرب، وبعدها فشل بيكبيدير في إقناعه، عرض عليه تأسيس جريدة باللغة العربية بدعم منه، يكون له

¹ - حسناء، داود، على رأس الثمانين، م. س، ص. 193.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

فيها الحرية المطلقة، شريطة أن لا
ينشر بها أي شيء ضد الحركة الوطنية
الإسبانية، فقبل التهامي الوزاني
العرض، بعدما حصل على وعود بأن
"تكون صفحات الجريدة مفتوحة في وجه
الطريس وباقي الزملاء"¹.

وبعدما فشل بيكبيدير في العثور
على وطني مغربي ينافس عبد الخالق
الطريس ليقوم بدور الزعامة في شمال
المغرب بدعم من الحماية الإسبانية،
اضطرت سلطات هذه الأخيرة رفع الإقامة
الجبرية عن عبد الخالق الطريس، الذي
توصل من بيكبيدير برسالة مؤرخة ب 25
يوليوز يخبره فيها بأنه تم رفع
الإقامة الجبرية عنه، كما بعث له في
اليوم الموالي (26 يوليوز) رسالة
أخرى، يدعوه فيها لمقابلته، من أجل
مناقشة مشروع حزب الإصلاح الوطني الذي
سبق أن تقدم بطلب تأسيسه من قبل².

وبتاريخ 27 يوليوز قدم الكولونيل
بيكبيدير لبيت عبد الخالق الطريس
وتناول معه وجبة الغداء، ودارت
بينهما محادثات حول مستقبل الحركة

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، "موقف الحركة الوطنية في شمال
المغرب من ثورة الجنرال فرانكو...."، مجلة الوثائق
الوطنية، ع. 5-6، م. س، ص. 50-51.

² - نفسه، ص. 55.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الوطنية بشمال المغرب، فأفصح
بيكبيدير للطريس بأن "الجنرال
فرانكو... يريد أن ينهج سياسة
مخالفة للسياسة المتبعة... من طرف
النظام الملكي والنظام الجمهوري...
وهي أن يعترف النظام الجديد بوجود
الحركة الوطنية المغربية بصفة
رسمية، ويمنحها كثيرا من الحقوق...
مثل حرية الاجتماع والرأي والنشر
وتأسيس الجمعيات بل وحتى الأحزاب
السياسية، وأن يعمم التعليم
الابتدائي والثانوي، وأن يتم الاعتناء
بالفلاح والصانع والتاجر وأن يمنح
المغاربة حق المشاركة في الإدارة
العمومية، وأن يعطي الاستقلال الذاتي
لبعض المؤسسات الإسلامية مثل العدلية
والأحباس"¹، كما اقترح بيكبيدير على
الطريس أن يتولى وزارة الأحباس،
ويتصرف فيها بكل استقلالية، وأن
يتولى وزارة العدلية وطني آخر².

واعتبر الطريس أن كل هذه الأمور
يمكن أن تكون أرضية للمفاوضات، لكنه
توقف عند عبارة نائب الأمور الوطنية،
التي جاء فيها بأنه سيسمح بتأسيس

¹ - نفسه، ص. 58.

² - نفسه، ص. 59.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

أحزاب سياسية في المنطقة، فعلق على ذلك بقوله: "فهمت من كلامك أنه سيكون بهذه المنطقة عدة أحزاب سياسية، إذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أنكم ستتبعون سياسة التفرقة بخلق أحزاب خيالية لا قاعدة شعبية لها، وأنتم تعلمون أن ما يسمى بالحركة الوطنية في هذه المنطقة لم يكن عندها منذ نشأتها سنة 1930 سوى منظمة واحدة تسيروها لأن الوطنية المغربية هي واحدة وغايتها محدودة وهي إيصال الأمة إلى كامل استقلالها ووحدتها الترابية والقومية وأقول القومية لأنه يمكنكم أن تفكروا في إيجاد أحزاب ذات النزعة القبلية أو العرقية"¹.

كما طلب الطريس من بيكبيدير أن يحدد له المطلوب من الحركة الوطنية بشمال المغرب، مقابل منحهم تلك الحقوق والحريات التي عرضها عليه²، فأجابه بأن كل ما يريده الجنرال فرانكو هو أن تلتزم الحركة الوطنية المغربية "الحياد في النزاع القائم

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، "موقف الحركة الوطنية في شمال المغرب من ثورة الجنرال فرانكو..."، مجلة الوثائق الوطنية، ع. 5-6، م. س، ص. 59.

² - نفسه.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**بين النظام الجديد والنظام
الجمهوري"، وأن يعبروا عن عدم وجود
أي التزام أو صلة تربطهم
بالجمهوريين، ويكون ذلك كتابة، فوعد
الطريس نائب الأمور الوطنية بأنه
سيعمل على إعداد مذكرة يسجل فيها
مؤاخذته على النظام الجمهوري الذي
لم يلتزم بالوعود التي أعطاه
للمغاربة¹.**

وبعد أخذ ورد في النقاش بين
الطرفين، أكد الطريس أن أول شيء
تسعى إليه الحركة الوطنية بشمال
المغرب، هو الإذن لها بتأسيس حزب
الإصلاح الوطني، كما لم يفت الطريس في
هذا اللقاء الذي جمعه مع بيكبيدر
لينبئه لمسألة تجنيد المغاربة
للمشاركة في الحرب الأهلية الإسبانية،
فقال له: "هناك شيء يشغل بالي وهو
مسألة التجنيد الذي تقومون به منذ
أيام والذي يمكن لخصومنا أن
يستغلوها ضدنا بادعائهم بأنها
مرتبطة بقضية الحزب، وبعبارة أخرى
إني أخشى أن يقال عني وعن أخواني
العاملين في الحركة الوطنية أننا
نتفاوض معكم في قضية الحزب مقابل

¹ - نفسه، صص. 59 - 60.

رضانا على التجنيد، والحالة هذه أن
موقفنا من مشاركة المغاربة في الحرب
الأهلية الإسبانية لا غبار عليه لأن
الشريعة الإسلامية لا تبيح للمسلم أن
يحارب تحت راية دولة أجنبية ويموت
في سبيل غاية غير إسلامية"¹.

وأشار الطريس في مذكراته لهذا
اللقاء بقوله: "تم اليوم الاتصال
الأول بيني وبين بيكبيدير منذ قيام
الثورة ... وخلال ما يقرب من
الساعتين تذكرنا طويلا في شون مختلفة
تتعلق بالنشاط الوطني، وذلك رغبة
منه أن أحدثه بصراحة تامة عما أريده
في الوقت الراهن من الحركة الوطنية
الإسبانية، حيث أنه صرح لي مرارا أنه
لم يكن يرغب في هذه المقابلة إلا
بأمر تلقاه من الجنرال فرانكو نفسه
الذي يريد مني أن أستأنف نشاطي
السياسي على أسس جديدة، منها
استعداده للاعتراف بالحركة الوطنية
والسماح لنا بإنشاء حزب الإصلاح الذي
نطالب به منذ سنة 1933، إلا أنه قبل
ذلك يريد أن يعرف موقفنا من
الجمهوريين ... وكان جوابي له أنه
على علم بكثير من الاتصالات التي كنا

¹ - نفسه، ص. 60.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

قمنا بها مع رجال الجمهورية من أجل
أن يتم الاعتراف بحركتنا وأن يسمح
لنا بتأسيس حزب سياسي وأنه يعلم
بحكم وظيفته وحتى وساطته في بعض
الأحيان أن جميع محاولتنا باءت
بالفشل ... وأخيرا طلب مني بيكبيدير
أن أوافيه بمذكرة مفصلة في الموضوع
تكون جامعة ومحركة باللغة الإسبانية
حتى يطلع عليها الجنرال فرانكو
مباشرة ... في أقرب الآجال قبل أن
يتوجه فرانكو إلى إسبانيا نهائيا"¹.

واطلع الجنرال فرانكو بتاريخ 2
غشت 1936 على مذكرة عبد الخالق
الطريس حول السياسة السلبية
للجمهورية الإسبانية في شمال المغرب،
وأذن على إثر ذلك لنائب الأمور
الوطنية بأن يسمح للحركة الوطنية في
الشمال بتأسيس حزب الإصلاح الوطني،
فأبلغ بيكبيدير ذلك لعبد الخالق
الطريس في رسالة مؤرخة ب 5 غشت،
التي طلب منه فيها بأن يتقدم بطلب
تأسيس الحزب للخليفة السلطاني².

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، "موقف الحركة الوطنية في شمال
المغرب من ثورة الجنرال فرانكو..."، مجلة الوثائق
الوطنية، ع. 5-6، م. س، صص. 61-62.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، ج. 1، صص. 112-113.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وبدأت كتلة العمل الوطني منذ يوم
6 غشت تعمل على إعداد ملف الحزب
لتقديم طلب تأسيسه، غير أنه سرعان
ما حدث توتر بين الوطنيين والنظام
الإسباني الجديد، بعدما أقدم عبد
الخالق الطريس على رفع رسالة احتجاج
للخليفة السلطاني بتاريخ 7 غشت حول
تجنيد المغاربة في الجيش الأسباني¹،
مما جاء فيها: "سمو خليفة السلطان
... إذا كنا إلى غاية اللحظة قد
لزمنا الصمت المطلق، فهذا يرجع إلى
أن التجنيد كان يهم فقط قوات
الريكولاريس، التي تشكل جزء من الجيش
الأسباني وهو ما يعتبر حسب وجهة
نظرنا بمثابة تجنيد المرتزقة في
صفوف اللفيف الأجنبي. جيد؛ لكننا
نلاحظ بأن التجنيد أصبح جد مكثف في
صفوف المحلة الخليفة، التي تعتبر
قوات مغربية قحة، حيث إن من واجب
المجنّد فيها هو الدفاع عن دينه
وطنه. سيدي من هذا المنطلق، أعتبر
من واجبي القول لك بأنه لا يحق لنا
التعاون بهذا الشكل مع الاستعمار...
سيدي بالنسبة للمغربي المنتمي إلى

¹ - ابن عزوز حكيم، موقف الحركة الوطنية بشمال المغرب من
الحرب الأهلية الإسبانية سنة 1936، ترجمة العياشي أبو
الشتاء، جريدة الاتحاد الاشتراكي، ع. 5815، 13 يوليوز
1999، ص. 8.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

صفوف المحلات الخليفية، لا يمكنه
القتال إلا تحت راية بلده ... ومن ثم
فإن عدم الاكتراث لهذه الحقيقة،
ومحاولة إخفائها عن الشعب تعتبر
خيانة"¹.

أحدثت هذه الرسالة، رجة في سياسية
إسبانيا الفرانكوية بمنطقة حمايتها،
نتج عنها نوع من التشنج في العلاقات
بين الوطنيين المغاربة والنظام
الاسباني الجديد، إذ بمجرد ما أطلع
الخليفة السلطاني، المقيم العام
الإسباني الجنرال أوركاث بفحوى
الرسالة، حتى طالب هذا الأخير من
الخليفة السلطاني أن يتم إلقاء
القبض على الطريس ليمثل أمام
المحكمة العسكرية بتهمة العمل ضد
الحركة الوطنية الإسبانية، غير أن
الخليفة عارض ذلك²، لكنه تم استدعاء
الطريس الذي حضر للإقامة العامة يوم
9 غشت، وطلب منه المقيم العام أن
يفصح له عن "موقف الوطنيين من الحركة
الوطنية الإسبانية؟"، فأجاب الطريس
قائلاً: "نحن نعتبر أن مسألة النظام

¹- El Merroun, Mustapha, **Las Tropas Marroquies en la Guerra Civil Española (1936-1939)**, Almena Ediciones, Madrid, 2003, p. 49.

²- وثائق أبو بكر بنونة، محاضر حزب الإصلاح الوطني، ج. 1، ص. 28.

الإسباني هو شأن خاص بالإسبانيين
ولهذا فموقفنا من الفئتين هو
الحياة''، عندها رد الجنرال أوركاث
قائلاً ''إذا كان الأمر كذلك لماذا تصر
على القول، إنك ضد تجنيد المغاربة
في صفوف جيشنا المجيد...؟ ومن تكون
أنت حتى تعارض في ذلك...؟ لعلك تجهل
أن المغاربة يتجنّدون بمحض إرادتهم
لأنهم يعلمون أننا نعول في ذلك على
رضى وموافقة سمو الخليفة ووزرائه
وعلى مساعدة القواد والبشوات ورؤساء
الزوايا والعلماء والشرفاء
بالمنطقة''، فأجابه الطريس: ''حينما
كان التجنيد يتم في صفوف قوات
الأهالي النظامية (الريكولاريس) التي
تنتمي إلى الجيش الإسباني، عندها لم
نقل شيئاً لأننا اعتبرنا أن الأمر
يتعلق بتجنيد بعض المرتزقة
المغاربة، بيد أنه لما امتد التجنيد
إلى قوات المحلة الخليفة، والتي هي
قوات مغربية صرفة، عندها كان علينا
أن نعبر عن وجهة نظرنا لاعتبارنا
مشاركة تلك القوات في حرب تدور بين
مسيحيين محرم قطعاً في ديننا''¹.
وكانت هذه التصريحات، التي أبدى

¹- El Merroun, Mustapha, *Las Tropas Marroquies...*, Op.
Cit, p. 50.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

فيها الطريس تشبثه بموقفه، كافية
لإثارة غضب المقيم العام الإسباني¹،
الذي قام بطرد الطريس من مكتبه².

وللخروج من المأزق، كان لابد من
الرجوع إلى الجنرال **فرانكو**، الذي
كان يوجد في مقر قيادته باشبيلية،
حيث اتصل به الخليفة السلطاني
هاتفيا³، وما أن علم **فرانكو** بما
حدث، وخوفا من أن يسبب **أوركاث** حادثا
ذا نتائج غير مدروسة، قرر أن يتكفل
بيكبيدير بجميع ما له علاقة
بالوطنيدين⁴، فعرف هذا الأخير كيف
يستخدم الليونة، وطلب من الجنرال
فرانكو ألا يهاجم الطريس مباشرة، لأن
ذلك سيجعل سكان الشمال يلتفون حوله،
ويساندونه في قضيته⁵.

وعموما فإن هذه المرحلة الأولى من
علاقة الوطنيين بالسلطات العسكرية،
تميزت بجس النبض ومعرفة النوايا

¹ - وولف، جون، م. س، ص. 192.

² - El Merroun, Mustapha, **Las Tropas Marroquíes...**, Op.
Cit, p. 50.

³ - وولف، جون، م. س، ص. 192.

⁴ - ابن عزوز حكيم، محمد، **موقف الحركة الوطنية
بالشمال.....م. س، جريدة الاتحاد الاشتراكي، ع. 5815، 13
يوليوز 1999، ص 8.**

⁵ - وولف، جون، م. س، ص. 192.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

التي كانت ضرورية في البداية
بالنسبة للطرفيين، فبالنسبة
للعسكريين كان هدفهم، استمالة
الوطنيين بعد نجاح سياستهم مع
المخزن الخلفي، عن طريق توفير ظروف
أكثر ملائمة، وإقناعهم بحسن نوايا
السلطات الجديدة، أما بالنسبة
للوطنيين، فتلك المرحلة كانت فرصة
للتعرف على طبيعة الحركة العسكرية
وأهدافها، ومدى استعدادها لتحقيق
مطالبهم¹، كما أن كتلة العمل الوطني
عندما أدركت أن الحرب الأهلية
الإسبانية سوف تطول، قررت استغلال
الظروف لصالحها².

وبذلك ستبدأ مرحلة جديدة من علاقات
الوطنيين بالعسكريين تميزت بالتعاون
والمساندة، وحقق الوطنيون خلالها
المطالب التي طالما دافعوا عنها³،
وفي إطار السعي لجني ثمار سياسة
الترضية والتساهل، التي كانت تنهجها
إسبانيا في شمال المغرب لحاجة في

¹ - بوهادي بوبكر، "الحركة الوطنية بشمال المغرب..."،
م. س، صص. 43-44.

² - مرتين، ميكيل، م. س، ص. 149.

³ - بوهادي بوبكر، "الحركة الوطنية بشمال المغرب..."،
م. س، ص. 45.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

نفسها، تم رفع رسالة باسم الكتلة¹
الوطنية لنائب الأمور الوطنية **ضون**
خوان بيكبير مفادها أن الكتلة
الوطنية بشمال المغرب كانت تقوم
ببعض واجباتها في هذه الدائرة، غير
أن الظروف تفرض ضرورة وجود عمل
أقوى، وهذا لا يكون إلا بوجود هيئة
سياسية أقوى من الكتلة، فلذلك قررت
أن يخرج للوجود حزب سياسي إصلاحي
مغربي يعمل في حدود القانون حسب
البرنامج الأساسي، الذي أرفق
بالرسالة².

وبتاريخ 11 نونبر 1936، وجه
الطريس باسم الكتلة الوطنية
رسالتين، واحدة إلى الخليفة
السلطاني، والثانية إلى نائب الأمور
الوطنية، يلتمس فيهما الإذن بتأسيس
حزب الإصلاح الوطني³، ونظرا لتأخر
سلطات الحماية الإسبانية في الرد على
طلب الكتلة الوطنية، قررت خلال
جلستها المنعقدة بتاريخ 27 نونبر

¹-تم توقيع الرسالة من طرف عبد الخالق وأحمد غيلان ومحمد
الطنجي والتهامي الوزاني وعبد السلام بن جلون ومحمد
طنانة ومحمد بناني والطيب بنونة ومحمد بن مصطفى أفيلال،
أنظر: وثائق أبو بكر بنونة، من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، ج.1، ص. 133.

²- وثائق أبو بكر بنونة، من أعلام تطوان الأستاذ عبد
الخالق الطريس، ج. 1، ص. 133.

³- الصفار، حسن، حزب الإصلاح....، م. س، صص. 53 - 54.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

"كتابة رسالتين، واحدة لنائب الأمور
الوطنية، والأخرى لسمو الخليفة في
شأن برنامج الحزب المقدم للحكومة"¹.
كما وجه الطريس رفقة الرسالتين
القانون الأساسي للحزب ووصاياه
العشر، ونشيدته الرسمي وشعاره، ونظام
هيكله هيئات الحزب ولجانه وفروعه².

وتوصل الطريس بتاريخ 28 نونبر
برسالة من نائب الأمور الوطنية،
يخبره فيها بأن سبب الإبطاء في صدور
الإذن بخصوص الحزب، يرجع إلى بعض
الإجراءات الإدارية، لكنه أخبر في نفس
الوقت، بأن يتصرفوا كما لو أنهم
توصلوا بإذن التأسيس³، وبناء على
هذه الرسالة أصدرت الكتلة الوطنية
بتاريخ 7 دجنبر بلاغا أعلنت فيه عن
قرب تأسيس حزب الإصلاح الوطني⁴.

وعند تعيين الجنرال أوركاث مقيما
عاما بشكل رسمي، وجه له الطريس
بتاريخ 12 دجنبر مذكرة باسم الكتلة
الوطنية، يلتمس فيها مرة أخرى الإذن

¹ - بن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة م. س، صص.
283-284.

² - وثائق أبو بكر بنونة، محاضر حزب الإصلاح الوطني، ج. 1،
ص. 44.

³ - نفسه.

⁴ - نفسه، ص. 45.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

بتأسيس حزب الإصلاح الوطني، وعلى
إثرها تم استدعاء الطريس من طرف
نائب الأمور الوطنية **بيكدير** يوم 14
دجنبر، إلى مكتبه وأبلغه بموافقة
الجنرال **فرانكو** على تأسيس حزب الإصلاح
الوطني، وفي مساء نفس اليوم اجتمعت
الكتلة الوطنية¹، وتم الاتفاق على
تسمية أعضاء الكتلة الوطنية "**لجنة
تنفيذية مؤقتة لحزب الإصلاح الوطني**"،
وانتخب من بينهم عبد السلام بن جلون
كاتباً عاماً والتهامي الوزاني وكيلاً
ومفتشاً للحزب، والطيب بنونة مساعداً
له، ومحمد طنانة أميناً، ومحمد أفيلال
محاسباً²، كما تقرر اعتبار هذا
الاجتماع هو "**أول اجتماع للبحث في
الوسائل الأولية لإخراج الفكرة إلى
حيز الوجود**"، وورد في محضر هذه
الجلسة بأن الكتلة الوطنية تمكنت
"**بسعيها الأكيد ومجهوداتها الجبارة
التي بذلتها مع الدوائر الحكومية
والمقامات السياسية من الحصول على
مطلب أساسي من مطالبها، وتحقيق
الغاية الخامسة من المادة الأولى من
نظامها ...**» إعلان حزب سياسي وطني
لخدمة الغايات الأساسية بشكل قوي

¹ - نفسه.

² - نفسه، ص. 50.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

يناسب تطور المغرب وفناء الكتلة فيه»¹.

واستغل أعضاء الكتلة الوطنية ذكرى
وفاة أب الحركة الوطنية الحاج عبد
السلام بنونة، الذي يصادف تاريخ 3
شوال 1355، الموافق ل 18 دجنبر 1936
لإعلان تأسيس حزب الإصلاح الوطني، في
مهرجان خطابي تم تنظيمه بمسرح
إسبانيول، أعلن فيه الطريس قيام
الحزب، وعرض التهامي الوزاني قانونه
الأساسي أمام الحاضرين²، فكان بذلك
حزب الإصلاح الوطني أول حزب سياسي
وطني تأسس بالمغرب³.

¹ - وثائق أبو بكر بنونة، محاضر حزب الإصلاح الوطني، ج. 1،
ص. 49.

² - الصفار، حسن، حزب الإصلاح...، م. س، ص. 54..

³ - الريحاني، أمين، المغرب الأقصى، منشورات دار الثقافة،
بيروت، 1975، صص. 212.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

2. تأسيس حزب الإصلاح الوطني ومرحلة النضج السياسي والتنظيمي للحركة الوطنية بشمال المغرب

شكل تأسيس حزب الإصلاح الوطني بتاريخ 18 دجنبر 1936، محطة هامة وحاسمة في تاريخ الحركة الوطنية بشمال المغرب، التي عبرت من خلال هذه الخطوة عن نضجها الفكري والسياسي والتنظيمي، وهو ما يتجلى بوضوح في أهداف الحزب وغاياته، والتي حددتها المادة الثالثة من قانونه الأساسي في أربع غايات وهي: "إيصال الأمة المغربية إلى جميع حرياتها وكامل استقلال أراضيها؛ تحديد الوحدة المغربية سياسيا ولغويا؛ اكتساب سائر الحقوق الضائعة؛ إبلاغ الأمة المغربية إلى مركز سامي من الحضارة والقوة"¹.

وتتميز حزب الإصلاح الوطني الذي افتتح مقره بشارع المصلى القديمة²، بهيكلة التنظيمي الدقيق، لما كان يتوفر عليه من قوانين مفصلة تؤطره. فعلاوة على القانون الأساسي، كان

¹ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح، م. س، ص. 58.

² - وثائق أبو بكر بنونة، محاضر حزب الإصلاح الوطني، م. س، ج. 1، ص. 49.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

يتوفر أيضا على قانون إداري، وقانون
مالي ونظام للانتخابات ونظام
للعضوية¹.

ونظرا للمرجعية الدينية الصرفة
للوطنية المغربية، تم اتخاذ كلمة "الله
أكبر"، شعارا رسميا لحزب الإصلاح
الوطني، وهو ما عبر عنه عبد الخالق
الطريس بقوله: "الله أكبر بهذا الاسم
العظيم تبدأ الوطنية المنظمة
العلنية عملها، وإنه لشعار أسمى من
كل شعار ... كل أخلاقنا ومبادئنا
تتلخص في هذه الكلمة المباركة فلذلك
كانت شعر لحركتنا ... وطنيتنا وطنية
إيمان ودين واتخاذنا الله أكبر شعارا
لهذه الوطنية دليل جديد نقدمه على
خطتنا ... والوطنية والدين شيئان لا
محيد لأحدهما عن الآخر فالوطنية للدين
تخدم، والدين للوطنية السامية يؤهل
... أيها المصلحون قدسوا شعاركم،
وصونوه عن أمكنة الرجس والخبث،
وفكروا على الدوام في مغزاه، وإن
هتفتم به فبكل إخلاص وحرارة لتخشع

¹ - الصفار، حسن، "حزب الإصلاح الوطني (1936-1956)"، موسوعة
الحركة الوطنية والمقاومة المسلحة وجيش التحرير
بالمغرب، ج. 1، مجلد 2، منشورات عكاظ، الرباط، 2005،
صص. 322-323.

قلوبكم لذكره وتأهبوا لعمل الصالحات وتحقيق جلائل الأمور"¹.

كما كان للحزب علم خاص به، يتخذ شكل مثلث، نصفه الأعلى أبيض اللون كتب فيه شعار الحزب "الله أكبر"، ونصفه الأسفل باللون الأسود، وهي ألوان مستوحاة من راية الإسلام وراية الدولة المغربية الإسلامية المستقلة. وهو ما يثبته أحد كتاب جريدة الريف بقوله: "الراية الوطنية هي الراية البيضاء السوداء... قد أخذنا بياضها من لون لواء النبي (ص) وسوادها من لون رايته (العقاب). فلقد كان لواء النبي (ص) يوم فتح مكة أبيض، وكانت رايته سوداء..... والراية الوطنية القعساء أخذ بياضها من راية بني أمية الفخام، دولة الفتح والعظمة العربية، ودولة الإسلام في المغرب. ومن لون العلم "المنصور" شعار الدولة الموحدية دولة الإمبراطورية المغربية الذهبية. وأخذ سوادها من راية دولة بني العباس الهاشمية دولة الحضارة والعلم والاختراع. ومن راية الدولة اللمتونية المغربية المجيدة

¹ - الطريس، عبد الخالق، "الله أكبر"، جريد الريف، ع. 33، 24
دجنبر 1936، صص. 1-2.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

دولة الإنقاذ والقوة والعزة ...
فالراية الوطنية البيضاء السوداء
... أخذت عن تاريخنا الديني
تاريخينا الإسلامي وتاريخينا الوطني،
فهي بلونيهـا ترمز ... إلى انتصار
الإسلام يوم الفتح الأكبر، وإلى
السيادة العربية، وإلى الاستقلال
المغربي فهي راية المجد والسمو
للمغرب"¹.

وَلَبَّثَ الحماسة بين صفوف أعضاء
الحزب وأنصاره وُضِعَ له نشيد رسمي،
نظم كلماته محمد الطنجي، ولحنه محمد
ابن البار²، ويقول هذا النشيد³:

فتيان قومي هيا بعزم
نمضي فالنصر بين أيدينا
نسعى بحزم نرقى بعلم
آمال الاستقلال تحدونا
نصلح شعبا نسند حزبا
غايته العليا ترقينا
في كل قلب روح يلبي
صوت من الإصلاح يشجينا
نحن هداة نحن حماة

¹ - "الراية الوطنية"، جريدة الريف، ع. 49، 18 فبراير 1937، صص. 1-2.

² - الصفار، حسن، حزب الإصلاح ...، م. س، صص. 62-63.

³ - "النشيد الرسمي لحزب الإصلاح الوطني"، جريد الريف، ع. 24، 33 دجنبر 1936، ص. 4.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

لا خب في المغرب راجينا
نمحو فسادا نبنى عمادا
للمجد في المغرب يحمينا

واتخذ حزب الإصلاح الوطني كذلك قسما
خاصا به يؤديه كل منخرط فيه، حيث
يقول: "أقسم بالله العظيم على الإخلاص
لله والوطن ولمبادئ حزب الإصلاح الوطني
وملكنا الصالح وعلى كافة أوامر
الحزب وتنفيذ مقرراته وحفظ أسرار
وعلى تجنب كل قول أو عمل يعد خيانة
للإسلام والعروبة والوطنية. والله على ما
أقول شهيد وهو حسبي ونعم الوكيل"¹.

وحتى يتمكن الحزب من التأثير في
أعضائه، وزرع قيم الوطنية في
صفوفهم، وضع للحزب "الوصايا العشر"،
التي تلخص فلسفته وأهم مبادئه
الأساسية، ومرجعياته، حيث تدعو هذه
الوصايا كل "وطني مصلح"، إلى ما
يلي:

1. "تذكر كل لحظة أن دينك هو
الإسلام، دين الهداية دين الإيمان
دين المدينة فحافظ على شعائره
وأد واجباته، واعتز به، واهتد
بهدى القرآن واتبع سنن الرسول

¹ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح، م. س، ص. 75.

الذي جاء به، ورب نفسك على
احترام سلفه الصالح واملأ قلبك
بنور يقينه واعمل لكي تعيد إليه
عزه، وترفع عمله وتحقق جامعته.

2. تذكر كل لحظة أن وطنك هو
المغرب أجمع بحدوده الطبيعية،
فحافظ على وحدته، وحاسب نفسك كل
يوم على ما قدمت له، واستمت في
الدفاع عنه، وابذل قوتك في إعلاء
شأنه بين الأوطان، واجعله هدف
عشقك وصبابتك. ولتكن غايتك في
إعلاء شأنه بين الأوطان، واجعله
هدف عشقك وصبابتك. تلك غايتك
التي من أجلها تحيا وفي سبيلها
تموت، واستقلال المغرب استقلالاً
تاماً مطلقاً. ولتكن وسائلك إلى
هذه الغاية: العلم، الأخلاق،
العمل، الإخلاص، التضحية.

3. تذكر كل لحظة أن لغتك هي لغة
القرآن والوحي لغة حضارة العرب
وعلم الإسلام، فاجتهد في إتقانها،
واعمل لنشرها في سائر ربوع الأرض
وما دامت هي لغة أمتك ودولتك
فاخجل من مخاطبة مواطن مثلك
بغيرها.

4. تذكر كل لحظة أنك عضو في حزب
الإصلاح الوطني، وأن هذا الحزب رمز

لأمانيك القومية، ومبادئه مثل
صادق للوطنية الكاملة الحقّة،
فقدس مبادئه، واتبع خطه وانشر
دعايته، كن على الدوام جندياً
طائعاً داخل صفوفه.

5. تذكر كل لحظة أن العلم الأحمر
علم دولتك وأن العلم الأبيض الأسود
علم وطنيتك، فقدس العلمين وقف
إجلالا لتحيتهما واهتف من أعماق
قلبك بنصرتهما واعمل لكي تراهما
خافقين على سائر ربوع بلادك رمزا
للسيادة القومية والعزة الوطنية.

6. تذكر كل لحظة أن العائلة
المنظمة، من أعمدة الوطن المنظم،
فإذا كانت لك عائلة فاحمها، فإن
لم تكن لك فكونها، وكن ضمنها
مثالا كاملا للأب والابن والأخ
القريب.

7. تذكر كل لحظة أن وطنك يحترم
على قدر ثروته فمما استطعت
بإقتصادك ونشاط ثروته، وحسن
أساليب زراعتك إن كنت فلاحا،
وتجارتك إن كنت تاجرا، وصناعتك
إن كنت صانعا، وعملك اليدوي أو
الفكري إن كنت عاملا، وليكن رجحان
إرادتك على صادراتك سببا للألمك،
ورجحان صادراتك على وارداتك

مبعثا لفخرك وسرورك، وليكن لذلك
تشجيع المنتج المغربي بإقبالك
عليه وتفضيله على سواه .
8. تذكر كل لحظة أن أخلاقك
الفاضلة رمز الإنسانية المهيبة،
فتعلم الصبر أمام الكوارث، وتحمل
المشاق والصعاب وكن صريحا في
إعلان حقك وتعود الطاعة لأوامر
الحق والعدالة والدين، ونظم
حياتك وحياة مواطنيك، وأحب حتى لا
يبقى في الأمة من لم يغمر بحبك ولا
تنكر فضل غيرك ولا تلهك المادة
وفتنها عن سعادة الروح .

9. تذكر كل لحظة أن الوطن
بالمواطن فكن مثالا للمواطن
الكامل في قوة جسمه وسلامة عقله
وطهارة قلبه واعتبر وطنك قطرا
إسلاميا يلزم أن يعين الإنسانية
على التطور المطرد والرقى
المستمر، فلوطنك، صوت لا بد أن
يسمع في حضارة البشر .

10. تذكر كل لحظة أن (الله أكبر)
شعارك الأبدي فاستمد منه القوة
والعزة والطهارة والحماس، وأن
(فتيان قومي) نشيدك الوطني، فأخذ
منه العبر والعظات لتحقيق مثله
العليا، وأن رفع اليد مبسوفة إلى

**السماء تحيئك القومية فاسم في
أخلاقك وأعمالك معها، وحافظ عليها
حتى يتحقق المجد والسمو للمغرب¹.**

ونظرا لتنامي الوعي الوطني بين
صفوف عامة المغاربة وخاصتهم، فبمجرد
ما فتح الحزب مركزه، توافدت عليه
العديد من طلبات الانخراط، كما تنازل
العديدون عن جنسيتهم الأجنبية، التي
كانوا يتمتعون بها، للانخراط في حزب
الإصلاح الوطني، هذا علاوة على انخراط
مجموعة من النساء في الحزب²، وذلك
ما أشارت إليه جريدة الريف التي ورد
فيها: "لقد ظهر جليا للعيان إقبال
سائر المواطنين النبلاء على إدارة
الحزب من سائر أنحاء المنطقة ...
والإقبال لا يزال بالغاً أشده كل يوم
أكثر من السابق والإدارة لا تزال غاصة
كل يوم بسائر المواطنين على اختلاف
طبقاتهم ومن بينهم كثير من
المواطنين الكرام معلنين تنازلهم عن
الحامية الأجنبية منمين إلى صفوف
إخوانهم المغاربة الانجاد ... وورد
على الحزب عدد كبير من التبرعات

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق تشهد، م. س، صص. 64-65-
66.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف محاضر حزب الإصلاح الوطني، م. س، ج. 1، ص. 73.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

المهمة التي قيدها بعض السيدات
الوجيهاات ... كعربون صادق لولائهن
وتشبعهن بمبادئ حزب الإصلاح¹. وهكذا
انظم إلى الحزب في غضون أسبوعه الأول
ما يزيد عن 7000 عضو².

وسيزداد هذا العدد ارتفاعا بعد
افتتاح موسم الدعاية للحزب بتاريخ
15 يناير 1937، فأذاعت اللجنة
التنفيذية بمناسبة هذا اليوم أول
بيان لها والذي جاء فيه: "وهذه
أبواب مركز الحزب مفتوحة أمام
الجمهور، ... أيها المواطنون!
نناديكم نساء ورجالا، وشيوخا وكهولا،
شبابا وشبابا لكي تنضموا تحت لواء
الحزب وتخدموا مبادئه، وتحققوا
غاياته ففي ذلك وحده الضمانة لتحقيق
الغايات المثلى التي يطمح إليها
الشعب"³.

ولم تنحصر دعاية حزب الإصلاح الوطني
وأنشطته في مدينة تطوان فقط، بل
امتدت على مختلف مدن المنطقة

¹ - "أخبار حزب الإصلاح الوطني"، جريدة الريف، ع. 35، 31
دجنبر 1936، ص. 6.

² - BENJELLOUN, Abdelmajid, **Le Mouvement Nationaliste
Marocain dans l'ex-Maroc** ..., op. cit, p.131.

³ - وثائق أبو بكر بنونة، ملف محاضر حزب الإصلاح الوطني،
ج. 1، م. م. س، ص. 76.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الشمالية، التي شهدت تنظيم عدة
مهرجانات خطابية من قبل زعماء
الحركة الوطنية. تمهيدا لتأسيس فروع
تابعة له بتطوان وشفشاون والقصر
الكبير والعرائش وأصيلا والناظور
والحسيمة وطنجة¹.

وإذا كان الحزب حدد سن الانخراط
فيه في 18 سنة، فإنه بالمقابل، قام
بتأسيس **"منظمة للفتيان"** تابعة له
بتاريخ 4 يناير 1937²، بهدف تكوين
شباب وطني منضبط ومتشبع بالروح
الرياضية والعسكرية، ومستعد للتضحية
في سبيل دينه ووطنه، وذلك ما تم
تأكيداه على صفحات جريدة الريف التي
ورد فيها: **"إن الغاية الكبرى من خلق
فرق الفتیان³ هي تمكين هذه الأمة من
جيل جديد قوي لا يعيش لنفسه وإنما
يعيش لربه ولوطنه وكل فتى من
الفتیان يلزم أن يجاهد في نفسه حتى
يجعلها مطمئنة إلى الطبع الذي ينبغي
أن يتطبع به هذا الجيل"**⁴.

¹ - الصفار حسن، "حزب الإصلاح الوطني..."، م. س، ص. 323.

² - بنونة، أبو بكر، ملف محاضر حزب الإصلاح الوطني، ج. 1، م. س، ص. 79.

³

⁴ - "فتياننا"، جريدة الريف، ع. 52، 4 مارس 1937، ص. 1.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وأسند أمر منظمة الفتیان "للمجلس
الأعلى للفتیان"، الذي ترأسه التهامي
الوزاني، كما وضع لهذه المنظمة نظام
خاص بها، يؤطر كيفية انتظام الفتیان
داخلها، حيث ورد في مادته الأولى أن
"كل شاب وصل للسن الذي يخوله
الالتحاق بعضوية الحزب... طمعت همته
للعمل وقبول التربية النظامية
والتهيؤ لخدمة الوطن على شكل خاص
فانخرط في الفرق النظامية التي تحمل
نظاما شبيها بالنظام العسكري،
والتزم الطاعة التامة للرؤساء
وإعطاء المثل الكامل في التربية
والأخلاق لغيره من المواطنين يسمى
(فتی) "¹.

كما حدد هذا النظام، لباس الفتیان
في قميص زيتي، وسروال قصير زيتي
أيضا، وطربوش أبيض وأسود على شكل
مستطيل (يسمى الحسنية)، وجوارب
صوفية سوداء². وقامت هذه المنظمة
بأول استعراض لها، يوم عيد الأضحى
بتاريخ 21 فبراير 1937، حيث رافقت

¹ - للإطلاع على نظام الفتیان لحزب الإصلاح الوطني، أنظر:
وثائق أبو بكر بنونة، ملف محاضر حزب الإصلاح الوطني، م.
س، ج. 1، ص. 114 - 118.

² - وثائق أبو بكر بنونة، ملف محاضر حزب الإصلاح الوطني،
ج. 1، م. س، ص. 115.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الموكب الرسمي للخليفة السلطاني¹.
وهو ما أشارت إليه جريدة الريف التي
جاء فيها: "رغم فقدان كثير من
الحاجيات في الوقت الحاضر فقد
استطاع الشاب النشيط العامل السيد
الحاج عبد الكريم داود بوجود قدر لا
بأس به من لباس الفتيان ولقد كان
مظهر بعضهم بديعا حيث خرجوا في هذا
العيد في زيهم الجميل وطربشهم
(الحسنية) الذي يدل على النظام
والفتوة وكثير من الشاب يرغبون في
اللباس بحماس وحب للنظام يستحق كل
تقدير واهتمام. والفتيان خطوة جديدة
في نهضتنا الفتية يجب على المخلصين
حقا أن يؤيدوها"².

واحتجت سلطات الحماية الإسبانية،
على هذه المنظمة ذات الطابع
العسكري، غير أن الطريس رد عليها
بقوله: "أليس صحيحا أن كل واحد في
وقتنا له فتيانه؟ لكم كتائبكم ...
وفي القاهرة هناك مصر الفتاة، وفي
لبنان هناك كتائب بيير الجميل،
لماذا لا نفعل مثل جميع الناس"³.
وبالرغم من كل ذلك فإن منظمة

¹ جون، ولف، م. س، ص. 198.

² - "يوم العيد"، جريدة الريف، ع. 51، 1 مارس 1937، ص. 6.

³ - ولف، جون، م. س، ص. 198.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الفتيان لحزب الإصلاح الوطني استطاعت
أن تكون لها فرق تابعة لها في من
شفشاون والعرائش والقصر الكبير
وأصيلا¹. وكانت كل فرقة تحمل اسم أحد
القادة المغاربة التاريخيين، لإحياء
مجد المغرب الغابر، حيث كان يطلق
على فرقة تطوان، بفرقة مولاي إدريس،
وبأصيلة تسمى فرقة الخضر غيلان،
ويطلقها عليها بالعرائش فرقة
المنصور الذهبي، أما بالقصر الكبير
فتدعى فرقة المهدي بن تومرت، بينما
عرفت فرقة شفشاون بفرقة يوسف بن
تاشفين².

وهكذا شكلت منظمة فتیان حزب الإصلاح
الوطني، سندا مهما في تكون جيل
منضبط، وذي وعي سياسي قوي، وهو ما
عبر عنه عبد الخالق الطريس في أحد
خطبه بقوله: "كما تهتم حركتنا
بالتغذية العقلية، تعمل للتربية
الروحية والبدنية. وذلك هو السر في
تكوين فرق الفتیان إننا نريد أن نرى
الجيل الجديد قويا في أخلاقه. ميالا
بطبيعته للنظام والأناقة والذوق
السليم، حريصا على جسمه ونظافة

¹ - الصفار، حسن، حزب الإصلاح م. س، ص. 82.

² - الريحاني، أمين، المغرب م. س، 212.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مظهره ونشاط حركاته ... إن الفتوة
نظام يتفق كل الاتفاق مع روح شعبنا.
فروحنا روح عسكرية حادة، والفتوة
نموذج أبدي لحياة النظام والاستقامة
والطاعة في الحق. والفتوة مبدأ ثورة
اجتماعية عامة سوف تنقض على مميزات
القديم الفاسد وتنبني للأمة أساس
حياة جديدة، وتتعاون ففيها الملكات
وتبرر فيها خصائص قوميتها
الممتازة"¹.

ونتيجة سياسة الانفراج التي طبقها
المقيم العام خوان بيكبيدير، استطاع
حزب الإصلاح الوطني أن يؤسس جريدة
"الحرية"، ناطقة باسمه ولسانه
الرسمي، حيث صدر عددها الأول بتاريخ
14 مارس 1937، وقدمت نفسها في
مقالها الافتتاحي أن "مبدأ" "الحرية"
هو مبدأ حزب الإصلاح الوطني، وغايتها
هي غايته، فهي الصحيفة التي تعبر عن
أرائه وتدافع عنها وتعمل على نشرها
بين الشعب وبثها في نفوس النشء ...
ووجهة "الحرية"، وجهة مستقيمة ...
فهي للإصلاح تنافح عن بيضته وتسعى
لإعادة قوته ... وهي للعروبة تؤازرها

¹ - مقتطف من خطاب الطريس في عيد الجهاد الوطني، أورده:
الصفار، حسن، حزب الإصلاح ...، م. س، ص. 83.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وتحمي ذمارها. وهي للوطن تذود عن
حياضه، وتواصل الجهاد في سبيل إعادة
وحدته، وحفظه للمغاربة وخدمهم بسائر
حدوده الطبيعية غير الموضوعة...
وهي للعرش المغربي المفدى والمؤيدة
موالية... وهي للوطنية الصادقة
خادمة وعنهما معبرة... وهي فوق ذلك
رسالة المغرب إلى المشرق توثق
الروابط بينه وبين الأقطار الشقيقة،
وتساهم في خدمة القضية الإسلامية
العامّة"¹.

وإذا كان حزب الإصلاح الوطني ظل
طيلة سبعة أشهر الأولى من حياته بدون
رئيس فعلي، نظرا لقرار اللجنة
التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني بترك
منصب الرئاسة شاغرا²، لتولي زعيم
الحركة الوطنية الشمالية عبد الخالق
الطريس لوزارة الأحباس الإسلامية في
الحكومة الخليفية. لكن بمجرد ما أن
استقال الطريس من المنصب المذكور،
بتاريخ 27 مارس 1937، حتى انتخبته
اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح
الوطني، رئيسا للحزب بتاريخ 2

¹ - "الله أكبر وجهتنا"، جريدة الحرية، ع. 1، ص. ، أورده:
الصفار، حسن، حزب الإصلاح...، م. س، ص. 77.

² - ابن جلون، أحمد، "لمحات عن حياة الأستاذ الطريس"، ضمن
كتاب: الأستاذ الطريس، سلسلة رجالات المعهد الحر، العدد
1، مطبعة المهديّة، تطوان، 1972، ص. 32.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

يونيو¹. فألقى الطريس بهذه المناسبة خطابا بمسرح إسبانيول يوم 18 يونيو تحت عنوان: "علينا أن نعيد أنفسنا للاستقلال بالتعبئة الدائمة ونشر المعرفة"، والذي جاء فيه: "أيها الإخوان المصلحون... نحن لا يهمنا من الرجل أن يكون غنيا إذا كان المجموع لا يستفيد من ماله، أو يكون عالما إذا كان علمه لا ينتفع به، ولا أن يكون ذا سلطة وجاه إذا كان يصرفها ضد الأمة وضد مصالحها... إن أهم ما نسعى إليه، أن تصبح هذه الأمة ذات سيادة في الداخل وحرمة في الخارج، ولكنها غير مستعدة. فكيف يمكن لأمة أن تتحرر وهي جاهلة؟ والأغلبية الساحقة فيها فقيرة، وهذه القرى بعيدة كل البعد عن قواعد الصحة، والصانع المغربي لا يزال يتبع أساليب عتيقة، والتاجر لا يسعى وراء ترويج تجارته داخلا وخارجا، ويترك الأسواق للأجانب والإسرائيليين، والموظف المغربي جاهل أو غبي لا يرضى بالتطور. كل هذه العراقيل تحول بيننا وبين حرية بلادنا. فإذا كنتم تهتفون بالاستقلال فعليكم أن تعملوا

¹- وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد الخالق الطريس، ج. 1، ص. 145.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

كل في دائرة اختصاصه وأن تقدموا
أنفسكم للتضحية، بمختلف أنواعها في
سبيل المبدأ والمثل الأعلى للحرية
والاستقلال أبواب معروفة مشهودة،
المعرفة والإيمان والتضحية. فمن تنحى
عنها أخطأ الباب وضل عن الطريق، إن
الذي يعمل ويدفع الناس إلى العمل
ويضحى، فهو الشخص الذي يهتف حقا
بحياة الحرية والاستقلال"¹.

وبفضل هذا الهيكل التنظيمي الذي
تميز به، استطاع حزب الإصلاح الوطني
أن يرسم لنفسه مجموعة من التصورات
السياسية والاجتماعية، التي استوحاها
من الواقع الذي كان يعيشه المغرب في
ظل نظام الحماية، فعلى مستوى الفكر
السياسي، نجده قد أعطى تصورا خاصا
لمفهوم "الوطنية"، التي تسعى إلى
ترقية البلاد وتحريرها من التخلف
والاستعباد. كما اعتبر مفهوم
"الاستقلال"، كحلقة أولى في سلسلة
التطور، وكهدف يستحق الوصول إليه
بذل كل جهد وتضحية. أما على
المستوى الفكر الاجتماعي، فقد سطر
الحزب من بين أهم أولوياته الدعوة
إلى التعليم ومحاربة الأمية. واعتبر

¹ - ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق تشهد"، م. س، ص. 83.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الدين الإسلامي عاملاً أساسياً في إصلاح
الأمة المغربية. كما دعا الحزب إلى
تحرير المرأة، وضرورة اقتحامها
للحياة العامة، ومساهمتها في تنمية
الوطن. هذا إلى جانب دعوته إلى
النهوض الاقتصادي، وخلق صناعة وطنية
لإخراج البلاد من آفة الفقر والحاجة¹.

وعموماً فقد مكن هذا التنظيم
المحكم، والتصور العميق للوطنية
والمجتمع، حزب الإصلاح الوطني، أن
يصبح أول وأكبر حزب وطني، وأهم قوة
سياسية وتنظيمية، سادت في تاريخ
الحركة الوطنية بشمال المغرب، منذ
تأسيسه حتى اندماجه في حزب الاستقلال
بعد حصول المغرب على استقلاله سنة
1956، حيث استطاعت قيادته استقطاب
وتوجيه معظم الفئات الاجتماعية بشمال
المغرب للمشاركة في حركة الشعبية
لمناهضة للاستعمار². ولخص عبد الخالق
الطريس أهم غاية كان الحزب يسعى
لبلوغها بقوله: "ونحن نرى أمام هذا
الحزب حزب الإصلاح الوطني غايات عظيمة
أهمها في نظري إيمان هذه الأمة بكل

¹ - الصفار حسن، "حزب الإصلاح الوطني..."، م. س، صص. 323 - 324.

² - السعود، عبد العزيز، "قراءة تاريخية مجددة في الخطاب
الإصلاحي الوطني بالشمال"، مجلة دفاتر الشمال، ع. 2، ماي
1977، ص. 145.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

استقلالها وحريتها ووحدتها، وأن أهم
ما نسعى إليه أن تصبح هذه الأمة ذات
سيادة في الداخل وحرمة في الخارج"¹.

خاتمة عامة

شكلت النخبة المثقفة بشمال المغرب
في عهد الحماية الإسبانية مصدرا
اجتماعيا وفكريا غنيا، ساعد على
قيام حركة إصلاحية نهضوية. رامت منذ
العقد الأول للحماية إلى تشكيل وعي
تأملي نقدي للواقع المغربي. انطلق
من العطب الذاتي، الذي تمثل في

¹ - ابن عزوز، حكيم، محمد، نضال الطريس في ساحة الوحدة،
مطبعة الساحل، الرباط، 1980، ص. 18.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

سيادة الجهل والرجعية داخل المجتمع،
وتخلف المغرب عن الركب الحضاري
العالمي.

قاد هذا الوعي بالذات النخبة
المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية،
للتفكير في هموم المجتمع المغربي،
والبحث عن الأسباب التي قادت إلى
التقهقر والانحطاط، وسعت للبحث عن
الحلول الناجعة للخروج من حالة
الأزمة، وانتشال المغرب من وهدة
السقوط. حيث ستبنى مشروعا نهضويا
وطنيا، يقوم بالأساس على نشر التعليم
العصري والتوعية بأهميته، رغبة في
ترقية العقل الجمعي المغربي
وتثقيفه، وتكوين الرجال القادرين
على النهوض بمرافق البلاد.

ونظرا لاقتناع هذه النخبة أن تفوق
أوروبا وازدهارها، يرجع بالأساس إلى
تقدمها العلمي، فإنها لم تجد حرجا
في استلها مبادئها، وتبنيها في
مشروعها النهضوي، لكونها كانت ترى
أن الدين الإسلامي لا يتنافى مع المدنية
الغرب القائمة على العلم والعقل.
كما كان موقفها من الحماية الإسبانية
يجمع بين القبول والنقد، حيث لم
يروا مانعا في التعايش مع نظام

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الحماية ، شريطة التزامها بعقد
الحماية ومراعاة الشريعة الإسلامية .

ولتحقيق مشروعها النهضوي وتنفيذه
على أرض الواقع ، انبرت النخبة
المثقفة في المجامع والأوساط
المغربية المختلفة ، تقوم بالدعاية
لنشر أفكارها السلفية التنويرية ،
لتحرير الذهنية المغربية من رواسب
الجهل والخرافة ، وإيقاظ الشعب من
سباته ، وإعداده لمعركة البناء
والإصلاح والتحرير . واعتمدوا في خطتهم
تلك ، على كل الوسائل المتاحة آنذاك
من خطب الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد ،
التي كانت تلقى بالمساجد وبعض
الزوايا . علاوة على الكتابة في
الجرائد المحلية والمشرقية وترويجها
بين المغاربة . كما استغلت انخراطها
في سلك الوظيفة المخزنية ، لتقديم
مجموعة من المطالب ، وإنجاز جملة من
الإصلاحات في ميادين مختلفة .

ولم تكتف النخبة المثقفة بالدعوة
والإرشاد ، ورفع المطالب للسلطات
الاستعمارية ، بل نزلت إلى أرض الواقع
وساهمت بالعديد من المشاريع
العملية ، التي شملت مختلف مناحي
الحياة الاجتماعية والاقتصادية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

والثقافية والسياسية، للتخلص من
الرقابة الاستعمارية، بتأسيس مجموعة
من المبادرات والمشاريع الوطنية،
البديلة عن المؤسسات الأجنبية،
باعتقادها فقط على إمكانياتها
الذاتية.

وكانت المدرسة الأهلية، التي
أسستها النخبة المثقفة في نهاية سنة
1924، أهم مشروع وطني أنجزته النخبة
المثقفة، حيث شكلت مهذا للنهضة
الوطنية بشمال المغرب، إذ ترعرع
فيها جيل من الشباب المتعلم،
والمتشبع بالأفكار الوطنية والقومية.
كما ساهمت البعثات المشرقية لطلب
العلم، في صقل مواهب هذا الجيل
وتكوينه علميا وثقافيا وسياسيا،
مما أهله ليصبح النواة الأولى للأطر
المغربية.

كما لعبت مطبعة المهدية دورا
كبيرا في نشر الوعي بالمغرب، حيث
كان لها الفضل في طبع معظم الجرائد
والمجلات الوطنية التي صدرت بشمال
المغرب، وساهمت في تسهيل عملية طبع
الكتب المدرسة، ومنشورات الحركة
الوطنية، علاوة على طبع مؤلفات
النخبة المثقفة وعلماء وفقهاء ذلك

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

العصر، مما ساعد على تشجيع القراءة،
وجعل الجريدة والكتاب في متناول
الجميع.

أما إقدام النخبة المثقفة بمنطقة
الحماية الإسبانية على تأسيس معمل
للكهرباء سنة 1928، التابع "لشركة
التعاون الصناعية"، فقد شكل ثورة في
مجال الاقتصاد والصناعة، حيث استطاع
هذا المشروع أن يتحدى الرأس المال
الاستعماري، وأن يؤسس اللبنة الأولى
للصناعة الوطنية الحديثة، التي
تعتمد بالأساس على الطاقة
الكهربائية. وسيعزز هذا المشروع
الضخم بمشاريع صناعية أخرى،
بتأسيس "شركة الزرابي الشفشاونية"،
و"معمل بنونة للثياب الوطنية"، الذي
تزامن تأسيسه مع حملة المقاطعة
للمنتوجات الفرنسية التي انتشر
صداها في العديد من الدول المغاربية
والمشرقية، بعد إصدار فرنسا لظهير
16 ماي 1930. وفي إطار هذه المقاومة
الاقتصادية ضد الرأسمال الأجنبي حاول
بنونة كذلك تأسيس معمل لإنتاج مادة
السكر، التي كانت تحتكرها فرنسا
بالخصوص، غير أن لوبي الاقتصاد

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الاستعماري بالمغرب حال دون نفاذ هذا
المشروع .

كما يرجع الفضل في تسرب الوعي
الوطني للفتات الشعبية من المجتمع ،
لعدة مؤسسات اجتماعية وثقافية
أسستها النخبة المثقفة بمدينة
تطوان ، كـ "الجمعية الخيرية" و "جمعية
الاتحاد المغربي" لكرة القدم ،
والنادي وفرقة للتمثيل التابعين
لها . عن طريق قيام هذه المؤسسات
بالعديد من المبادرات التوعوية
والتثقيفية ، كإلقاء المحاضرات ، وعرض
المسرحيات الهادفة ، والاهتمام
باليتامي والفقراء ، والأطفال المتخلى
عنهم ، وتعليمهم ، وتأسيس مدرسة خاصة
بالبنيات .

كل هذه المشاريع وغيرها ، التي
أقدمت النخبة المثقفة على تأسيسها ،
ساهمت بشكل كبير في تنامي الوعي
الوطني ، واسترجاع الثقة في الذات ،
وتحقيق تنمية بشرية فعلية ، تجلت في
بروز جيل من الشاب المتشبع بالروح
الوطنية ، والمتسلح بالعلم والثقافة
الحديثة . استطع خلال ثلاثينيات القرن
العشرين من حمل مشعل النهضة وقيادة
حركة وطنية ثقافية واجتماعية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وسياسية جد قوية، كان لها دور طلائعي
في استقلال المغرب وتوحيده والتأسيس
لبناء الدولة المغربية الحديثة، غير
أنه ما يعاب عليها كونها لم تستمر
في التحرير الاقتصادي الذي كان يطمح
بنونة إلا تحقيقه.

ولا أدل على هذا التطور الذي عرفته
الذهنية المغربية من تلك الشهادة
التي وردت في المذكرة السرية التي
بعثها قنصل فرنسا بتطوان إلى المقيم
العام الفرنسي بالرباط بتاريخ 26 يونيو
1931، والتي جاء فيها: "يُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّ
طَبَعَ الْمُجْتَمَعِ التِّطَوَّانِي عَرَفَ تَطَوُّرًا شَامِلًا
....، وَأَنَّ الْأَفْكَارَ الَّتِي لَمْ يَتَجَرَّأْ إِلَّا عَدَدٌ
قَلِيلٌ عَلَى الْإِعْلَانِ عَنْهَا أَصْبَحَتْ سَائِدَةً. بَدَأَ
الشَّبَابُ الْمُتَمَدِّسُونَ بِالْمَشْرِقِ بَعْدَ عَوْدَتِهِمْ
حَامِلِينَ طُرُقًا جَدِيدَةً وَعَقْلِيَّةً جَدِيدَةً وَتُنَشَّى
بُورَةٌ لِلثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَمَّا عَنْ تَطَوُّرِ
أَفْكَارِ التِّطَوَّانِيِّينَ أَقُولُ بِصَرَاحَةٍ أَنَّهُ
يَسْتَحِيلُ الرُّجُوعُ إِلَى الْمَاضِي. لَقَدْ شَاعَ
الدَّاءُ. يَجِبُ الْآنَ الْإِحْتِفَاطُ بِالنَّاسِ فِي
أَمَاكِنِهِمْ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى السَّلَامِ. وَمِنْ أَجْلِ
ذَلِكَ، عَلَى السُّلْطَةِ الْمُقْبِلَةِ أَنْ تَكُونَ عَلَى
دِرَايَةٍ مِنَ الْعَقْلِيَّةِ الْمَحَلِّيَّةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ
الَّتِي تُمَارَسُ عَلَيْهَا. مِنَ الضَّرُورِيِّ إِرْضَاءُ
الطَّمُوحَاتِ وَمُعَامَلَةُ النَّاسِ بِصَرَامَةٍ وَلُطْفٍ".

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

وبناء على ما سبق يمكن أن نستخلص
أن النخبة المثقفة بمنطقة الحماية
الإسبانية لعبت، دورا بارزا، في
تحرير المجتمع المغربي من قيود
الجهل والجمود، الذي ظل يقبع فيه
لعدة قرون. وتعاطيها بإيجابية مع
مختلف المشاكل الاجتماعية والثقافية
والاقتصادية، التي كان يعاني منها
المغرب في مطلع العشرين، حيث مهدت
لنهضة وطنية شاملة، عن طريق وضعها
اللجنة الأولى للنظام التعليمي
العصري، يمكن من الحفاظ الهوية
المغربية الإسلامية، ويأخذ بتلابيب
العلوم العصرية والتقنية الحديثة،
كما سهرت هذه النخبة المثقفة على
تشجيع ثقافة القراءة وتقديس العلم
وتقدير العلماء والاقتداء بهم.
بالإضافة إلى ترسيخها لثقافة مجتمعية
بناءة تقوم على أساس التكافل
والتضامن والتعاون. علاوة على
مساهمتها في وضع تصور اقتصادي
مجتمعي دقيق، ينبني على رأس مال
تشاركي، يساهم فيه جميع المغاربة،
كل حسب استطاعته إمكانياته، هدف
تحقيق الاكتفاء الذاتي من الاستهلاك،
للتحرر من الرأسمالية الاستعمارية
الجشعة، والتأسيس لاقتصاد وطني قوي.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

هذه الرؤية العميقة للإصلاح
والنهضة، التي تبنتها النخبة
المثقفة بشمال المغرب في عهد
الحماية الإسبانية، تحمل في طياتها
العديد من الدروس والعبر، ما أوجنا
اليوم لاستلهامها والاحتذاء بها، من
أجل متابعة ورش الإصلاح الذي تم
تدشينه في مطلع القرن العشرين، وحمل
مشعل النهضة الوطنية، للسير بالمغرب
نحو مصاف الدول المتقدمة.

ومن أبرز هذه الدروس التي يمكن
استخلاصها هي:

✓ أنه لا يمكن تحقيق أيّ إصلاح أو
نهضة مجتمعية أو اقتصادية أو
ثقافية أو سياسية أو علمية
..... دون توجيه الاهتمام
والعناية بالإنسان نفسه،
وتوعيته بحقوقه وواجباته
وترقية اهتماماته وانشغالاته
....

✓ أن الرهان الوحيد الذي يمكن
استثماره للرقى بالمجتمع
والمواطن هو تعليم وطني عصري
موحد، يرقى بالمواطن ويفتح

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

آفاقه ويغذي عقله وينمي قدراته
ومهاراته وإبداعاته ...

✓ أنه من المستحيل زراعة ثقافة
القراءة، دون العناية بمنابتها
وعلى رأسها المدارس والمعاهد
والجامعات والمكتبات، وكذا
الاهتمام بالعلماء والمفكرين
والمثقفين والتعريف بهم
وبأفكارهم وأبحاثهم ومؤلفاتهم
.....

✓ أنه لا يمكن تحقيق وعي مجتمعي
في غياب إعلام وصحافة وطنية
حرة، غايتها الأسمى الدفاع عن
الحق العام، والارتقاء
بالمواطن، وتوعيته بحقوقه
وواجباته وتحرير عقليته من
ترسبات الجهل والعادات البائدة
التي تكرر ثقافة الإحباط
والاستسلام

✓ أن الاستقلال الاقتصادي ركيزة
أساسية من ركائز النهضة
والتححر من التبعية، وذلك لا
يمكن تحقيقه إلا بتأسيس اقتصاد
اجتماعي وطني حر، غايته تحقيق
الاكتفاء الذاتي وبناء اقتصاد.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

✓ أنّ روح التضامن والتعاون
والتضحية، شرطٌ ضروري لتحقيق
تماسك اجتماعي قوي، ورهان
أساسي للارتقاء بالمجتمع في
سلم التنمية الاجتماعية
والاقتصادية والثقافية ...

فما أشبه اليوم بالبارحة، وما
أحوج المجتمع المغربي الراهن إلى
نخبة مثقفة وطنية، تحمل هموم
مجتمعها، وتتحسس آلم شعبها، وتبادر
إلى تأطيره فكريا وثقافيا وسياسيا،
وتبحث عن الحلول العملية
والموضوعية، للمشاكل التي تعيق
التنمية والديمقراطية، التي ما فتئ
المغاربة يطالبون بها منذ استقلاله
إلى اليوم.

البيبليوغرافيا :

الوثائق :

1. وثائق أبو بكر بنونة :

1. ملف من أعلام تطوان الحاج عبد السلام بنونة 1888-1935، (1) ملف إلكتروني مضغوط (237 صفحة) .
2. ملف من أعلام تطوان الحاج عبد السلام بنونة 1888-1935، (2) ملف إلكتروني مضغوط (202 صفحة) .

3. ملف من أعلام تطوان الحاج عبد السلام بنونة 1888-1935، (3) ملف إلكتروني مضغوط (199 صفحة).
4. ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، (1) ملف إلكتروني مضغوط (175 صفحة).
5. ملف من أعلام تطوان الحاج امحمد بنونة، (2) ملف إلكتروني مضغوط (141 صفحة).
6. ملف من أعلام تطوان الأستاذ محمد داود 1901-1984، ملف إلكتروني مضغوط (194 صفحة).
7. ملف من أعلام تطوان الأستاذ الطيب بنونة 1911-1981، (1) ملف إلكتروني مضغوط (209 صفحة).
8. ملف من أعلام تطوان الأستاذ الطيب بنونة 1911-1981، (2) ملف إلكتروني مضغوط (179 صفحة).
9. ملف من أعلام تطوان الأستاذ عبد الخالق الطريس 1910-1970، (1) ملف إلكتروني مضغوط (186 صفحة).
10. ملف الجمعية الخيرية الإسلامية التطوانية 80 سنة من الخدمات الخيرية 1931-2011، ملف إلكتروني مضغوط (225 صفحة).
11. ملف اهتمام الحركة الوطنية بالشمال بالقضية الفلسطينية

انطلاقاً من سنة 1929، ملف

إلكتروني مضغوط (181 صفحة).
12. ملف اهتمام الحركة الوطنية
بشمال المغرب بالتعليم والثقافة
والاقتصاد، ملف إلكتروني مضغوط
(215 صفحة).

13. ملف المجتمع التطواني (2)،

ملف إلكتروني مضغوط (201 صفحة).

14. ملف المجتمع التطواني (3)،

ملف إلكتروني مضغوط (178 صفحة).

2. محاضر حزب الإصلاح الوطني:

1. ملف وثائق حزب الإصلاح الوطني

محاضر ومراسلات، المجموعة الأولى،

إعداد أبو بكر بنونة، ملف

إلكتروني مضغوط (236 صفحة).

2. ملف وثائق حزب الإصلاح الوطني

محاضر ومراسلات، المجموعة

الثانية، ج. 1، إعداد أبو بكر

بنونة، ملف إلكتروني مضغوط (96

صفحة).

3. ملف وثائق حزب الإصلاح الوطني

محاضر ومراسلات، المجموعة

الثانية، ج. 2، إعداد أبو بكر

بنونة، ملف إلكتروني مضغوط (133

صفحة).

4. ملف وثائق حزب الإصلاح الوطني
محاضر ومراسلات، المجموعة
الثالثة، إعداد أبو بكر بنونة،
ملف إلكتروني مضغوط (96 صفحة).

المخطوطات:

1. الرهوني، أحمد، نصيحة الوطن
لمقيمه، شريط ميكروفيلم رقم
1506/2، الخزانة العامة، الرباط.
2. الوزاني، التهامي، الوطنية
المغربية في طورها الحاسم -
الزيارة الملكية لطنجة-، مخطوط
بالخزانة العامة بتطوان، بدون
رقم.
3. الوزاني، التهامي، خمسون سنة
في صحبة آل بنونة، (مخطوط).
4. الوزاني، التهامي، مذكرات عن
مؤسسي الوطنية: ذكريات عن الصديق
محمد بن مصطفى أفيال، مخطوط
بالخزانة العامة بتطوان، مخطوط
بدون رقم، ويحمل رمز ع 41/6
بالمكتبة العامة والمحفوظات،
بتطوان.

المصادر والمراجع:

كتب باللغة العربية:

1. ابن الصديق الغماري، أحمد،
التصور والتصديق بأخبار الشيخ
سيدي محمد بن الصديق، مطبعة
السعادة، محافظة مصر، 1366هـ.
2. ابن عزوز حكيم، محمد، أب
الحركة الوطنية المغربية الحاج
عبد السلام بنونة حياته ونضاله،
ج.1، مطبعة الهلال العربية
للطباعة والنشر، الرباط، 1987.
3. ابن عزوز حكيم، محمد، أب
الحركة الوطنية المغربية الحاج
عبد السلام بنونة حياته ونضاله،
ج.2، مطبعة الهلال العربية
للطباعة والنشر، الرباط، 1987.
4. ابن عزوز حكيم، محمد، أب
الحركة الوطنية المغربية الحاج
عبد السلام بنونة حياته ونضاله،
ج.3، مطبعة الساحل، الرباط،
1989.
5. ابن عزوز حكيم، محمد، أب
الحركة الوطنية المغربية الحاج
عبد السلام بنونة حياته ونضاله،

- ج. 4، مطابع ميثاق المغرب، الرباط، 1995.
6. ابن عزوز حكيم، محمد، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، ج. 1، مطبعة الساحل، الرباط، 1981.
7. ابن عزوز حكيم، محمد، عيد الكتاب العربي شمال المغرب أول من احتفل به في العالم العربي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2000.
8. ابن عزوز حكيم، محمد، لمحات من حياة المجاهد الأستاذ الحاج الطيب بنونة، مطبعة الساحل، الرباط، 1981.
9. ابن عزوز حكيم، محمد، من مذكرات الزعيم، ج. 1، مطبعة الساحل، الرباط، 1982.
10. ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج. 1، مطبعة الشويخ، تطوان، 1980.
11. ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق تشهد، ج. 1، مطبعة الساحل، الرباط، 1980.
12. ابن عزوز حكيم، محمد، وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب

أرسلان للمغرب أسبابها أهدافها
نتائجها، مطابع شويخ، تطوان،
1980.

13. ابن عزوز حكيم، محمد،
يوميات زعيم الوحدة، ج. 1،
مطبعة الهلال العربية،
الرباط، 1990.

14. ابن عزوز، حكيم، محمد، **نضال**
الطريس في ساحة الوحدة، مطبعة
الساحل، الرباط، 1980.

15. ابن منصور، عبد الوهاب،
المعاهدة المغربية الفرنسية
1330هـ - 1912م، الرباط،
المطبعة الملكية، 1982.

16. ابن منصور، عبد الوهاب،
مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب
من نشأتها إلى المؤتمر مدريد
1880، المطبعة الملكية، الرباط،
ط. 2.

17. ابن يسف، سناء، **المقامات**
الإبداعية عند التهامي الوزاني
(شخصيته وإنتاجه)، منشورات
مكتبة سلمة الثقافية، مكبة
الخليج العربي، تطوان، 2014.

18. أبي زايان بنشهو، عبد
المجيد، النظام الإداري بالمغرب،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة
الرابعة، 1936.

19. الإدريسي، علي، عبد الكريم
الخطابي التاريخ المحاصر،
منشورات تيفراز، الدار البيضاء،
2007.

20. أشقرا، عثمان، الوطنية
والسلفية الجديدة بالمغرب،
منشورات اتصالات سبو، مطبعة
النجاح الجديدة، الدار البيضاء،
2007.

21. أشقري، عثمان، في
سوسيولوجيا الفكر المغربي
الحديث، مطبعة النجاح الجديدة،
الدار البيضاء، 1990.

22. أفاية، نور الدين، أسئلة
النهضة في المغرب، منشورات
الزمن، الكتاب 15، يونيو 2000.

23. أفيال، محمد التهامي، تنبيه
الأكياس للاقتصاد في المآثم
والأعراس، تقديم حسن الوركالي،
ط. 2، تطوان، 2013.

24. باحو، مصطفى، علماء المغرب
ومقاومتهم للبدع والتصوف
والقبورية والمواسم، منشورات
جريدة السبيل، ط. 2، 2007.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

25. برادة، عبد الرحيم، **إسبانيا
والمنطقة الشمالية 1931-1956**،

ج. 1، إفريقيا الشرق، 2007.

26. برادة، عبد الرحيم، **إسبانيا
والمنطقة الشمالية 1931-1956**،

ج. 2، إفريقيا الشرق، 2007.

27. بنخليفة الخلفي، محمد بن

عبد الرحمان، **المجتمع القصري في**

المنتصف الأول للقرن العشرين

أحداث وعادات، مطبعة الأمنية،

الرباط، 2015.

28. بنونة، الطيب، **نضالنا**

القومي في الرسائل المتبادلة

بين الأمير شبيب أرسلان والحاج

عبد السلام بنونة، طنجة، مطبعة

دار الأمل، 1980.

29. بنونة، المهدي، **المغرب ...**

السنوات الحارّة، كتاب الشرق

الأوسط، الشرطة السعودية للطباعة

والنشر، 1989،

30. بنونة، عبد السلام، **تحفة**

الإخوان في الصنائع القديمة

بتطوان، تخريج وتقديم، داود،

حسناء، مطبعة الخليج العربي،

تطوان، 2016

31. بوطالب، عبد الهادي، **ذكريات**

شهادات ووجوه، ج. 1، الشركة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الوطنية للطباعة والنشر،
الرباط، 1992.

32. بوعياد، حسن، **الحركة
الوطنية والظهير البربري**، دار
الطباعة الحديثة، الدار
البيضاء، الطبعة الأولى، 1979.

33. البوعياشي، عبد السلام، **حرب
الريف التحريرية ومراحل النضال**،
ج. 2، مطبعة درا الأمل، طنجة،
1975.

34. بولربح، علي، **السياسة
الترابية للسلطات الاستعمارية
الإسبانية بشمال المغرب 1912-
1956**، مطبعة الهداية، تطوان،
2015.

35. بويقران، محمد، **المغرب
والجهورية الثانية في إسبانيا
1931-1936**، منشورات المندوبية
السامية لقدماء المقاومين
وأعضاء جيش التحرير، دار أبي
رقراق للطباعة والنشر، 2013.

36. حزب الاستقلال، **المغرب الأقصى**،
القاهرة، 1951.

37. حيمر، عبد السلام، **المغرب،
الإسلام والحدثة**، منشورات الزمن،
مطبعة النجاح الجديدة، 2004.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

38. الحيمر، عبد السلام، **النخبة
المغربية وإشكالية التحديث**،
مطبعة النجاح الدار البيضاء،
2001.

39. الخديمي، علال، **التدخل
الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894-
1910** **حادثة الدار البيضاء
واحتلال الشاوية**، منشورات
إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية،
1994.

40. الخراز، محمد الحبيب،
**الصحافة بشمال المغرب من
التأسيس إلى الاستقلال**، الرباط،
2012.

41. الخطيب، إسماعيل، محمد
**العربي الخطيب رائد الصحافة
بالمغرب**، منشورات جمعية "البعث
الإسلامي" - تطوان - المغرب، 1994.

42. خليفة، إدريس، **الحركة
العلمية والثقافية بتطوان من
الحماية إلى الاستقلال 1912-1956**،

ج. 1، منشورات وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية، الرباط.

43. داود، حسناء، **الرسائل
المتبادلة بين علال الفاسي ومحمد
داود**، تقديم ومراجعة أحمد فطري،
2000.

44. داود، حسناء، **على رأس الثمانين**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2011.
45. داود، حسناء، **مراسلات وطنية وأخوية**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2016.
46. داود، محمد، **التكملة**، مراجعة وتحقيق وإضافات داود، حسناء، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2016.
47. داود، محمد، **بدايات الفكر الوطني بالمغرب**، كتاب شارع، العدد 73، يوليو 2000.
48. داود، محمد، **بدايات الفكر الوطني بالمغرب**، كتاب شارع، العدد 73، يوليو 2000.
49. داود، محمد، **تاريخ تطوان**، ج. 5، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، مطبعة المهدية، 1970.
50. داود، محمد، **تاريخ تطوان**، ج. 1، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1959.
51. داود، محمد، **تاريخ تطوان**، ج. 11، تخریج ومراجعة، داود، حسناء، منشورات جمعية تطاون

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

أسمير، مطبعة الخليج العربي،
تطوان، 2009.

52. داود، محمد، **على رأس
الأربعين**، تقديم وتعليق حسناء
داود، مطبعة الشويخ، 2001.

53. داود، محمد، **مختصر تاريخ
تطوان**، ج 2، مطبعة المهدية،
تطوان، 1955.

54. الدفالي، محمد معروف، **أصول
الحركة الوطنية بين السلفية
المجددة والسلفية الجديدة**،
منشورات مجلة أمل، مطابع رباط
نت، 2014.

55. الرايس، محمد، **شهادات عن
المقاومة في عهد الزعيم محمد بن
عبد الكريم الخطابي**، إعداد
وتقديم، عبد الحميد الرايس،
منشورات تيفراز، مطبعة النجاح
الجديدة، الدار البيضاء، 2011.

56. الرهوني، أحمد، **الرحلة
المكية**، نشر معهد فرانكو لأبحاث
العربية الاسبانية، تطوان، 1941.

57. الرهوني، أحمد، **عمدة
الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 2،
منشورات جمعية تطاون أسمير،
مطبعة الطوبريس، ط 2، 2001.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

58. الرهوني، أحمد، عمدة

الراوين، ج.3، تحقيق جعفر ابن
الحاج السلمي، منشورات جمعية
تطاون أسمير، مطبعة الخليج
العربي، تطوان، 2001.

59. رياض، محمد، شيخ الإسلام أبو
شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في
العلم والإصلاح الوطنية مع ذكر
ثلة من تلاميذه وآثاره، مطبعة
النجاح الجديد، الدار البيضاء،
2005.

60. الريحاني، أمين، المغرب
الأقصى، منشورات دار الثقافة،
بيروت، 1975.

61. الريسوني، علي، أبطال صنعوا
التاريخ، ج.1، مطبعة المهدية،
تطوان، 1975.

62. زيادي أحمد، رسائل وطنية،
مطبعة النجاح الجديدة، الدار
البيضاء، 2000.

63. زيادي، أحمد، الاتجاهات
الوطنية في النثر المغربي
الحديث على عهد الحماية (1912-
1956)، مطبعة النجاح الجديد،
البيضاء، 1999.

64. زين العبدین العلوي، المغرب
من عهد الحسن الأول إلى عهد

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**الحسن الثاني، المغرب في عهد
السلطان مولا يوسف، ج1، مطبعة
IDG1، الرباط، 2009.**

65. سبيلا، محمد، **المغرب في
مواجهة الحداثة، منشورات الزمن،
الكتاب الرابع، الطبعة الثانية،
2005.**

66. الصابي، إدريس، **الإصلاح
الثقافي في الفكر العربي الوسط
والمعاصر، إفريقيا الشرق، الدار
البيضاء، 2014.**

67. الصردو، أنس؛ بوعبيد،
بوزيد، **مدرسة الصنائع والفنون
الوطنية مسيرة أجيال من
المبدعين، مطبعة الخليج العربي،
2009.**

68. الصفار، حسن، **حزب الإصلاح
الوطني 1936 - 1956 دراسة
تحليلية، منشورات المندوبية
السامية لقدماء المحاربين
وأعضاء جيش التحرير، مطبعة
الرسالة، الرباط، 2006.**

69. الطيبي، عبد الرحمان؛
الإدريسي، الحسين، **التربية
والتعليم في برنامج محمد بن عبد
الكريم الخطابي، دار أبي رقرق
للطباعة والنشر، الرباط، 2014.**

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

70. عبد الوافي الفكيكي، عبد
الرحمان، مسرحية: انتصار الحق
بالباطل للأستاذ عبد الخالق
الطريس دراسة تحليلية، منشورات
جمعية تطوان أسمير، مطبعة
الخليج العربي، تطوان، 2006.

71. العشاب، عبد الصماد، في قلب
الحركة الوطنية مجموعة رسائل
موجهة إلى الأستاذ عبد الله كنون من
زعماء الحركة ومسيرها، مؤسسة
عبد الله كنون والبحث العلمي طنجة.

72. العلوي، زين العبددين،
المغرب من عهد الحسن الأول إلى
عهد الحسن الثاني، ج3، مطبعة
IDG1، الرباط، 2009.

73. عمراني، محمد، جامعة
القرويين والحماية 1912-1934،
منشورات الرباط نت، 2016.

74. غلاب، عبد الكريم، قراءة
جديدة في تاريخ المغرب العربي،
ج3، دار الغرب الإسلامي، 2005.

75. غلاب، عبد الكريم، قصة
المواجهة بين المغرب والغرب،
دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

76. الفاسي، علال، الحركات
الاستقلالية في المغرب العربي،
منشورات المندوبية السامية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

- لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط. 7، 2010.
77. الفاسي، علال، الديمقراطية وكفاح الشعب من أجلها، إعداد الحرشي، عبد الرحمن، مطبعة الرسالة، الرباط، 1990.
78. الفاسي، علال، حماية إسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والثقافية، منشورات مؤسسة علال الفاسي، ط. 2.
79. الفلاح العلوي، محمد، جامع القرويين والفكر السلفي 1876 - 1914، منشورات مجلة أمل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1994.
80. القوانين التأسيسية لشركة التعاون الصناعية الإسبانية المغربية، مطبعة أيديوطورال اسبانو أفريكانا، تطوان
81. اللوه، العربي، المنهال في كفاح أبطال الشمال، مطابع الشويخ، تطوان، 1982.
82. مجموعة من المؤلفين، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المهد الملكي للبحث في تاريخ

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة،
الرباط، 2011.

83. مجموعة من المؤلفين، صفحات
من تاريخ الحركة الوطنية الحاج
عبد السلام بنونة، مطبعة النجاح
الدار البيضاء، 1980.

84. المرير التطواني، محمد،
النعيم المقيم في ذكرى مدارس
العلم ومجالس التعليم، ج. 7،
تخريج أحمد بن محمد المرير،
مراجعة جعفر بن الحاج السلمي،
منشورات جمعية تطاون أسمير،
مطبعة الخليج العربي، تطوان،
2009.

85. المرير، محمد، النعيم
المقيم في ذكرى مدارس العلم
ومجالس التعليم، ج. 2، تخريج، ذ.
أحمد بن محمد المرير، مراجعة د.
جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات
جمعية تطاون أسمير، مطبعة
الخليج العربي، تطوان، 2003،

86. المرير، محمد، النعيم
المقيم في ذكرى مدارس العلم
ومجالس التعليم، ج. 5، تخريج، ذ.
أحمد بن محمد المرير، مراجعة د.
جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

جمعية تطاون أسمير، مطبعة
الخليج العربي، تطوان، 2007.

87. المساري، محمد العربي،
المغرب بأصوات متعددة، سلسلة
شراع، ع. 2، ط. 2 ماي 1997.

88. المساري، محمد العربي،
المغرب بأصوات متعددة، سلسلة
شراع، ع. 2، ط. 2 ماي 1997.

89. المساري، محمد العربي،
المغرب خارج سياج الحماية
العلاقات الخارجية للحركة
الوطنية، مطبعة عكاظ، الرباط،
2012.

90. المساري، محمد العربي، محمد
بن عبد الكريم الخطابي من
القبيلة إلى الوطن، منشورات
المركز الثقافي العربي، 2012.

91. المنوني، محمد، مظاهر يقظة
المغرب الحديث، ج. 2، الجمعية
المغربية للتأليف والترجمة
والنشر، شركة النشر والتوزيع
المدارس، مطبعة المتوسط بيروت
لبنان، 1985.

92. الناصري، المكي، إظهار
الحقيقة، وعلاج الخليقة،

93. الناصري، خالد، الإستقصا
لأخبار دول المغرب الأقصى، ج. 3،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

تحقيق محمد عثمان، دار الكتاب
العلمية، بيروت، 2007، .
94. الوزاني، التهامي، **الزاوية**،
مراجعة وتقديم عبد العزيز
السعود، مشورات تطوان أسمير،
مطبعة الخليج العربي تطوان،
2008.

95. الوزاني، التهامي، **المقاومة
المسلحة والحركة الوطنية في
شمال المغرب**، تحقيق محمد ابن
عزوز حكيم، الرباط، مطبعة
الساحل، 1980.

96. الوزاني، التهامي، **تاريخ
المغرب، ج. 3**، مطبعة الريف،
تطوان، 1942.

97. الوزاني، محمد بن الحسن،
حياة وجهاد، ج. 2، منشورات مؤسسة
محمد حسن الوزاني، مطبعة
المتوسط، بيروت، 1982.

الكتب المترجمة.

1. ابن عزوز حكيم، محمد، **موقف
الحركة الوطنية بشمال المغرب من
الحرب الأهلية الإسبانية (المغرب
سنة 1936**، ترجمة أبو شتاء
العياشي، نشر على صفحات جريدة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

- الاتحاد الاشتراكي، خلال شهري
يوليوز وغشت 1999.
2. ابن نبي، مالك، **شروط النهضة**،
ترجمة عمر مسقاوي؛ عبد الصبور
شاهين، دار الفكر العربي بيروت،
ط. 11، 2013.
3. جون، جيمس ديمس، **حركة المدارس
الحرّة بالمغرب (1919 - 1970)**،
ترجمة سعيد المعتمد، ط. 1، الدار
البيضاء، 1991.
4. ذي ماداريكا، ماريا روسا،
**محمد بن عبد الكريم الخطابي
والكفاح من أجل الاستقلال**، ترجمة،
محمد أونيا؛ عبد المجيد عزوزي؛
عبد الحميد الرايس؛ منشورات
تيفراز، مطبعة النجاح الجديد،
الدار البيضاء، 2013.
5. ذي ماداريكا، مريا روسا، **في
خندق الذئب معارك في المغرب**،
منشورات مؤسسة الغني للنشر، دار
أبي رقراق، الرباط، 2010.
6. ذي ماداريكا، مريا روسا،
مغاربة في خدمة فرنكو، ترجمة
كنزة الغالي، منشورات الزمن،
الرباط، 2006.
7. سيلفا، لورينزوز، **سبع مدن في
إفريقيا حكايات من المغرب في**

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

فترة الحماية الاسبانية ، ترجمة ،

بن رمضان ، أحمد ، منشورات مطبعة
أنفو برانت ، فاس ، 2016 .

8. الصفار ، محمد بن عبد الله ، رحلة

الصفار إلى فرنسا 1845 - 1846 ،

تحقيق سوزان ميلر ، تعريب خالد بن
الصغير ، المؤسسة العربية

للدراستات والنشر ، بيروت ، 2007 .

9. عياش ، جرمان ، **أصول حرب الريف ،**

ترجمة محمد الأمين البزاز ؛ عبد

العزیز التمساني خلوق ، الشركة

المغربية المتحدة ، مطبعة النجاح

الجديدة ، الدار البيضاء ، 1992 .

10. مرتين ، ميكيل ، **الاستعمار**

الإسباني في المغرب 1860 - 1956 ،

ترجمة عزيز الودي ، الدار

البيضاء ، منشورات التل ، 1988 .

11. وولف ، جان ، **ملحمة عبد الخالق**

الطريس حقيقة الحماية الفرنسية

الإسبانية بالمغرب ، ترجمة ، محمد

الشریف ، مطبعة الطوبريس ، طنجة ،

2003 .

الكتب باللغات الأجنبية :

1. BENJELLOUN, Abdelmajid,
Approches du colonialisme
Espagnol et du mouvement

**nationaliste Marocain Dans
l'ex-Maroc Khalifien, OKDA,
Rabat, 1988.**

2. BENJELLOUN, Abdelmajid, **Le
Mouvement Nationaliste Marocain
dans l'ex-Maroc Khalifien
(1930-56)**, Imprimerie El Maarif
Al Jadida, **Rabat**, 2011.

3. BENJELLOUN, Abdelmajid,
**pages d'histoire du Maroc :Le
patriotisme Marocain face Au
Protectorat Espagnol,**
Imprimerie El Maarif Al Jadida,
Rabat, 1993.

4. El Merroun, Mustapha, **Las
Tropas Marroquíes en la Guerra
Civil Española (1936-1939)**,
Almena Ediciones, Madrid, 2003.

5. Fernando Valderrama
Martínez, **Historia de La acción
cultural de España en Marruecos
(1912-1956)**, Editora Marroquí,
Tetuán.

6. Garacia, Figueras, Tomas,
Marruecos, Barcelona, Ediciones
FE, 1941.

7. Gómez Jordana Souza, **La Tramoya de nuestra actuación en Marruecos**, Editaría Nacional, Madrid, 1976.
8. JULIEN, Charles André, **Le Maroc face aux impérialismes de 1415 à 1956**, Edition Jeune Afrique, Paris, 1978.
9. KHTIB, Toumader, **Culture et Politique dans le mouvement nationaliste marocain au Machreq**, Publication de l'Association Tétouan Asmir, 1996.
10. REZETTE, Robert, **les Partis Politique Marocains**, libraire Armand Colin, Paris, 2^{eme} édition, 1955.
11. Tomas Gracia Figueras, **Marucos**, Ediciones FE, 1941.

ندوات ومؤتمرات:

1. التحولات الاقتصادية والاجتماعية في عهد السلطان مولاي يوسف، الدورة الرابعة عشرة لجامعة مولاي علي الشريف، 10-11 نونبر 2006، مركز الدراسات والبحوث العلوية-

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الريصاني، مطبعة دار المناهل،
2007.

2. تطوان على عهد الحماية 1912-

1956، مطبعة عكاظ، الرباط، 1992

3. تطوان في الوثائق الإسبانية

على عهد الحماية، مطبعة المهدية،

تطوان، 1998.

4. تطوان قبل الحماية (1860-

1912)، نظمتها مجموعة البحث في

التاريخ المغربي والأندلسي، مطبعة

المهدية، تطوان، 1994.

5. التهامي الوزاني: -الكتابة -

التصوف- التاريخ، مطبعة المعارف

الجديدة، الرباط، 1989.

6. الثقافة والفكر في عهد

السلطان مولاي يوسف، الدورة

الخامسة عشرة، لجامعة مولاي علي

الشريف، مركز الدراسات والبحوث

العلوية - الريصاني. - الجزء الأول -

12 - 11 يناير 2008.

7. الحركة السلفية في المغرب

العربي، مركز الحسن الثاني

للملتقيات الدولية، 24-26 مارس

1989.

8. الحماية والمقاومة المغربية

على عهد السلطان مولاي يوسف،

الدورة الثانية عشرة لجامعة مولاي

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

علي الشريف، 19-20 أبريل 2004،
منشورات وزارة الثقافة، الرباط،
دار المناهل، 2005.

**9. السلطة والمجتمع على عهد
السلطان مولاي يوسف، الدورة
الثالثة عشرة لجامعة مولاي علي
الشريف، منشورات مركز الدراسات
والبحوث العلوية - الريسان،
2006.**

**10. شخصية التهامي الوزاني
ومساهمته الفكرية، منشورات جمعية
تطاون أسمير، مطبعة طوب بريس،
الرباط، 2004.**

**11. شمال المغرب إبان فترة
الحماية وبداية عهد الاستقلال، تحت
إشراف محمد القبلي، تنسيق
المعطي، منجب، منشورات المعهد
الملكي للبحث في تاريخ المغرب،
الرباط، 2014.**

**12. شيخ الإسلام محمد العربي العلوي
السلفية المستنيرة، منشورات مركز
محمد بنسعيد آيت إيدر للأبحاث
والدراسات، مطبعة أوميكا كرافيك،
الدار البيضاء، 2015.**

**13. المجتمع التطواني والتطور
العمراني والمعماري، تنسيق امحمد**

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

بن عبود، مطبعة الخليج العربي،
تطوان، 2009.

14. مجموعة من المؤلفين، صفحات من
تاريخ الحركة الوطنية الحاج عبد
السلام بنونة، مطبعة النجاح
الجديدة، 1980.

15. محمد داود الحركة الوطنية في
الشمال والمسألة الثقافية، اتحاد
كتاب العرب، مطبعة المعارف
الجديدة، الرباط، 1990.

16. مشروع التحديث في المجتمع
المغربي، إعداد عبد الواحد
الفقيهي، سعيد منتسب، منشورات
الشعلة، مطبعة السعادة، الدار
البيضاء، 1998.

دراسات وأبحاث:

باللغة العربية:

1. "الحديث الذي ألقاه الطيب
بنونة في ندوة عقدتها جمعية
قدماء تلاميذ المعهد الحر بتاريخ
5 مارس 1979"، ورد في: وثائق
أبو بكر بنونة، ملف من أعلام
تطوان الأستاذ الطيب بنونة، ج. 2،
ملف إلكتروني مخطوط.

2. "الحديث الذي ألقاه الطبيب بنونة في ندوة عقدتها جمعية قدماء تلاميذ المعهد الحر بتاريخ 5 مارس 1979"، ورد في: وثائق أبو بكر بنونة، ملف من أعلام تطوان الأستاذ الطبيب بنونة، ج. 2، ملف إلكتروني مضغوط.
3. "سيدي التهامي الوزاني كان من بين العلماء الذين وقع اختيارهم لدراسة قضية التعليم بالمنطقة سنة 1930"، جريدة الحياة، عدد 86، 22 دجنبر 1994.
4. "من مؤسساتنا الوطنية المعهد الحر، أول معهد للدراسة العربية الثانوية العصرية الحرة بالمغرب (5 نونبر 1935)"، مجلة الوثائق الوطنية، عدد 5-6، مارس-يونيو 1990.
5. ابن إدريس العلمي، عبد الغفار، "الحركة الوطنية في شمال المغرب ومقوماتها للتأثير الإسباني في ميدان التعليم على عهد الحماية"، مجلة الذاكرة الوطنية، ع. 6، 2004.
6. ابن جلون، أحمد، "لمحات عن حياة الأستاذ الطريس"، ضمن كتاب: الأستاذ الطريس، سلسلة رجال

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

المعهد الحر، العدد 1، مطبعة
المهدية، تطوان، 1972.

7. ابن عزوز حكيم، محمد، "اللجنة
الفرعية لعصبة الدفاع عن حقوق
الإنسان بتطوان"، مجلة الوثائق
الوطنية، ع. 2، يونيو 1988.

8. ابن عزوز حكيم، محمد، "سيدي
التهامي من خلال الوثائق"، جريدة
الحياة، عدد 86، 22 دجنبر 1994.

9. ابن عزوز حكيم، محمد، "عيد
العرش في عاصمة المنطقة
الخليفية"، مجلة الوثائق
الوطنية، ع. 1، مارس 1988.

10. ابن عزوز حكيم، محمد، "موقف
الحركة الوطنية في شمال المغرب
من ثورة الجنرال فرانكو ومن
تجنيد المغاربة في جيشه
ومشاركتهم في الحرب الأهلية
الإسبانية سنة 1936"، مجلة
الوثائق الوطنية، ع. 3-4، شتنبر-
دجنبر 1988.

11. ابن عزوز حكيم، محمد، "موقف
الحركة الوطنية في شمال المغرب
من ثورة الجنرال فرانكو ومن
تجنيد المغاربة في جيشه
ومشاركتهم في الحرب الأهلية
الإسبانية سنة 1936"، مجلة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الوثائق الوطنية، ع. 5-6، مارس-
يونيو 1990.

12. أخريف، مصطفى، "السياسة
التعليمية في الشمال إبان
الحماية وأوائل الاستقلال"، ضمن
كتاب: شمال المغرب إبان فترة
الحماية وبداية عهد الاستقلال،
تنسيق المعطي منجب، منشورات
المعهد الملكي للبحث العلمي في
تاريخ المغرب، مطبعة المعارف
الجديد، الرباط، 2014.

13. أرسلان، شكيب، "لو كان مثل
بنونة كثير لتحورت هذه الأمة من
زمن طويل"، خطاب الأمير شكيب
أرسلان الذي ألقى في حفلة تأبين
بنونة، ضمن كتاب: صفحات من تاريخ
الحركة الوطنية الحاج عبد السلام
بنونة، مطبعة النجاح الجديدة،
1980.

14. ازحيمي، عاهد، "عبد السلام
بنونة أب الوطنية المغربية"،
مجلة زمان، عدد 19، ماي 2015.

15. أشقرا، عثمان، "العمل الوطني
والعمل المدني في الشمال"، دفاتر
الشمال، ع. 1، مارس 1996.

16. أعراب، إبراهيم، "الخطاب
الإصلاحي بالمغرب وقضايا التحديث"،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

من أعمال ندوة: مشروع التحديث في
المجتمع المغربي، إعداد عبد
الواحد الفقيهي، سعيد منتسب،
منشورات الشعلة، مطبعة السعادة،
الدار البيضاء، 1998.

17. برادة، عبد الرحيم، "الفعل
الفردى وصيغة تعبئة لعمل الجماعى
فى منطقة الحماية الاسبانية خلال
العهد الفرنكوى"، مجلة الذاكرة
الوطنية، عدد 6، 2004.

18. بكبوط، محمد، "أضواء على بعض
مواقف العلماء من بعض الظواهر
الاجتماعية بتطوان خلال عهد
الحماية"، ضمن أعمال ندوة: تطوان
على عهد الحماية 1912-1956،
مطبعة عكاظ، الرباط، 1992.

19. بن جلون، أحمد، "النشاط
الاقتصادى فى حياة الرائد الوطنى
الحاج عبد السلام بنونة"، مجلة
الإيمان، عدد 95، ماي 1980.

20. بنانى، عثمان، "الخطابى
محمّد"، معلمة المغرب، ج. 11، من
إنتاج الجمعية المغربى للتأليف
والترجمة والنشر، مطابع سلا،
2000.

21. بنجلون، عبد المجيد، "الحركة
الوطنية المغربية للمنطقة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**الشمالية والمقيم العام لويس
فريير"، مجلة أبحاث، عدد 12/11،
ربيع/صيف 1986.**

22. بنجلون، عبد المجيد،
"الوطنيون المغاربة في المنطقة
الخليفية وأعمالهم الإصلاحية"،
ترجمة لطفي بوشنتوف، المناهل،
عدد 70/69، 2004.

23. بنونة، الطيب، "الجانب
السياسي في عمل الكتلة الوطنية"،
منشورات مؤسسة عبد الخالق الطريس
للثقافة والفكر، دار الطباعة
الحديثة، الدار البيضاء، 1979.
24. بنونة، الطيب، كيف نشأ المعهد
الحر؟"، ضمن كتيب: سلسلة رجالات
المعهد الحر: الأستاذ الطريس،
مطبعة المهدية، تطوان، 1972.

25. بوبكر، بوهادي، "كتلة العمل
الوطني بشمال المغرب"، موسوعة
الحركة الوطنية والمقاومة وجيش
التحرير، منشورات المندوبية
السامية لقدماء المقاومين وأعضاء
جيش التحرير، ج. 1، المجلد 2،
الرباط، 2005.

26. بوطالب، عبد الهادي، "السلفية
استشراف مستقبلي"، ندوة: الحركة
السلفية في المغرب العربي، مركز

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الحسن الثاني للملتقيات الدولية،
24-26 مارس 1989.

27. التمسmani خلوق، عبد العزيز،
"الحماية الاسبانية من خلال عمدة
الراويين في تاريخ تطاوين للفيقيه
أحمد الرهوني"، مجلة دار
النيابة، عدد 18، ج.1، سنة 1988.

28. الخراز، عبد القادر، "تطوان
وريادة الصحافة الوطنية مجلة
السلام"، ضمن أعمال ندوة: تطوان
على عهد الحماية 1912-1956،
مطبعة عكاظ، الرباط، 1992.

29. الخراز، عبد القادر، "تطوان
وريادة الصحافة المغربية مجلة -
الإصلاح"، مجلة دار النيابة،
العدد 3، 1987.

30. الخطيب، إبراهيم، "تحولات
التهامي الوزاني"، ضمن أعمال
ندوة: شخصية التهامي الوزاني
ومساهمته الفكرية، منشورات جمعية
تطاون أسمير، مطبعة طوب بريس،
الرباط، 2004.

31. خليفة، إدريس، "حول التعليم
والمكتبات بالشمال"، ضمن كتاب:
شمال المغرب إبان فترة الحماية
وبداية عهد الاستقلال، تنسيق
المعطي منجب، منشورات المعهد

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

الملكي للبحث في تاريخ المغرب،
الرباط، 2014.

32. خليفة، ادريس، "الحياة

الأدبية بتطوان: النثر الفني
(1912 - 1956)، ضمن أعمال ندوة:

تطوان على عهد الحماية 1912-

1956، منشورات المجلس البلدي

لمدينة تطوان، مطابع عكاظ،

الرباط، 1992.

33. داود، حسناء، "الأستاذ محمد

داود في ميدان التعليم"، ضمن

ندوة: محمد داود الحركة الوطنية

في الشمال والمسألة الثقافية،

اتحاد كتاب العرب، مطبعة المعارف

الجديدة، الرباط، 1990.

34. الدفالي، محمد معروف،

"السلفية الجديدة والوطنية"،

ندوة: شيخ الإسلام محمد العربي

العلوي السلفية المستنيرة،

منشورات مركز محمد بن سعيد آيت

إيدر للأبحاث والدراسات، مطبعة

أوميكا كرافيك، الدار

البيضاء، 2015.

35. الدفالي، محمد معروف، "النخب

والعمل الوطني"، ضمن أعمال ندوة:

شمال المغرب إبان فترة الحماية

وبداية عهد الاستقلال، تحت إشراف

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

محمد القبلي، تنسيق المعطي،
منجب، منشورات المعهد الملكي
للبحث في تاريخ المغرب، الرباط،
2014.

36. الدفالي، محمد معروف، "دور
حرب الريف في يقظة نخبة المدن"،
مجلة أمل، ع. 38، 2012.

37. الدفالي، محمد معروف، "من
مظاهر المقاومة السلبية في عهد
السلطان مولا يوسف"، ضمن أعمال
الدورة الثانية عشرة لجامعة مولاي
علي الشريف: الحماية والمقاومة
في عهد السلطان مولاي يوسف، 19-
20 أبريل 2004، مركز الدراسات
والبحوث العلوية، 2005.

38. الرايس، مصطفى، "ملاحظات أولية
حول علاقة شيوخ الزوايا بالاستعمار
الفرنسي في الخمسينيات من خلال
صحيفة الوداد"، مجلة المناهل،
عدد 90/89، يونيو 2011.

39. السعود، عبد العزيز، "قراءة
تاريخية مجددة في الخطاب الإصلاحي
الوطني بالشمال"، مجلة دفاتر
الشمال، ع. 2، ماي 1977.

40. السعود، عبد العزيز، "مسألة
التربية والتعليم عند الحركة
الوطنية في الشمال"، ضمن ندوة:

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

**محمد داود الحركة الوطنية في
الشمال والمسألة الثقافية، اتحاد
كتاب العرب، مطبعة المعارف
الجديدة، الرباط، 1990.**

41. السعود، عبد العزيز، 'مساهمة
حول تأسيس الحماية الاسبانية في
شمال المغرب 1912-1936'، ضمن
ندوة: تطوان على عهد الحماية
1912-1956، مطابع عكاظ، الرباط،
1992.

42. الشاوش، محمد العربي، "إشارات
حول الإشعاع الفكري والحضاري
لمدينة تطوان-3"، مجلة دعوة
الحق، ع. 247، أبريل 1985.

43. الشريف، محمد، "أضواء على
المجتمع التطواني سنة 1913 من
خلال مشاهدات الرحالة الإسباني
آنخيل كابريرا"، ضمن كتاب:
المجتمع التطواني والتطور
المعماري والعمراني، تنسيق د.
امحمد بن عبود، منشورات كلية
الآداب والعلوم الإنسانية جامعة
عبد الملك السعدي تطوان، مطبعة
الخليج العربي، تطوان، 2009

44. الشريف، محمد، "قراءة في
كتاب: اللسان المعرب عن تاريخ
وساسة ملوك المغرب"، ضمن ندوة:

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

تطوان على عهد الحماية 1912-

1956، مطبعة عكاظ، الرباط، 1992

45. الشريف، محمد، "قراءة في

كتاب: اللسان المعرب عن تاريخ

وساسة ملوك المغرب"، ضمن ندوة:

تطوان على عهد الحماية 1912-

1956، مطبعة عكاظ، الرباط، 1992.

46. الشريف، محمد، "نصيحة الوطن

لأبي عباس أحمد الرهوني أو تصور

النخبة التطوانية لمحددات نجاح

سياسة الحماية الإسبانية بالمنطقة

الخلفية"، ضمن أعمال ندوة:

الحماية والمقاومة المغربية على

عهد السلطان مولاي يوسف، الدورة

الثانية عشرة، منشورات وزارة

الثقافة، الرباط، دار المناهل،

2005.

47. الصفار، حسن، "الفقيه محمد

داود الحركة الوطنية في الشمال

والمسألة الثقافية"، ندوة: محمد

داود الحركة الوطنية في الشمال

والمسألة الثقافية، اتحاد كتاب

العرب، مطبعة المعارف الجديدة،

الرباط، 1990.

48. الصفار، حسن، "حزب الإصلاح

الوطني (1936-1956)"، موسوعة

الحركة الوطنية والمقاومة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

المسلحة وجيش التحرير بالمغرب،
ج. 1، مجلد 2، منشورات عكاظ،
الرباط، 2005.

49. عثمان، مشبال، 'التهامي
الوزاني والشعور الوطني في شمال
المغرب'، ضمن ندوة: 'التهامي
الوزاني: الكتابة-التصوف-لتاريخ،
مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،
1989.

50. عدلية، مصطفى، "السلامي في
الكتابات الإسبانية"، ضمن أعمال
ندوة: تطوان قبل الحماية 1960-
1912، التي نظمتها مجموعة البحث
في التاريخ المغربي والأندلسي،
مطبعة المهدية، تطوان، 1994.

51. عزيमान، محمد، "الأستاذ محمد
داود في ميدان التربية
والتعليم"، ضمن أعمال ندوة: محمد
داود الحركة الوطنية في الشمال
والمسألة الثقافية، اتحاد كتاب
العرب، مطبعة المعارف الجديدة،
الرباط، 1990.

52. عزيमान، محمد، "البدايات
الأولى للحركة الثقافية ودور
الأستاذ الطريس فيها"، منشورات
مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

والفكر، دار الطباعة الحديثة،
الدار البيضاء، 1979.

53. عزيमान، محمد، "'ذكريات من
تاريخ الحركة الثقافية بتطوان"'،
مجلة المناهل، عدد 26، مارس 1983.

54. عزيमान، محمد، "'عمل الحاج
عبد السلام بنونة في الميدانين
الثقافي والاجتماعي"'، مجلة
الإيمان، عدد 95، السنة العاشرة،
1980.

55. عينية، عبد المجيد، "موقف
المغاربة من قضايا التربية
والتعليم في العقود الأولى من عقد
الحماية الفرنسية / الإسبانية"،
مجلة فضاءات تربوية، عدد 2، مارس
1996.

56. الكندوز، لطيفة، موقف
المغاربة من التقنيات الحديثة
التلغراف نموذجاً، ضمن أعمال:
الدورة الرابعة عشرة لجامعة مولاي
علي الشريف: التحولات الاقتصادية
والاجتماعية في عهد السلطان مولاي
يوسف، 10-11 نونبر 2006، مركز
الدراسات والبحوث العلوية-
الريصاني، مطبعة دار المناهل،
2007.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

57. اللوه، أمينة، "الثقافة

العربية المعاصرة في شمال

المملكة المغربية"، مجلة دعوة

الحق، ع. 1 السنة 17، ماي 1975.

58. المجذوبي حسن، "التربية

والتعليم من خلال الوثائق

الإسبانية على عهد الحماية"،

ندوة: تطوان في الوثائق الإسبانية

على عهد الحماية، مطبعة المهدية،

تطوان، 1998.

59. المرون، مصطفى، "الحاج عبد

السلام بنونة: مشاريع اقتصادية من

أجل التنمية الاجتماعية (تطوان

1916-1935)"، ضمن كتاب: المجتمع

التطواني والتطور العمراني

والمعماري، تنسيق امحمد بن عبود،

مطبعة الخليج العربي، تطوان،

2009.

60. المساري، محمد العرب،

"إشكالية الاستقلال والوحدة في عمل

الحركة الوطنية في الشمال"، ضمن

كتاب: المغرب بأصوات متعددة،

سلسلة شراع، ع. 2، ط. 2 ماي

1997.

61. المساري، محمد العربي،

"حقيقة العهد الجمهوري الإسباني

وعلاقته بالوطنية المغربية"،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

جريدة العلم، عدد 11324، سنة 35،
15 يونيو 1981.

62. المساري، محمد العربي، "عبد
الخالق الطريس: أربعون سنة من
النضال"، مذكرات من التراث
المغربي، ج. 6، إشراف العربي
الصقلي.

63. المساري، محمد العربي، "من
الاحتواء إلى التعددية المدبرة
إلى الحزب الإداري"، ضمن كتاب:
المغرب بأصوات متعددة، سلسلة
شراع، ع. 2، ط. 2 ماي 1997.

64. معروف الدفالي، محمد، "حرب
السلفية الجديدة على الطرقية حرب
حدود أم حرب وجود؟"، مجلة أمل،
العدد 42، 2014،

65. الناصر، سعاد، "الحركة
القافية بتطوان الحركة الثقافية
في تطوان «سيدي مصطفى أفيلال
نموذجا»"، ضمن أعمال ندوة: تطوان
قبل الحماية (1860-1912)، التي
نظمتها مجموعة البحث في التاريخ
المغربي والأندلسي، مطبعة
المهدية، تطوان، 1994.

66. الهراس، المختار، "المجتمع
التطواني من خلال سيرة سيدي
التهامي الوزاني الذاتية"، ضمن

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

ندوة: **التهامي الوزاني - الكتابة**
- التصوف - التاريخ، مطبعة

المعارف الجديدة، الرباط، 1989.
67. الهيروز، بديعة، "قراءة

تحليلة للائحة مطالب وطنية مقدمة
لسلطات الحماية الإسبانية سنة
1926"، ضمن أعمال ندوة: السلطة

والمجتمع على عهد السلطان مولاي
يوسف، جامعة مولاي علي الشريف
الدورة الثالثة عشرة، 2006.

68. الهيروز، بديعة، **موقف النخبة**
المثقفة المغربية من بعض

المستجدات الوقتيّة: نموذج
للمستجدات الاقتصادية 1912-
1927"، ضمن أعمال: الدورة

الخامسة عشرة لجامعة مولاي علي
الشريف: **الثقافة والفكر في عهد**
السلطان مولاي يوسف: - الجزء الأول -

12 - 11 يناير 2008، مركز
الدراسات والبحوث العلوية -
الريصاني.

69. **الوزاني، التهامي، وصف زيارة**
الشيخ أبي شعيب الدكالي لمدينة

تطوان، ضمن كتاب: رياض، محمد،
شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي
الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح
الوطنية مع ذكر ثلة من تلاميذه

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----
وآثاره، مطبعة النجاح الجديد،
الدار البيضاء، 2005.

باللغات الأجنبية:

12. Benjelloun, Abdelmajid,
« **Les confréries religieuses
et le mouvement national dans
l'ancien Maroc Khalifien** »,
dans : **Société tétouanaise et
Développement urbain et
architectural**, Publication de
la faculté des Lettres et des
Sciences Humaines de Tétouan,
imprimerie Al Khaliij Al Arabi,
Tétouan, 2009.
13. CAGNE, Jacques, « **Un exemple
de mission Estudiantine en
Orient dans les années trente :
des Lycéens Tétouanais à
Naplouse** », in **tétouane à
l'époque de protectorat 1912-
1956**, rabat, 1992.
14. Dolores Lopez Enamorado,
« **El tetuan del Protectorado :
medio siglo de imágenes
historicas** », in **tétouane à**

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
----- عاهد ازحيمي

l'époque de protectorat 1912-
1956, rabat, 1992.

15. Luciano Lopez Ferrer,
« **Notas para El estudio de la
instrucción publica en
Marruecos y especialmente en
Tetuán** », Boletin Oficial, N.
2, 4 Abril 1913.

معلمة المغرب:

1. ابن عزوز حكيم، "ألفاؤو إي
مندوثا"، معلمة المغرب، ج 2،
منشورات الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر، مطابع
سلا، 1989.
2. ابن عزوز حكيم، محمد، "بنونة
الحاج عبد السلام"، معلمة المغرب،
ج 5. منشورات الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر، مطابع
سلا، 1992.
3. البزاز، محمد الأمين، "دار
النيابة"، معلمة المغرب، ج 12،
منشورات الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر، مطابع
سلا، 2000.
4. بوخبزة، محمد، "علي أو علال
الخطيب"، معلمة المغرب، ج 11،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي

منشورات الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر، مطابع
سلا، 2000.

5. الشابي، مصطفى، "الخطيب
امحمد"، معلمة المغرب، ج. 11،
منشورات الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر، مطابع
سلا، 2000.

الجرائد والمجلات:

جريدة الإصلاح:

1. "إصلاح التعليم وكيف يكون؟"،
مجلة الإيمان، عدد 95، أبريل/
ماي 1980.

2. "إعلان من شركة التعاون
الكهربائية الصناعية التجارية
الإسبانية المغربية"، جريدة
الإصلاح، عدد 281، 15 شتنبر 1928.

3. "اكتتاب خيري"، جريدة الإصلاح،
ع. 222، 12 ماي 1927.

4. "الحفلة الافتتاحية للأسواق
الأدبية"، جريدة الإصلاح، عدد 276،
9 غشت 1928.

5. "الشيخ أبو شعيب الدكالي ولا
حاجة إلى التعريف به"، جريدة
الإصلاح، عدد 313، 17 ماي 1929.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

6. "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح،
عدد 205، 20 دجنبر 1927.
7. "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح،
عدد 207، 3 يناير 1927.
8. "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح،
عدد 210، 24 يناير 1927.
9. "تحديد التمدن"، جريدة الإصلاح،
عدد 211، 4 فبراير 1927.
10. "شركة التعاون الصناعية
الإسبانية المغربية ش.م."، جريدة
الإصلاح، عدد 264، 30 أبريل 1928.
11. "معمل صناعة الزرابي
المغربية بشفشاون"، جريدة
الإصلاح، عدد 260، 31 مارس 1928.
12. ابن الحسن، محمد، "ضعفائنا
والإحسان إليهم"، جريدة الإصلاح،
عدد 218، 30 مارس 1927.
13. الإصلاح ومدرسة لوقش ولدا
المجمع العلمي فمالهما يعيشان
ويموت، جريدة الإصلاح، عدد 73، 24
شتنبر 1920.
14. بنونة، عبد السلام، "أأعراس
أم إفلاس"، جريدة الإصلاح، عدد
210، 24 يناير 1927.
15. بنونة، عبد السلام، "ما هذا
الكسل؟"، جريدة الإصلاح، ع. 21،
1917

16. جابر المغربي، "نظرة في الإصلاح"، جريدة الإصلاح، 216، 14 فبراير 1927.
17. الخطيب، محمد العربي، "نحن والتعليم... نصيحة وإرشاد"، جريدة الإصلاح، العدد 81 20 رجب 1338 - 31 مارس 1921.
18. الخطيب، محمد العربي، "نحن والتعليم... نصيحة وإرشاد"، جريدة الإصلاح، العدد 81 20 رجب 1338 - 31 مارس 1921.
19. الخطيب، محمد العربي، "الطوائف العساوية"، جريدة الإصلاح العدد 49.
20. الخطيب، محمد العربي، العمل والتعاون، جريدة الإصلاح، العدد 4.
21. الخیر بالخير يذكر"، جريدة الإصلاح، عدد 216، 14 مارس 1927.
22. داود، محمد، قصيدة "مجد المغرب ونهضته"، جريدة الإصلاح، عدد 276، 9 غشت 1928.
23. سعد المغربي، "إليكم سادتي الآباء"، جريدة الإصلاح، 216، 14 فبراير 1927.

24. سعد، المغربي، "إليك سادتي
معاشر العلماء"، جريدة الإصلاح،
عدد 212، 11 فبراير 1917.
25. سعيد التطواني، "التدجيل
والدجالون"، جريدة الإصلاح، عدد
207، 3 يناير 1927.
26. فتى المغرب (محمد داود)،
"حالتنا العامة ووجوب تنظيم
المعارف"، جريدة الإصلاح، عدد
223، 17 ماي 1927.
27. فتى المغرب (محمد داود)،
"حول التعليم الابتدائي"، جريدة
الإصلاح، عدد 203، 4 دجنبر 192،
صفحة بدون رقم
28. فتى المغرب (محمد داود)،
"حول المعارف العمومية"، جريدة
الإصلاح، عدد 201، 20 نونبر
1926.
29. فتى المغرب (محمد داود)،
"نحن والعالم الإسلامي (اعملوا
لنشر العلم أيها المغاربة)"،
جريدة الإصلاح، عدد 209، 17 يناير
1927.
30. فتى المغرب (محمد
داود)، "لجنة التعاون الخيري
بتطوان"، جريدة الإصلاح، عدد،
215، 5 فبراير 1927،

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

31. محمد بن محمد الزواقي،
**"المنجمون والدجالون أو علماء
الغيب"**، جريدة الإصلاح، عدد 311.
32. المغربي، **فوائد المكاتب
ومنافعها**، جريدة الإصلاح، عدد 71،
25 غشت 1920.

جريدة شمال إفريقيا:

1. الخطيب، محمد العربي،
"الحمادشة عود على بدأ"، جريدة
شمال إفريقيا، العدد 183،
الثلاثاء 4 ربيع الأول 1337- 10
جنبر 1918.
2. الخطيب، محمد العربي، **"حالنا
ومستقبلنا في مكتبنا وتعليمنا"**،
شمال إفريقيا، العدد 169، السبت
17 صفر 1377- 3 نونبر 1918.
3. الخطيب، محمد العربي،
الحمادشة (1)، شمال إفريقية، ع.
180، 6 دجنبر 1918.
4. محمد العربي الخطيب، **"برنامج
تنظيم التعليم"**، نشر على صفحات
جريدة الشمال الإفريقي.

مجلة الفتح المصرية:

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

1. "الفتح وشيوخ المغرب"، مجلة
الفتح، عدد 433، 10 ذي القعدة
1353.

2. "علي عبد الرزاق يسب دين
المراكشيين"، مجلة الفتح، عدد
49، الخميس 9 يونيو سنة 1927.

3. "كيف قابل المغاربة الجمهورية
الإسبانية"، مجلة الفتح، عدد
252، 10 محرم 1350.

مجلة السلام

1. "من مؤسساتنا الوطنية المدرسة
الأهلية"، مجلة السلام، ج. 8، سنة
الأولى ماي 1934.

2. "من مؤسساتنا الوطنية جمعية
الطالب المغربية"، مجلة السلام، ج.
2، سنة الأولى، نونبر 1933.

3. الطريس، عبد الخالق،
"مطالبنا"، مجلة السلام، ج. 2،
سنة الأولى، نونبر 1933.

4. "حول النهوض الإسلامي"، مجلة
السلام، ج. 10، سنة الأولى،
نونبر 1934.

5. "فخامة رئيس الجمهورية يزور
المغرب"، مجلة السلام، ج. 3، سنة
الأولى، دجنبر 1933.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

6. "مبدأ أنا و غايتنا"، مجلة
السلام، ج. 8، سنة الأولى أكتوبر
1933.

7. "روح الشباب المغربي"، مجلة
السلام، ج. 9، سنة الأولى، يونيو
1934.

جريدة الحياة :

1. "أزمة شركة النور"، جريدة
الحياة، ع. 63، 23 ماي 1935.

2. "المدرسة المحمدية تحتاج إلى
تشجيع"، جريدة الحياة عدد 27، 13
شتنبر 1934.

3. "إلى الشباب"، جريدة الحياة،
ع. 75، 15 غشت 1935.

4. "صراع اقتصادي"، جريدة
الحياة، ع. 72، 25 يوليوز 1935.

5. "منشأ التقصير"، جريدة
الحياة، ع. 41، 20 دجنبر 1934.

6. "مودة وتقدير!"، جريدة
الحياة، عدد 42، 27 دجنبر 1934.

7. "نقابة الصحافة"، جريدة
الحياة، ع. 37، 22 نونبر 1934.

8. ابن جلون، عبد السلام، يوم
المغرب الموحد، جريدة الحياة، ع.
36، عدد خاص بعيد العرش، 18
نونبر 1934.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

9. أفيلال، محمد بن التهامي،
"خطاب صاحب المعالي وزير العدالة
رئيس المجلس الأعلى للتعليم
الإسلامي العلامة السيد محمد بن
التهامي أفيلال"، جريدة الحياة،
ع. 57، 11 أبريل 1935.

10. بنجلون، عبد السلام، "الزنى-
سوق الأعراض ..؟!"، جريدة الحياة،
ع. 33، 25 أكتوبر 1934.

11. التهامي الوزاني، "شبابنا
والتعليم"، جريدة الحياة، عدد 67،
13 يونيو 1935.

12. الطريس، عبد الخالق، "الشباب
والرجعية"، جريدة الحياة، ع. 25،
30 غشت 1934.

13. الطريس، عبد الخالق، "المصالح
الاقتصادية المؤتمر الاقتصادي"،
جريدة الحياة، ع. 27، 13 شتنبر
1934.

14. الطريس، عبد الخالق، "المصالح
الاقتصادية معرض النماذج"، جريدة
الحياة، ع. 29، 18 جمادى الثانية
1353.

15. الطريس، عبد الخالق، "نتائجنا
من المؤتمر الاقتصادي"، جريدة
الحياة، ع. 30، 4 أكتوبر 1934.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

16. الوزاني، التهامي، "الصحة في

المنطقة"، جريدة الحياة، ع. 37،

22 نونبر 1934.

17. "أعمال المؤتمر"، جريدة

الحرية، ع. 30، 4 أكتوبر 1934.

18. "المجلس الأعلى للتعليم

الإسلامي"، جريدة الحياة، ع. 39، 6

دجنبر 1934.

19. "الاهتمام بالتعليم الخاص"،

جريدة الحياة، ع. 12، 24 ماي

1934.

20. الطريس، عبد الخالق، "مشكلة

المشاكل"، جريدة الحياة، ع. 18،

12 يوليوز 1934.

مجلة الاتحاد:

1. "أشغال مدرسة الفنون والصناعات

التطوتنية"، مجلة الاتحاد، عدد

11، السنة الأولى يناير 1928.

2. داود، محمد، المغرب ونهوضه

الأدبي، مجلة الاتحاد، عدد 7،

السنة الأولى، ربيع الأول 1346.

3. الرهوني، أحمد "الخطاب الذي

ألقاه في حفلة الأسواق الأدبية

بمدينة سبتة"، مجلة الاتحاد، ع.

18.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

4. الزواق، محمد بن محمد، "تطوان
تسعد بحلول الملوك فيها"، مجلة
الاتحاد، ع. 8.

جريدة الريف:

1. "أخبار حزب الإصلاح الوطني"،
جريدة الريف، ع. 35، 31 دجنبر
1936.

2. "النشيد الرسمي لحزب الإصلاح
الوطني"، جريد الريف، ع. 24، 33
دجنبر 1936.

3. الطريس، عبد الخالق، "الله
أكبر"، جريد الريف، ع. 33، 24
دجنبر 1936.

4. الطريس، عبد الخالق، "من شركة
التعاون"، جريدة الريف، ع.
19، 202 شتنبر 1939.

5. الطنجي، محمد، "شركة التعاون
الصناعية في خطر"، جريدة الريف،
ع. 111، 26 أكتوبر 1937.

6. التماضري، "معمل الصابون
المغربي"، جريدة الريف، ع. 222، 4
يونيو 1940.

7. الوزاني، التهامي، "من قصة
التعليم الديني"، جريدة الريف،
ع. 292، 10 أبريل 1942.

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

8. "الرأفة الوطنفة"، جرفدة الرفف، ع. 49، 18 فبرافر 1937.
9. "فوم العفد"، جرفدة الرفف، ع. 51، 1 مارس 1937.
10. "فتفاننا"، جرفدة الرفف، ع. 52، 4 مارس 1937.
11. "المدرسة الأهلفة"، جرفدة الرفف، ع. 81، 22 فونفو 1937.
12. أبوا عزة، "أالة المنطقة الاقآصاففة"، جرفدة الرفف، ع. 6، 14 شآنبر 1936.

أآارفح أامعفة:

1. بوجداد، أحمد، السفاة الآعلفمفة للأمافة الإسبانفة بالمنطقة الآلفففة سابقا، أطروحة لنفل دآآورة الدولة فف القانون العام، أامعة محمد الآماس كلفة العلوم القانونفة والاآصاففة والاآآماعفة، الرباط.
2. بوهادف، بوبكر، المغرب والآرب الأهلفة الإسبانفة، أطروحة لنفل الدآآوراه فف الآارفح، أامعة محمد الآماس، كلفة الآداب والعلوم الإنسانفة الرباط، 2002-2003.
3. فآرف، أحمد، المقالة المغربفة على عهد الأمافة - زعماء الآركة

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

الوطنية نموذجا-، أطروحة لنيل
الدكتوراه في الآداب، جامعة سيدي
محمد بن عبد الله، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية، ظهارة المهرارز-
فاس، 1995-1996.

4. الهبتي، محمد ياسين، مساهمة
في دراسة تاريخ المقاومة
المغربية -مقاومة شفشاون
للإستعمار الإسباني نموذجا-،
أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب،
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية
الآداب والعلوم الإنسانية سايس -
فاس، 2010-2011.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....	
.....	
.....	
.....	1
مدخل	
.....	
.....	
.....	
.....	8
الباب الأول: النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية وتصورها للنهضة الوطنية.	
.....	15
الفصل الأول: النخبة المثقفة بشمال المغرب: بين صدمة الاستعمار ومحاولة إثبات الذات.....	
.....	16

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
----- عاهد ازحيمي
المبحث الأول: صدمة الاستعمار وبروز النخبة المثقفة
بمنطقة الحماية الاسبانية

.....
16

1. احتلال مدينة تطوان والوعي بالذات

.....
.....
16

2. ظروف وعوامل نشأة النخبة المثقفة بشمال
المغرب

.....
.....
27

المبحث الثاني: النخبة المثقفة بشمال المغرب: بين
المرجعية السلفية والاقتداء بالنهضة المشرقية
.....
44

1. سلفية النخبة المثقفة بشمال المغرب
وتطلعها لإحياء أمجاد الأمة المغربية
.....
44

2. النخبة المثقفة بشمال المغرب والدعوة
للاقتداء بالنهضة المشرقية
.....
55

الفصل الثاني: النخبة المثقفة بشمال
المغرب: بين الدعوة لمحاربة الجهل والجمود
والتوعية بأهمية التعليم

65

المبحث الأول: محاربة الجهل والجمود قبل محاربة
الاستعمار في تصور النخبة المثقفة
.....
65

1. الجهل آفة المغرب وسبب خرابه
.....
.....
65

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
----- عاهد ازحيمي

2. لا سبيل لإصلاح الفرد والمجتمع إلا بمحاربة
البدع والتقاليد البالية

.....

77

المبحث الثاني: التوعية والتعليم أساس الإصلاح
والنهضة في خطاب النخبة المثقفة بشمال المغرب

97

1. التعليم أساس الإصلاح في خطاب النخبة
المثقفة بشمال المغرب

.....

97

2. توعية الأسرة والمجتمع في خطاب النخبة
المثقفة

.....

.....

108 ...

3. الشباب عماد النهضة الوطنية

.....

.....

117

الباب الثاني: مجهودات النخبة المثقفة
بشمال المغرب لتحقيق مشروعها النهضوي:
بين تماطل المستعمر ومحدودية الإمكانيات
الذاتية

.....

.....

124

الفصل الأول: موقف النخبة المثقفة بشمال
المغرب من الحماية الإسبانية والسعي لتحقيق

المطالب 126

المبحث الأول: التعايش والتعاون مع الحماية
الإسبانية ومحاولة الإصلاح من الداخل

.....

126

1. موقف النخبة المثقفة بشمال المغرب من
نظام الحماية الإسبانية

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

.....

126

2. مشاركة النخبة المثقفة في الحكومة
الخليفية ومحاولة الإصلاح من الداخل

.....

136

المبحث الثاني: مطالب النخبة المثقفة بشمال
المغرب وموقفها من سياسة التماطل للحماية
الإسبانية

155

1. مطالب مبكرة للنخبة المثقفة والرغبة في
تحقيق الإصلاحات

.....

155

2. موقف النخبة المثقفة من سياسة إدارة
الحماية الاسبانية

.....

171

الفصل الثاني : مشاريع ومبادرات وطنية
لتحقيق النهضة الوطنية

.....

181

المبحث الأول: مشاريع ومبادرات وطنية على مستوى
التعليم والتوعية والتثقيف

.....

181

1. المبادرات الفردية الأولى للنخبة المثقفة
في ميدان التعليم

.....

181

2. المدرسة الأهلية مهد النهضة الوطنية بشمال
المغرب

.....

.....

190

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----

عاهد ازحيمي

3. البعثات الطلابية للمشرق أساس الحفاظ على
الهوية المغربية والثقافة العربية الإسلامية

209

المبحث الثاني: مشاريع ومبادرات وطنية على
المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية

.....
228

1. دور النخبة المثقفة في نشر الوعي وترسيخ
ثقافة القراءة وتقدير العلماء

.....

228

2. مشاريع ومبادرات وطنية للنخبة المثقفة
على المستوى الاجتماعي

.....

248

3. محاولة النخبة المثقفة تأسيس اقتصاد
اجتماعي وطني وتحريره

.....

264

الباب الثالث: نتائج النهضة الوطنية
وتجلياتها على المستويات الفكرية

والثقافية والاجتماعية والسياسية.... 288

الفصل الأول: مظاهر النهضة الوطنية بشمال
المغرب على المستوى الفكري والثقافي

الاجتماعي 289

المبحث الأول: تجليات النهضة الوطنية بشمال المغرب
على المستوى الفكري والثقافي

.....

289

1. تكوين جيل جديد ونشأة الحركة الوطنية
بشمال المغرب

.....

289

2. النشاط الثقافي للرعيل الأول للحركة
الوطنية بشمال المغرب

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
عاهد ازحيمي -----

.....

302

المبحث الثاني: تجليات ومظاهر النهضة الوطنية على
المستوى الاجتماعي والاقتصادي

.....

318 ..

1. عمل الرعيل الأول للحركة الوطنية في ميدان
التعليم

.....

318

2. تجليات النهضة الوطنية على مستوى
الاجتماعي والاقتصادي

.....

327

الفصل الثاني: تجليات النهضة الوطنية على
المستوى السياسي والتنظيمي

.....

341

المبحث الأول: الحركة الوطنية السياسية بشمال
المغرب: من المبادرة الفردية إلى العمل الجماعي

341

1. الإرهاصات الأولى للعمل السياسي بشمال
المغرب

.....

.....

341

2. الهيئات التنظيمية الأولى للحركة
السياسية بشمال المغرب

.....

353

المبحث الثاني: النضج السياسي والتنظيمي للحركة
الوطنية بشمال المغرب

.....

372

1. ظروف وحيثيات تأسيس حزب الإصلاح الوطني

.....

تصور النخبة المثقفة بمنطقة الحماية الإسبانية
لمشروع النهضة الوطنية (1913-1936) -----
----- عاهد ازحيمي

.....

372

2. تأسيس حزب الإصلاح الوطني ومرحلة النضج

السياسي والتنظيمي للحركة الوطنية بشمال

المغرب 387

عامة

خاتمة

.....
.....
.....

. 396

البيبلوغرافيا

.....
.....
.....

401

الموضوعات

فهرس

.....
.....

428